أكثر الكتب مبيعاً
تُرجمت إلى 35 لغة

كاميلا لاكبرغ

CAMILLA LÄCKBERG

الولد الخفي

Tyskungen

رواية



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



Tyskungen

رواية

كاميلا لاكبرغ

CAMILLA LÄCKBERG

ترجمة

جولي صليبا



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

الإهداء

إلى ويل وميجا

✵

كان الصوت الوحيد الذي يعكر سكون الغرفة ناجماً عن أزيز أجنحة الذباب. لم يتحرك الرجل الجالس على الكرسي، فهو لم يتحرك أصلاً منذ زمن طويل. في الواقع، لم يعد رجلاً؛ إن كان تعريف الرجل يعني كائناً يحيا ويتنفس ويشعر. في الحقيقة، لقد أصبح شيئاً شبيهاً بالعلف، أو بكلمات أخرى أكثر تعبيراً، لقد أصبح ملاذاً للحشرات واليرقات.

حلّق الذباب في سرب كبير فوق الجثة الهامدة. كانت الذبابات تحط على الجثة بين الفينة والأخرى وتحرك أفواهها، قبل أن تعود للتحليق مجدداً؛ بحثاً عن مكان آخر تحط فيه. كانت تتحسس طريقها، وتصطدم ببعضها بعضاً. لقد كانت البقعة التي تحيط بالجرح في رأس الرجل ذات أهمية خاصة؛ بالرغم من أن رائحة الدم المعدنية اختفت منذ وقت طويل، وحلّت مكانها رائحة العفن.

لقد تدفق الدم من الجهة الخلفية لرأس الرجل قبل أن يسيل على الكرسي ويصل الأرض مشكلاً بركة، وقبل أن يتجمد. في البداية، كانت البركة حمراء اللون ومليئة بجسيمات حيّة، إلا أن لونها تبدل الآن وأصبح أسود. لم تعد بركة الدماء المتجمدة شبيهة بذلك السائل اللزج الذي كان يجري في شرايين الرجل، بل تحولت إلى كتلة سوداء دبقة.

بعض الذبابات شبعت ووضعت بيوضها، وها هي الآن تريد الخروج. راحت تخفق بأجنحتها على لوح الزجاج في محاولات يائسة لتخطي هذا الحاجز غير المنظور، فارتطمت بالزجاج مصدرة صوت طقطقة خافتاً. وفي النهاية، استسلمت. عندما تجوع مجدداً، فستقصد ما كان رجلاً سابقاً، وإنما لم يعد الآن شيئاً سوى كتلة من اللحم.

طوال الصيف، تمعّنت إيريكا في الأفكار التي خطرت في بالها. وقارنت بين الإيجابيات والسلبيات، ووجدت نفسها ميالة للصعود إلى العلية. إلا أنها لم تذهب يوماً إلى ما هو أبعد من فسحة السلالم المؤدية إليها. عزت ذلك إلى حقيقة انشغالها كثيراً في الأشهر القليلة الماضية بكل الأمور الواجب إنجازها بعد الزفاف، والفوضى التي خلفتها آنا وأولادها عندما كانوا يعيشون معهم في المنزل. لكن هذا التبرير لا يعدو عن كونه نصف الحقيقة؛ فهي خائفة بكل بساطة، خائفة مما قد تجده، وخائفة من نبش أمور وإظهارها للعلن، فيما تفضل عدم معرفتها أبداً.

عرفت أن باتريك يتساءل عن سبب عدم رغبتها في قراءة الدفاتر التي وجدتها في العلّية. بدا عدة مرّات على وشك سؤالها عن ذلك، لكنه لم يفعل. ولو سألها، لما استطاعت الإجابة. فأكثر ما يخيفها ربما اضطرارُها إلى تغيير نظرتها إلى الحقيقة. فالصورة التي امتلكتها دوماً عن أمها- من كانت كإنسانة وكيف عاملت ابنتيها- لم تكن إيجابية جداً. لكن ذلك ليس إلا رأيها. الصورة مألوفة، إنها حقيقة لا يمكن زعزعتها، وقد استمرت طوال أعوام، وكانت شيئاً تستطيع الاتكال عليه. قد تتأكد ظنونها، لا بل قد تتعزز. لكن، ماذا لو تقوّضت تلك الظنون؟ ماذا لو أجبرت على الارتباط بحقيقة جديدة بالكامل؟ لغاية الآن، لم تتحلّ بالشجاعة الكافية لاكتشاف الحقيقة.

وضعت إيريكا قدمها على الدرجة الأولى. من الطابق السفلي في غرفة الجلوس، سمعت ضحكة ماجا السعيدة بينما كان باتريك يلعب معها، وكان الصوت باعثاً على الاطمئنان. وضعت قدمها الأخرى على السلّم، خمس درجات أخرى وستصل إلى الأعلى.

تحرّك الغبار كالدوامة في الهواء عندما فتحت الباب وصعدت إلى العلّية. لقد تحدثت سابقاً مع باتريك بشأن تجديد المكان في مرحلة ما في المستقبل؛ لجعله ربما معتزلاً حميماً لماجا حين تصبح أكبر وتريد بعض الخصوصية. إلا أنه لا يزال لغاية الآن علّية غير منجزة، مع ألواح عريضة في الأرضية وسقف منحدر بدعامات مكشوفة. المكان مليء جزئياً بأشياء مكوّمة؛ زينة، ملابس أصبحت صغيرة على ماجا، وعلب تحتوي على أغراض بشعة لا يمكن وضعها في الأسفل، لكنها باهظة

الثمن جداً أو محمّلة بالذكريات حيث يصعب رميها.

الصندوق الخشبي موجود في الجهة الخلفية، بالقرب من الحائط. إنه قديم الطراز، ومصنوع من الخشب وقد دقّت فيه مسامير معدنية. تعرف إيريكا بشكل مبهم أنه ما يعرف "بصندوق أميركا". توجهت إليه، وجلست على الأرض قربه، ومررت يدها عليه. وبعد أن تنفست بعمق، أمسكت بالمقبض المعدني ورفعت الغطاء. فاحت منه رائحة، فاشمأزت منها، وتساءلت عن سببها. ربما العفن، قالت لنفسها، ولاحظت أنها بدأت تحكّ فروة رأسها.

كانت لا تزال قادرة على تذكر العاطفة التي غمرتها عندما اكتشفت الصندوق مع باتريك للمرة الأولى، وفتشت في محتوياته، وأخرجت منه كل الأغراض ببطء. كان يحتوي على رسوم أنجزتها مع آنا عندما كانتا صغيرتين، وأشياء صغيرة صنعتاها في المدرسة... أشياء احتفظت بها أمهما إلسي؛ الأم التي لم تبدُ يوماً مهتمة حين تعود ابنتاها الصغيرتان من المدرسة وتعرضان عليها ابتكاراتهما بلهفة.

وها هي الآن تعيد الكرة؛ ولكن بمفردها، فتخرج غرضاً تلو الآخر وتضعه على الأرض. فما تبحث عنه موجود في قعر الصندوق. أخرجت بعناية قطعة القماش، وأمسكتها أخيراً بين يديها مجدداً. إنها عبارة عن قميص الطفل الذي كان سابقاً أبيض اللون، ولكن عندما رفعته أمام الضوء لاحظت أنه اصفرّ مع مرور الوقت. لم تستطع إبعاد عينيها عن البقع البنية الصغيرة الموجودة على القميص. لقد افترضت في البداية أنها بقع من الصدأ، لكنها أدركت لاحقاً أنها بقع دم جافة. ثمة شيء محزن جداً في العثور على بقع دم على قميص طفل. كيف وصل القميص إلى هنا في العلّية؟! ولمن يعود؟ ولماذا احتفظت به أمها؟

وضعت إيريكا القميص قربها برفق على الأرض. عندما عثرت على القميص للمرة الأولى حين كانت مع باتريك، وجدت شيئاً ملفوفاً داخله، لكنه لم يعد موجوداً الآن. فهو الشيء الوحيد الذي أخذته من الصندوق؛ ميدالية نازية كانت مخبأة في القميص القماشي الملطخ بالدم. لقد تفاجأت من العواطف التي اجتاحتها عندما رأت الميدالية للمرة الأولى، كانت مفاجئة لها فعلاً. فقد بدأ قلبها يخفق بشدة، وجفّ فمها، وعادت أمام عينيها صور من أفلام إخبارية وبرامج وثائقية

قديمة عن الحرب العالمية الثانية. ماذا تفعل ميدالية نازية هنا في فجالباكا؟ في منزلها وبين أغراض أمها؟ بدا الوضع برمته غير منسجم والمنطق السليم. أرادت إعادة الميدالية إلى الصندوق مجدداً وإغلاقه، لكن باتريك أصرّ على أخذ الميدالية إلى خبير لمعرفة المزيد عنها. وافقت إيريكا على مضض، لكنها أحسّت بأن هناك أصواتاً تهمس داخلها، أصواتاً مشؤومة تحذرها بضرورة إخفاء الميدالية ونسيان أمرها؛ إلا أن فضولها تغلّب على الأصوات. وفي أوائل شهر يونيو، أخذتها إلى خبير متخصص في مواضيع الحرب العالمية الثانية، وإذا حالفهما الحظ، فسيعرفان قريباً معلومات أكثر عن أصل الميدالية.

إلا أن أكثر ما يهمّ إيريكا هو ما وجداه في قعر الصندوق؛ أربعة دفاتر زرقاء. تعرّفت إلى خطّ أمها على الأغلفة؛ ذلك الخط الأنيق، المائل إلى اليمين والذي يدل على أنها كانت أكثر شباباً. أخرجت إيريكا الدفاتر من الصندوق، ومررت سبابتها على غلاف الدفتر العلوي. كتبت على كل دفتر عبارة "دفتر مذكرات"، وهي عبارة أثارت في داخلها موجة من المشاعر المختلطة؛ من فضول وحماسة ولهفة، بالإضافة إلى الخوف والشك وإحساس قوي بأنها تقتحم خصوصية أمها. هل لديها الحق في قراءة هذه الدفاتر؟ هل لديها الحق في الغوص عميقاً في أفكار أمها ومشاعرها؟ فدفتر المذكرات لا يفترض به أن يقع تحت عينَي شخص آخر. لم تكتب أمها الدفاتر كي يتشارك الآخرون محتوياتها. ربما لو كانت موجودة لمنعت ابنتها من قراءتها. لكن إلسي ماتت، ولا تستطيع إيريكا طلب الإذن منها. عليها أن تقرر بنفسها ما يجدر بها فعله بهذه الدفاتر.

"إيريكا؟". قطع صوت باتريك أفكارها.

"نعم؟".

"وصل الضيوف".

ألقت إيريكا نظرة على ساعتها. يا الله، هل أصبحت الساعة الثالثة!؟ اليوم ذكرى مولد ماجا الأولى، وسيأتي أصدقاؤهما المقرّبون وأفراد العائلة. لا بدّ أن باتريك اعتقد أنها نامت حيث هي.

"أنا آتية!". نفضت الغبار عن ملابسها. وبعدما ترددت هنيهة، حملت الدفاتر

وقميص الطفل ونزلت سلّم العلية شديد الانحدار.

"أهلاً وسهلاً". أفسح باتريك الطريق للسماح بدخول أول ضيوفهم. بفضل ماجا تعرفا إلى جوهان وإليزابيت اللذين يملكان طفلاً بالعمر نفسه. أحب الصبي ماجا كثيراً، لكنه يتصرف أحياناً بعدائية كبيرة لدى إظهاره ذلك الحب. والآن، ما إن لمح ويليام ماجا في الردهة، حتى اندفع صوبها كما يندفع لاعب الهوكي على الجليد. ليس مستغرباً أن ماجا لم تهتمّ للأمر كثيراً، وتوجّب على والديه إنقاذ محبوبته من بين ذراعيه.

"ويليام، لا تتصرف على هذا النحو! عليك توخي الحذر عندما تتعاطى مع الفتيات". وجّه جوهان نظرة موبخة إلى ابنه فيما هو يحاول كبحه.

"أعتقد أن تقنيته في المصادقة مماثلة تقريباً لتلك التي كنتَ تستخدمها". قالت إليزابيت ضاحكة، لكن بدا جلياً أن زوجها لم يسرّ بكلامها.

خاطب باتريك ماجا قائلاً: "حسناً، حسناً، حبيبتي. ليس الأمر بهذا السوء". ثم رفع ابنته الباكية وعانقها؛ إلى أن تحوّل بكاؤها إلى أنين خفيف. ثم أعادها إلى الأرض، ودفعها برفق في اتجاه ويليام. "انظري إلى ما أحضره لك ويليام. هدية!".

أعطت الكلمة السحرية التأثير المطلوب؛ إذ تبخرت دموع ماجا، فيما تحرك ويليام نحوها مترنحاً ليسلمها هدية مربوطة بشريط. وبمساعدة باتريك، فتحت ماجا العلبة، وأخرجت منها فيلاً رمادياً جديراً بالمعانقة. حققت الهدية نجاحاً فورياً، فشدت ماجا الفيل بقوة إلى صدرها، وطوّقت جسمه الطري بذراعيها، وضربت الأرض بقدميها معبرة عن فرحها. لكن محاولة ويليام في التربيت على الفيل جوبهت بنظرة تحدٍّ، فقبِل معجبها الصغير التحدي، وضاعف جهوده فوراً.

قال باتريك وهو يحمل طفلته بين ذراعيه للحؤول دون تفاقم الشجار: "تفضلا إلى غرفة الجلوس لحق به والدا ويليام، وعندما وضع الصبي الصغير أمام صندوق الألعاب الكبير عمّ السلام مجدداً؛ على الأقل بصورة مؤقتة.

ما إن وصلت إيريكا حتى بادرت الضيوف قائلة: "أهلاً بكم جميعاً". عانقت ضيفيها، وربّتت على رأس ويليام.

نادى باتريك من المطبخ: "من يريد قهوة؟" فأجاب الثلاثة بصوت واحد: "أنا".

سأل جوهان مبتسماً وهو يضع ذراعه حول إليزابيت فيما جلسا على الأريكة: "كيف هي الحياة الزوجية؟".

"هي نفسها تقريباً، إلا أن الفرق الوحيد هو أن باتريك يناديني باستمرار زوجتي. هل من نصائح حول كيفية إقناعه بالتوقف عن ذلك؟". واستدارت إيريكا صوب إليزابيت وغمزتها.

"يمكنك التوقف أنت أيضاً عن المحاولة. فلن يمضي وقت طويل قبل أن يتوقف الكلام عن "الزوجة" ويتحول إلى شيء آخر عوضاً عن ذلك. لذا، استفيدي من الوضع قدر الإمكان. بالمناسبة، أين آنا؟"

"انتقلت إلى منزل دان؛ ليعيشا معاً". رفعت إيريكا حاجبها بطريقة معبّرة.

"حقاً! كم حدث الأمر بسرعة". ارتفع حاجب إليزابيت أيضاً.

قاطعهما رنين جرس الباب، فنهضت إيريكا قائلة: "ربما وصلا، أو ربما كريستينا". لفظت الاسم الأخير بنبرة جليدية. فمنذ الزفاف، أصبحت علاقة إيريكا بحماتها أكثر برودة. ويعزى ذلك بدرجة كبيرة إلى حملة كريستينا الحماسية لإقناع باتريك بأنه من غير الملائم للرجل أن يأخذ إجازة أبوّة من العمل لمدة أربعة أشهر. لكنْ على عكس رغبتها، رفض باتريك التنازل عن يوم واحد. في الواقع، كان هو من أصرّ على الاهتمام بماجا خلال فصل الخريف.

"مرحباً. هل من فتاة هنا ذكرى مولدها اليوم؟" سُمع سؤال آنا من الردهة الأمامية. لا تكفّ إيريكا عن الارتعاش فرحاً كلما سمعت مدى سعادة أختها الصغيرة. فطوال أعوام عدة، لم يكن هناك أي فرح في صوتها. ولكنْ، ها قد عاد الآن. بدت آنا قوية وسعيدة ومغرمة.

في البداية، خشيت آنا من أن تنزعج إيريكا من انتقالها للعيش مع دان. لكن إيريكا سخرت تقريباً من قلقها. فهي ودان يشكلان ثنائياً منذ زمن بعيد. وحتى لو وجدت الأمر غريباً قليلاً، إلا أنها وضعت مشاعرها جانباً لمجرد رؤيتها آنا سعيدة مجدداً.

"أين فتاتي المفضلة؟". دخل دان الضخم والمرح ونظر حوله بحثاً عن ماجا. كانت هناك علاقة مميزة بين الاثنين، وسرعان ما ركضت ماجا صوبه، ورفعت له ذراعيها، وسألته: "هدية؟"؛ بعد أن باتت تفهم المغزى الكامن وراء الاحتفال بذكرى مولدها.

قال دان: "أحضرنا لك هدية طبعاً يا حبيبتي وأومأ برأسه لآنا التي حملت علبة كبيرة ملفوفة بورق وردي مع شريط فضي. تملّصت ماجا من بين ذراعَي دان، وبدأت تكافح لفتح الهدية. هذه المرة، ساعدتها إيريكا، وأخرجتا معاً دمية كبيرة ذات عينين تفتحان وتغمضان.

قالت ماجا بفرح: "دمية". ومنحت الدمية سلسلة من عناقاتها الحميمة، ثم ابتعدت لتُري ويليام كنزها الجديد.

رنّ جرس الباب مجدداً، وبعد هنيهة دخلت كريستينا الغرفة. لم تستطع إيريكا الحؤول دون صرّ أسنانها. فقد استاءت من طريقة ضغط حماتها على زر جرس الباب، حيث بدا الأمر تلميحاً رمزياً قبل دخولها المنزل.

تكررت مسألة تقديم هدية وفتحها، لكن الخيار هذه المرة لم يكن مرحباً به كثيراً. فقد حملت ماجا بتردد القمصان الداخلية التي وجدتها داخل العلبة، ثم فتشت في ورقة الهدية مجدداً للتأكد من أنها لم تهمل أية لعبة. وبعد ذلك، حدّقت إلى جدتها بعينين واسعتين.

"آخر مرة جئت فيها إلى هنا، لاحظت أنها بدت كبيرة جداً على القميص الداخلي الذي كانت ترتديه. وبما أن متجر "ليندكس عرض تخفيضات حيث يبيع الثلاثة بسعر اثنين، فقد اشتريت لها بعض القمصان الداخلية. أنا واثقة أنها ستكون ملائمة للاستعمال". ابتسمت كريستينا برضى، وبدت غافلة تماماً عن خيبة أمل ماجا.

كبحت إيريكا رغبتها في القول كم هي فكرة غبية أن يتم شراء ملابس بمناسبة الذكرى الأولى لمولد الطفلة. وفضلاً عن خيبة الأمل الواضحة لدى ماجا، نجحت كريستينا أيضاً في توجيه أحد انتقاداتها اللاذعة الاعتيادية؛ إذ يبدو أن إيريكا وباتريك غير قادرين على اختيار الملابس الملائمة لابنتهما.

قال باتريك الذي يملك حساً مذهلاً في معرفة اللحظة المناسبة لإلهاء الجميع

عن موقف حرج: "حان وقت قالب الكيك". أخفت إيريكا انزعاجها، وانضمّت إلى فعالية إطفاء الشمعة. إلا أن محاولات ماجا لإطفاء الشمعة الوحيدة نجحت فقط في رش رذاذ لعابها على قالب الحلوى. عندها، تدخل باتريك وأطفأ الشمعة الصغيرة من دون أن تنتبه، ثم أنشد الجميع أغنية سنة حلوة يا جميل، وصرخوا "هوراه". عام واحد؛ هذا هو عمر طفلتهما، الفتاة الصغيرة التي تحبو بمفردها، وتصفق بيديها حين تسمع موسيقى بوليبوما، وتستطيع تناول الطعام بنفسها، وتعطي أرق القبلات في كل أوروبا الشمالية، وتحبّ العالم كله. ابتسمت إيريكا لباتريك فبادلها الابتسامة. في تلك اللحظة تحديداً، كانت الحياة مثالية.

تنهد برتيل ميلبرغ بقوة. إنه أمر يكرره باستمرار هذه الأيام. فهزيمة الربيع الماضي لا تزال تشعره بالاكتئاب. إلا أنه غير متفاجئ، فقد سمح لنفسه بفقدان السيطرة. وهذا النوع من الأمور لا يمرّ أبداً من دون عقاب. كان يجدر به معرفة ذلك. ويمكن القول إنه يستحق ما حصل له. حسناً، لقد تعلّم الدرس، وهو ليس من النوع الذي يرتكب الخطأ نفسه مرتين. هذا أمر أكيد.

"برتيل" نادت آنيكا بإلحاح من قاعة الاستقبال. بحركة متمرّسة، أرجع ميلبرغ إلى الخلف خصلة شعره التي انزلقت عن رأسه الأصلع تقريباً، ونهض على مضض. هناك عدد ضئيل جداً من الإناث اللواتي يقبل تلقي الأوامر منهن، وآنيكا جانسون إحدى أعضاء هذا النادي الاستثنائي. على مرّ الأعوام، نشأ لديه احترام كبير لها، ولا يستطيع التفكير في امرأة أخرى يمكنه قول الشيء نفسه عنها. والعواقب الكارثية الناجمة عن توظيف تلك الأنثى في الربيع الماضي عززت رأيه أكثر فأكثر. وها هم الآن على وشك استقبال امرأة أخرى ضمن الفريق. تنهد مجدداً. هل يصعب كثيراً العثور على ذكور للعمل في قسم الشرطة؟! لماذا يصرّون على إرسال إناث للحلول مكان إرنست لوندغرن؟ إنه وضع مأساوي.

قطّب جبينه عندما سمع كلباً ينبح خارجاً في قاعة الاستقبال. هل أحضرت آنيكا أحد كلابها إلى العمل؟ إنها تعرف تماماً رأيه في الكلاب! عليه التحدث معها في هذا الموضوع.

إلا أنه لم يكن واحداً من كلاب اللابرادور التي تملكها آنيكا. فقد وجد نفسه أمام كلب أجرب بشع ذي لون وسلالة غير محددين. وكان مربوطاً برسن تمسك به امرأة قصيرة ذات شعر داكن.

قالت بلكنة استوكهولمية واضحة: "وجدته خارج المركز".

سأل برتيل بصوت أجشّ، وهو يستدير للعودة إلى مكتبه: إذاً، ما الذي يفعله هنا؟".

أسرعت آنيكا بالقول: "إنها باولا موراليس وذلك لحثّ ميلبرغ على عدم الاستدارة. يا الله، لقد تذكر الآن أن الشرطية التي يفترض بها أن تنضم إليهم تملك اسماً اسبانياً. إنها قصيرة ونحيلة، غير أن النظرة التي وجهتها إليه لم تكن واهنة أبداً. مدّت يدها وقالت:

"سررت بلقائك. كان الكلب طليقاً في الخارج، ونظراً إلى حالته، لا أعتقد أنه يخص أحداً. على الأقل، لا يخص أحداً قادراً على الاهتمام به".

كشفت كلماتها عن نبرة قاسية، وتساءل برتيل عما يدور في ذهنها.

"حسناً، إذاً خذيه إلى مكان ما".

"لقد أخبرتني آنيكا أنه لا يوجد مكان للكلاب الضالة".

فسأل ميلبرغ: "ألا يوجد؟".

فأومأت آنيكا نافية.

فقال: "إذاً، أفترض أنه يجدر بك اصطحابه إلى منزلك". وأبعد عنه الكلب الذي كان يقترب بإلحاح من سرواله. غير أن الكلب تجاهل محاولاته، وجلس على قدم ميلبرغ اليمنى.

أجابت باولا بهدوء: "لا أستطيع. فنحن نملك كلبة، وهي لا تحب أي رفيق لها" ووجهت إليه النظرة القاسية نفسها.

فرد عليها ميلبرغ، وقد بدأ يلين قليلاً: "ماذا عنك يا آنيكا؟ يستطيع... البقاء برفقة كلابك، أليس كذلك؟". لماذا يجدر به دوماً الاهتمام بمثل هذه المسائل التافهة؟ إنه المدير هنا!

لكن آنيكا هزّت رأسها قائلة: "كلابي غير معتادة على الكلاب الأخرى. لن

تجري الأمور على ما يرام".

عندها قالت باولا: "عليك أن تأخذه". وأعطت ميلبرغ الرسن. ذهل من جرأتها فأخذه، وتفاعل الكلب مع ذلك بأن ضغط جسمه أكثر فأكثر على ساق ميلبرغ وأنَّ.

قالت آنيكا: "هل رأيت؟ إنه يحبك".

تمتم ميلبرغ: "لكنني لا أستطيع... لا أستطيع...".

"أنت لا تملك أي حيوانات أخرى في المنزل. أعدك بأنني سأسأل في الجوار لمعرفة ما إذا كان يخصّ أحداً. وإلا فسنعثر على شخص ليهتم به. إذ لا يمكننا تركه ضالاً هكذا وإلا فستصدمه سيارة".

رغماً عنه، وجد ميلبرغ نفسه يستسلم. نظر إلى الكلب، فبادله الكلب النظرات بعينين دامعتين متوسلتين.

"حسناً، حسناً. سآخذ الكلب اللعين. وإنما ليومين فقط. وعليكِ أن تغسليه قبل أن آخذه إلى المنزل". وهزّ إصبعه أمام آنيكا التي بدت مرتاحة.

وقالت بحماسة: "لا مشكلة. سأغسله هنا في المركز. شكراً جزيلاً لك، برتيل

زمجر ميلبرغ قائلا: "حين أرى هذا الكلب في المرة التالية، احرصي على أن يكون نظيفاً تماماً. وإلا فلن تطأ قوائمه منزلي!".

وسار غاضباً عبر الرواق، وأغلق باب مكتبه بعنف.

تبادلت آنيكا وباولا الابتسام، فيما أنَّ الكلب وضرب ذيله بالأرض بحبور.

قالت إيريكا: "طاب يومك". ولوّحت لماجا التي تجاهلتها. كانت ماجا جاثية على الأرض أمام التلفاز، تشاهد برنامج "تيليتابيز"

قال باتريك: "سوف نقضي وقتاً رائعاً معاً". ومنح إيريكا قبلة. "سنكون أنا وهذه الفتاة الصغيرة بخير في الأشهر القليلة القادمة".

قالت إيريكا ضاحكة: "تجعل الأمر يبدو وكأنني مسافرة إلى ما وراء البحار. لكنني سأنزل لتناول الغداء".

"هل تعتقدين أن هذه الطريقة ستنجح؟ أعني بقاءك في المنزل للعمل؟".

"يمكننا المحاولة على الأقل، والادعاء فقط أنني غير موجودة".

فغمزها باتريك قائلاً: "لا مشكلة. ما إن تغلقي باب مكتبك، فلن تعودي موجودة بالنسبة إليّ".

أجابت إيريكا: "سنرى". وتوجهت إلى الطابق العلوي. "لكن الأمر يستحق العناء إذا كان بوسعي تفادي استئجار مكتب".

ذهبت إلى مكتبها، وأغلقت الباب خلفها، وخليط من المشاعر يكتنفها. فخلال الأشهر الاثني عشر الماضية، بقيت في المنزل للاهتمام بماجا، ووجدت نفسها تتوق إلى اليوم الذي تسلّم فيه المهمة إلى باتريك، وتكرّس نفسها للأمور التي يقوم بها الناضجون مجدداً. لقد سئمت وتعبت من الملاعب، وعلب الرمل، والبرامج التلفزيونية الخاصة بالأطفال. فإعداد المنزل الخشبي المثالي لا يعتبر بالضبط محفزاً فكرياً. ومهما أحبت ابنتها، فسوف تصاب بالجنون إذا أنشدت مرّة أخرى أغنية "العنبكوت الشقي لقد حان الآن دور باتريك للاهتمام بالطفلة.

بنوع من الوقار، جلست إيريكا أمام الكمبيوتر، وضغطت على زر التشغيل، واستمعت بسرور إلى الطنين المألوف. شهر فبراير هو الموعد النهائي لتسليم الكتاب الجديد في سلسلة الجرائم الحقيقية التي تؤلفها، لكنها نجحت لغاية الآن في إنجاز بعض الأبحاث خلال الصيف، ولذلك شعرت أنها مستعدة للبدء. فتحت مستند وورد أسمته "الياس"، لأنه اسم أول ضحايا المجرم، ووضعت أصابعها على لوحة المفاتيح. إلا أن طرقاً خفيفاً على الباب قاطعها.

فتح باتريك الباب ونظر إلى إيريكا وقال: "عذراً على إزعاجك... لكنني أتساءل عن المكان الذي وضعت فيه البذلة ذات السحاب الخاصة بماجا".

"في آلة تجفيف الملابس

أومأ باتريك برأسه، وأغلق الباب.

وضعت أصابعها على لوحة المفاتيح للمرة الثانية، وأخذت نفساً عميقاً. ولكن الباب قرع مجدداً.

"عذراً. وعدتك بأن أتركك بمفردك، لكنني أحتاج فقط إلى سؤالك عن نوع الملابس التي يفترض بماجا أن ترتديها اليوم. فالطقس بارد جداً في الخارج، ولكنها تعاني دوماً من الحرّ المفرط، وقد يسهل عليها التقاط الزكام..." ابتسم

باتريك بخجل.

"كل ما تحتاج إليه هو قميص رقيق وسروال تحت البذلة ذات السحاب. وهي تضع عادة القبعة القطنية الرقيقة".

"شكراً". قال باتريك وأغلق الباب مجدداً. كانت إيريكا على وشك طباعة أول جملة حين سمعت صوت بكاء صادراً من الأسفل. وارتفع هذا البكاء بسرعة ليصبح عالياً جداً. وبعد الإصغاء لدقيقتين، دفعت كرسيها إلى الخلف ونزلت إلى الأسفل.

"سأساعدك. من الصعب جداً محاولة إقناعها بارتداء الملابس".

قال باتريك: "نعم، لاحظت ذلك" ومسح العرق المتقطر عن حاجبه نتيجة محاولته إقناع ماجا بارتداء ملابسها الخارجية.

بعد خمس دقائق، كانت ماجا لا تزال متجهمة، ولكنها ارتدت كل ملابسها. قبلت إيريكا كلاً من ابنتها وزوجها قبلة على الشفتين قبل أن تدفعهما خارج الباب. قالت: "قوما بنزهة طويلة كي تنعم ماما ببعض السلام والهدوء وتتمكن من العمل بدا باتريك محرجاً، وقال:

"أنا آسف. أعتقد أن مسألة تبديل المهام قد تستغرق بضعة أيام، لكنك ستنعمين بعد ذلك بكل الهدوء والسلام اللذين تريدينهما؛ أعدك".

قالت إيريكا: "سيكون هذا لطيفاً". وأغلقت الباب خلفهما، ثم سكبت لنفسها كوباً كبيراً من القهوة، وعادت إلى الطابق العلوي لتعمل. أخيراً، تستطيع البدء.

"ششش. توقف عن إصدار هذه الجلبة القوية".

"ما المشكلة؟ تقول أمي إنهما بعيدان؛ إذ لم يزعج أحد نفسه باستلام البريد طوال الصيف. لا بدّ أنهما نسيا تغيير العنوان. ولذلك تفرغ أمي صندوق البريد الخاص بهما منذ شهر يونيو. هوّن عليك الأمر. يمكننا إصدار ضجيج بقدر ما نشاء" ضحك ماتياس، لكن آدم بقي مشككاً. ثمة شيء مروّع في المنزل القديم. وثمة شيء مروّع في ذينك الرجلين الكبيرين في السن أيضاً مهما قال ماتياس. لن يجازف البتة.

"إذاً، كيف سندخل؟". كره حقيقة أن يرتفع صوته قليلاً نتيجة خوفه، لكن ليس بيده حيلة. لطالما تمنى لو أنه يشبه ماتياس. فماتياس شجاع ولا يخاف، لا بل هو متهور أحياناً. لكنه أيضاً الشاب الذي يجذب كل الفتيات.

"سوف نرى. لا بدّ أن تكون هناك طريقة للدخول".

"هل تتحدث بناء على خبرتك الواسعة في اقتحام البيوت؟". ضحك آدم، ولكنه بقي حريصاً على إبقاء صوته منخفضاً.

فأجابه ماتياس بصوت عالٍ: "هاي، لقد فعلت الكثير من الأمور التي تجهلها".

أوه صحيح، خاطب آدم نفسه، لكنه لم يجرؤ على مناقضة صديقه. في بعض الأحيان، يحب ماتياس أخذ دور الشاب القاسي، ويسمح له آدم بفعل ذلك. فهو يعرف جيداً أنه من المستحسن عدم مناقشة مثل هذه الأمور مع ماتياس.

"برأيك، ماذا وضع هنا في الداخل؟". لمعت عينا ماتياس وهما تتأملان أرجاء المنزل ببطء، بحثاً عن نافذة أو كوّة، أو أي شيء يتيح لهما النفاذ إلى الداخل.

قال آدم وهو ينظر بقلق من فوق كتفه: "لا أعرف". وبات أقل رضى عن الوضع مع مرور كل ثانية.

"ربما بعض الذكريات النازية الجميلة. ماذا لو كان يملك بذلات عسكرية وأموراً مشابهة؟". كانت الحماسة جلية في صوت ماتياس. فمنذ أن أنجزا مشروعاً للمدرسة حول الحزب النازي بات مهووساً بذلك الموضوع، حيث قرأ كل ما استطاع إيجاده حول الحرب العالمية الثانية والنازية. ويعرف الجميع أن الجار الساكن في آخر الطريق خبير نوعاً ما في ما يتعلق بألمانيا والنازيين، ولذلك أحسّ ماتياس برغبة ملحة في معرفة ما يمتلكه.

"لكنه ربما لا يحتفظ بمثل هذه الأمور في منزله". حاول آدم الاعتراض؛ رغم معرفته بعدم جدوى ذلك. "يقول والدي إنه كان أستاذ تاريخ قبل أن يتقاعد، ولذلك ربما يملك الكثير من الكتب والأمور المماثلة. مما يعني أنه لا يملك أشياء مثيرة".

"سنرى عما قريب". لمعت عينا ماتياس بانتصار فيما لمح نافذة. "انظر، تلك النافذة مفتوحة قليلاً".

لاحظ آدم برعب أن ماتياس محق؛ إذ كان يأمل أن تتضح استحالة الدخول

إلى المنزل.

"نحتاج فقط إلى شيء لدفع النافذة به" ألقى ماتياس نظرة حوله، واستقرّ نظره على رتاج نافذة انزاح عن موضعه ووقع على الأرض.

"حسناً، فلنرَ الآن". حمل ماتياس الرتاج فوق رأسه، وأقحم طرفه في زاوية النافذة، إلا أن النافذة لم تتزحزح. "اللعنة! لا بدّ أن ينجح ذلك" ومدّ لسانه خارج فمه دليل تركيز، ثم جرّب مرّة أخرى. لم يكن من السهل حمل الرتاج فوق رأسه والضغط في الوقت نفسه، وكان يتنفس بصعوبة نتيجة الجهد المبذول. وأخيراً، نجح في إقحام الرتاج مسافة نصف إنش.

"سوف يلاحظان أن أحداً ما قد اقتحم المنزل!" اعترض آدم بصوت ضعيف، لكن يبدو أن ماتياس لم يسمعه.

"سأفتح هذه النافذة اللعينة!" تقطّر العرق على وجهه، وحاول للمرة الأخيرة، فانفتحت النافذة.

"نعم!". أحكم ماتياس قبضة يده في إشارة إلى النصر، ثم استدار بحماسة صوب آدم.

"ارفعني قليلاً".

"لكن، قد يكون هناك شيء نستطيع استخدامه للتسلق عليه، مثل سلّم أو ما شابه..."

"انسَ الأمر. ارفعني فقط، وسأسحبك بعد ذلك".

أذعن آدم للأمر واقترب من الحائط، وشبك أصابعه لتكون بمثابة درجة يصعد عليها ماتياس. أجفل عندما انغرز حذاء ماتياس في راحتَي يديه، لكنه تجاهل الألم ورفع صديقه إلى الأعلى.

أمسك ماتياس بحافة النافذة، ونجح في رفع نفسه إلى أن تمكن من وضع قدمه الأولى على العتبة، ومن ثم القدم الأخرى. ارتجف أنفه. يا الله، يا لها من رائحة! المكان مقرف. أزاح الستارة ونظر إلى الغرفة. بدت وكأنها غرفة مكتبة، لكن كل الستائر مسدلة، والظلام يلف المكان.

"هاي، الرائحة مقيتة جداً هنا". وضع يده على أنفه، واستدار للنظر إلى آدم.

إذاً، فلننسَ الأمر قال آدم مع بريق أمل في عينيه.

"أبداً. ليس بعد أن أصبحنا هنا. فهنا يبدأ المرح. هيا، أمسك بيدي" أفلت أنفه وأمسك بحافة النافذة بيده اليسرى، فيما مدّ ذراعه اليمنى إلى آدم. "هيا، لست دجاجة، أليس كذلك؟".

مدّ آدم يده، وبدأ ماتياس يسحب بكل قوته. لهنيهة، بدا وكأنه لن ينجح في ذلك، لكن آدم أمسك بعتبة النافذة، وقفز ماتياس على الأرض لإفساح المجال له. صدر صوت طقطقة غريب حين هبط. نظر إلى الأرض. ثمة شيء غطى السطح، لكنه لم يعرف طبيعته نظراً للضوء الخفيف. ربما هي بعض الأوراق اليابسة.

"ما هذا؟". قال آدم حين قفز على الأرض. إلا أنه لم يستطع تحديد مصدر صوت الطقطقة. قال: "اللعنة، الرائحة كريهة فعلاً هنا". ونظر حوله كما لو أنه يستطيع الهروب من الرائحة.

قال ماتياس: "هذا ما قلته لك". بات معتاداً على الرائحة، ولم تعد تزعجه كثيراً.

"دعنا نرى ما الذي يملكه الرجل العجوز هنا. اسحب الستارة".

"لكن، ماذا لو رآنا أحدهم؟".

"من سيرانا؟ اسحب الستارة اللعينة".

فعل آدم مثلما طلب منه، فارتفعت الستارة إلى الأعلى مصدرة صوت حفيف، وسمحت بدخول الضوء إلى الغرفة.

قال ماتياس وهو ينظر حوله بدهشة: "غرفة جميلة". كانت الجدران مغطاة برفوف الكتب، من الأرض إلى السقف. وثمة كرسيان جلديان في الزاوية على جانبَي طاولة صغيرة. وفي الطرف البعيد للغرفة، ثمة مكتب عملاق مع كرسي قديم الطراز مبروم جزئياً، حيث كان الظهر العالي للكرسي مواجهاً لهما. خطا آدم خطوة إلى الأمام، لكن صوت الانسحاق تحت قدميه جعله ينظر إلى الأسفل مجدداً.

"ما هذا؟". كانت الأرض مغطاة بالذباب؛ ذبابات سوداء مقرفة، كلها ميتة. عتبة النافذة أيضاً مغطاة بالذباب، ومن دون تفكير مسح آدم وماتياس أيديهما بسرواليهما.

كشّر ماتياس وقال: "اللعنة، هذا مقرف".

"مـن أيـن جـاءت كل هـذه الذبابات؟". حدّق آدم إلى الأرض بذهول، ثم قام دماغـه المبرمـج لتقصـي مسـارح الجريمة بتحليـل المعطيات. ذبابـات ميتة، رائحة كريهة... حاول طرد الفكرة من رأسه، لكن عينيه انجذبتا صوب الكرسي.

"ماتياس

أجاب صديقه، وقد بدا منزعجاً: "ماذا؟". كان يبحث عن مكان يضع فيه قدميه من دون أن يدوس على الذباب الميت.

لـم يجـب آدم، بـل تقـدّم بـدلاً من ذلك ببطء صوب الكرسـي. راوده شـعور بأنه يجدر به الاستدارة، والعودة من حيث أتيا، والركض إلى أن يصبح عاجزاً عن الركض. إلا أن الفضول تغلّب عليه، وبدت قدماه كما لو أنهما تتحركان بمفردهما صوب الكرسي.

قال ماتياس: "حسناً، ما هذا؟". لكنه صمت فجأة عندما رأى آدم يتحرك إلى الأمام، متوتراً ويقظاً.

كان على مسـافة نصف متر من الكرسـي عندما مدّ يده. لاحظ أنها ترتجف. إنشـاً تلو الآخر، حرّك آدم يده صوب الكرسـي. الصوت الوحيد الذي سُـمع في الغرفة نجم عن الانسحاق تحت قدميه. بدا جلد الكرسي بارداً على أطراف أصابعه. ضغط بقوة أكبر، وبرم الكرسي إلى اليسار فبدأ يتحرك. عندها، تراجع خطوة إلى الخلف. تحرّك الكرسـي ببطء كاشـفاً بالتدريج عما يخفيه. وسـمع آدم صوت تقيؤ ماتياس.

العينان اللتان تراقبان كل حركاته كانتا كبيرتين ورطبتين. حاول ميلبرغ تجاهل الحيوان، ولكنه لم يحرز إلا نجاحاً جزئياً. فقد بقي الكلب ملتصقاً به، وينظر إليه بإعجاب شديد. أخيراً، لان ميلبرغ، وفتح الدرج السفلي للمكتب، وأخرج حلوى خطمـي بنكهـة جـوز الهنـد ورماهـا علـى الأرض. اختفت الحلوى خـلال ثانيتين. ولهنيهة، ظنّ ميلبرغ أن الكلب يبتسم. إنه وهم صرف من دون شك. على الأقل، فروه نظيف. فقد نجحت آنيكا في غسل الكلب بالشامبو وشطفه بالماء. رغم ذلك، اشمأز برتيل قليلاً عندما استيقظ هذا الصباح ووجد أن الكلب قد قفز على السرير

خلال الليل وتمدد قربه. لم يكن مقتنعاً بأن الشامبو كافٍ لإزالة البراغيث وما شابه ذلك. ماذا لو كان فرو الحيوان مليئاً بالحشرات الطفيلية الصغيرة التي لا تريد شيئاً أكثر من القفز على جسم ميلبرغ الممتلئ؟ إلا أن الفحص عن كثب لم يكشف عن أي شيء يتحرك في الفرو. لقد أقسمت آنيكا إنها لم تعثر على أي براغيث عندما غسلت الكلب. إلا أنه لن يسمح أبداً بأن ينام الكلب مجدداً على السرير. لا بد من فرض حدود.

قال ميلبرغ: "ماذا سنسميك؟". وأحسّ فوراً بالغباء لأنه يتحدث مع كائن يمشي على أربع قوائم. إلا أن الكلب يحتاج إلى اسم. فكّر في الأمر وهو ينظر حوله باحثاً عن شيء قد يلهمه، لكن أسماء كلاب غبية خطرت في باله: فيدو، سبوت... لا، لن ينفع هذا. ثم قهقه. خطرت له للتو فكرة ذكية. بكل صراحة، لقد اشتاق إلى إرنست لوندغرن بعد أن أجبر على طرده، ولكن ليس كثيراً. لمَ لا يسمّي الكلب إرنست؟ ثمة دعابة معينة في الخيار. قهقه مجدداً.

"إرنست، ما رأيك بهذا أيها الصغير؟ هل هذا جيد أم لا؟". وفتح درج المكتب مجدداً، وأخرج حبة أخرى من حلوى الخطمي. لا بدّ أن يحصل إرنست على واحدة أخرى. ليست مشكلته إذا أصبح الكلب بديناً. فخلال أيام قليلة، سوف تعثر آنيكا على أحد ما ليأخذه. وبالتالي، لن يكون هناك أي فرق إذا حصل في غضون ذلك على حبة واحدة أو اثنتين من حلوى الخطمي.

جعلهما الرنين القوي للهاتف يجفلان معاً.

"برتيل ميلبرغ". في البداية، لم يستطع سماع ما قاله الصوت عبر الهاتف. كان عالي النبرة وهستيرياً.

"عفواً، لكن عليك التكلم بوتيرة أبطأ. ماذا تقول؟". أنصت، ثم رفع حاجبيه عندما فهم أخيراً.

"أتقول جثة؟! أين؟". جلس باستقامة على كرسيه، فانتصب إرنست أيضاً، ورفع أذنيه. دوّن ميلبرغ عنواناً على الدفتر أمامه، وأنهى المحادثة بالقول: "ابقَ حيث أنت". ثم وقف على قدميه، فلحق به الكلب.

"ابقَ هنا". اتخذ صوت ميلبرغ نبرة سلطوية غير اعتيادية، وتفاجأ كثيراً حين

لاحظ أن الكلب توقف فجأة في انتظار المزيد من التعليمات. "ابقَ هنا!". قال ميلبرغ، وأشار إلى سلة الكلب التي وضعتها آنيكا في زاوية المكتب. أطاع إرنست على مضض، وتوجّه إلى السلة، واستلقى واضعاً رأسه على مخالبه، موجهاً نظرة متألمة إلى سيده المؤقت. فرح ميلبرغ لفكرة أن يذعن أحد فعلاً لسلطته، وأسرع في الرواق صارخاً للجميع: "لدينا بلاغ عن وجود جثة"

خرجت ثلاثة رؤوس من ثلاثة أبواب مختلفة: رأس أحمر يخصّ مارتن مولن، ورأس رمادي يخصّ غوستا فليغار، ورأس أسود أدهم يخص باولا موراليس.

"جثة؟!". سأل مارتن وقد خرج إلى الرواق. في تلك الأثناء، ظهرت آنيكا من ردهة الاستقبال.

اتصل صبي مراهق للإبلاغ عنها للتو. يبدو أنه كان يلهو مع صديقه، وقررا دخول منزل بين فجالباكا وهامبورغسوند، فعثرا في الداخل على جثة".

سأل غوستا: "أهو صاحب المنزل؟".

هزّ ميلبرغ كتفه مجيباً: "هذا كل ما أعرفه. لقد طلبت من الصبيين البقاء هناك. سوف نذهب الآن إليهما. مارتن، سوف تستقل سيارة مع باولا، فيما نأخذ أنا وغوستا السيارة الأخرى".

سأل غوستا بحذر: "ألا يجدر بنا الاتصال بباتريك؟".

فسألت باولا بدورها: "من هو باتريك؟". وهي تنقل نظرها من غوستا إلى ميلبرغ.

شرح مارتن: "باتريك هيدستورم. يعمل هنا أيضاً، لكنه في إجازة أبوّة، بدءاً من اليوم"

صرخ ميلبرغ بشدة قائلاً: "لمَ يجدر بنا الاتصال بهيدستورم؟ أنا هنا". أضاف بتبجّح وهو يتجه بسرعة صوب المرأب.

تمتم مارتن: "يوهووووو!"، حين أصبح ميلبرغ بعيداً قليلاً، فرفعت باولا حاجبها مستفسرة. فقال مارتن بنبرة اعتذار: "لا تهتمي". ثم أضاف: "سوف تفهمين عما قريب"

بقيت باولا محتارة، لكنها لم تكترث. سوف تتعرف إلى ديناميات مكان العمل بسرعة كافية.

تنهـدت إيريـكا. المـكان هـادئ فـي المنـزل الآن، إنه هادئ جـداً. طوال عام كامل، اعتادت أذناها على سماع أدنى همس أو بكاء. لكن المكان هادئ بالكامل الآن. كان المؤشر يومض في مستند الوورد أمامها. طوال نصف ساعة، لم تكتب حرفـاً واحـداً، وبـدا دماغها سـاكناً. تصفحـت لغاية الآن ملاحظاتهـا، ونظرت إلى المقالات التي نسـختها خلال الصيف. بعد إرسـال عدة رسـائل، نجحت أخيراً في الحصول على موعد مع الشـخصية الأساسـية في القضية- أي المجرم- لكنها بعد ثلاثة أسابيع. حتى ذلك الحين، يتوجب عليها العمل على مواد الأرشيف الموجودة لديها. لكن المشكلة هي أنها عاجزة عن التفكير في كيفية البدء. فالكلمات لا تأتي بالضبط في مكانها، ويبدأ الشك يتملكها؛ الشك الذي يتوجب دوماً على المؤلفين مواجهته. هل بقيت أي كلمات؟ هل كتبت عبارتها الأخيرة، واسـتعملت حصتها؟ هل لا تزال تملك أية كتب في داخلها؟ يقول لها المنطق إنها تشعر هكذا دوماً عند الشروع في كتاب جديد، لكن الأمر لم ينفع. إنه نوع من العذاب، عملية يتوجب عليها عيشها كل مرة؛ تماماً مثل الولادة. لكنها شعرت اليوم بكسل خاص.

وضعت حبة كاراميل بالشوكولا في فمها، ونظرت إلى الدفاتر الموضوعة على مكتبها قرب الكمبيوتر، يتنازعها خوف من النظر إلى ما كتبته أمها، والفضول بشأن مـا يمكنهـا أن تجـده. مـدت يدها ببطء صـوب الدفتر الأول، وحملته في يدها. إنه رقيق، مثل الدفاتر الصغيرة المستعملة في المدرسة الابتدائية. مررت إيريكا أصابعها فوق الغلاف. الاسـم مكتوب بقلم حبر، لكن الأعوام جعلت الحبر الأزرق يخبو بشكل كبير. إلسي موستروم. إنه اسم أمها قبل الزواج. اتخذت شهرة "فالك" عندما تزوجت والد إيريكا. فتحت إيريكا الدفتر ببطء، فوجدت الصفحات ممتلئة بخطوط زرقاء رفيعة. في الأعلى كتب التاريخ: 3 سبتمبر 1943. قرأت العبارة الأولى:

هل ستنتهي هذه الحرب يوماً؟

فجالباكا 1943

هل ستنتهي هذه الحرب يوماً؟

مضغت إلسي طرف قلمها، متسائلة عما يجدر بها كتابته بعد ذلك. كيف تستطيع التعبير بكلمات عن رأيها في هذه الحرب التي لا تخص بلدها وإنما أرغم على المشاركة فيها؟ بدت كتابة المذكرات غريبة فعلاً. لا تعرف من أين جاءتها الفكرة، لكن بدا لها وكأنها بحاجة إلى التعبير عن كل آرائها بشأن الحياة التي تعيشها، وهذا أمر مألوف وغير مألوف على حد سواء.

في بعض النواحي، بالكاد تستطيع تذكر مرحلة ما قبل الحرب. إنها في الثالثة عشرة، وسوف تبلغ الرابعة عشرة قريباً. كان عمرها تسعة أعوام فقط عندما اندلعت الحرب. خلال الأعوام الأولى، لم يلاحظوا فرقاً كبيراً، رغم أن الراشدين بدوا أكثر اهتماماً بالأمور، حيث كشفوا عن اهتمام مفاجئ بالأخبار؛ في الجرائد وعلى الراديو. وعندما كانوا يجلسون للاستماع إلى الراديو في غرفة الجلوس، كانوا يبدون متوترين وخائفين، ومتحمسين أيضاً. بالرغم من كل شيء، إن ما يحصل في العالم مثير. إنه خطير من دون شك، ولكنه مثير. ما عدا ذلك، بقيت الحياة نفسها. فالمراكب خرجت إلى عرض البحر وعادت إلى الشاطئ مجدداً. وفي بعض الأحيان، كان الصيد جيداً. وفي أحيان أخرى، لم يكن كذلك. على اليابسة، اهتمت النساء بواجباتهن اليومية؛ الواجبات نفسها التي أنجزتها أمهاتهنّ وجداتهن أيضاً قبلهنّ. لا بد أن يولد الأطفال، وتغسل الملابس، وتنظف المنازل. إنها دورة لا تنتهي أبداً، لكن الحرب قد تقلب الآن هذا الروتين المألوف وهذه الحقيقة اليومية. منذ أن كانت طفلة، أدركت حقيقة هذا التوتر الضمني. وها قد سيطرت الحرب عليهم الآن تقريباً.

"إلسي سمعت أمها تناديها من الأسفل، فأغلقت دفترها بسرعة، ووضعته

في الدرج العلوي لمكتبها الصغير قرب النافذة. لقد أمضت ساعات عدة هناك تنجز فروضها المنزلية، لكن أيامها المدرسية انتهت الآن، ولم تعد تحتاج فعلاً إلى المكتب. نهضت، وسوّت تنورتها، ونزلت إلى الأسفل لإيجاد أمها.

"إلسي، هلّا تساعدينني بإحضار الماء". بدا وجه أمها متعباً وشاحباً. كانوا قد أمضوا الصيف كله وهم يعيشون في الغرفة الصغيرة في الطابق تحت الأرضي، فيما أجّروا بقية المنزل إلى زوار الصيف. ومقابل بدل الإيجار، يتوجب عليهم التنظيف، والطهو، والاهتمام بالمستأجرين لديهم- وهم محامٍ من غوتبورغ مع زوجته وأولاده الثلاثة- الذين كانوا متطلبين جداً. فوالدة إلسي، هيلما، كانت تركض طوال الليل والمساء، وتهتم بغسل الثياب، وتوضب سلال الأكل لرحلاتهم الترفيهية في المراكب، وترتب المنزل وراءهم. وفي الوقت نفسه، توجب عليها أيضاً الاهتمام بواجباتها المنزلية الخاصة.

قالت إلسي برفق: "اجلسي وارتاحي لبرهة ماما". ووضعت يدها بتردد على كتف أمها، فأجفلت هيلما عند لمسها. لم تكن أي منهما معتادة على أي نوع من الاحتكاك الجسدي، لكن بعد قليل، وضعت الأم يدها فوق يد ابنتها، وجلست على كرسي بامتنان.

"لقد حان بلا شك وقت مغادرتهم. لم ألتقِ قط مثل هؤلاء الأشخاص المتطلبين. هيلما، هل يمكنك... هيلما من فضلك... هيلما رجاء...". قلّدت نبراتهم المثقفة، ثم وضعت يدها فوق فمها مذعورة. من غير اللائق إظهار قلة احترام تجاه الأشخاص الأغنياء. إذ من المهم أن يعرف المرء مكانته.

"أفهم سبب تعبك. لا يسهل أبداً التعاطي معهم". سكبت إلسي آخر ما تبقى من الماء في قدر، ثم وضعتها على النار. وعندما بدأ الماء بالغليان، أضافت إليه القليل من بديل القهوة، ووضعت على الطاولة كوباً لهيلما وكوباً لها.

"سأحضر المزيد من الماء خلال دقيقة يا ماما، لكننا سنشرب أولاً بعض القهوة معاً".

"أنت فتاة طيبة". احتست هيلما القليل من بديل القهوة. في المناسبات الخاصة، كانت تحب شرب قهوتها من الفنجان، وهي تضع قطعة من السكر بين

أسنانها. لكن السكر نادر هذه الأيام، وبالإضافة إلى ذلك، ليس الأمر مماثلاً تماماً مع بديل القهوة.

"هل قال أبي متى سيعود؟". أخفضت إلسي عينيها. في زمن الحرب، يبدو هذا السؤال ثقيلاً أكثر من المعتاد. فقبل زمن غير بعيد، تعرضت سفينة "أوكيرو لقصف طربيد وغرقت مع جميع أفراد الطاقم الذين كانوا على متنها. ومنذ تلك الحادثة، باتت النبرة المشؤومة تسيطر على الوداع قبل أي انطلاق جديد. لكن، لا بد من إنجاز العمل، فلا أحد يملك خياراً. لا بد من تسليم البضاعة، ولا بد من صيد السمك. هذه هي حياتهم، سواء أكانت هناك حرب أم لا. يجدر بهم الشعور بالامتنان على الأقل لأنه تم السماح للسفن بمتابعة حركتها إلى النروج ذهاباً وإياباً. ويعتبر ذلك أيضاً أكثر أماناً من حركة السفن التي تجري خارج المنطقة المحاصرة. فالقوارب المنطلقة من فجالباكا تستطيع متابعة صيد السمك، ورغم أن الصيد بات أقل مما كان عليه سابقاً، إلا أنهم يستطيعون تكملة مدخولهم بنقل البضائع من وإلى المرافئ النروجية. في أغلب الأحيان، كان والد إلسي يحضر الثلج من النروج. وإذا كان محظوظاً، فهو يحمل البضاعة معه أيضاً في طريقه إلى هناك.

"أتمنى فقط لو..." وصمتت هيلما، ثم تابعت. "أتمنى فقط لو أنه يتوخى القليل من الحذر

قالت إلسي: "من؟ بابا؟" رغم معرفتها جيداً بأنه هو من تتحدث عنه أمها.

"نعم". كشّرت هيلما فيما ارتشفت قهوتها مجدداً. "ابن الطبيب موجود معه في هذه الرحلة، و... حسناً، يحتمل ألا تنتهي الرحلة على ما يرام. هذا كل ما أستطيع قوله".

"أكسيل فتى شجاع، وسوف يفعل ما بوسعه. وأنا واثقة من أن والدي سيبذل كل ما بوسعه".

قالت هيلما وهي تهزّ رأسها: "لكن المخاطر... المخاطر التي يجازف بها عندما يكون ذلك الصبي ورفاقه معه... لا أكف عن التفكير بأنه سيجرّ والدك والآخرين إلى خطر ما".

قالت إلسي بهدوء: "علينا أن نبذل ما بوسعنا لمساعدة النروجيين. فكري فقط

لو أننا مكانهم. لكنا نحن من يحتاج إلى المساعدة منهم. أكسيل وأصدقاؤه يبلون حسناً".

"دعينا نتوقف عن هذا الحديث. هل ستذهبين لإحضار الماء أم لا؟" بدت هيلما نزقة، ووقفت وتوجهت صوب المجلى لغسل فنجان القهوة خاصتها. إلا أن إلسي لم تشعر بالإهانة، فهي تعرف أن أمها منزعجة لأنها قلقة جداً.

نظرت مرة أخيرة إلى ظهر أمها الذي تحدّب في مرحلة مبكرة، ورفعت الدلو، وذهبت لإحضار الماء من البئر.

* * *

تفاجأ باتريك كثيراً باستمتاعه بالنزهات. إذ لم يكن لديه الكثير من الوقت لممارسة التمارين الرياضية خلال الأعوام القليلة الماضية، لكنْ إذا استطاع القيام بنزهة طويلة كل يوم خلال إجازة الأبوّة، فقد يتمكن من التخلص من الكرش التي بدأت تتكوّن لديه. كما أن حقيقة تقليص إيريكا للحلويات في المنزل تعطي تأثيرها أيضاً، مما يساعده على التخلص من بعض الكيلوغرامات.

مرّ أمام محطة الوقود، وتابع المشي بوتيرة سريعة متجهاً صوب الجنوب. كانت ماجا جالسة في عربتها، ووجهها إلى الأمام، وهي تثرثر بفرح. أحبت التواجد في الخارج، وحيّت جميع الذين التقتهم بمرح وابتسامة كبيرة. إنها فعلاً مصدر فرح، رغم أنها تكشف أيضاً عن جانب مزعج جداً حين تصمم على ذلك. فكر باتريك، لا بد أنها ورثت ذلك من عائلة إيريكا.

وفيما تابعا المشي على الطريق، أحس بالمزيد من الرضى عن حياته. إنه يتطلع إلى روتين يومي جديد، ومن الرائع أن يكون المنزل لهم وحدهم أخيراً. ليس لأنه لا يحب آنا وولديها، وإنما لأنهم سئموا العيش تحت سقف واحد شهراً تلو الآخر. المشكلة الوحيدة الباقية الآن هي أمه. أحسّ بنفسه عالقاً في الوسط بين إيريكا وأمه. إنه يتفهم بلا شك غضب إيريكا من عادة أمه في توجيه الانتقادات إلى مهاراتهما الأبوية كلما جاءت لزيارتهما. إلا أنه لا يزال يأمل في أن تحذو إيريكا حذوه وتدير الأذن الصمّاء لكل ما تقوله أمه. كما أنها تستطيع أيضاً إظهار القليل من التعاطف. ففي النهاية، تعيش كريستينا وحدها، وليس لديها الكثير لتهتم

بـه باسـتثناء ابنهـا وعائلتـه. فأختـه لوتا تعيش في غوتبورغ، ورغـم أن المكان ليس بعيداً جداً، إلا أنه يسـهل أكثر على كريسـتينا زيارة باتريك وإيريكا. والحقيقة أنها توفر أحياناً مسـاعدة كبيرة. فقد تمكن هو وإيريكا من الخروج لتناول العشـاء في بعض المناسبات فيما تولت كريستينا الاهتمام بالطفلة... حسناً، إنه يتمنى فقط لو أن إيريكا تستطيع رؤية الجانب الإيجابي بتواتر أكبر.

"انظر! انظر!". قالت ماجا بحماسـة وهي تشـير بإصبعها حين مرّا أمام أحصنة ريمفاكس التي ترعى في المرج. توقفا هنيهة للمشاهدة. لم يكن باتريك مولعاً كثيراً بتلـك الحيوانـات، لكـن عليـه الاعتراف بأن أحصنة فجـورد رائعة فعلاً، وتبدو غير مؤذية نسبياً. ذكّر نفسه بضرورة إحضار بعض التفاح والجزر في المرة المقبلة. رأت ماجا ما يكفيها من الأحصنة، ثم انطلقا في آخر مرحلة من رحلتهما إلى المطحنة، حيث يستطيعان الانعطاف للعودة صوب فجالباكا.

عندما وصلا إلى برج دار العبادة الشامخ في أعلى الهضبة، لمح فجأة سيارة مألوفـة. مـا مـن أضواء زرقاء وامضة أو صفارة منطلقة، وبالتالي الحالة غير طارئة، لكنه أحسّ بنبضه يتسارع. وما إن وصلت سيارة الشرطة الأولى إلى الهضبة حتى رأى السيارة الثانية قربها. قطّب باتريك جبينه. السيارتان معاً! يعني ذلك أن المسألة خطيرة. بدأ يلوّح بيده عندما أصبحت السـيارة الأولى على مسـافة مئة متر تقريباً، فأبطـأت السـيارة مـن سـرعتها، وذهـب باتريك للتكلـم مع مارتن الـذي كان يقود السـيارة، فيما لوّحت ماجا بحماسـة بكلتا يديها. في عالمها، ثمة مرح دوماً عندما يحصل أي شيء.

قال مارتن، وهو يلوّح لماجا: "مرحبا، هيدستورم. هل خرجت في نزهة؟".

"حسناً، لا بد أن يحافظ الرجل على رشاقته... ماذا يجري؟". وصلت السيارة الثانية وتوقفت. لوّح باتريك لبرتيل وغوستا.

"مرحبـا. أنـا بـاولا موراليـس عندئذ، لاحظ باتريك المـرأة التي ترتدي بذلة الشـرطة وتجلـس قـرب مارتن. صافحها وعرّف عن نفسـه، ثـم أجاب مارتن على سؤاله.

"تلقينا إخباراً بوجود جثة بالقرب من هنا"

سأل باتريك وهو يقطّب وجهه: "هل تعتقد أنها مزحة سيئة؟".

هزّ مارتن كتفه. "لا نعرف أي شيء بعد. عثر ولدان على الجثة واتصلا بنا". أطلقت سيارة الشرطة التي تقف في الخلف بوقها، مما جعل ماجا تجفل في عربتها.

قال مارتن بسرعة: "هاي، باتريك. ألا يمكنك الركوب في السيارة والمجيء معنا؟ لا أشعر بالكثير من الارتياح مع... تعرف من". وأشار مارتن صوب السيارة الأخرى.

أجاب باتريك: "لا أعرف إذا كانت فكرة جيدة. فأنا برفقة طفلتي... وأنا رسمياً في إجازة مثلما تعلم".

قال مارتن، وهو يميل رأسه: "أرجوك. تعال فقط معنا وألقِ نظرة. سأعيدك إلى المنزل بعد ذلك. ثمة مكان للعربة في الصندوق".

"لكنك لا تملك مقعداً للأطفال في السيارة".

"أوه، أنت محق. حسناً، ما رأيك لو ذهبت إلى المكان سيراً على الأقدام؟ إنه خلف المنعطف. أول شارع إلى اليمين، ثاني منزل على اليسار. كتب على صندوق البريد اسم فرانكل".

تردد باتريك، لكن بوقاً آخر من سيارة الشرطة الثانية جعله يحسم أمره.

"حسناً، سأذهب فقط لإلقاء نظرة. لكن عليك الانتباه إلى ماجا حين أدخل المنزل. ولا تتفوه بكلمة أمام إيريكا. فسوف تغضب كثيراً إذا اكتشفت أنني اصطحبت ماجا إلى ساحة جريمة محتملة"

قال مارتن، وهو يغمزه: "أعدك" ثم لوّح لبرتيل وغوستا وانطلق في سيارته. "أراك هناك".

قال باتريك: "حسناً". وانتابه إحساس قوي بأنه أمر سيندم عليه. غير أن الفضول تغلّب على غريزته في حفظ الذات، فحرك عربة طفلته وانطلق بسرعة صوب هامبورغسوند

"يجب التخلص من كل شيء مصنوع من الصنوبر!". كانت آنا واقفة وهي تضع يديها على وركيها، محاولة قدر الإمكان الكشف عن تعبير صارم جداً.

قال دان وهو يحكّ رأسه: "ما المشكلة في الصنوبر؟".

أجابت آنا: "إنه مقرف! كيف يمكنك طرح مثل هذا السؤال؟". لكنها لم تستطع كبت ضحكتها. "لا تخف جداً، حبيبي... لكن يتوجب عليّ فعلاً الإصرار. فما من شيء أقبح من المفروشات المصنوعة من خشب الصنوبر. وهذا السرير هو الأسوأ على الإطلاق. وبالإضافة إلى ذلك، لا أريد النوم على السرير نفسه الذي تشاركته مع برنيلا. أستطيع العيش في المنزل نفسه، لكنني لا أستطيع النوم على السرير نفسه".

"هذا أمر أستطيع تفهمه. لكن شراء الكثير من الأثاث الجديد سيكون مكلفاً". وبدا قلقاً. بعدما أصبح وآنا ثنائياً، تخلى عن فكرة بيع المنزل.

"لديّ المال الذي حصلت عليه من إيريكا عندما بعت حصتي في منزل أهلي. فلنستعمل بعضاً منه لشراء أشياء جديدة. يمكننا التعاون معاً، أو يمكنك منحي الحرية المطلقة، إذا كنت تجرؤ على ذلك".

قال دان: "صدقيني، أفضّل عدم اتخاذ قرارات بشأن المفروشات. طالما أنها ليست باهظة جداً، يمكنك شراء المفروشات التي تريدينها. يكفي كلاماً، تعالي إلى هنا وعانقيني

كالمعتاد، بدأت الأمور تصبح أكثر إثارة. حينها، فتح أحدهم الباب الأمامي ودخل. وبما أنه يمكن رؤية قسم كبير من المطبخ من الردهة، فلا مجال أبداً للتساؤل عن حقيقة ما يجري.

"يا إلهي، كم هذا مقرف! لا أصدق أنكما تقومان بهذا في المطبخ!" مرّت بليندا أمامهما بسرعة، وتابعت طريقها إلى غرفتها، وقد أصبح وجهها أحمر ساطعاً نتيجة الغضب. وعند وصولها إلى أعلى السلالم، توقفت وصرخت بصوت عالٍ:

"سأذهب للعيش مع أمي بأسرع ما يمكنني، هل تسمعني؟ على الأقل، لست مضطرة هناك لرؤيتكما وأنتما تقومان بهذا طوال الوقت! هذا بذيء! هل تسمعني؟".

بوم! انغلق باب غرفة بليندا بقوة، وسمعا صوت المفتاح وهو يدور في القفل. بعد قليل، بدأت الموسيقى تصدح بقوة كبيرة لدرجة أن الأطباق الموجودة على الرف راحت تقفز وتطقطق مع الإيقاع.

"أوبس قـال دان مـع تعبير اشـمئزاز على وجهه فيمـا كان ينظر إلى الأعلى صوب السقف.

قالت آنا وهي تبتعد عن ذراعيه: "نعم، أوبس هي الكلمة المناسبة. ليس الأمر سهلاً بالنسبة إليها". ورفعت الأطباق المطقطقة ووضعتها في المجلى.

أجـاب دان، وهـو يبـدو منزعجـاً: "أعـرف. لكن، عليهـا أن تتقبل فكرة وجود امرأة جديدة في حياتي

"حاول وضع نفسك مكانها. في البداية، تطلقت أنت وبرنيلا، ثم جاءت الكثير من..." - وزنت كلماتها بعناية- الفتيات للمرح هنا، وبعدها ظهرت أنا على الساحة، وانتقلت للعيش هنا مع طفلتين. بليندا بالكاد تبلغ من العمر سبعة عشر عاماً، وهذا صعب كفاية، من دون الحاجة إلى الاعتياد على ثلاثة غرباء جاءوا إلى المنزل".

قال دان متنهداً: "أنت محقة. أعرف ذلك. لكنني لا أعرف أبداً كيف أتعاطى مع مراهقة. أقصد، هل يجدر بي تركها وشـأنها، أم إن هذا سـيجعلها تشـعر أنها مهملـة؟ أو هـل يجـدر بي الإصرار علـى التكلم معها والمجازفة بجعلها تظن أنني أضغط عليها؟ لا بد من وجود دليل لمثل هذه الأوضاع".

ضحكت آنا. "أعتقد أنهم نسـوا تسـليم الأدلة في جناح الولادة. لكن يمكنك محاولـة التحـدث إليهـا. وإذا أغلقت الباب في وجهك، فسـتكون قد حاولت على الأقل. ويجدر بك بعدها المحاولة مجدداً، ومجدداً. إنها تخشى خسارتك؛ تخشى خسـارة حقها بأن تكون ابنتك. وتخشـى أن نسـتولي على كل شـيء بعد أن انتقلنا للعيش هنا الآن. وهذا أمر مفهوم تماماً".

قـال دان وهـو يشـدّ آنـا صوبه مجدداً: "ماذا فعلت لأسـتحق مثـل هذه المرأة الحكيمة؟"

قالت آنا وهي تبتسم وتدفن وجهها في صدره: "لا أعرف. وبالمناسبة، لست حكيمة جداً. تبدو الأمور هكذا مقارنة مع مغامراتك السابقة".

قال دان ضاحكاً: "هاي، انتبهي". فيما طوّقها بذراعيه بشدة أكبر. "إذا استمررت هكذا، فقد أقرر الاحتفاظ بالسرير المصنوع من خشب الصنوبر

"هل تريدني أن أبقى هنا أم لا؟".

"حسناً، ربحت. اعتبري أنه قد اختفى

ضحكا، وقبّلا بعضهما، وتجاهلا موسيقى البوب التي بقيت تصدح بصوت عالٍ يصمّ الآذان.

رأى مارتن الصبيين ما إن انعطف صوب الممشى أمام المنزل. كانا يقفان جانباً، وكل منهما يشبك ذراعيه حول جسمه، وهما يرتجفان. كان وجهاهما شاحبين، وبدا عليهما الارتياح عندما لمحا سيارتَي الشرطة.

قال: "مارتن مولن" وهو يصافح الصبي الأول الذي عرّف عن نفسه بأنه آدم أندرسون، متمتماً بالاسم. أما الصبي الآخر فلوّح بيده اليمنى، واعتذر بتعبير محرج.

"تقيأت ومسحت فمي بـ... حسناً، لا أعتقد أنه يجدر بي المصافحة"

أومأ مارتن برأسه دليل تعاطف. "حسناً، ماذا حصل هنا بالضبط؟". واستدار صوب آدم الذي بدا أكثر تماسكاً. كان أقصر من صديقه، وذا شعر أشقر وأشعث، وهناك طفرة كبيرة لحبّ الشباب على وجنتيه.

"حسناً، القصة هي أننا..." نظر آدم إلى ماتياس الذي بالكاد هزّ كتفه، ثم تابع الكلام: "حسناً، كنا نفكر في الدخول إلى المنزل لإلقاء نظرة، إذ بدا لنا أن القاطنين فيه قد ذهبا".

قال مارتن: "القاطنان؟! إذاً، هناك شخصان يعيشان هنا".

أجاب آدم: "أخوان. لا أعرف اسميهما، لكن أمي ربما تعرف. فهي تستلم بريدهما منذ بداية شهر يونيو. أحد الأخوين يذهب دوماً بعيداً خلال الصيف. ولكنْ هذه المرة، لم يستلم أحد البريد من الصندوق، ولذلك اعتقدنا أن... وترك بقية الجملة من دون تتمة، ونظر إلى قدميه. كانت ثمة ذبابة ميتة لا تزال عالقة بحذائه، فركل باشمئزاز محاولاً التخلص منها. ثم قال بعد ذلك وهو ينظر إلى الأعلى: "هل هو الميت داخل المنزل؟".

قال مارتن: "في الوقت الحاضر، أنت تعرف أكثر منا. لكن تابع. كنتما تفكران في دخول المنزل، وماذا حصل بعدها؟".

قال آدم: "وجد ماتياس نافذة مفتوحة، فصعد أولاً. يبدو الأمر مضحكاً الآن،

لأننـا عندمـا خرجنـا اكتشـفنا أن البـاب الأمامـي لـم يكـن مقفلاً. لذا، كان بوسـعنا الدخـول مباشـرة عبـر البـاب. أياً يكن الأمر، تسـلق ماتياس إلى النافذة، وسـحبني خلفه. وعندما قفزنا على الأرض، لاحظنا شـيئاً ينسـحق تحت أقدامنا، لكننا لـم نرَ ما هو لأن المكان كان معتماً جداً".

قاطعه مارتن: "معتم! لمَ كان معتماً؟". ولاحظ من زاوية عينه أن غوستا وباولا وبرتيل يقفون الآن خلفه، ويصغون.

شـرح آدم بصبر: "كانت السـتائر كلها مسـدلة. لكننا رفعنا سـتارة النافذة التي دخلنـا منهـا، ولاحظنـا حينهـا أن الأرض مغطـاة بالذبابات الميتـة، وكانت الرائحة مريعة".

تدخل ماتياس قائلاً: "مريعة فعلاً". وبدا وكأنه يكبح موجة أخرى من الغثيان.

قال مارتن: "وماذا حصل بعدها؟". في محاولة لإبقائهما على المسار الصحيح.

"تقدمنا بعدها أكثر في الغرفة، وكان الكرسي خلف المكتب في غير وضعيته الصحيحـة، حيـث كان ظهـر الكرسـي مواجهاً لنا، ولـم نكن نعرف ما يوجد هناك. لكن، راودني إحسـاس... حسـناً، لقد شـاهدت برنامج سـي آس آي (التحقق من مسرح الجريمة)، وكما علمت، بوجود مثل هذه الرائحة المريعة وكل تلك الذبابات الميتـة... لا حاجـة لأن تكـون آينشـتاين كي تعرف أن شـيئاً ميتـاً موجود هنا. لذا، تقدمت صوب الكرسي وبرمته. وكان موجوداً هناك!".

يبدو أن المشهد لا يزال حياً جداً بالنسبة إلى ماتياس؛ إذ استدار وتقيأ على العشب. ثم مسح فمه وهمس: "عذراً".

قال مارتن: "لا بأس. فعلنا جميعاً الشيء نفسه في مرحلة ما عندما رأينا جثة".

قال ميلبرغ بفظاظة: "ليس أنا".

وأضاف غوستا باقتضاب: "ولا أنا أيضاً".

أضافت باولا: "ولا أنا أيضاً".

فنظر مارتن إليهم من فوق كتفه، ووجه إليهم جميعاً نظرة صارمة.

أخبرهـم آدم: "كان فعـلاً مقرفـاً جـداً". وبالرغـم مـن الصدمـة، بدا مسـتمتعاً بالوضع نوعاً ما. أما ماتياس خلفه فتلوّى على نفسـه، وكان يحاول التقيؤ مجدداً،

لكن بدا وكأنه لم يعد هناك أي شيء في معدته.

قال مارتن وهو يستدير صوب زملائه: "هل يستطيع أحدكم اصطحاب الصبيين إلى منزليهما؟" في البداية، لم يجب أحد، لكن غوستا قال بعدها:

"سأصطحبهما. هيا أيها الولدان. اصعدا إلى السيارة".

قال ماتياس بصوت ضعيف: "نعيش على مسافة مئات الأمتار من هنا".

أجاب غوستا: "إذاً، سأرافقكما مشياً إلى المنزل". وأشار إليهما للحاق به. سارا خلفه بطريقة المراهقين النموذجية؛ ماتياس مع تعبير امتنان، فيما بدا آدم خائب الأمل لأنه سيفوّت ما سيجري لاحقاً.

راقبهم مارتن إلى أن أصبحوا بعيدين كفاية خلف المنعطف في الطريق، ثم قال من دون أي تلميح مسبق: "حسناً، فلنرَ ما لدينا هنا"

تنحنح برتيل ميلبرغ قائلاً: "ليست لديّ مشكلة مع الجثث وما شابه على الإطلاق. لقد رأيت العديد منها سابقاً. لكن، يجدر بأحد ما التحقق... أيضاً من محيط المنزل. يستحسن ربما لو قمتُ أنا بهذه المهمة، لأنني المدير والشخص الأكثر خبرة بينكم". وتنحنح مجدداً.

تبادل مارتن وباولا نظرات ضاحكة، ولكن قبل الإجابة، حرص مارتن على إظهار تعبير جدي.

"أنت محق في هذا الشأن يا برتيل. يستحسن أن يقوم شخص بمثل خبرتك بفحص الموقع بعناية. أستطيع وباولا الدخول وإلقاء نظرة".

"صحيح... بالضبط. أعتقد أن هذا هو الخيار الأفضل وتأرجح ميلبرغ على كعبَي قدميه هنيهة قبل أن يمشي الهوينا على العشب.

سأل مارتن: "هل ندخل؟".

أومأت باولا برأسها.

قال لها مارتن حين فتح الباب: "توخي الحذر الآن. فنحن لا نريد إفساد أي دليل في حال تبيّن لنا أن الوفاة غير ناجمة عن أسباب طبيعية. علينا فقط إلقاء نظرة سريعة قبل أن يصل المحققون إلى هنا".

أجابت باولا بودٍّ: "أملك خبرة خمس سنوات في قسم الجرائم العنيفة مع

قسم التحقيق الجرمي الإقليمي في استوكهولم. وأعرف كيفية التعاطي مع مسرح جريمة محتمل

قال مارتن محرجاً: "أوه، عفواً. لم أكن أعرف ذلك". ثم ركّز انتباهه على المهمة التي ينبغي له القيام بها.

ساد صمت غريب داخل المنزل، خرقه فقط صوت خطواتهما على أرض الردهة. تساءل مارتن عما إذا كان الصمت سيبدو مريعاً هكذا لو لم يعرفوا بوجود جثة في المكان. وقرر أن الجواب هو لا.

همس: "من هنا". ثم أدرك أنه لا داعي أبداً للهمس. لذا، كرر الكلمات بصوته العادي، فارتدّ الصدى عن الجدران.

لحقت باولا بمارتن الذي تقدم بضع خطوات صوب الغرفة التي يفترض أنها المكتبة وفتح الباب. الرائحة الغريبة التي لاحظاها فور دخولهما المنزل باتت أقوى. الولدان محقان. الذباب يكسو الأرض، وقد أصدرت أقدامهما صوت انسحاق عندما دخلا الغرفة. كانت الرائحة قوية جداً، لكن لا شك في أنها الآن جزء مما كانت عليه في البداية.

قالت باولا: "لا شك في أن أحداً ما قد مات هنا قبل فترة طويلة". ثم لمحت ومارتن شخصاً جالساً في الطرف البعيد من الغرفة.

قال مارتن: "لا شك في ذلك". وشعر بوجود طعم كريه في فمه. غير أنه شدّ عزيمته، واجتاز الغرفة بحذر للوصول إلى الجثة الجالسة على الكرسي.

"ابقي هناك". رفع يده لتحذير باولا التي أطاعته وبقيت قرب الباب. لم تشعر بالإهانة؛ فكلما تضاءل عدد رجال الشرطة الذين يتجولون في الغرفة كان ذلك أفضل.

قال مارتن: "لا يبدو أنه مات نتيجة أسباب طبيعية". فيما ارتفعت مادة الصفراء إلى حنجرته، فابتلعها مراراً وتكراراً، كابحاً الرغبة الملحة في التقيؤ، فيما ركّز على المهمة. وبالرغم من الحالة المزرية للجثة، لم يكن هناك أي شك على الإطلاق؛ إذ ثمة كدمة كبيرة على جانب واحد من رأس الضحية تنطق بالكثير. لا بد أن الشخص الجالس على الكرسي كان ضحية اعتداء وحشي.

استدار مارتن بحذر وغادر الغرفة، فلحقت به باولا. وبعد استنشاق الهواء النظيف مرات متتالية، اختفت الحاجة الملحة إلى التقيؤ. في تلك اللحظة، رأى باتريك عند المنعطف يشق طريقه صوب الممر المغطى بالحصى.

قال مارتن ما إن أصبح باتريك على مسمع منه: "إنها جريمة. يتوجب على توربجورن وفريقه المجيء إلى هنا ومباشرة العمل. ما من شيء نستطيع فعله في الوقت الحاضر

قال باتريك بتعبير متجهم: "حسناً، هل أستطيع فقط...". وتوقف وألقى نظرة على ماجا الجالسة في عربتها.

قال مارتن بحماسة: "هيا، ادخل وألقِ نظرة. سأهتم بماجا". ثم انحنى صوبها وحملها. "تعالي يا حبيبتي. فلنذهب ولننظر إلى الأزهار هناك".

قالت ماجا: "أزهار؟". وهي تشير إلى مهد الأزهار.

سأل باتريك باولا: "هل دخلتِ؟".

أومأت برأسها. "ليس المشهد رائعاً. يبدو أنه كان موجوداً هناك طوال الصيف. هذا هو رأيي على الأقل

"أفترض أنك رأيت الكثير من هذه الأمور خلال سنواتك في استوكهولم".

"لم يكن العديد من الجثث بهذه الحالة، وإنما بعض الجثث المريعة".

"حسناً، سوف أدخل لألقي نظرة سريعة. أنا في الواقع في إجازة أبوّة، لكن...".

ابتسمت باولا وقالت: "يصعب البقاء بعيداً عن العمل، أليس كذلك؟ أفهم. لكن يبدو أن مارتن يتعاطى مع الأمور بشكل جيد" نظرت مبتسمة إلى مهد الأزهار، حيث كان مارتن يجلس القرفصاء مع ماجا للنظر إلى الأزهار المتفتحة.

قال باتريك فيما بدأ يمشي صوب المنزل: "إنه صخرة؛ بكل ما للكلمة من معنى وعاد بعد دقائق قليلة، وقال:

"أوافق مارتن الرأي. لا شك في ذلك؛ نظراً إلى الكدمة الكبيرة على رأس الضحية".

"لا أثر لمشتبه به". كان ميلبرغ يتنفس بصعوبة كبيرة حين ظهر من خلف المنعطف. "كيف الوضع؟ هل دخلت المنزل، هيدستورم؟". فأومأ باتريك برأسه.

"نعم، لا مجال للشك بأنها جريمة. هل ستتصل بالمحققين؟".

أجاب ميلبرغ بتبجح: "طبعاً. أنا مدير هذا المركز المجنون. بالمناسبة، ماذا تفعل هنا؟ أصررت على أخذ إجازة أبوّة، وبعد أن حصلت عليها، ها أنت تظهر هنا من حيث لا أدري". استدار ميلبرغ صوب باولا وقال: "لا أفهم فعلاً الجيل الجديد؛ الرجال يبقون في المنزل لتغيير الحفاضات، فيما النساء يتجولن في البذلات الرسمية". ثم استدار فجأة، وتوجه بعيداً إلى سيارة الشرطة لاستدعاء المحققين.

قال باتريك بطريقة جافة: "أهلاً بك في تانومشيدي". وحظي بابتسامة في المقابل.

"لا تقلق. لا أشعر بالإهانة، فقد صادفت مثل هذا النوع من قبل. لو سمحت لكل الديناصورات بالبذلات الرسمية بأن يزعجوني لتخليت عن مهنتي منذ زمن بعيد"

قال باتريك: "أنا مسرور لأنك تفكرين بهذه الطريقة. والميزة الوحيدة في ميلبرغ هي أنه متناغم مع نفسه؛ فهو ضد الجميع وضد كل شيء".

أجابت باولا ضاحكة: "من المريح معرفة ذلك".

سأل مارتن الذي كان لا يزال يحمل ماجا: "ما المضحك؟".

أجاب باتريك وباولا بصوت واحد: "ميلبرغ".

"ماذا قال الآن؟".

أجاب باتريك وهو يتمدد للإمساك بماجا: "أوه، كالعادة. لكن، يبدو أن باولا استوعبت المسألة، ولذلك يفترض أن تجري الأمور على ما يرام. في الوقت الحاضر، نحتاج أنا وهذه السيدة الصغيرة إلى العودة إلى المنزل. قولي لهما وداعاً حبيبتي

لوّحت ماجا بيدها، وابتسمت لمارتن الذي أشرق وجهه.

"ماذا؟! هل تتركينني يا صغيرتي؟ ظننتُ أن علاقة مميزة تربطنا أنا وأنت". ودلى شفته السفلى، وادعى أنه حزين.

"لن تهتم ماجا أبداً بأي رجل باستثناء والدها. أليس كذلك حبيبتي؟". وفرك باتريك أنفه على عنق ماجا، مما جعلها تنفجر ضحكاً، ثم وضعها في عربتها، ولوّح

لزميليه. شعر جزء منه بالارتياح لأنه يستطيع الابتعاد، لكن الجزء الآخر رغب في البقاء أكثر من أي شيء آخر.

إنها مرتبكة. أهو يوم الاثنين؟ أم أصبح الثلاثاء؟ ذرعت بريتا غرفة الجلوس بعصبية. الأمر... محبط جداً. وبدا لها الأمر وكأنها كلما كافحت للإمساك بشيء ما، أفلت من قبضتها بسرعة أكبر. في اللحظات الأكثر صفاء، ثمة صوت داخلها أخبرها أنه يجدر بها السيطرة على الأمور من خلال قوة الإرادة. يفترض بها أن تتمكن من جعل دماغها يطيعها. في الوقت نفسه، عرفت أن دماغها يتغير، ويتفكك، ويفقد قدرته على التذكر والاحتفاظ باللحظات والحقائق والمعلومات والوجوه.

الاثنين. إنه الاثنين. طبعاً. فالبارحة جاءت بناتها وعائلاتهن لتناول الغداء كما هي العادة يوم الأحد. البارحة، إذاً اليوم هو الاثنين بلا شك. شعرت بريتا بالارتياح، وتوقفت عن ذرع الغرفة. أحسّت بنوع من الانتصار الصغير. عرفت على الأقل أي يوم هو.

تلألأت الدموع في عينيها، وجلست على طرف الأريكة. أقمشة جوزف فرانك جميلة ومألوفة. اشترت القماش مع هيرمان. أو بالأحرى، اختارت القماش بنفسها ووافق على خيارها؛ فهو يفعل أي شيء لجعلها سعيدة. كان سيقبل بسرور بأريكة برتقالية مع بقع خضراء إذا كان هذا ما تريده. هيرمان، نعم... أين هو؟ بدأت تخربش باضطراب على نمط الأزهار في قماش الأريكة. إنها تعرف أين هو، تعرف فعلاً. تصوّرت في عقلها شفتيه تتحركان فيما هو يشرح لها إلى أين سيذهب. تذكرت أيضاً أنه كرر الأمر مرات عدة. لكن، مثلما نسيت فجأة في أي يوم هي، انزلقت أيضاً تلك المعلومات الصغيرة من عقلها، مما أربكها وأغضبها. أمسكت بذراع الكرسي بإحباط. عليها أن تتذكر، لو أنها تستطيع فقط التركيز كفاية.

سيطر عليها إحساس بالذعر. أين هيرمان؟ هل سيغيب لوقت طويل؟ لم يذهب في رحلة، أليس كذلك؟ هل تركها هنا؟ ربما تركها إلى الأبد؟ هل هذا ما قالته شفتاه في الذكرى المبهمة التي خطرت في بالها؟ عليها التأكد من أن هذا ليس صحيحاً. عليها البحث والتأكد من أن أغراضه لا تزال هنا. قفزت بريتا عن

الأريكة وصعدت بسرعة إلى الطابق العلوي. خفق قلبها ذعراً، فسمعت الصوت في أذنيها مثل موجة بحر هادرة. ماذا قال هيرمان بالضبط؟ إلا أن نظرة سريعة إلى خزانة الملابس طمأنتها. كل أغراضه موجودة هنا؛ السترات، الكنزات، القمصان. كل شيء هنا. لكنها لا تعرف أين هو.

ألقت بريتا بنفسها على السرير، وتقوقعت مثل الطفل الصغير، وبكت. تستمر الأمور في الاختفاء داخل دماغها. ثانية وراء ثانية، دقيقة وراء دقيقة، يتم محو شريط أحداث حياتها. ولا يسعها فعل أي شيء حيال ذلك.

"مرحباً! كانت نزهة طويلة لكما. غبتما لوقت طويل". جاءت إيريكا لإلقاء التحية على باتريك وماجا التي أعطت أمها قبلة مفرطة.

"ألا يفترض أنك تعملين؟". تفادى باتريك النظر إلى عينَي إيريكا.

تنهدت إيريكا وقالت: "نعم، حسناً... أواجه مشكلة في الانطلاق. أجلس وأحدق إلى الشاشة، وأتناول الشوكولا. إذا استمرت الأمور على هذا النحو، فسيصبح وزني 90 كيلوغراماً عندما أنهي الكتاب". ساعدت باتريك في نزع الملابس الخارجية عن ماجا. "لم أستطع مقاومة الرغبة في النظر إلى دفاتر يوميات أمي

سألها باتريك: "هل من شيء لافت؟". وشعر بالارتياح لأنه لن يضطر إلى الإجابة عن المزيد من الأسئلة بشأن نزهتهما الطويلة.

"ليس تماماً. إنها أمور عن الحياة اليومية. لكنني قرأت بضع صفحات فقط. أحتاج إلى قراءتها على دفعات صغيرة".

ذهبت إيريكا إلى المطبخ. وكما لو أنها أرادت تغيير الحديث، قالت: "هل نشرب بعض الشاي؟".

أجاب باتريك وهو يعلّق معطفه ومعطف ماجا: "سيكون هذا رائعاً". ثم لحق إيريكا إلى المطبخ، وراقبها فيما شغلت نفسها في وضع الماء على النار وإحضار أكياس الشاي والكوبين. استطاعا سماع ماجا تلعب بألعابها في غرفة الجلوس. بعد دقائق قليلة، وضعت إيريكا كوبين ساخنين من الشاي على طاولة المطبخ، وجلسا قبالة بعضهما بعضاً.

قالت وهي تتأمل باتريك: "حسناً، أخبرني   إنها تعرفه جيداً؛ تعرف هذا التعبير الظاهـر فـي عينيـه والذي يدل على الصدمة، وكذلك الطقطقة العصبية في أصابعه. ثمة أمر لا يريد إخبارها به أو لا يجرؤ على فعله.

سألها وهو يحاول أن يبدو بريئاً: "ماذا تقصدين؟".

"لا تنظـر إلـيّ هكـذا بهاتيـن العينيـن الزرقاويـن. مـا الـذي لم تخبرنـي به؟". ارتشفت القليل من الشاي الساخن وانتظرته بسرور حتى يتوقف عن الارتباك ويقول الحقيقة.

"حسناً..."

"نعم؟". قالت إيريكا ذلك وهي تدرك تماماً استمتاعها بانزعاجه الجلي.

"حسناً، حصل شيء ما فيما كنا أنا وماجا نتنزه".

"حقاً! عدتما كلاكما إلى المنزل على ما يرام، فما الذي حصل؟".

"أوه...". ارتشـف باتريـك الشـاي لتبديـد بعـض الوقت فيما فكّـر في الطريقة المثلى للشرح. "كنا متجهين صوب طاحونة ليرستن، ثم ظهر مارتن والفريق للتحقق من اتصال تلقوه". ووجّه نظرة حذرة إلى إيريكا، فرفعت حاجباً وانتظرته كي يتابع.

"اتصل أحدهم للإبلاغ عن وجود جثة في منزل على الطريق إلى هامبورغسوند، وكانوا متوجهين إلى هناك للتأكد".

"فهمـت. لكنـك فـي إجازة أبـوّة، وبالتالي لا علاقة لك بالأمر   أصيبت فجأة بالذهـول، وتوقـف كوبهـا أمام شـفتيها. "أنت لا تقصد أنـك..." وحدقت إليه غير مصدقة.

قال باتريك: "نعم". وبدا صوته ثاقباً قليلاً، فيما ثبّت عينيه على الطاولة.

"لا تقل لي إنك اصطحبت ماجا إلى مكان تم العثور فيه على جثة!". حدّقت إليه ملياً.

"أوه، نعم. لكن مارتن اهتم بها حين دخلت المنزل لإلقاء نظرة. فقد اصطحبها لرؤية مهد الأزهار   غامر في الكشف عن ابتسامة خفيفة، ولكنه تلقى في المقابل نظرة غاضبة.

"هل دخلت لإلقاء نظرة؟!". كان الجليد في صوتها غير رحوم على الإطلاق.

"أنـت فـي إجـازة أبـوّة. الكلمة الأساسـية هنا هي إجازة، مـن دون ذكر الأبوّة. كم يصعب عليك القول: لست قادراً على العمل الآن؟".

قـال باتريـك بصـوت واهن: "دخلت فقط لإلقـاء نظرة". لكنه عرف أن إيريكا محقة. إنه في إجازة؛ إجازة أبوّة. يستطيع زملاؤه الاهتمام بالعمل. ولم يكن يجدر به اصطحاب ماجا إلى أي مكان قريب من ساحة جريمة.

في تلك اللحظة، أدرك أن هناك تفصيلاً آخر لا تعرفه إيريكا، وأحسّ برجفة عصبية في وجهه فيما ابتلع لعابه بصعوبة وأضاف:

"بالمناسبة، تبيّن أنها جريمة قتل

"جريمة!". ارتفع صوت إيريكا بشدة. "لا يكفي أنك اصطحبت ماجا إلى منزل حيث تم اكتشاف جثة، بل تبيّن أيضاً أن هناك جريمة". هزّت رأسها مستنكرة، فيما بدت بقية الكلمات التي أرادت لفظها عالقة في حنجرتها.

رفع باتريك يديه قائلاً: "لن أكررها مجدداً. سـوف يتولى أعضاء الفريق حلّ القضية بأنفسـهم. أنا في إجازة حتى شـهر يناير، وهم يعرفون ذلك. سـوف أكرّس نفسي مئة في المئة لماجا. أقسم لك".

صرخت إيريكا: "يستحسن أن تلتزم بذلك". كانت غاضبة جداً، إلى درجة أنها أرادت الانحناء فوق الطاولة ورجّه، ثم غلبها الفضول:

"أين حصل ذلك؟ هل عرفوا من الضحية؟".

"ليسـت لـديّ فكـرة. إنـه منزل أبيض كبير يبعد مئـات الأمتار عن الطريق إلى الجهة اليسرى، عند المنعطف الأول إلى اليمين بعد المطحنة".

وجهـت لـه إيريـكا نظـرة غريبة، ثـم قالت: "أهو منزل أبيـض كبير مع زخرفة رمادية!".

فكّـر باتريـك هنيهـة ثـم أومأ برأسـه قائـلاً: "نعم، أعتقد ذلك. لقد كتب اسـم 'فرانكل' على صندوق البريد".

"أعـرف مـن يعيش هناك. أكسـيل وإيريك فرانـكل. أنت تعرف إيريك فرانكل الذي ذهبت لرؤيته بخصوص الميدالية النازية".

نظر إليها باتريك مصعوقاً تماماً. كيف نسـي ذلك؟ فاسـم فرانكل ليس شـائعاً

جداً في السويد.

ومن غرفة الجلوس، استطاعا سماع ماجا وهي تثرثر بسعادة.

كان الوقت أواخر بعد الظهر عندما عادوا أخيراً إلى مركز الشرطة. فقد وصل توربجورن روود، رئيس قسم محققي الجرائم، وفريق عمله إلى المكان، وأنجزوا مهمتهم، ثم غادروا. كما تمت إزالة الجثة، وكانت في طريقها إلى المختبر الجنائي حيث سيتم إجراء كل فحص يمكن ولا يمكن تخيله.

قال ميلبرغ متنهداً فيما ركن غوستا السيارة: "حسناً، يا له من يوم اثنين مريع".

أجاب غوستا غير المعتاد على تبديد الكلمات: "طبعاً".

حين دخلا المركز، بالكاد تسنى لميلبرغ الوقت ليلاحظ شيئاً يقترب منه بسرعة كبيرة قبل أن يقفز عليه شكل ضخم، ويشعر بلسان رطب يلعق وجهه.

"هاي! هاي! توقف!". دفع ميلبرغ الكلب بعيداً باشمئزاز، فأخفض الكلب خائب الأمل أذنيه، وتوجّه صوب آنيكا؛ مدركاً أنه سيكون محط ترحيب هناك على الأقل.

كبح غوستا رغبته في الضحك، فيما مسح ميلبرغ لعاب الكلب بمتن يده، وأعاد على عجل شعره الممشط إلى مكانه الصحيح، متمتماً بعصبية طوال الوقت.

كان غوستا يشعر بالمرح وهو يتوجّه إلى مكتبه، غير أن صراخاً أوقفه في مكانه: "إرنست! إرنست! تعال إلى هنا، الآن!". لقد مضى وقت طويل منذ أن أقيل زميله إرنست لوندغرن من منصبه، ولم يكن هناك أي كلام عن إعادته إلى المركز.

خرج غوستا إلى الرواق، ورأى ميلبرغ بوجهه الأحمر الساطع يشير إلى شيء ما على الأرض. "إرنست، ما هذا؟".

وعندما ظهر الكلب ورأسه منخفض نتيجة الخزي، نادى ميلبرغ آنيكا التي وصلت بعد قليل.

"أوبس، يبدو أن لدينا حادثة صغيرة هنا". ووجّهت نظرة تعاطف إلى الكلب الذي اقترب منها بامتنان.

"حادثة صغيرة؟ لقد تغوّط أرنست على أرضي

سأل مارتن: "ماذا يجري؟". فيما دخل وباولا خلفه.

غوستا الذي لم يعد هذه المرة قادراً على كبح ضحكته، بالكاد استطاع التفوه ببضع كلمات. "إرنست... تغوّط على الأرض

نظر مارتن إلى الكومة الصغيرة على أرض مكتب ميلبرغ، ومن ثم إلى الكلب الملتصق بساق أنيكا وقال: "لا تقل لي إنك أسميت الكلب إرنست؟". ثم انفجر في الضحك.

قال ميلبرغ: "حسناً، حسناً. نظّفي هذا يا آنيكا كي نتمكن جميعاً من العودة إلى العمل وتوجّه إلى مكتبه وجلس. نظر الكلب إلى آنيكا ومن ثم إلى برتيل، وقرر بعدها أن الأسوأ قد انتهى، فلوّح بذيله وذهب للانضمام إلى سيده الجديد.

تبادل الآخرون نظرات دهشة، متسائلين عما رآه الكلب في برتيل وفوّتوه بأنفسهم حسبما يبدو.

لم تكفّ إيريكا عن التفكير في إيريك فرانكل. لم تعرفه جيداً، لكن لطالما كان وأخوه أكسيل جزءاً أساسياً من فجالباكا. كانا يعرفان بابني الطبيب، رغم مضيّ خمسين عاماً تقريباً على ممارسة والدهما للطب في فجالباكا، وأربعين عاماً على وفاته.

تذكرت زيارتها إلى المنزل الذي كان يخصّ أهله في ما مضى ومن ثم أصبح منزل الأخوين. كانت تلك زيارتها الوحيدة. كان العازبان الكبيران في السن قد تشاركا الافتتان بألمانيا والنازية؛ كل منهما على طريقته. إيريك، أستاذ التاريخ سابق، جمع كل ما يمتّ بصلة للحقبة النازية. أما أكسيل، الأخ الأكبر، فقد ارتبط نوعاً ما بمركز سيمون ويزانتال؛ إذا كانت ذاكرة إيريكا سليمة. وتذكرت أيضاً بشكل مبهم أنه صادف نوعاً من المشاكل خلال الحرب.

اتصلت منذ فترة بإيريك هاتفياً، وأبلغته بما وجدته، ووصفت له الميدالية، ثم سألته إذا كان يستطيع مساعدتها؛ وذلك بالبحث عن أصول الميدالية، وربما بإمكانه أن يشرح لها كيف وصلت إلى مقتنيات أمها. إلا أن ردة فعله الفورية تمثلت في الصمت. قالت "آلو مرات عدة، وظنّت أنه أقفل الخط في وجهها. وأخيراً، طلب

منها بصوت غريب أن تحضر الميدالية كي يلقي نظرة عليها. انزعجت من صمته الطويل ونبرة صوته الغريبة، لكنها لم تقل له شيئاً، بل أقنعت نفسها بأنها تتخيل الأمور على الأرجح. وعندما ذهبت إلى منزل الأخوين، لم تلحظ أي شيء غريب. فقد استقبلها إيريك بتهذيب وأدخلها المكتبة. وبتعبير حذر، أخذ منها الميدالية وتأملها بعناية، ثم سألها إذا كان بوسعه الاحتفاظ بها ريثما يجري بعض الأبحاث، فوافقت على ذلك.

أصرّ على أن يريها مجموعته؛ بمزيج من الرهبة والاهتمام. تأمّلت الأغراض المرتبطة بشكل وثيق بتلك الحقبة الآثمة والظالمة، ولم تستطع مقاومة سؤاله عن سبب قيام شخص مثله، معارض جداً لكل ما تمثله النازية، بجمع كل الأشياء التي تذكره بتلك الحقبة المريعة. تردد إيريك طويلاً قبل الإجابة، ثم رفع قبعة عليها شعار النازية (أس أس) وحملها بيده، وأخيراً قال لها:"لا أثق في ذاكرة الأشخاص. فمن دون امتلاك أشياء نستطيع رؤيتها ولمسها، نحن ننسى بسهولة ما لا نريد تذكره. أنا أجمع الأشياء التي يمكنها أن تذكرنا. وثمة جزء مني يريد ربما أن يبقي هذه الأشياء بعيدة عن متناول الأشخاص الذين قد يرونها من منظار مختلف؛ أعني تأملها بإعجاب".

أومأت إيريكا برأسها؛ فقد فهمت نوعاً ما، غير أنها لم تفهم جيداً في الوقت نفسه. تصافحا وغادرت.

وها قد مات الآن. لقد قتل. ربما ليس بعد فترة طويلة من زيارتها. فحسب ما قاله باتريك لها، بقي إيريك ميتاً في المنزل طوال الصيف.

فكرت مجدداً في النبرة الغريبة التي سمعتها في صوت إيريك عندما أخبرته عن الميدالية، ثم استدارت صوب باتريك الذي كان جالساً قربها على الأريكة يقلّب القنوات التلفزيونية وقالت له:

"هل تعرف ما إذا كانت الميدالية لا تزال موجودة هناك؟"

نظر إليها باتريك بدهشة وأجاب: "لا أملك أدنى فكرة. لم يخطر الأمر في بالي. لكن، لا توجد أية أدلة على أنه تم قتله بهدف السرقة. بالإضافة إلى ذلك، من سيهتم بميدالية نازية قديمة؟ إنها ليست نادرة. أعتقد أن هناك الكثير منها".

قالت إيريكا: "نعم، أعرف، لكن...". ثمة شيء يزعجها. "هل يمكنك الاتصال

بزملائك غداً والطلب منهم التحقق من وجود الميدالية؟".

قال باتريك: "بصراحة، لا أعرف. أعتقد أن لديهم أموراً أكثر أهمية للقيام بها بدلاً من قضاء الوقت في البحث عن ميدالية قديمة. نستطيع التحدث إلى شقيق إيريك لاحقاً، والطلب منه إيجادها. ربما هي لا تزال موجودة في المنزل في مكان ما"

"أوه، صحيح، أكسيل. أين هو؟ لماذا لم يكتشف جثة أخيه؟"

هزّ باتريك كتفه مجيباً: "أنا في إجازة أبوّة، هل تذكرين؟ عليك الاتصال بميلبرغ شخصياً وسؤاله".

قالت إيريكا: "ها ها، مضحك جداً". لكنها بقيت منزعجة. "ألا تعتقد أنه من الغريب ألا يكتشف أكسيل جثة أخيه؟".

"طبعاً. لكن، ألم تقولي إنه غادر إلى مكان ما عندما ذهبت إلى منزلهما؟".

"نعم، صحيح. أخبرني إيريك أن أخاه مسافر. لكن هذا كان في شهر يونيو".

"لمَ أنت قلقة بشأن ذلك؟". أعاد باتريك انتباهه إلى شاشة التلفزيون؛ فسوف يبدأ برنامج البيت أخيراً.

قالت إيريكا وهي تحدق في شاشة التلفزيون من دون تركيز: "لا أعرف فعلاً". فهي لا تستطيع حتى أن تفسّر لنفسها سبب سيطرة هذا القلق عليها. لكنها لا تزال تذكر صمت إيريك حين تحدثت إليه عبر الهاتف، وسماعها التوتر الخفيف في صوته عندما طلب منها إحضار الميدالية. لقد تفاعل حيال شيء ما؛ شيء له علاقة بالميدالية.

حاولت إبعاد الأمر عن عقلها والتركيز على منحوتات مارتن تيميل الخشبية عوضاً عن ذلك.

"جدّي، كان يفترض بك رؤيته. ذلك الحقير الأسود ذهب للوقوف في الرتل، و...باو! ركلة واحدة وسقط أرضاً مثل شجرة. ركلته بعد ذلك على رأسه، فاستلقى هناك ينتحب لمدة خمس عشرة دقيقة على الأقل

"وما النفع من ذلك بير؟ سوى أنه قد تتم إدانتك بالاعتداء وإرسالك إلى معهد إصلاحي. لن تكسب أي تعاطف بهذه الطريقة، وسوف تجعل الجميع

يتّحدون ضدك أكثر فأكثر. وبدلاً من مساعدتك قضيتنا، سوف ينتهي الأمر بحشدك المزيد من المعارضة". حدّق فرانس في حفيده. في بعض الأحيان، لا يعرف كيف سيسيطر على كل هرمونات المراهقة التي تتدفق في الصبي. وهو يعرف القليل أصلاً. وبالرغم من مظهره الصارم؛ بسرواله العسكري المرقط، وجزمته الثقيلة، ورأسه الحليق، فهو ليس أكثر من ولد خائف في الخامسة عشرة من عمره. إنه لا يعرف أي شيء. لا يعرف كيف يدور العالم، ولا يعرف كيف يسيطر على النزوات المدمرة التي يمكن استعمالها مثل سلاح لضرب هيكلية المجتمع.

أخفض الصبي رأسه خجلاً فيما جلس قربه على السلالم، فعرف فرانس أن كلماته القاسية أعطت مفعولها. يحاول حفيده دوماً ترك انطباع قوي لديه. ولكنه سيجعل من "بير شخصاً مؤذياً إذا لم يظهر له كيفية سير العالم. فالعالم بارد وقاس ومن دون رحمة، ووحدهم الأقوياء يستطيعون الانتصار.

في الوقت نفسه، إنه يحب الصبي ويريد حمايته من الشر. وضع فرانس ذراعه حول كتفَي حفيده، وصدم بمدى نحولهما. لقد ورث بير مظهره الجسدي. فهو طويل ونحيل، وذو كتفين ضيقتين، وكل التمارين الرياضية المتوافرة في العالم لن تغيّر ذلك.

قال فرانس وقد أصبح صوته أكثر رقة الآن: "عليك فقط التوقف والتفكير. فكّر قبل أن تتصرف، واستخدم الكلمات بدلاً من قبضتيك. العنف ليس أول وسيلة يجدر بك استعمالها، بل يجب أن يكون الأخيرة". وشدّ قبضته على كتفَي الصبي، فاتكأ بير عليه لثانية، مثلما فعل حين كان طفلاً. ثم تذكّر أنه يحاول أن يكون رجلاً، وأن الشيء الأكثر أهمية في العالم هو جعل جدّه فخوراً به. لذا، سرعان ما جلس منتصباً.

"أعرف يا جدي. لكنني غضبت كثيراً حين دفعني؛ لأن هذا ما يفعلونه دوماً. فهم يشقون طريقهم بعنف في كل مكان، ويعتقدون أنهم يملكون العالم، وأنهم يملكون السويد. جعلني ذلك غاضباً جداً".

قال فرانس مبعداً ذراعه عن كتفَي حفيده، ومربتاً عوضاً عن ذلك على ركبة الصبي: "أعرف. لكن، أرجوك توقف وفكّر. فلن تفيدني أبداً إذا انتهى بك الأمر في السجن".

كريستيانساند 1943

قاوم دوار البحر طوال الرحلة إلى النروج؛ رغم أن الآخرين لم يتأثروا حسبما يبدو. فهم معتادون على الإبحار؛ إذ نشأوا على الذهاب في عرض البحر. لقد تكيّفوا مع البحر، مثلما كان والده يقول. لقد اعتادوا على الأمواج، لذا لا يملكون أي مشكلة في المشي على ظهر المركب. وبدا أنهم يملكون مناعة تجاه الشعور بالغثيان الذي امتدّ من معدته صعوداً إلى حنجرته. اتكأ أكسيل بقوة على الدرابزين. كل ما يرغب في فعله هو الاتكاء على الجانب والتقيؤ، لكنه رفض القيام بمثل هذا السلوك المقرف الذي يكشف عن ضعفه؛ عرف أن توبيخات الآخرين الساخرة لن تكون خسيسة، لكن لديه كبرياء، وهو لا يريد أن يكون موضع سخريتهم. سوف يصلون قريباً، ولحظة يطأ الشاطئ، سيختفي الشعور بالغثيان مثل السحر. عرف ذلك من تجربته؛ إذ قام بهذه الرحلة مرات عدة في السابق.

صرخ قبطان السفينة إيلوف: "اليابسة! سوف نصل في غضون عشر دقائق". وألقى إيلوف نظرة على أكسيل الذي جاء للانضمام إليه عند الدفة. كان وجه القبطان مسفوعاً بالشمس ومنهكاً نتيجة العوامل الطبيعية، وبدت بشرته مثل الجلد المجعد نتيجة السنوات الطويلة التي تعرض فيها للعوامل الطبيعية.

سأل بصوت منخفض وهو ينظر حوله: "هل كل شيء على ما يرام؟". في مرفأ كريستيانساند، استطاعوا رؤية كل المراكب الألمانية مرصوفة قرب بعضها بعضاً؛ لتذكيرهم بالاحتلال. لغاية الآن، نجت السويد من قدر النروج. ولكن، لا أحد يعرف كم سيدوم هذا الحظ. وحتى ذلك الحين، يُبقي السويديون عيناً قلقة على جارهم إلى الغرب، وعلى تقدم الألمان في بقية أوروبا.

قال أكسيل: "اهتم بشؤونك الخاصة وأنا سأهتم بشؤوني بدت العبارة أكثر قساوة مما أرادها، لكنه انزعج من فكرة تعريض طاقم السفينة لمخاطر كان يجدر

بـه تحملهـا بمفـرده. رغـم ذلك، هو لـم يجبر أحداً. فقد وافق إيلوف من دون تردد عندما سأله أكسيل إذا كان بوسعه الإبحار معه بين الحين والآخر؛ لإحضار بعض... الأغراض. لم يحتج قط إلى شـرح طبيعة ما ينقله، ولـم يسـأله إيلوف وبقية أفراد طاقم سفينة إالفريدا\ عن ذلك يوماً.

وصلوا إلى المرفأ، وأخرجوا المستندات التي يحتاجون إلى إبرازها. فالألمان دقيقون جداً في ما يتعلق بالأوراق. وبعدما يتم الانتهاء من المسائل القانونية، يسمح للسـويديين بإفراغ قطع الآلات التي تشـكل حمولتهم الرسـمية. يسـتلم النروجيون البضاعة، فيما يشرف الألمان بتجهم على العملية وأيديهم على الزناد. انتظر أكسيل دوره حتى المساء, إذ لـم تتم إنزال حمولته إلا بعد حلول الظلام. وكانت حمولته تتألـف مـن مـواد غذائيـة في أغلب الأحيـان؛ طعام ومعلومات. وهـذا ما كان لديه هذه المرة أيضاً.

بعد تناول العشاء في صمت مطبق، جلس أكسيل ينتظر الساعة المحددة بقلق. إلا أن طرقاً حذراً على اللوح الزجاجي للنافذة جعله والآخرين يقفزون فيأماكنهم. انحنى أكسـيل بسـرعة إلى الأمام، ورفع قسـماً من الألواح الأرضية، وبدأ بإخراج أقفاص خشـبية. امتدت أيدٍ، بهدوء وحذر، لاسـتلام الأقفاص، ثم تمّ تمريرها إلى شخص ما على الرصيف. طوال الوقت، استطاعوا سماع الألمان وهم يتحدثون في الثكنة على مسـافة قريبة. في ذلك الوقت من الليل، يكونون تحت تأثير الشـراب القوي؛ مما يسـمح بحصول النشـاط الخطير على متن السـفينة من دون أن يلحظه أحد. يسهل خداع الألمان الثملين أكثر من الألمان الرزينين.

مع همس كلمة "شكراً" بالنروجية، اختفى آخر صندوق في العتمة. ها قد تم إيصال بضاعة جديدة بسلاسـة. أحسّ أكسـيل بالارتياح، وعاد إلى مقدّمة السـفينة. التقت عيناه بثلاثة أزواج من العيون، لكن أحداً لم يتفوه بكلمة. بالكاد أومأ إيلوف برأسه، ثم استدار بعيداً لملء غليونه. أحسّ أكسيل بالكثير من الامتنان تجاه هؤلاء الرجال الذين تحدّوا العواصف والنازيين برباطة الجأش نفسها. فقد تقبّلوا منذ زمن بعيد حقيقة أنهم لا يستطيعون السيطرة على تقلبات الحياة والقدر، ولذلك حاولوا ببساطة عيش الحياة بأفضل ما يستطيعون. أما ما تبقى فهو بين يدي الله.

استلقى أكسيل المرهق على سريره، وأرجحه التمايل الخفيف للسفينة وارتطام الماء ببدنها. وفي الثكنة على الرصيف، ارتفعت أصوات الألمان وخفتت. بعد برهة، بدأوا يغنون. لكن أكسيل كان قد غطّ في نوم عميق حينها.

سأل ميلبرغ، وهو ينظر حوله في غرفة الاستراحة: "حسناً، ماذا نعرف لغاية الآن؟" كان قد تم إعداد القهوة، ووضعت قطع حلوى على الطاولة، والجميع حاضرون.

تنحنحت باولا ثم قالت: "اتصلت بالشقيق أكسيل. يبدو أنه يعمل في باريس، ويمضي دوماً فصل الصيف هناك. لكنه الآن في طريق العودة إلى هنا. وقد بدا منزعجاً حين أخبرته عن موت أخيه".

استدار مارتن صوب باولا: "هل نعرف متى غادر السويد؟". فراجعت الدفتر الموضوع أمامها.

"يقول إنه غادر في الثالث من يونيو. لكنني سأتحقق من ذلك طبعاً".

أومأ مارتن برأسه.

"هل تلقينا تقريراً أولياً من توربجورن وفريقه؟". حرّك ميلبرغ قدميه بحذر. فقد ألقى إرنست بكل وزن جسمه على أعلى قدميه، فبدأ يشعر بالخدر فيهما، لكن لسبب ما لم يستطع ميلبرغ دفع الكلب بعيداً.

قال غوستا وهو يتمدد للإمساك بقطعة حلوى: "ليس بعد. لكنني تحدثت إليه هذا الصباح، وقد نعرف شيئاً غداً".

قال ميلبرغ: "فلنأمل أن يكون التقرير جيداً وذكياً، وأن يصل باكراً". وحرّك قدميه مجدداً، لكن إرنست تحرّك معهما أيضاً.

"هل من مشتبه بهم؟ هل هناك أعداء محتملون؟ تهديدات؟ أي شيء؟"

هزّ مارتن رأسه. "لا تقارير في ملفاتنا على الإطلاق. لكنه كان شخصاً مثيراً للجدل. فالنازية تولّد دوماً مشاعر قوية".

"نستطيع الذهاب إلى منزله وإلقاء نظرة؛ لنرى ما إذا كانت هناك أي رسائل تهديد أو ما شابه في الأدراج".

استدار الجميع للتحديق إلى غوستا بدهشة. فقد كان كل الزملاء يعتقدون أن غوستا فليغار قد جاء إلى الحياة ليلعب الغولف. ومن النادر له أن يكشف عن أي مبادرة في العمل.

قال ميلبرغ مبتسماً بسرور: "خذ مارتن معك، واذهبا إلى هناك بعد الاجتماع". فأومأ غوستا برأسه، واستعاد بسرعة نظرته الكسولة الاعتيادية.

"باولا، اعرفي لنا متى يفترض أن يصل الأخ... أكسيل، أليس كذلك؟ بما أننا لا نعرف بعد متى مات إيريك، فمن المحتمل أن يكون أكسيل من قتله ومن ثم هرب من البلاد. علينا إلقاء القبض عليه ما إن يطأ أرض السويد"

رفعت باولا نظرها عن دفترها وقالت: "سيصل إلى مطار لاندفيتر عند التاسعة والربع من صباح غد".

"جيد. تأكدي من إحضاره إلى هنا أولاً قبل أن يفعل أي شيء آخر الآن، أجبر ميلبرغ نفسه على تحريك قدميه اللتين أصابهما الخدر. فنهض إرنست، ووجه له نظرة منزعجة، ثم توجه إلى مكتب ميلبرغ للاستراحة في سلته.

قالت آنيكا: "يبدو مثل حب حقيقي وضحكت وهي تراقب الكلب لدى خروجه من الغرفة.

تنحنح ميلبرغ ثم قال: "همم، حسناً... كنت أودّ سؤالك بشأن هذا. متى سيأتي أحدهم ليأخذ هذا المسخ؟".

قالت آنيكا وهي تحاول أن تبدو بريئة قدر الإمكان: "تعرف أن الأمر ليس سهلاً جداً. اتصلت بالكثيرين، لكن يبدو أن لا أحد قادر على أخذ كلب بمثل حجمه. فإذا استطعت الاهتمام به لبضعة أيام إضافية...". وحدّقت إليه بعينيها الزرقاوين الكبيرتين.

زمجر. "أوه، حسناً. يفترض بي أن أتحمل الكلب لبضعة أيام إضافية. لكن عليه بعدها العودة إلى الشارع إذا لم تعثري له على منزل".

"شكراً، برتيل. هذا لطف منك. وسوف أبذل كل ما بوسعي وفيما استدار ميلبرغ بعيداً، غمزت آنيكا الآخرين. أدركوا تماماً ما الذي تحاول فعله، فكافحوا كي لا يضحكوا. لقد سخرت من برتيل. لا مجال للشك في ذلك.

قال ميلبرغ: "جيد، جيد. فلنعد الآن إلى العمل وخرج من قاعة الاستراحة.

قال مارتن وهو يقف على قدميه: "حسناً، سمعنا الرئيس. هل يجدر بنا الذهاب، غوستا؟".

بدا غوستا كما لو أنه ندم على تقدمه باقتراح يسبب له المزيد من العمل، لكنه أومأ برأسه بتعب ولحق بمارتن نحو الخارج. إنها فقط مسألة تمرير الوقت خلال أسبوع العمل. وما إن تأتي عطلة نهاية الأسبوع، حتى يصبح في ملعب الغولف عند السابعة صباحاً، يومَي السبت والأحد. وحتى ذلك الحين، إنه يحاول تمرير الوقت.

التفكير في إيريك فرانكل والميدالية استمرّ في مطاردة إيريكا. نجحت في إبعاد المسألة عن ذهنها لبضع ساعات والشروع في تأليف كتابها، لكنْ ما إن تشتت تركيزها حتى عادت مجدداً لتذكر اللقاء الوجيز الذي حصل بينها وبين إيريك. بدا رجلاً رقيقاً ولبقاً، وتواقاً لمشاركتها معلوماته بشأن الموضوع الذي يهمّه أكثر من أي شيء آخر: النازية.

اعترفت بالهزيمة، فأغلقت ملف كتابها، وبحثت في محرّك البحث غوغل عن اسم "إيريك فرانكل". ظهر أمامها عدد من النتائج، وأشار بعضها بوضوح إلى أشخاص آخرين يحملون الاسم نفسه. لكن، ثمة نقص في المعلومات المتعلقة بإيريك فرانكل الصحيح. وأمضت قرابة الساعة وهي تنقر على الوصلات. ولد عام 1930 في فجالباكا، ويملك أخاً واحداً اسمه أكسيل، يكبره بأربع سنوات. كان والده طبيباً في فجالباكا من 1935 وحتى 1954. العديد من الوصلات أفضت إلى مدوّنات حول النازية، لكنها لم تجد أي شيء يشير إلى أنه كان متعاطفاً مع النازية، بل على العكس. فعلى الرغم من كشف بعض المدوّنات عن إعجاب ممانع بجوانب النازية، بدا أن اهتمام إيريك نابع من إعجابه الصرف بالموضوع.

أغلقت برنامج تصفح الإنترنت، وذكّرت نفسها أنها لا تملك الوقت للقيام بذلك. في تلك الأثناء، سمعت طرقاً حذراً على الباب خلفها.

"عذراً، هل أزعجك؟". فتح باتريك الباب وأدخل رأسه.

"لا، لا تقلق". وبرمت كرسيّها لمواجهته.

"جئت فقط لأقول لك إن ماجا نائمة وأريد القيام بجولة صغيرة. هل يمكنك الاحتفاظ بهذا معك أثناء خروجي؟". أعطاها جهاز مراقبة الطفلة كي تتمكن من سماع ماجا في حال استيقظت.

تنهدت إيريكا قائلة: "أوه، يفترض أنني أعمل. لمَ تريد الخروج من المنزل؟".

"عليّ الذهاب إلى المصرف، ونفد من عندنا دواء "نيزيريل ففكّرت في أن أمرّ على الصيدلية، وأشتري أيضاً بعض الحاجيات".

أحسّت إيريكا فجأة بتعب شديد. فكّرت في كل الجولات التي قامت بها خلال العام الماضي، دوماً مع ماجا الجالسة في العربة أو بين ذراعيها. وفي أغلب الأحيان، كانت تتصبب عرقاً كلما انتهت. لم يكن هناك أحد للانتباه إلى ماجا أثناء ذهابها إلى المتاجر. إلا أنها أبعدت تلك الأفكار عن عقلها، فهي لا تريد أن تبدو حقيرة أو نزقة.

قالت مبتسمة: "طبعاً، أستطيع الاهتمام بها في غيابك. أستطيع الاستمرار في العمل فيما هي نائمة". وحاولت إظهار بعض الحماسة.

أجاب باتريك: "هذا رائع". وقبّلها على وجنتها قبل أن يغلق الباب خلفه.

قالت إيريكا لنفسها: "هذا رائع، حسناً". فيما فتحت مستند كتابها، وحضّرت نفسها لإبعاد كل الأفكار المتعلقة بإيريك فرانكل من رأسها.

لكن، ما إن وضعت أصابعها على لوحة المفاتيح حتى سمعت صوت ضجة مطقطقة صادرة من جهاز المراقبة. تجمدت إيريكا في مكانها. هذا ليس شيئاً ربما، ربما كانت ماجا تتحرك ببساطة في مهدها. في بعض الأحيان، يكون جهاز المراقبة حساساً جداً. سمعت صوت سيارة تهدر، ثم انطلق باتريك بعيداً، فيما أعادت عينيها صوب الشاشة، محاولة التفكير في العبارة التالية. غير أنها سمعت صوت الطقطقة مجدداً. نظرت إلى جهاز المراقبة كما لو أنها تتمنى منه أن يبقى ساكناً، لكن جهودها جوبهت بصراخ "واااا" عالٍ، تلته كلمات: "ماماااا... باباااا...".

أذعنت للأمر، ودفعت كرسيها إلى الخلف ونهضت. يا للروعة! نزلت إلى الأسفل إلى غرفة ماجا، وفتحت الباب. كانت ابنتها واقفة، وتبكي بغضب.

"لكن ماجا، حبيبتي، يفترض بك أن تنامي".

هزّت ماجا رأسها.

قالت إيريكا بصرامة: "بلى، إنه وقت القيلولة" ووضعت ابنتها في المهد، لكن ماجا انتصبت بسرعة كما لو أنها من المطاط.

"ماماااا". بكت بصوت عالٍ كفيل بكسر الزجاج. أحسّت إيريكا بالغضب يتراكم في صدرها. كم مرّة فعلت ذلك؟ ما هو عدد الأيام التي أمضتها وهي تطعم ماجا وتحملها وتلعب معها، ثم تضعها في المهد لتنعم بقيلولة؟ إنها تحب ابنتها، لكنها تحتاج بشدّة إلى بعض الإجازة من المسؤولية؛ لتكتشف مجدداً ما الذي يعنيه أن يكون المرء ناضجاً ويفعل أموراً ناضجة؛ تماماً مثلما فعل باتريك طوال العام الكامل الذي أمضته في المنزل مع ماجا.

ما إن وضعت ماجا في المهد، حتى عادت الطفلة للوقوف مجدداً بغضب أكبر هذه المرة.

قالت إيريكا: "عليك أن تنامي، الآن" وانسحبت من الغرفة وأغلقت الباب. أحسّت بالغضب يتراكم في صدرها، فرفعت سماعة الهاتف وطلبت رقم الهاتف الخلوي الخاص بباتريك، وضغطت على الأزرار بقوة زائدة. سمعت الرنة الأولى، ثم ذهلت حين أدركت أن الصوت آتٍ من الأسفل. هاتف باتريك موجود على رف المطبخ.

"اللعنة!". أنهت الاتصال، وتلألأت دموع الغضب في عينيها. أخذت نفساً عميقاً بضع مرات متتالية، وأخبرت نفسها أنها ليست نهاية العالم إذا اضطرت للاهتمام بابنتها قليلاً، رغم أن المسألة بدت لها كذلك. أدركت أن كل القصة مرتبطة بحقيقة عدم قدرتها على التخلي عن واجباتها، وعدم قدرتها على الوثوق في باتريك لأداء المهمة التي سلمته إياها.

لكن، لا يسعها فعل أي شيء حيال ذلك. والأهم أنه لا يجدر بها أن تصبّ مشاعرها على ماجا. ففي النهاية، هذه ليست غلطتها. أخذت إيريكا نفساً عميقاً من جديد، وعادت إلى غرفة ابنتها. كانت ماجا تنتحب، وقد أصبح وجهها أحمر ساطعاً. وبدأت رائحة كريهة تنتشر في الغرفة. تم حلّ اللغز. لهذا السبب لا تريد ماجا النوم. أحسّت بالقليل من الشعور بالذنب والكثير من الانزعاج، ورفعت ابنتها

بحنان وواستها، ثم وضعت رأسها الصغير على صدرها. "تعالي، تعالي يا حبيبتي. سوف تغيّر ماما ذلك الحفاض المزعج. تعالي، تعالي شهقت ماجا فيما اقتربت أكثر من أمها. في الأسفل، كان هاتف باتريك الخلوي يرنّ بصوت عالٍ في المطبخ.

"يبدو المكان... مريعاً". كان مارتن لا يزال واقفاً في الردهة الأساسية، يستمع إلى الأصوات المميزة لكل المنازل القديمة؛ بعض الطقطقات، وأصوات احتجاج خفيفة عندما تهبّ الريح.

أومأ غوستا برأسه. ثمة شيء مريع بلا شك في جو هذا المنزل، لكنه اعتقد أن الأمر يعزى إلى معرفتهما بما حصل هنا، وليس لسبب آخر يتعلق بالمنزل نفسه.

"إذاً، قلت إن توربجورن أعطانا الإذن بالدخول، أليس كذلك؟". واستدار مارتن للنظر إلى غوستا.

"نعم، لقد انتهى المحققون القضائيون من هذا المكان". أومأ غوستا برأسه في اتجاه المكتبة، حيث آثار بودرة أخذ البصمات واضحة بشكل جلي. ثمة جزيئات سوداء قاتمة تشوّه صورة غرفة جميلة.

"حسناً إذاً". مسح مارتن حذاءه على ممسحة الأرجل، وتوجّه صوب المكتبة قائلاً: "هل نبدأ من هنا؟".

قال غوستا متنهداً: "لمَ لا؟".

"سأفتش المكتب، فيما تفتش أنت الملفات والمستندات".

"طبعاً". تنهد غوستا مجدداً، لكن مارتن لم ينتبه. غوستا يتنهد دوماً عند طلب مهمة منه.

اقترب مارتن من المكتب الكبير بحذر. إنه قطعة مفروشات عملاقة من الخشب الداكن، ومنحوت بشكل زخرفي، ويبدو كما لو أنه كان في قصر إنكليزي قديم. سطح المكتب مرتب جداً، مع قلم وعلبة من المشابك الورقية، موضوعين بتناسق مثالي. وثمة بقعة دم صغيرة لطخت دفتراً مغطى بالخربشات. انحنى مارتن أكثر فأكثر لقراءة ما هو مكتوب: "الجندي المجهول" مراراً وتكراراً. لا تعني له الكلمات أي شيء. بدأ يسحب بعناية درج مكتب تلو الآخر، ويفتش بدقة في

محتوياتها؛ إلا أن شيئاً لم يلفت انتباهه. الشيء الوحيد الذي يمكن قوله هو أن إيريك وأخاه تشاركا حسبما يبدو مساحة العمل، كما تشاركا أيضاً حب الترتيب والتنظيم.

"ألا يقترب هذا من درجة الهوس؟". رفع غوستا مجلّداً، وأظهر لمارتن المستندات المرتبة داخله بشكل واضح، مع لائحة بالمحتويات دوّن عليها إيريك وأكسيل بالتفصيل ما تتكلم عنه كل ورقة.

"لا تبدو ملفاتي هكذا. أعترف لك". ضحك مارتن.

"لطالما اعتقدت أن هناك مشكلة عند الأشخاص الذين يكونون بمثل هذا الترتيب. للأمر علاقة ربما بالنقص في السيطرة على الذات أو ما شابه".

ابتسم مارتن وقال: "حسناً، هذه نظرية جديدة. هل وجدت شيئاً؟ ما من شيء مهم هنا". وأغلق الدرج الأخير الذي كان يفتش فيه.

"لا، لا شيء بعد. كلها فواتير وإيصالات وأمور مماثلة. هل تستوعب أنهما احتفظا بكل فاتورة كهرباء منذ زمن سحيق، وأنه جرى ترتيبها كلها حسب التواريخ؟!". هزّ غوستا رأسه قائلاً: "خذ، انظر إلى أحد هذه الملفات". ومن رف الكتب خلف المكتب، سحب مجلداً سميكاً وكبيراً بغلاف أسود، وأعطاه لزميله.

أخذه مارتن إلى أحد الكراسي وجلس لقراءته. غوستا محق. بدا كل شيء مرتباً بطريقة منهجية. راجع كل المواد، وكان تواقاً للعثور على أي شيء مهم عندما صادف الحرف S. وأظهرت له لمحة سريعة أن الحرف S يشير إلى Sweden's Friends، أي أصدقاء السويد. شعر بالفضول، وبدأ يقلّب الأوراق التي تبيّن له أنها رسائل. كشفت كل رسالة عن شعار مطبوع في الزاوية العلوية اليمنى يظهر تاجاً وخلفه علم سويدي. تمت كتابة الرسائل كلها من قبل الشخص نفسه: فرانس رينغهولم.

"اسمع،..." وبدأ مارتن يقرأ إحدى الرسائل التي يشير تاريخها إلى أنها واحدة من الرسائل الحديثة:

بالرغم من تاريخنا المشترك، لم يعد بوسعي تجاهل حقيقة عملك ضد أهداف "أصدقاء السويد"، وسيفضي ذلك من دون شك إلى عواقب. لقد بذلت

ما بوسعي إكراماً لصداقتنا القديمة، لكن ثمة قوى فاعلة ضمن المنظمة لا تنظر إلى هذه الأمور بطريقة ودية، وسيأتي وقت أعجز فيه عن توفير الحماية لك...

رفع مارتن حاجبه وقال: "ويبقى الموضوع نفسه". تصفّح بسرعة المزيد من الرسائل الأخرى، ولاحظ أنه توجد أربع رسائل إضافية.

"يبدو أن إيريك فرانكل أغضب مجموعة نازية جديدة. لكن اللافت أن شخصاً معيناً في تلك المنظمة نفسها كان يحميه".

"لكنه فشل في النهاية في أداء مهمته".

"هكذا يبدو. فلنتصفح بقية المستندات، ولنرَ إذا كان بوسعنا العثور على شيء آخر. لكن، لا شك في أننا نحتاج إلى التحدث مع فرانس رينغهولم".

"رينغهولم..." حدّق غوستا مباشرة أمامه، فيما استغرق في التفكير. "أعرف هذا الاسم". ثم قطّب جبينه، فيما بحث دماغه للتوصل إلى رابط، ولكن من دون جدوى. بقي شارداً فيما تصفحا بصمت بقية المجلدات.

بعد ساعة تقريباً، أغلق مارتن المجلد الأخير وقال: "حسناً، لم أعثر على أي شيء مهم. ماذا عنك؟".

هزّ غوستا رأسه مجيباً: "لا شيء. ولا توجد أي إشارات أخرى إلى تلك المجموعة المعروفة باسم أصدقاء السويد".

غادرا المكتبة، وفتشا بقية المنزل. بدا جلياً انبهار إيريك فرانكل بألمانيا والحرب العالمية الثانية، ولكن لم يلفت أي شيء انتباههما. إنه منزل جميل، لكن بدا أن الأخوين تركا المنزل على حاله تقريباً مثلما ورثاه. كان حضور الوالدين ملحوظاً؛ إذ توجد صور لهما بالأسود والأبيض، مع صور أقارب آخرين، معلقة على الجدران أو معروضة في إطارات سميكة على المكاتب والرفوف. أما المفروشات فعتيقة الطراز، وبدأت تكشف عن علامات البلى. بدا المكان بأكمله قديماً جداً. الطبقة الخفيفة من الغبار كانت الشيء الوحيد الذي عكّر صفو الترتيب.

قال مارتن: "أتساءل عمّا إذا كانا ينظفان المنزل بنفسيهما أم يحضران أحداً للتنظيف". فيما مرر إصبعه فوق سطح خزانة الأدراج في إحدى غرف النوم الثلاث

الموجودة في الطابق العلوي.

قال غوستا وهو يفتح خزانة ملابس: "لا أتخيل رجلين في أواخر العقد السابع يتظفان الغبار بنفسيهما. ما رأيك؟ هل هذه غرفة إيريك أم أكسيل؟". نظر إلى صف السترات البنية والقمصان البيضاء المعلقة داخل الخزانة.

قال مارتن: "إيريك". ورفع كتاباً موضوعاً على المنضدة قرب السرير، وحمله لكشف عن الصفحة الأولى حيث كتب اسم بقلم الرصاص: إيريك فرانكل. إنها سيرة ذاتية لألبرت سبير. قرأ مارتن بصوت عالٍ "مهندس هيتلر عن الغلاف الخلفي فيما أعاد الكتاب إلى حيث وجده.

تمتم غوستا: "أمضى عشرين عاماً في سجن سباندو بعد الحرب". فنظر إليه مارتن باستغراب، وسأله:

"كيف تعرف ذلك؟".

"الأخوان فرانكل ليسا المهتمين الوحيدين بالحرب العالمية الثانية. قرأت الكثير عن ذلك على مرّ السنوات، وشاهدت بعض البرامج الوثائقية على قناة "ديسكوفري" وما شابه".

قال مارتن: "حقاً؟!". وبدا متفاجئاً. طوال الأعوام التي عملا فيها معاً، كانت هذه أول مرة يسمع فيها عن اهتمام غوستا بأي شيء غير الغولف.

أمضيا ساعة أخرى في تفتيش المنزل، لكنهما لم يعثرا على أي شيء إضافي. غير أن مارتن كان راضياً عن جهودهما أثناء عودتهما إلى مركز الشرطة. لقد أعطاهما اسم فرانس رينغهولم مادة للمضي قدماً.

لم يكن السوبر ماركت مزدحماً كثيراً، وأخذ باتريك وقته في التجول بين الأروقة. شعر بالارتياح لمغادرته المنزل قليلاً، ولتخصيصه بعض الوقت لنفسه. إنه اليوم الثاني فقط في إجازة الأبوّة. لكن، فيما استمتع جزء منه بفرصة البقاء في المنزل مع ماجا، ثمة جزء آخر واجه صعوبة في التكيف. ليس لأنه لا يملك ما يكفي لفعله خلال اليوم؛ إذ أدرك سريعاً أنه مشغول كثيراً في الاهتمام بابنة السنة الواحدة. إلا أنه شعر بالخجل من الاعتراف بأن المشكلة هي في عدم اعتباره

الأمر... محفزاً جداً. ومن المذهل فعلاً مدى شعوره بالضيق. فهو لا يستطيع حتى دخول الحمام بسلام؛ إذ اعتادت ماجا على الوقوف خارجاً والصراخ: "بابا، بابا، بابا، بابا..." فيما تضرب الباب بقبضتيها الصغيرتين إلى أن يذعن ويسمح لها بالدخول. فتقف هناك، وتحدق إليه بفضول فيما يفعل ما كان يفعله سابقاً بخصوصية أكبر.

أحسّ بالقليل من الشعور بالذنب لأنه جعل إيريكا تهتم بالطفلة فيما خرج للتنزه. لكن ماجا نائمة، وبالتالي يمكنها متابعة العمل. يجدر به ربما الاتصال بالمنزل والتحقق من أن كل شيء على ما يرام. وضع يده في جيبه لإخراج هاتفه الخلوي، ثم أدرك أنه تركه على رف المطبخ. اللعنة! لا مشكلة، فالأمور بخير ربما.

وجد نفسه في قسم أطعمة الأطفال، فبدأ يقرأ: يخنة بقر مع الصلصة القشدية، سمك مع صلصة الشبث... همم... سباغيتي مع اللحم؛ هذه تبدو أفضل. أخذ خمس علب. يجدر به ربما الشروع في تحضير الطعام لماجا في المنزل. رأى أن هذه فكرة رائعة، فأعاد ثلاث علب. يمكنه أن يكون الطاهي العظيم، فيما تجلس ماجا قربه، و...

"دعني أحزر. أنت ترتكب الخطأ النموذجي الكامن في اعتقادك أنه بوسعك إعداد هذه الأطباق بنفسك".

بدا الصوت مألوفاً وإنما خارج مكانه. نظر باتريك حوله.

"كارين؟ مرحباً! ماذا تفعلين هنا؟" لم يتوقع باتريك مصادفة زوجته السابقة في سوبرماركت كونسوم في فجالباكا. فهما لم يريا بعضهما منذ أن غادرت منزلهما في تانومشيد وانتقلت للعيش مع الرجل الذي كانت معه في السرير حين رآهما باتريك معاً. عادت صورة المشهد إلى عقله، لكنها اختفت بسرعة. حصل ذلك قبل زمن بعيد جداً؛ إنه شيء حصل ولا يمكن تغييره، إذا صحّ القول.

"اشترينا أنا وليف منزلاً هنا في فجالباكا؛ في منطقة باسكيت".

قال باتريك: "أوه، حقاً!؟". وحاول ألا يبدو متفاجئاً.

"نعم، أردنا أن نصبح بالقرب من أهل ليف الآن بعدما أنجبنا لود". أشارت إلى عربة التسوق الصغيرة خاصتها، فلمح باتريك حينها الصبي الصغير جالساً هناك، يبتسم من الأذن إلى الأذن.

قال باتريك: "يا له من توقيت! فقد أنجبت فتاة صغيرة، بالعمر نفسه تقريباً. اسمها ماجا".

قالت كارين ضاحكة: "سمعت أخباراً عن هذا الموضوع. تزوجت من إيريكا فالك، أليس كذلك؟ أخبرها أنني أحبها كثيراً".

قال باتريك وهو يلوّح للصغير لود: "سأفعل

ثم سأل كارين: "لكن، ماذا تفعلين الآن؟ فحسبما سمعت، أنت تعملين مع شركة محاسبة".

"أوه، كان هذا قبل زمن بعيد. غادرت قبل ثلاثة أعوام. في الوقت الحاضر، أنا في إجازة أمومة من شركة استشارية توفر خدمات مالية".

قال باتريك مع بعض الفخر: "حقاً؟! في الواقع، إنه يومي الثاني في إجازة الأبوّة".

"يا للروعة ! لكن، أين...؟" نظرت كارين خلفه، فابتسم بشيء من الخجل.

"إيريكا تهتم بها في الوقت الحاضر. فقد اضطررت للخروج لإنجاز بعض الأمور

"أوه. حسناً، أنا معتادة على هذه الظاهرة". وغمزته ثم تابعت: "إذ إن افتقاد الرجل إلى القدرة على إنجاز مهام عدة حسبما يبدو مشكلة عالمية".

قال باتريك محرجاً: "أفترض ذلك".

"لكن، لمَ لا نخرج معاً مع ولدينا في وقت ما؟ فسينشغلان باللهو معاً، وسيتاح لنا أنا وأنت فرصة التكلم مع بعضنا. وهذه ميزة!". وبرمت عينيها، ووجهت إلى باتريك نظرة استفسار.

"طبعاً، سيكون ذلك رائعاً. أين ومتى؟".

"أتنزه عادة مع لود كل صباح قرابة الساعة العاشرة، ويمكنك الانضمام إلينا. نستطيع أن نلتقي خارج الصيدلية، قرابة العاشرة والربع. ما رأيك؟".

"يبدو هذا جيداً. بالمناسبة، هل تعرفين كم الساعة الآن؟ تركت هاتفي الخلوي في المنزل، وأنا أستعمله بمثابة ساعة أيضاً"

ألقت كارين نظرة على ساعتها ثم أجابت: "إنها الثانية والربع".

"اللعنـة. كان يجـدر بـي العـودة إلـى المنـزل قبـل سـاعتين". وأسـرع صوب الصندوق، دافعاً العربة أمامه. "أراك غداً".

صرخت كارين: "عند العاشرة والربع، خارج الصيدلية. ولا تصل بعد خمس عشرة دقيقة مثلما كنت تفعل

أجابهـا باتريـك: "لـن أفعل وفيما بدأ يضع أغراضه على الحزام الدوار، أمل فعلاً في أن تكون ماجا نائمة حتى الآن.

ثمة طبقة سميكة من الضباب الصباحي خارج النافذة فيما بدأت الطائرة تهبط صـوب غوتبـورغ. هـدر محرّك الهبوط بقوة، فاتكأ أكسـيل على مقعده إلى الخلف وأغمـض عينيـه. هـذا خطـأ. ظهـرت الصـور مجـدداً، مثلما فعلت مـرات عدة في الماضي. فتح عينيه منهكاً، فهو لم ينم كثيراً في الليلة الماضية، واستلقى مستيقظاً في شقته الباريسية، وهو يتقلب في سريره مراراً وتكراراً.

المـرأة التـي اتصلـت بـه عبر الهاتـف أخبرته بما حصل لإيريـك بنبرة صوت متعاطفة وبعيدة في الوقت نفسـه. وعرف من طريقتها في إبلاغه أنها ليسـت المرة الأولى التي تفعل فيها ذلك.

تزاحمـت الأفـكار فـي رأسـه فيما فكـر في عدد المرات التـي جرى فيها نقل مثل هذا الخبر على مرّ التاريخ. محادثات مع الشرطة، رجل دين واقف عند عتبة الباب، مغلف عليه ختم عسـكري. كل أولئك الملايين والملايين من الأشـخاص الذين ماتوا. وفي كل مرة، توجّب على أحدهم نقل الخبر.

شدّ أكسيل شحمة أذنه. أصبح الأمر عادة غير إرادية لديه على مرّ السنوات. إنه أصمّ تقريباً في أذنه اليسـرى، ويبدو أن لمسـها يهدئ ذلك الصوت الهادر فيها باستمرار.

نقل نظره إلى خارج النافذة، لكنه لم يرَ سوى صورته المنعكسة على الزجاج؛ الوجه الشاحب والمجعد لرجل في العقد الثامن، مع عينين حزينتين. لمس وجهه، وتخيل لهنيهة أنه ينظر إلى إيريك.

لامست عجلات الطائرة الأرض بصوت مكتوم. لقد وصل.

خشي من حصول حادث آخر في مكتبه. لذا، أنزل ميلبرغ رباط الكلب الذي عنقه على حائط، وثبته بطوق إرنست.

ثم قال بصوت هادر: "هيا، فلننتهِ من هذه المسألة". فقفز إرنست بمرح صوب الباب الأمامي، متحركاً بسرعة أجبرت برتيل على الركض خلفه.

قالت آنيكا بسرور حين مرّا أمامها: "يفترض أنك أنت من ينزّه الكلب، وليس العكس".

أجاب ميلبرغ: "سأكون فرحاً كثيراً لو أخرجته بنفسك". لكنه تابع طريقه صوب الباب.

كلب أحمق. آلمته ذراعاه من جراء محاولاته لكبح الكلب. لكن، ذات مرة، رفع إرنست قائمته فوق أجمة صغيرة، فاختفى الإحساس الملحّ لديه، واستطاعا متابعة نزهتهما بوتيرة أبطأ. وجد ميلبرغ نفسه يصفر. ليس الأمر سيئاً جداً في النهاية، قال لنفسه. فقد يفيده بعض الهواء المنعش والقليل من التمارين. واستمتع إرنست بشمّ الطريق المكسوة بالأشجار التي يتنزهان فيها، بأكبر هدوء ممكن. تماماً مثل الإنسان، أدرك إرنست متى يسيطر صاحب يد صارمة. لا يفترض أن تكون هناك أية مشكلة في تدريب الكلب كما يجب.

في تلك اللحظة، توقف إرنست، ومدّ أذنيه إلى الأمام، وتوترت كل عضلة في جسمه القوي. ثم انفجر في الحركة.

"إرنست؟ ما الأ...؟". فجأة، بدأ ميلبرغ يركض بسرعة كبيرة لدرجة أنه كاد يقع على وجهه، لكنه نجح في الثانية الأخيرة في تثبيت قدميه والتشبث بالكلب المنطلق بأقصى سرعته.

"إرنست! إرنست! توقف! توقف الآن!". كان ميلبرغ يتنفس بسرعة نتيجة الجهد الجسدي غير الاعتيادي، مما صعّب عليه الصراخ. إلا أن الكلب تجاهل أوامره. وعندما وصلا إلى منعطف، رأى ميلبرع ما الذي سرّع نزهتهما. فقد رمى إرنست نفسه على كلب كبير فاتح اللون بدا من جنس مماثل له، وبدأ الكلبان يدوران حول بعضهما، فيما أمسك صاحباهما بالحبلين.

"سينيوريتا! أوقفي هذا! اجلسي!". تحدثت المرأة القصيرة صاحبة الشعر

الداكن بنبرة قاسية، فأطاعتها كلبتها وابتعدت عن إرنست الذي استمر في تجاهل اعتراضات ميلبرغ. "كلبة سيئة، سينيوريتا! لا يجدر بك التصرف هكذا". بدت سينيوريتا مرتبكة، ونظرت إلى صاحبتها من تحت فروها الأشعث.

تمتم ميلبرغ: "أنا... أنا... أعتذر وشدّ الحبل ليمنع إرنست من الانقضاض على الكلبة؛ كما يدلّ على ذلك اسمها.

"يبدو جلياً أنك لا تملك سلطة على كلبك". ونجحت نبرة صوتها الحادة في لجم رغبته في لفت الانتباه. إنها تملك لكنة خفيفة، بالإضافة إلى عينين داكنتين ولامعتين، مما ترك لديه الانطباع بأنها على الأرجح من بلد جنوبي.

"حسناً، في الحقيقة، هذا ليس كلبي. أنا فقط أعتني به إلى أن...". سمع ميلبرغ نفسه يتمتم مثل مراهق. فتنحنح، وحاول أن يبدو أكثر سلطة. "لست معتاداً على الكلاب. وهو ليس كلبي على أية حال".

"يبدو أنه يملك رأياً مختلفاً في ما يتعلق بهذه المسألة". وأشارت إلى إرنست الذي اقترب كثيراً من ساق ميلبرغ، ونظر إليه بعينين عاشقتين.

قال ميلبرغ محرجاً: "أوه، حسناً..."

"هل نتابع التنزه مع كلبينا معاً؟ اسمي ريتا". مدّت يدها لتصافحه، وبعد تردد بسيط، صافحها.

"اقتنيت الكلاب طوال حياتي، وأنا واثقة من أنني أستطيع منحك بعض النصائح. بالإضافة إلى ذلك، يسرّني كثيراً التنزه مع شخص آخر لم تنتظر جوابه قبل أن تنطلق. ومن دون أن يعرف ما يحصل، وجد ميلبرغ نفسه يمشي معها، كما لو أن قدميه تسيران بمفردهما. ولم يعارض إرنست مطلقاً، بل مشى قرب سينيوريتا، ولوّح بذيله بحيوية.

فجالباكا 1943

"إيريك؟ فرانس؟". دخلت بريتا وإلسي المنزل بحذر. فقد طرقتا على الباب لكنهما لم تلقيا أي جواب. نظرتا حولهما بعصبية. لن يسرّ الطبيب وزوجته ربما لدى معرفتهما بقدوم فتاتين لزيارة ابنيهما أثناء غيابهما. إنهم يلتقون عادة في فجالباكا. ولكن، بمبادرة جريئة، اقترح إيريك أن تأتي الفتاتان إلى المنزل لأن والديه سيغيبان طوال اليوم.

"إيريك؟". نادت إلسي بصوت أعلى قليلاً، ثم قفزت عندما سمعت أحدهم يقول "ششش من الغرفة الموجودة مباشرة أمامهما. وظهر إيريك عند الباب ولوّح لهما للدخول.

"أكسيل نائم في الأعلى. لقد عاد هذا الصباح".

قالت بريتا متنهدة: "أوه، إنه شجاع جداً". لكن وجهها أشرق عندما رأت فرانس.

"مرحباً!".

""مرحباً" قال فرانس، لكنه كان ينظر خلفها. "مرحباً إلسي

أجابت إلسي: "مرحباً فرانس لكنها توجّهت مباشرة إلى رفوف الكتب.

"يا إلهي! كم لديك من الكتب!". ومررت أصابعها فوق المجلدات.

قال إيريك بحماسة: "يمكنك استعارة بعضها إذا شئت". ثم أضاف: "شرط أن تعتني بها. فأبي حريص جداً على كتبه"

أجابت إلسي بسعادة: "طبعاً". والتهمت رفوف الكتب بعينيها؛ فهي تحب القراءة. لم يبعد فرانس عينيه عنها لحظة واحدة.

قالت بريتا: "الكتب مضيعة للوقت. من الأفضل أن يختبر المرء الأمور بنفسه بدلاً من القراءة عن تجارب الأشخاص الآخرين. هل توافقني الرأي فرانس؟".

وجلست على الكرسي قربه، وأمالت رأسها للنظر إلى عينيه.

قال بصوت أجش من دون أن ينظر إليها: "لا حاجة إلى أن يلغي الخيار الأول الخيار الثاني كان لا يزال يحدق إلى إلسي. عندها، بدا العبوس على وجه بريتا، وقفزت عن الكرسي، وقامت ببعض الخطوات الراقصة وسألت:

"هل سيذهب أي منكم للرقص يوم السبت؟"

قالت إلسي بصوت منخفض: "لا أعتقد أن أمي وأبي سيسمحان لي بالذهاب". وبقيت غارقة في الكتب.

قالت بريتا وهي تؤدي بعض خطوات الرقص الإضافية: "من سيكون هناك برأيكم؟". وحاولت جرّ فرانس صوبها، لكنه قاومها ونجح في البقاء جالساً على كرسيه.

"توقفي عن هذا الغباء". كانت نبرة صوته فظة، لكنه لم يستطع بعد ذلك منع نفسه من الضحك. "بريتا، أنت مجنونة، هل تعرفين ذلك؟".

"ألا تحب الفتيات المجنونات؟ إذا كان الجواب لا، فأستطيع أن أكون جدية أيضاً". وجعلت تعابير وجهها صارمة. "أو سعيدة". وضحكت بصوت عالٍ جداً لدرجة أن الصدى تردد بين الجدران.

فقال إيريك وهو ينظر إلى السقف: "ششش

همست بريتا بطريقة مثيرة: "أو أستطيع أن أكون هادئة جداً". فضحك فرانس مجدداً، وشدها إلى حضنه.

"تكفيني صفة المجنونة".

قاطعهم صوت صادر من عند الباب.

"يا للفوضى التي تحدثونها!". هناك، وقف أكسيل متكئاً على إطار الباب، ومبتسماً ابتسامة متعبة.

"عفواً، لم نقصد إيقاظك". كان صوت إيريك ممزوجاً بالخوف الذي يشعر به تجاه أخيه، لكنه بدا أيضاً قلقاً.

"لا يهم يا إيريك. أستطيع أخذ قيلولة لاحقاً" وشبك أكسيل ذراعيه وقال: "إذاً، يبدو أنك تستفيد من خروج والدينا لزيارة أكسلسونز وتستقبل الجميلات".

تمتم إيريك: "أوه، لا أعرف كيف أسمي ذلك"

وضحك فرانس فيما بريتا لا تزال على حضنه، ثم قال: "هل ترى الجميلات في أي مكان؟ لا أرى أية جميلة هنا. توجد فقط فتاتان صغيرتان".

"اخرس، لمَ لا تخرس!". وضربت بريتا فرانس على صدره. لم تكن مسرورة مما قاله.

"وإلسي منهمكة جداً في النظر إلى الكتب؛ حيث إنها لم تلقِ التحية".

فاستدارت إلسي محرجة، وقالت: "أنا آسفة. مرحباً أكسيل

"كنت فقط أمازحك. عودي إلى الكتب. هل أخبرك إيريك أنك تستطيعين استعارة بعضها إذا شئت؟".

"نعم، لقد فعل وبقيت متوردة الخدّين، وأعادت انتباهها بسرعة إلى رفوف الكتب.

"كيف جرت الأمور البارحة؟". نظر إيريك إلى أخيه كما لو أنه تواق لسماع كل كلمة.

إلا أن تعبير أكسيل المرح تبدّل دفعة واحدة، وقال باقتضاب: "بخير. جرت الأمور بخير ثم استدار في مكانه وقال: "سأعود للاستلقاء مجدداً لبعض الوقت. أرجوكم، أبقوا ضجيجكم منخفضاً قدر الإمكان، اتفقنا؟"

راقب إيريك أخاه وهو يغادر. وبالإضافة إلى الخوف والفخر اللذين شعر بهما، أحسّ أيضاً بالقليل من الغيرة.

لكن فرانس لم يشعر بأي شيء سوى الإعجاب. "أخوك شجاع جداً... أتمنى لو أنني أستطيع المساعدة أيضاً. لو كنت فقط أكبر ببضعة أعوام"

سألت بريتا: "وما الذي كنت ستفعله حينها؟". وكانت لا تزال عابسة لأنه سخر منها أمام أكسيل. "أنت لا تجرؤ أبداً. ماذا سيقول والدك؟ حسبما سمعت، إنه يفضل مساعدة الألمان عوضاً عن ذلك".

"اسكتي قال فرانس بغضب، وأبعد بريتا عن حضنه. "يقول الناس أشياء كثيرة. لم أكن أظن أنك تصغين إلى مثل هذه التفاهات"

إيريك الذي أدّى دوماً دور الوسيط في المجموعة وقف فجأة وقال: "نستطيع

الاستماع إلى تسجيلات أبي لبعض الوقت إذا أردتم. فهو يملك أسطوانة لكاونت بازي".

وأسرع صوب الفونوغراف لوضع الأسطوانة. إنه لا يحب تجادل الأشخاص؛ لا يحب ذلك أبداً.

* * *

لطالما أحبت المطارات؛ أحبت هبوط الطائرات وإقلاعها، ورؤية المسافرين وعيونهم المليئة بالحماسة فيما هم ينطلقون في عطلة أو رحلة عمل، وكل القادمين والمسافرين، مع أشخاص يلتقون مجدداً أو يودعون الآخرين. إنها تذكر مطاراً يرجع إلى زمن بعيد جداً. تذكر زحمة الناس، والروائح، والألوان، وطنين الأصوات. تذكر التوتر الذي أحست به أكثر مما رأته على وجه أمها، وطريقة إمساكها يد باولا بقبضة محكمة. كما تذكر الحقيبة التي وضبتها وأعادت توضيبها، ثم وضبتها مجدداً. لا بد أن يكون كل شيء على ما يرام؛ لأن هذه الرحلة من دون عودة. تذكرت أيضاً الحرارة، ومن ثم البرد عندما وصلوا. لم تصدق مطلقاً أن الطقس يمكن أن يكون بارداً هكذا. وتذكرت أن المطار الذي هبطوا فيه كان مختلفاً، وأكثر هدوءاً، مع طلاء رمادي بارد. لا أحد يتحدث بصوت عالٍ، ولا أحد يلوّح بيديه. بدا الجميع محبوسين في فقاعاتهم الصغيرة الخاصة. ولم ينظر أحد إليهم بشكل مباشر. تم ختم مستنداتهم ثم ذهبوا في طريقهم بناء على تعليمات صوت غريب تكلم بلغة غريبة. وأبقت أمها قبضتها محكمة على يدها طوال الوقت.

"هل هذا هو؟". وأشار مارتن إلى رجل في العقد الثامن من عمره خرج للتو من منطقة مراقبة جوازات السفر. كان طويلاً، وأشيب الشعر، وقد ارتدى معطفاً واقياً من المطر باللون البيج. إنه أنيق جداً، فكرت باولا في سرها على الفور.

"فلنرَ". ومشت في المقدمة. "أكسيل فرانكل؟"

أومأ الرجل برأسه. "هل أنت من الشرطة؟ اعتقدت أنه يجدر بي الذهاب لرؤيتكم في مركز الشرطة". وبدا متعباً.

"فكرنا في أن نأتي للقائك". وجّه إليه مارتن إيماءة ودودة، وعرّف عن نفسه وعن زميلته.

"فهمت. حسناً، في هذه الحالة، أشكركما على إيصالي. فأنا أضطر في العادة إلى استعمال وسائل النقل العامة، ولذلك سيكون الأمر مترفاً هذه المرة".

"هل تملك حقيبة؟". نظرت باولا إلى حزام الحقائب.

"لا، لا. هـذا كل مـا أحضرتـه". وأشـار إلى الحقيبـة الصغيرة التي كان يجرّها خلفه. "فأنا أسافر خفيفاً دوماً".

قالت باولا ضاحكة: "إنه فنّ لم أبرع فيه يوماً". اختفى التعب الذي كان على وجه الرجل حين ضحك أيضاً.

تحدثوا عن الطقس إلى أن وصلوا إلى السيارة، وقاد مارتن صوب فجالباكا.

"هل... عرفتم أي شيء جديد؟" ارتجف صوت أكسيل، فاضطر للتوقف عن الكلام ليتماسك مجدداً.

باولا التي كانت جالسـة قربه على المقعد الخلفي هزّت رأسـها. "لا، لسـوء الحـظ. نأمـل فـي أن تتمكـن من مسـاعدتنا. نريد أن نعرف مثلاً مـا إذا كان أخوك يملك أي أعداء. هل من شخص أراد إيذاءه؟".

هزّ أكسـيل رأسـه. "لا، لا، ليس تماماً. كان أخي رجلاً مسـالماً وهادئاً، و... لا، من الحماقة الظن أن أحداً ما يريد إيذاء إيريك".

"ماذا تعرف عن انخراطه في مجموعة اسـمها أصدقاء السـويد؟". وجّه مارتن السؤال من مكانه في كرسي السائق، ونظر إلى عينَي أكسيل عبر مرآة الرؤية الخلفية.

"إذاً، لقد عثرتم على مراسلات إيريك مع فرانس رينغهولم". فرك أكسيل جسر أنفه قبل أن يقول أي شيء آخر، فانتظر مارتن وباولا بصبر.

"إنها قصة معقدة بدأت قبل زمن بعيد جداً".

قالـت بـاولا: "نملـك الكثير من الوقت". وأوضحت له أنها تتوقع منه الإجابة عن السؤال.

"فرانس صديق لي ولإيريك منذ أيام الطفولة. وقد عرفنا بعضنا طوال حياتنا. لكن... كيف أشرح الأمر؟ نحن اخترنا مساراً، فيما اختار فرانس مساراً آخر

"هل فرانس متطرف؟". ونظر مارتن مجدداً إلى عينَي أكسيل عبر المرآة.

فأومأ أكسيل برأسه قائلاً: "نعم، لا أعرف فعلاً بأية طريقة أو لأية درجة. لكنه

اختلط مع تلك المجموعات طوال حياته الراشدة. لا، بل لقد ساعد على تأسيس تلك المجموعة المعروفة باسم "أصدقاء السويد". لقد استلهم ربما العديد من أفكاره من منزله. لكنني حين كنت أعرفه سابقاً، لم يكشف مطلقاً عن مثل ذلك التعاطف. غير أن الأشخاص يتغيرون" وهزّ أكسيل رأسه.

"لماذا تشعر مثل هذه المنظمة بأنها مهددة من قبل إيريك؟ فحسبما فهمت، لم يكن نشطاً جداً، بل كان مؤرخاً متخصصاً في الحرب العالمية الثانية، أليس كذلك؟".

تنهد أكسيل، ثم أجاب: "ليس من السهل أن يبقى المرء حيادياً. إذ لا يمكنك إجراء أبحاث حول النازية والبقاء غير مهتم بالسياسة في الوقت نفسه؛ أو على الأقل هذا ما يُعتقد. على سبيل المثال، تقول العديد من المنظمات النازية الجديدة إن مخيمات التمركز موجودة، وكل المحاولات التي جرت لوصف المخيمات والتحقيق بما حصل تعتبر بمثابة تهديدات أو هجوماً على مجموعتها. مثلما قلت، الأمر معقد".

"وماذا عن انخراطك الشخصي في المسألة؟ هل تلقيت يوماً أي تهديدات؟".

تأملته باولا عن كثب.

"طبعاً. بدرجة أكبر من إيريك. إذ إن مهمتي في الحياة تمثلت في العمل مع مركز سيمون ويزانتال".

سأل مارتن: "وما الذي يفعله هذا المركز بالضبط؟".

شرحت باولا: "تتعقب المنظمة كل النازيين الذين هربوا واختبأوا، وتحرص على تقديمهم للعدالة".

أومأ أكسيل برأسه وأجاب مؤكداً: "هذا صحيح، بالإضافة إلى العديد من الأمور الأخرى. نعم، لقد تلقيت تهديدات أيضاً"

سأل مارتن: "هل ما زلت تحتفظ بأي من تلك الرسائل؟"

"إنها موجودة في المركز. فالأشخاص الذين يعملون مع المركز يرسلون كل الرسائل التي يتلقونها كي يتم حفظها في الأرشيف. وإذا اتصلت بهم، فسوف يسمحون لك بالإطلاع على كل شيء". وأعطى باولا بطاقته، فوضعتها في جيب سترتها.

"وأصدقاء السويد، هل تلقيت أي تهديدات منهم؟"

"لا... لا أظن ذلك. لا أذكر. لكن، مثلما قلت، يجدر بكم التحقق من المركز. إنهم يملكون كل شيء"

استفسر مارتن: "فرانس رينغهولم. أين مكانه في الصورة؟ قلت إنه صديق الطفولة".

"لأكون أكثر دقة، كان صديق إيريك. كنت أكبر منه ببضع سنوات، ولذلك لم نكن نملك المجموعة نفسها من الأصدقاء"

"لكن إيريك عرف فرانس جيداً، أليس كذلك؟". تأملت عينا باولا البنيتان أكسيل عن كثب.

"نعم، لكن هذا حصل قبل زمن بعيد جداً. نحن نعود ستين عاماً إلى الوراء". وبدا أكسيل غير مرتاح جداً لموضوع المحادثة، واستمر في تبديل موقعه على المقعد الخلفي. "حتى من دون خرَف، تصبح الذكريات القديمة مشوشة قليلاً". وابتسم بحزن فيما نقر على رأسه.

"لكن، حصل تواصل حديث بينهما؛ وذلك وفقاً للرسائل التي وجدناها. فقد كان فرانس على تواصل مع أخيك بشكل متكرر، على الأقل حسب الرسائل"

مرر أكسيل يده في شعره دليل إحباط. "لقد عشت حياتي، فيما عاش أخي حياته. وقبل ثلاثة أعوام فقط، استقررنا كلانا في فجالباكا بصورة دائمة. حسناً، بصورة شبه دائمة بالنسبة إليّ. فقد امتلك إيريك شقة في غوتبورغ طوال الأعوام التي عمل فيها هناك، فيما أمضيت وقتي نوعاً ما في السفر حول العالم. لطالما كان المنزل هنا بمثابة قاعدة لنا. وإذا سألني أي كان أين أعيش، فأنا أقول له في فجالباكا. لكنني في فصل الصيف أسافر دوماً إلى شقتي في باريس. فأنا لا أستطيع تحمل الضجيج والازدحام الناجمين عن السياح. نعيش أنا وأخي في أغلب الأحيان حياة هادئة ومعزولة. وعاملة التنظيف هي الشخص الوحيد الذي يزورنا. فنحن نفضل... أو بالأحرى فضلنا الأمور على هذا النحو". واختنق صوت أكسيل.

نظرت باولا إلى مارتن، فهزّ رأسه قليلاً قبل أن يعيد نظره إلى الطريق. لم يستطع أي منهما التفكير في أي شيء آخر لسؤاله عنه. وأمضوا بقية الطريق إلى

فجالباكا وهم يتحدثون عن أمور تافهة. بدا أكسيل وكأنه على وشك الانهيار في أية لحظة، وبدا مرتاحاً بشكل ملحوظ عندما وصلوا أخيراً إلى أمام منزله.

سألت باولا: "هل لديك أية مشكلة في البقاء هنا الآن؟".

وقف أكسيل صامتاً هنيهة، وثبّت عينيه على المنزل الأبيض الكبير، فيما حقيبته في يده، ثم قال أخيراً:

"لا. هذا منزلي ومنزل إيريك، ونحن نتمي إلى هنا. كلانا". ثم ابتسم بحزن، وصافحهما قبل أن يتوجه إلى الباب الأمامي. بدا لباولا التي كانت تحدق إليه أنه ينضح وحدة.

"إذاً، هل غضبت منك زوجتك كثيراً عندما عدت إلى المنزل البارحة؟". وضحكت كارين فيما دفعت لود في عربته. كانت تمشي بسرعة كبيرة، وبذل باتريك جهداً للحاق بها.

"يمكنك قول هذا". وجفل لدى تذكره الاستقبال الذي حظي به عند عودته إلى المنزل. فإيريكا لم تكن في مزاج جيد، ويستطيع فهم السبب نوعاً ما؛ إذ يفترض به تحمل مسؤولية ماجا خلال النهار كي تتمكن إيريكا من العمل. لكنه في الوقت نفسه يشعر أنها قد بالغت في ردة فعلها. فهو لم يخرج للقيام برحلة استكشاف مرحة، وإنما كان منهمكاً في شراء بعض الأغراض للمنزل. وكيف له أن يعرف أن ماجا لن تكمل قيلولتها مثلما تفعل عادة؟ بدا الأمر غير عادل نوعاً ما؛ إذ أمضى بقية اليوم في غرفة الجلوس. لكن الشيء الجيد في إيريكا هو أنها لا تحقد أبداً لفترة طويلة. فقد قبّلته هذا الصباح كالمعتاد، وبدا له أنها نسيت أحداث البارحة. إلا أنه لم يجرؤ على إخبارها بأنه ستكون لديه رفيقة في نزهته اليوم. لا شك في أنه ينوي إخبارها في النهاية، لكنه أجّل المسألة في الوقت الحاضر. فرغم أن إيريكا ليست شخصاً غيوراً عادة، إلا أن تنزهه مع زوجته السابقة ليس موضوعاً يرغب باتريك في التطرق إليه حالياً. وكما لو أن كارين استطاعت قراءة أفكاره، قالت له:

"هل وافقت إيريكا على فكرة قضائنا بعض الوقت معاً؟ مضت أعوام عدة على طلاقنا، لكن بعض الأشخاص... حساسون"

قال باتريك وهو غير راغب في الاعتراف بجبنه: "طبعاً، لا مشكلة في الأمر. لا بأس. إيريكا لا تعارض أبداً".

"هذا رائع. أقصد أنه من الجميل امتلاك رفقة، ولكن ليس إذا كان هذا الأمر يسبب المشاكل في المنزل".

سأل باتريك راغباً في تغيير الموضوع: "ماذا عن ليف؟". وانحنى فوق العربة الصغيرة لتصحيح وضعية قبعة ابنته التي كانت جالسة في وضعية منحرفة. لم تكن ماجا منتبهة إلى ما يفعله على الإطلاق؛ لأنها مشغولة بالتواصل مع لود الموجود في العربة الصغيرة قرب عربتها.

صرخت كارين: "ليف؟! يمكن القول إنها أعجوبة أصلاً في أن يعرف لود من هو ليف. فهو دائماً على الطريق".

أومأ باتريك برأسه دليل تعاطف. إذ إن زوج كارين الجديد مغنٍ مع فرقة راقصة اسمها ليفيس. وفهم الآن كم يصعب عليها ذلك.

"أتمنى ألا تكون هناك مشاكل جدية بينكما".

أجابت كارين ضاحكة: "لا. فنحن نادراً ما نرى بعضنا لتنشأ بيننا المشاكل". لكن الضحكة بدت مريرة وكاذبة، وأحسّ باتريك أنها لا تقول له الحقيقة كاملة، فلم يعرف بماذا يجيبها. من الغريب فعلاً مناقشة المشاكل في العلاقات الزوجية مع زوجته السابقة. لحسن الحظ، أنقذه رنين هاتفه الخلوي.

"باتريك هيدستورم".

"مرحبا. أنا بيدرسن. أتصل بك لأطلعك على نتائج تشريح جثة إيريك فرانكل. أرسلنا التقرير عبر الفاكس كالمعتاد، لكنني فكرت في أنك ترغب في سماع النقاط الأساسية عبر الهاتف"

قال باتريك بتردد: "نعم، طبعاً". وألقى نظرة سريعة على كارين التي أبطأت وتيرتها بانتظاره. "لكن المشكلة هي أنني في إجازة أبوّة في الوقت الحاضر

"حقاً؟ مبروك! أوه، ينتظرك وقت رائع. بقيت في المنزل لمدة ستة أشهر مع ولديّ، وكانت تلك أفضل أشهر في حياتي

أحسّ باتريك أن فكه قد انخفض إلى الأسفل نتيجة الذهول. فهو لا يستطيع

أن يصدق أبداً مثل هذا الأمر من المراقب الطبي المتحفظ والبارد نوعاً ما، وإنما الكفؤ جداً، في مختبر الطب الشرعي. فجأة، تخيل بيدرسن الذي يرتدي معطفه الأبيض جالساً على علبة، وهو يبني قصور الرمل المثالية ببطء وعناية ودقة بالغة. لم يستطع باتريك منع نفسه من الضحك، مما أفضى إلى جواب فظ؛ "ما المضحك؟".

"لا شيء". قال باتريك، فيما أشار إلى كارين التي بدت متفاجئة بأنه سيشرح لها الأمر لاحقاً. ثم تابع بصوت جدي: "هلّا تعطيني من فضلك خلاصة وجيزة. ذهبت إلى مسرح الجريمة أول من أمس، وأودّ البقاء على اطلاع بما يجري".

قال بيدرسن وهو لا يزال يبدو مستاء: "طبعاً. الأمر واضح تماماً. تلقى إيريك فرانكل ضربة على الرأس بواسطة شيء ثقيل؛ شيء مصنوع من الحجر ربما، لأنه تم العثور على أجزاء صغيرة جداً من الحجارة في الجرح، مما يشير إلى أن الوسيلة المستخدمة كانت حجرية. ولقد توفي على الفور؛ لأن الضربة أصابته فوق صدغه الأيسر، وسببت نزيفاً كبيراً في الدماغ".

"هل لديك فكرة عن الجهة التي جاءت منها الضربة؟ هل كانت من الخلف أو من الأمام؟".

"برأيي، كان المعتدي واقفاً مباشرة أمام الضحية. وثمة احتمال كبير بأن يكون المعتدي أيمن. فمن البديهي أكثر لشخص أيمن أن يضرب من جهة اليمين. إذ من الصعب جداً أن يقوم شخص أيسر بذلك".

"والشيء الذي تم استعماله، هل لديك أية فكرة عما يمكن أن يكون؟". ولاحظ باتريك التوق الجلي البادي في صوته.

"تعود إليكم أنتم مهمة تحديد ذلك. إنه شيء ثقيل ومصنوع من الحجر. لكن لا يبدو أن جمجمة الضحية قد تعرضت لأية حافة حادة، بل يبدو الجرح أشبه بكدمة".

"حسناً، لكن هذا يعطينا على الأقل شيئاً لننطلق منه".

قال بيدرسن بنبرة ساخرة قليلاً: "ننطلق! ألم تقل إنك في إجازة أبوّة؟".

قال باتريك: "أوه، نعم". وصمت لثانية قبل أن يتابع: "حسناً، أفترض أنك ستتصل بمركز الشرطة وستعطيهم كل المعلومات".

قال بيدرسن مسروراً: "أعتقد أنه من الأفضل فعل ذلك؛ نظراً للظروف الراهنة. هل يجدر بي مواجهة الأمر مباشرة والاتصال بميلبرغ؟ أم إنك تملك اقتراحاً آخر؟"

قال باتريك بطريقة فطرية: "مارتن". وقهقه بيدرسن قبل أن يجيب: "قررت أصلاً فعل ذلك. لكن، شكراً على النصيحة على أية حال. إلا أنني متفاجئ بك؛ ألا تريد أن تسألني متى مات فرانكل؟".

"أوه، صحيح. متى مات؟". استعاد صوت باتريك النبرة التواقة، وألقى نظرة أخرى على كارين.

"يستحيل تحديد الوقت بالضبط؛ فقد بقيت جثته هناك في الحرّ لوقت طويل جداً. لكن تقديري هو أنه توفي قبل شهرين أو ثلاثة أشهر؛ أي في يونيو أو يوليو

"ألا يمكنك التحديد أكثر من ذلك؟". وعرف باتريك الجواب عن سؤاله قبل أن يطرحه.

"لسنا سحرة هنا، ولا نملك كرات كريستالية. شهر يونيو. إنه أفضل جواب يمكنك الحصول عليه في هذه الحالة. أستند جزئياً إلى نوع الذبابات التي تم العثور عليها، وجزئياً إلى عدد أجيال الذبابات واليرقات الموجودة. إذا أخذنا كل ذلك في الاعتبار، بالإضافة إلى تحلل الجثة، فبإمكاني القول إنه توفي على الأرجح في شهر يونيو. لكن، يعود لكم أنتم أن تحددوا تاريخ الوفاة بدقة أكبر، أو بالأحرى يعود ذلك إلى زملائك". وضحك بيدرسن.

لا يذكر باتريك أنه سمعه يضحك من قبل. إلا أن هذا حصل مرات عدة خلال هذه المحادثة الهاتفية؛ على حساب باتريك. لكن هذا ما يحتاج إليه بيدرسن ربما ليضحك. وجّه إليه باتريك كلمات الشكر الاعتيادية ثم أنهى الاتصال.

استفسرت كارين: "عمل؟".

"نعم. ثمة تحقيق نجريه في الوقت الحاضر

"أتعني الرجل العجوز الذي عثر عليه ميتاً يوم الاثنين؟".

قال باتريك: "أرى أن الثرثرة ناشطة أكثر من أي وقت مضى تابعت كارين مشيها بسرعة مجدداً، وتوجب عليه الركض للحاق بها.

مرّت سيارة حمراء أمامهما. وبعد مئة متر تقريباً، أبطأت السيارة سرعتها، وبدا

الأمر كما لو أن السائق ينظر عبر مرآة الرؤية الخلفية. ثم تراجعت السيارة بسرعة إلى الخلف، ولعن باتريك حظه. إذ أدرك الآن أن السيارة تخص أمه.

سألت كريستينا بعد أن أنزلت زجاج النافذة: "ما هذا؟! هل خرجتما معاً في نزهة؟!". ونظرت بدهشة إلى باتريك وكارين.

"مرحباً كريستينا! كم سررت برؤيتك". وانحنت كارين صوب النافذة المفتوحة، وتابعت قائلة: "انتقلت للعيش في فجالباكا، والتقيت باتريك صدفة. اكتشفنا أننا كلينا في إجازة، ونحتاج إلى بعض الرفقة. أنجبت صبياً صغيراً اسمه لودفيغ". وأشارت إلى العربة الصغيرة، فانحنت كريستينا إلى الأمام، وتمتمت بأصوات الدلع الملائمة عند رؤيتها ابن السنة الواحدة.

ثم قالت بنبرة صوت جعلت معدة باتريك تنكمش: "أوه، يا للروعة!". فخطرت له فكرة جعلته يشعر بألم أكبر في معدته. ومن دون أن يرغب في سماع الجواب، سأل أمه: "إلى أين أنت ذاهبة الآن؟".

"كنت في طريقي إلى منزلك، فقد مرّ وقت طويل منذ أن زرتكم. أحضرت معي بعض المخبوزات". وأشارت بسرور إلى الكيس الموجود على المقعد قربها، والذي يحتوي على الكعك "والجاتوه" الإسفنجي.

قال باتريك بصوت ضعيف: "إيريكا تعمل...". لكنه عرف أن هذا عديم الجدوى.

غيّرت كريستينا مبدّل السرعة، ثم قالت: "جيد. إذاً، ستفرح بالاستراحة قليلاً لشرب القهوة. وأنت ستعود إلى المنزل سريعاً، أليس كذلك؟". ولوّحت لماجا، التي لوّحت لها أيضاً بفرح.

قال باتريك: "نعم، طبعاً". وهو يحاول التوصل إلى طريقة مناسبة للطلب من أمه ألا تذكر لزوجته أنها رأته وهو يتنزه مع كارين، ولكن عبثاً. إذ إن دماغه خلا تماماً من الأفكار، فأذعن ورفع يده للتلويح لها، وشعر بانقباض كبير في معدته، وهو يراقب أمه المنطلقة بسرعة صوب سالفيك. سيضطر إلى تقديم الكثير من الشروحات بالتأكيد.

العمل على كتابها يجري على ما يرام. لقد كتبت أربع صفحات هذا الصباح،

فتمطّت الآن برضى وهي جالسة أمام مكتبها. لقد اختفى غضب البارحة، وفكرت في قرارة نفسها أنها بالغت ربما في ردة فعلها. سوف تعوّض على باتريك الليلة؛ وذلك بأن تطهو له شيئاً رائعاً لوجبة العشاء. قبل الزفاف، بذلا كلاهما جهداً بالغاً للتخلص من بعض الكيلوغرامات. لكن، من المهم أن يدلّلا نفسيهما بين الحين والآخر. ستحضّر شريحة لحم بقر مع صلصة الغورغونزولا ربما. فباتريك يحب هذا الطبق.

توقفت إيريكا عن التفكير في العشاء، وأمسكت بدفاتر مذكرات أمها. عليها فعلاً أن تجلس وتقرأها كلها دفعة واحدة، لكنها لا تستطيع حمل نفسها على فعل ذلك. عليها أن تفعل ذلك بجرعات صغيرة، وأن تلقي نظرات قصيرة على عالم أمها. رفعت قدميها على المكتب مجدداً، وبدأت تحاول تفكيك شيفرة الخط اليدوي المزخرف قديم الطراز. لغاية الآن، قرأت عن الحياة اليومية في منزل أمها، والمهام التي ساعدت في إنجازها، والتأملات الصغيرة بشأن المستقبل، والقلق على والدها الذي أمضى كل وقته في البحر؛ حتى في عطلات نهاية الأسبوع. كان وصف الحياة مليئاً بسذاجة مراهقة وبراءتها، وواجهت إيريكا صعوبة في الربط بين الصوت الطفولي البريء الجلي في النص والأم التي تذكرها. فقد بدت لها بعيدة جداً، وصارمة وظالمة جداً. ولا تذكر إيريكا وآنا يوماً أنها تحدثت إليهما بحنان، أو أظهرت لهما أية عاطفة.

بعد قراءتها الصفحة الثانية، انتصبت إيريكا في مكانها فجأة. فقد ظهر اسم مألوف، أو بالأحرى ظهر اسمان مألوفان. فقد كتبت إلسي أنها ذهبت إلى منزل إيريك وأكسيل أثناء غياب والديهما. كان النص بمعظمه وصفاً حماسياً لمكتبة والدهما التي أثرت فيها كثيراً. لكن إيريكا لم ترَ إلا اسمين، وهما إيريك وأكسيل. لا بد أنهما إيريك وأكسيل فرانكل. قرأت بحماسة كل الفقرة المتعلقة بالزيارة، وأدركت من الكلمات المكتوبة أنهم أمضوا على الأرجح الكثير من الوقت معاً؛ أي إلسي وإيريك، بالإضافة إلى شابين آخرين يدعيان بريتا وفرانس. فتشت إيريكا في ذاكرتها. لا، لم تسمع أمها تذكر أياً منهم أمامهما على الإطلاق. إنها واثقة تماماً من ذلك. وتم وصف أكسيل في مذكرات إلسي على أنه بطل أسطوري.

وصفته إلسي "بالشجاع الأزلي، والأنيق كثيراً مثل إيرول فلين". هل كانت أمها مغرمة بأكسيل فرانكل؟ لا، لم تشعر إيريكا بذلك من الكلمات التي قرأتها، بل بدا لها أكثر أنها تكنّ له إعجاباً كبيراً.

وضعت إيريكا دفتر المذكرات على حضنها وهي تفكّر في ما قرأته للتو. لماذا لم يذكر إيريك فرانكل لها أنه عرف أمها حين كانا شابين؟ لقد أخبرته إيريكا أين عثرت على الميدالية النازية، ومن كانت تخصّ، إلا أنه لم يتفوه بكلمة. مرة جديدة، تذكرت إيريكا الصمت الغريب الذي تلا كلامها. إنها محقة؛ ثمة شيء أخفاه عنها.

إلا أن الصوت القوي لجرس الباب قاطع أفكارها. تنهدت عالياً، وأنزلت ساقيها عن المكتب، ودفعت كرسيها إلى الخلف. من يمكن أن يكون؟ لكن سؤالها حظي فوراً بالجواب، وذلك لدى قول أحدهم "مرحباً" من الردهة. تنهدت إيريكا مجدداً، وإنما بتشديد أكبر الآن. إنها كريستينا؛ حماتها. أخذت نفساً عميقاً، وفتحت الباب، ثم ذهبت إلى السلالم. سمعت مجدداً كلمة مرحباً، وكان الصوت أكثر إصراراً هذه المرة. فأحست إيريكا بفكيها يطبقان انزعاجاً، غير أنها قالت مرحباً بأكبر إيجابية ممكنة؛ رغم إدراكها عدم صحة ذلك. الحمد لله لأن كريستينا لا تجيد التفريق كثيراً بين النبرات.

أجابت حماتها بسعادة فيما علّقت سترتها: "جئت لأقول لكم مرحباً. أحضرت بعض الحلويات للقهوة؛ لقد خبزتها بنفسي. ظننتُ أنك قد تفرحين بها؛ لأن مهنتك لا تمنحك الكثير من الوقت للقيام بمثل هذه الأمور".

كانت إيريكا تصرّ بأسنانها. إذ تملك كريستينا موهبة رهيبة في توجيه الانتقادات اللاذعة. هل ولدت هكذا؟ أم هو أمر برعت فيه بعد سنوات من التمرّن؟

قالت بتهذيب: "أوه، يبدو هذا لطيفاً". وذهبت إلى المطبخ حيث كانت كريستينا تحضّر القهوة؛ كما لو أنها في منزلها وليست في منزل إيريكا.

قالت: "اجلسي، سأعدّ القهوة. أعرف مكان كل شيء".

أجابت إيريكا: "طبعاً". وهي تعرف أن كريستينا لن تفهم تهكّمها.

وتابعت: "خرج باتريك وماجا للقيام بنزهة، ولن يعودا على الأرجح قبل مضيّ وقت". على أمل أن تجعل هذه الفكرة زيارة حماتها قصيرة.

أجابت كريستينا: "أعرف". وملأت ملاعق القهوة. "اثنتان، ثلاث، أربع...". ثم أعادت الملعقة إلى العلبة الحديدية، ووجهت انتباهها إلى إيريكا. "سيصلان إلى المنزل في أية دقيقة. التقيتهما في طريقي إلى هنا. من الجميل أن كارين انتقلت للعيش هنا، فهكذا سيملك باتريك بعض الصحبة خلال النهار. فمن المضجر أن يتنزه المرء بمفرده، وخصوصاً بالنسبة إلى شخص مثل باتريك، شخص معتاد على العمل والإنتاجية. بدا لي أنهما يستمتعان بصحبة بعضهما".

كافحت إيريكا لاستيعاب المعلومات، ثم حدّقت إلى كريستينا. عمّن تتحدث؟! كارين؟ من كارين؟

ولحظة دخل باتريك المطبخ، لمعت الفكرة في رأس إيريكا. أوه، كارين تلك.

ابتسم باتريك ببراءة، وبعد الصمت لفترة وجيزة قال: "يا للروعة! قهوة".

اجتمعوا في المطبخ لمتابعة القضية. اقترب موعد الغداء، وكانت معدة ميلبرغ تقرقر بصوت عالٍ.

"حسناً، ماذا لدينا لغاية الآن؟". تمدد للإمساك بإحدى قطع الحلوى التي وضعتها آنيكا على طبق؛ القليل من المقبلات قبل الغداء. "باولا ومارتن، لقد تحدثتما إلى شقيق الضحية هذا الصباح، فهل وجدتما أي شيء مهم؟". ومضغ قطعة الحلوى وهو يتكلم، فتطاير الفتات على الطاولة.

قالت باولا: "هذا صحيح. نقلناه من مطار لاندفيتر. لكن، يبدو أنه لا يعرف الكثير. سألناه عن الرسائل من جمعية أصدقاء السويد، لكن الشيء الوحيد الذي استطاع توضيحه لنا هو أن فرانس رينغهولم أحد أصدقاء إيريك منذ أيام الطفولة. ولا يعرف أكسيل شيئاً عن تهديدات محددة من تلك المنظمة. يبدو أن التهديدات كانت نوعاً من المخاطر المهنية؛ نظراً لطبيعة العمل الذي ينجزه وإيريك".

سأل ميلبرغ: "هل تلقى أكسيل تهديدات؟". وتناثر المزيد من الفتات على الطاولة.

قال مارتن: "القليل منها حسبما قال. إنها موجودة كلها في ملف لدى المنظمة

التي يعمل لديها".

"هل تلقى أي تهديدات من جمعية أصدقاء السويد؟".

هزّت باولا رأسها مجيبة: "لم يستطع أن يحسم لنا المسألة، وأفهم ذلك تماماً. إذ لا بدّ أنه يتلقى الكثير من هذه الرسائل في صندوق البريد، فلماذا سينتبه إليها كثيراً؟".

"ماذا كان انطباعكما عنه؟ سمعت أنه كان بطلاً في شبابه". ووجّهت آنيكا نظرة استفسار إلى مارتن وباولا.

قالت باولا: "إنه أنيق، ومميز... ولكنه مقهور جداً، وهذا طبيعي نظراً إلى ظروفه. بدا جلياً أنه متضايق بسبب موت أخيه. هل كان لديك الانطباع نفسه؟".

واستدارت صوب مارتن، الذي أومأ برأسه مجيباً:

"نعم، اعتقدت ذلك أيضاً".

قال ميلبرغ وهو ينظر إلى مارتن: "أفترض أنك ستستجوبه مجدداً. وعرفت أنك تواصلت مع بيدرسن، أليس كذلك؟". تنحنح قليلاً ثم تابع: "غريب عدم طلبه التحدث إليّ".

سعل مارتن، ثم أجاب: "أعتقد أنك كنت تنزّه الكلب عندما اتصل. أنا واثق من أنك في أعلى لائحته".

"همم، حسناً. أنت محق ربما. حسناً، هيا. ماذا قال؟".

لخّص مارتن استنتاجات بيدرسن، ثم قال لهم: "يبدو أن بيدرسن اتصل بباتريك أولاً. ويبدو أن باتريك غير سعيد كثيراً ببقائه في المنزل، إذ طلب من بيدرسن أن يعطيه تقريراً كاملاً. وإذا فكرنا كم كان إغراؤه بالذهاب إلى مسرح الجريمة سهلاً، فأنا أراهن بأننا سنراه مع ماجا هنا في مركز الشرطة عما قريب".

ضحكت آنيكا وقالت: "نعم، تحدثت إليه البارحة. حاول أن يكون دبلوماسياً، وقال إنه يحتاج ربما إلى بعض الوقت للتكيف".

قال ميلبرغ: "أصدق ذلك. يا لها من فكرة سخيفة! رجال راشدون يبدلون الحفاضات ويعدّون طعام الأطفال. لم يضطر جيلي إلى التعاطي مع هذا النوع من التفاهات. استطعنا تكريس أنفسنا لأشياء تلائمنا أكثر، فيما اهتمت النساء بالأولاد".

قال غوستا بهدوء: "كنت مستعداً لتبديل الحفاضات بسرور". وهو ينظر إلى الطاولة.

فنظر إليه باتريك وآنيكا. وكانا قد اكتشفا مؤخراً أن غوستا وزوجته المتوفاة قد أنجبا صبياً توفي بعد فترة قصيرة من ولادته. ولم ينجبا بعد ذلك ولداً آخر. جلس الجميع صامتين هنيهة، وتجنبوا النظر إلى غوستا. ثم قالت آنيكا:

"حسناً، أعتقد أنه أمر جيد أن تعرفوا أيها الرجال مقدار العمل اللازم. أنا لا أملك أولاداً"- حان الآن دور آنيكا لتبدو حزينة- "لكن صديقاتي يملكن أولاداً، ولا أعتقد أنهن يكذبن عندما يتحدثن عن تناولهن الحلوى طوال اليوم لأنهن في البيت مع أولادهن. لذا، سيكون الأمر جيداً لباتريك ربما".

قال ميلبرغ: "لن يقنعني أحد بذلك" ثم قطّب جبينه بتململ، ونظر إلى الأوراق الموضوعة أمامه على الطاولة. أزال كل الفتات المبعثر على الطاولة، ثم قرأ بضع عبارات قبل أن يتحدث مجدداً.

"حسناً. هذا هو التقرير من توربجورن وزملائه..."

أضافت آنيكا: "وزميلاته". فتنهد ميلبرغ بصوت عالٍ.

"وزميلاته. لا شك في أنك تشنين اليوم نوعاً من الحرب الداعية إلى المساواة بين الجنسين! هل يمكننا متابعة هذا التحقيق أم نغني فقط "كومبايا" ونناقش جدول أعمال النساء؟". وهزّ رأسه قبل أن يتابع:

"مثلما قلت، لديّ هنا التقرير من توربجورن وفريقه. وأستطيع تلخيصه في كلمتين: "لا مفاجآت". وجدوا عدداً من آثار الأحذية والبصمات، وعلينا من دون شك تعقبها. غوستا، تأكد من حصولنا على بصمات الولدين كي نتمكن من استثنائهما، وبصمات الأخوين أيضاً. بالمناسبة..."- وتردد فيما كان يقرأ بضعة أسطر في سره- "يبدو أنه جرى الحسم بأن الضحية قد تلقى ضربة على الرأس. تلك الضربة كانت ناجمة عن آلة ضخمة".

سألت باولا: "إذاً، لا توجد إصابات أخرى، وإنما هناك إصابة واحدة على الرأس فقط، أليس كذلك؟".

"أوه، نعم، هذا صحيح. ضربة واحدة. طرحت على توربجورن هذا السؤال

تحديداً، ويبدو أنه يمكن معرفة ذلك لدى تحليل بقع الدم المتطايرة على الجدران. في أية حال، الاستنتاج واضح جداً: ضربة قوية على الرأس

قال مارتن وهو يومئ برأسه: "يتناغم ذلك مع نتائج التشريح. ماذا عن السلاح؟ يعتقد بيدرسن أنه شيء ثقيل مصنوع من الحجر

قال ميلبرغ بنبرة المنتصر: "بالضبط!". ووضع إصبعه على وسط المستند قائلاً: "وجدوا تحت المكتب حجراً ثقيلاً، وقد كشف تفحصه وجود آثار دم وشعر ودماغ عليه، وأنا مقتنع بأن شظايا الحجارة المنغرزة في الجرح تتطابق مع ذلك الحجر الذي تم العثور عليه".

قال غوستا بحزن: "إذاً، نملك سلاح الجريمة. على الأقل، هذا شيء تمكنّا من حسمه". وارتشف القليل من قهوته التي أصبحت باردة.

نظر ميلبرغ إلى العاملين في قسم الشرطة التابعين له والجالسين حول الطاولة وتابع: "هل من اقتراحات بشأن كيفية الانطلاق في العمل؟". جعل الأمر يبدو وكأن السؤال مجرد شكليات، وأنه حضّر أساساً لائحة طويلة بالإجراءات المناسبة؛ لكن الحال لم تكن كذلك.

"أعتقد أنه يجدر بنا التحدث إلى فرانس رينغهولم لمعرفة المزيد عن تلك التهديدات".

أضافت باولا: "والتحدث إلى الأشخاص الذين يعيشون في الجوار أيضاً، لمعرفة ما إذا كان أحدهم قد لاحظ أي شيء قرابة وقت الجريمة".

رفعت آنيكا نظرها عن دفترها وقالت: "ويجدر بأحدنا أيضاً أن يستجوب عاملة التنظيفات التي تعمل لدى الأخوين؛ لمعرفة متى كانت هناك آخر مرة، وما إذا كانت قد تحدثت إلى إيريك، ولماذا لم تذهب للتنظيف طوال الصيف".

أومأ ميلبرغ برأسه قائلاً: "جيد. إذاً، لماذا لا تزالون جالسين هنا؟ هيا بنا إلى العمل!". وحدّق إليهم بغضب، واستمر في فعل ذلك إلى أن خرجوا جميعاً من الغرفة، ثم تناول كعكة إضافية.

تفويض؛ هذه هي ميزة القائد الجيد.

اتفقوا جميعاً على أن الذهاب إلى الصفوف مضيعة كاملة للوقت، ولذلك

كانـوا يحضـرون فقـط بشـكل متقطـع؛ كلّمـا تحلـوا بالعقلانية. ولـم يحصل ذلك غالباً. اجتمعوا اليوم قرابة الساعة العاشرة، وبما أنه لم يكن هناك الكثير لفعله في تانومشيد، كانوا يكتفون بالجلوس والتحدث والتدخين.

"هل سـمعتم عن ذلك العجوز في فجالباكا؟" مجّ نيكي سـيجارته وضحك ثم قال: "قد يكون جدّك ورفيقه من قتلاه".

قهقهت فانيسا.

"هـاي". قـال بيـر بفظاظة. "لا علاقة لجدي أبداً بذلك. فهو لن يخاطر بعقوبة السجن لمجرد قتل أحفور عجوز. تملك جمعية أصدقاء السويد أشياء أهم لفعلها، وأهدافاً أسمى لتنفيذها".

"ألم تتحدث إلى العجوز بعد بشـأن السـماح لنا بحضور اجتماع؟". وتوقف نيك عن الضحك، وطغى تعبير اللهفة على وجهه الآن.

فقال بير على مضض: "ليس بعد". كان يستمتع بمكانته الخاصة في المجموعة لأنـه حفيـد فرانـس رينغهولم. وفي لحظة ضعـف، وعد الآخرين بدعوتهم لحضور أحد اجتماعات أصدقاء السويد في أوديفالا. لكنه لم يجد الفرصة المناسبة للتطرق إلـى الموضـوع مـع جـده. بالإضافـة إلى ذلك، إنه يعرف تماماً ما سـيقوله فرانس. إنهم صغار جداً، وهم بحاجة إلى بضع سنوات إضافية "لتطوير قدراتهم الكاملة". إلا أنـه لا يعـرف أبـداً مـا يعنيه ذلك. فهو وأصدقاؤه يفهمون المسـائل تماماً مثلما يفهمها الكبار في السن؛ أي الذين تم قبولهم في الجمعية. فالأمر بسيط في النهاية. إذاً، ماذا يوجد ليساء فهمه؟

وهـذا مـا أعجبـه فـي الأمر؛ في الحقيقة الأمر بسـيط جداً؛ أسـود وأبيض. لا مساحات رمادية. لا يفهم بير لماذا يضطر الأشخاص إلى تعقيد المسائل، ودراسة الأمـور أولاً مـن زاويـة معينـة، ومن ثم من زاوية أخرى، فيما الحقيقة كلها بسـيطة جـداً جـداً. المعادلـة هـي نحن وهم؛ هـذا كل ما في الأمر. نحن وهم. ولو اهتموا فـي شـؤونهم فقـط، لمـا حصلت أية مشـكلة. لكنهـم يصرّون على إقحام أنفسـهم فـي مجـالات لا تخصهـم، وتجـاوز حـدود يفترض أنها جليـة. لا يمكن أن تكون الاختلافـات أكثـر وضوحـاً. أبيـض أو أصفر، أبيض أو بني، أبيض أو تلك البشـرة

السوداء المقرفة للآتين من أدغال أفريقيا. الأمر بسيط جداً. وما إن بدأوا بخلط كل الأمور وتشويشها حتى تحولت المسألة إلى فوضى كبيرة. نظر إلى رفاقه الكسولين الجالسين على مقاعدهم قربه. هل يعرف أصولهم حقاً؟ من يعرف ما الذي فعلته أولئك النساء السيئات في عائلاتهم؟ ربما هناك دم غير نقي يجري في عروقهم أيضاً. ارتعد بير لدى تفكيره في ذلك.

وجّه إليه نيكي نظرة استفسار وسأله: "ما مشكلتك؟ تبدو وكأنك قد ابتلعت شيئاً مقرفاً".

صرخ بير. "لا شيء". لكن الفكرة والإحساس بالاشمئزاز لن يفارقاه. أطفأ سيجارته.

"هيا، فلنذهب لإحضار بعض القهوة. أشعر بالاكتئاب لمجرد الجلوس هنا". ثم أمال رأسه صوب مبنى المدرسة، وانطلق في المشي بسرعة من دون أن ينتظر ليرى ما إذا كان الآخرون سيلحقون به. وعرف أنهم سيفعلون.

فكّر هنيهة في الرجل المقتول، ثم ارتعد. الرجل العجوز ليس مهماً.

فجالباكا 1943

طقطقت السكاكين والشوك على الأطباق فيما كانوا يتناولون الطعام. حاولوا هم الثلاثة ألا ينظروا إلى الكرسي الفارغ أمام طاولة الطعام، لكنهم لم يفلحوا في السيطرة على رغبتهم تلك.

"لا أصدق أنه اضطر للرحيل مجدداً بهذه السرعة" قطّبت جيرترود جبينها فيما أعطت إيريك الوعاء، فوضع حبة بطاطا أخرى في طبقه؛ رغم أنه مليء بالكامل. يسهل فعل ذلك، وإلا ستستمر أمه في الإلحاح عليه لسكب المزيد من الطعام إلى أن يستسلم. لكنه عندما نظر إلى طبقه، تساءل عن كيفية تمكنه من تناوله كله. الطعام لا يهمه، فهو يأكله فقط لأنه مجبر على ذلك، ولأن أمه تقول دوماً إنها خجولة من مدى نحوله، وتقول إن الأشخاص سيظنون أنها تجعله يتضور جوعاً.

من جهة أخرى، كان أكسيل يتناول كل شيء بشهية جيدة. ألقى إيريك نظرة سريعة على الكرسي الفارغ، فيما رفع الشوكة إلى فمه على مضض. بدا له وكأن الطعام قد انتفخ في فمه، فيما حوّلت الصلصة البطاطا إلى هريسة ناعمة، فمضغ الطعام بطريقة آلية للتخلص مما هو موجود في فمه بأسرع ما يمكن.

"عليه أن يؤدي واجبه". وجّه هوغو فرانكل نظرة صارمة إلى زوجته، لكنه نظر أيضاً إلى الكرسي الفارغ.

"اعتقدت فقط أنه يستطيع قضاء بضعة أيام من الهدوء والسلام في المنزل".

"يعود الأمر إليه. لا يستطيع أحد أن يفرض على أكسيل ما يجدر به فعله، إلا أكسيل نفسه". وامتلأ صوت هوغو بالفخر، فأحسّ إيريك بطعنة ألم في صدره؛ مثلما يحصل كلما تحدث أبوه وأمه عن أكسيل. في بعض الأحيان، يشعر إيريك كما لو أنه غير منظور تقريباً، كما لو أنه مجرد ظلّ للمذهل أكسيل الذي يكون دوماً محور الانتباه؛ رغم أنه لا يحاول أن يكون كذلك. وضع إيريك ملء شوكة

أخرى من الطعام في فمه. ليت العشاء ينتهي بسرعة ليتمكن من الذهاب إلى غرفته والمطالعة. فهو يقرأ كتب التاريخ تحديداً، ويعشق كل الحقائق والأسماء والتواريخ والأماكن. تلك الأمور لا تتغير. إنها شيء يستطيع الاعتماد عليه والاتكال عليه.

لم يهتم أكسيل بالكتب يوماً، لكنه نجح رغم ذلك في كل امتحاناته المدرسية، ونـال أعلـى العلامـات. حصل إيريك على علامات جيدة أيضاً، ولكن توجّب عليه العمل بكدّ للحصول عليها. ولم يربّت أحد على ظهره يوماً، أو يبتسـم له ابتسـامة فخر لدى التبجح بإنجازاته أمام الأصدقاء والمعارف. لا أحد يكترث لإيريك.

رغـم ذلـك، لا يستطيع الاستياء مـن أخيه. تمنى أحياناً لـو كان بإمكانه فعل ذلـك. تمنـى لـو كان بإمكانه كرهه واحتقاره، وإبعاد ذلك الألم القوي الذي يشـعر به في صدره. لكن الحقيقة هي أنه يحب أكسيل أكثر من أي شخص آخر. أكسيل هـو الأقـوى والأكثر شـجاعة. وهو من يسـتحق التفاخر بـه وليس إيريك. هذه هي الحقيقـة. كمـا فـي كتـب التاريخ، وتمامـاً مثل حقيقة تاريخ معركة هاسـتينغس، لا يمكنه التشكيك في ذلك، أو مناقشة الأمر، أو تبديل الحقيقة. هكذا هي الأمور.

نظر إيريك إلى طبقه، وتفاجأ لدى رؤيته فارغاً.

"أبي، هل يمكنني الاستئذان؟". امتلأ صوته بالأمل.

"هل أنهيت طعامك؟ حسـناً، انظروا إلى... حسـناً، يمكنك الذهاب. سـوف نجلس أنا وأمك هنا لبعض الوقت".

وفيما صعد إيريك إلى غرفته، سمع والديه يتكلمان في غرفة الطعام.

"ألا تظن أن أكسيل يجازف كثيراً؟".

"جيرترود، عليك أن تتوقفي عن تدليله. ففي النهاية، أصبح في التاسعة عشرة من عمره الآن، ويفترض بنا أن نكون مسرورين لأننا نملك مثل هذا..."

اختفـت الأصـوات فيمـا أغلق إيريك الباب خلفه. ألقى بنفسـه على السـرير، واختـار كتابـاً مـن أعلـى الكومة؛ الكتاب الذي يتحدث عن الإسـكندر الكبير. كان شجاعاً أيضاً؛ تماماً مثل أكسيل.

* * *

"كل ما أقوله هو إنه كان يجدر بك ذكر الأمر أمامي. وقفت هناك مثل المغفلة

حين قالت كريستينا إنك وكارين تتنزهان معاً".

"أوه... حسناً، أعلم وأخفض باتريك رأسه. كانت الساعة التي أمضتها كريستينا في شرب القهوة معهما مليئة بالمشاعر المبطنة والنظرات المتشككة. وما إن أغلقت الباب الأمامي وراءها حتى انفجرت إيريكا غاضبة.

"لا يزعجني أنك تتنزه مع زوجتك السابقة. فأنا لست من النوع الذي يغار، وأنت تعرف ذلك. لكن، لماذا لم تخبرني؟ هذا ما يزعجني

طبعاً. أستطيع فهم ذلك... وتفادى باتريك النظر إلى عينَي إيريكا مباشرة.

"تفهم!! هل هذا كل ما يمكنك قوله؟ ألا يوجد شرح؟ أقصد، اعتقدت أننا نستطيع إخبار بعضنا بكل شيء!". وأحست إيريكا بأنها تقترب من حافة ما قد تجعله يعتبر ردة فعلها مبالغاً فيها. لكن كل إحباط الأيام القليلة الماضية وجد أخيراً منفذاً له، ولم تستطع كبح نفسها.

"واعتقدت أن تقسيم المهام بيننا واضح! أنت تأخذ إجازة أبوّة، فيما أنا أعمل. لكنك بدلاً من ذلك تستمر في مقاطعتي، وفي الصعود إلى الأعلى إلى مكتبي؛ كما لو أن فيه باباً دواراً. حتى إنك تجرّأت البارحة على ترك المنزل لساعتين، وعلى تركي لأعتني بماجا بمفردي. كيف نجحت برأيك في معالجة كل الأمور بمفردي خلال العام الذي قضيته معها في المنزل؟ هل تظن أنني أملك خادمة لعينة تظهر كلما احتجت إلى الخروج لشراء بعض الأغراض؟ أو شخصاً يستطيع إخباري أين هي قفازات ماجا؟ هل تظن ذلك؟". استطاعت إيريكا سماع الصراخ القوي في صوتها، وتساءلت عما إذا كان من الممكن أن يكون صوتها هكذا فعلاً. وأجبرت نفسها على التوقف عن الصراخ في منتصف الكلام، ثم أضافت بنبرة أكثر هدوءاً:

"أنا آسفة. لم أقصد... هل تعرف شيئاً؟ أعتقد أنني سأقوم بنزهة. أحتاج إلى الخروج من المنزل لبعض الوقت".

قال باتريك: "هيا، اذهبي ونظر من تحت غرّة شعره مثل السلحفاة التي تخرج رأسها بحذر لترى ما إذا كان الطريق خالياً. "وأنا آسف لأنني لم...". ووجّه إليها نظرة متوسلة.

قالت إيريكا: "أوه، لا تنظر إليّ هكذا". وابتسمت ابتسامة خفيفة. تم رفع العلم

الأبيض. ندمت على المبالغة في ردة فعلها، لكن عليهما التحدث لاحقاً. أما في الوقت الحاضر، فهي تحتاج إلى بعض الهواء المنعش.

مشت في البلدة بوتيرة سريعة. بدت فجالباكا مهجورة على نحو غريب بعد أن انتهى فصل الصيف الآن وغادر السياح إلى بلادهم. بدت مثل غرفة جلوس في الصباح بعد انتهاء الحفلة. لكن إيريكا تفضل هذا الوقت من السنة. ففصل الصيف مزدحم جداً وتطفلي جداً. أما في الوقت الحاضر، فيسود الهدوء في ساحة إينغريد بيرغمان. سوف يبقي ماتس وماريا كشك سنتروم مفتوحاً لبضعة أيام إضافية قبل إقفاله والعودة إلى عملهما في سالن؛ تماماً مثلما يفعلان كل عام. وهذا أكثر ما تحبه إيريكا في فجالباكا؛ أي إمكانية توقع كل شيء. إذ تتكرر الأمور نفسها كل عام، بالدورات نفسها؛ تماماً كما حصل في العام الماضي.

ألقت إيريكا التحية على جميع الذين التقتهم، فيما اجتازت ساحة إينغريد بيرغمان وصعدت صوب غالارباكن. إنها تعرف تقريباً جميع من في البلدة. إلا أنها زادت سرعتها كلما لاحظت أحداً ميالاً إلى التوقف والثرثرة؛ فهي ليست في مزاج مناسب لذلك.

وبعد أن اجتازت محطة الوقود، أدركت إلى أين تتجه.

"ثلاث حالات اعتداء، وعمليتا سلب لمصرف، بالإضافة إلى بعض التهم المتفرقة. ولكن، لا توجد إدانات على تحريك مجموعات عرقية". قالت باولا ذلك وهي تغلق باب السيارة، حيث كانت تجلس على المقعد قرب السائق. "عثرت أيضاً على ملف عن شاب اسمه بير رينغهولم، ولكنه اشتمل على تهم خفيفة فقط".

قال مارتن: "إنه حفيده". وأغلق باب السيارة حيث كان يجلس. لقد ذهبا إلى غريبيستاد، حيث عاش فرانس رينغهولم في شقة مجاورة لفندق غاستيس.

قال مارتن وهو يومئ في اتجاه غاستيس: "تلقيت حصتي من ليالي اللهو في هذا المكان".

"أتخيل ذلك. لكن تلك الأيام انتهت، أليس كذلك؟".

"يمكنك قول هذا. لم أدخل مكاناً كهذا منذ أكثر من عام". وبدا غير سعيد

كثيراً حيال ذلك. ولكنه في هذه الأيام مغرم كثيراً في بيا، حيث إنه لا يرغب أبداً في مغادرة الشقة التي يتشاركانها إلا إذا كان الأمر ضرورياً جداً. لكنه قبل أن يجد أميرته، اضطر إلى تقبيل عدد من الضفادع، أو بالأحرى العلاجيم.

نظر مارتن إلى باولا وسألها: "ماذا عنك؟".

"ماذا عني!؟". زعمت أنها لم تفهم السؤال. وقبل أن يتوغل أكثر في الموضوع، كانا قد وصلا إلى الباب الخاص بشقة فرانس، فطرق مارتن طرقة عالية، وسمع صوت خطوات تقترب من الداخل.

"نعم؟". فتح الباب رجل ذو شعر رمادي فضي، مقصوص على نحو قصير جداً لدرجة أنه بدا مثل الجذامة. كان يرتدي الجينز وقميصاً مطبعاً بالمربعات؛ من النوع الذي يرتديه دوماً الكاتب السويدي جان غييو، كاشفاً عن قلة اهتمام واضحة بالموضة.

الرجل معروف كثيراً في المنطقة، وفي ما هو أبعد منها؛ مثلما اكتشف مارتن بعد بحثه عنه عبر الإنترنت. يبدو أن رينغهولم مؤسسُ إحدى المنظمات الأسرع نمواً في السويد، والمناهضة للأجانب. ووفقاً للتعليقات في عدد من المنتديات عبر شبكة الإنترنت، بدأت المجموعة تصبح قوة هائلة.

"صحيح. بماذا أساعدكما أيها الشرطيان؟". ونظر إلى مارتن وباولا من الأعلى إلى الأسفل.

"هناك بعض الأسئلة التي نودّ طرحها عليك. هل يمكننا الدخول؟".

أفسح فرانس لهما المجال من دون تعليق، وبالكاد رفع حاجباً واحداً. نظر مارتن إلى أرجاء الشقة بدهشة وتعجب. لم يكن يعرف ماذا يتوقع؛ ربما شيئاً أكثر قذارة وفوضوية. لكن الشقة كانت عوضاً عن ذلك مرتبة جداً، حيث إن شقته الخاصة بدت مقارنة بها مثل مزبلة.

"اجلسا". وأشار فرانس إلى أريكتين في غرفة الجلوس؛ مباشرة إلى يمين ردهة الدخول. "حضّرت للتو إبريقاً من القهوة. حليب؟ سكر؟". كان صوته هادئاً ولبقاً، وتبادل مارتن وباولا نظرات قلقة نوعاً ما.

أجاب مارتن: "لا شيء، شكراً".

قالت باولا: "فقط حليب، ومن دون سكر ودخلت غرفة الجلوس قبل مارتن. جلسا قرب بعضهما على الأريكة البيضاء ونظرا حولهما. كانت الغرفة مشرقة وجيدة التهوئة، وذات نوافذ كبيرة مطلة على البحر. لم تكن الشقة مرتبة بإفراط، ولكنها كانت مريحة ونظيفة.

"إليكما بعض القهوة". ودخل فرانس حاملاً صينية مليئة بالأغراض، ووضع ثلاثة أكواب من القهوة الساخنة، ومن ثم طبقاً كبيراً من البسكويت.

"تفضلا أرجوكما". وأشار إلى طاولة القهوة، ثم رفع أحد الأكواب قبل أن يتكئ إلى الخلف على الكرسي الكبير. "كيف أساعدكما؟".

ارتشفت باولا القليل من القهوة، ثم قالت: "أنا واثقة من أنك سمعت عن الرجل الذي عثر عليه ميتاً في ضواحي فجالباكا"

قال فرانس: "نعم، إيريك". وأومأ برأسه بحزن قبل أن يرتشف قهوته ويتابع: "نعم. لقد غضبت كثيراً عندما سمعت الخبر. الأمر مريع بالنسبة إلى أكسيل، ولا بد أنه يواجه وقتاً صعباً"

"أوه، نعم، حسناً..." تنحنح مارتن، ثم تخلى قليلاً عن حذره نتيجة ودية الرجل، ونظراً إلى حقيقة كون رينغهولم النقيض الكامل لما توقعه. إلا أنه تمالك نفسه وقال: "السبب الذي يجعلنا راغبين في التحدث إليك هو عثورنا على بعض الرسائل الواردة منك في منزله، والموجهة إلى إيريك فرانكل

قال فرانس: "أوه... إذاً، لقد احتفظ بتلك الرسائل". وقهقه فيما تمدد لتناول حبة من البسكويت. "أحب إيريك جمع الأشياء. قد تظنون أنتم الشباب أن إرسال الرسائل عادة قديمة جداً. ولكن، بالنسبة إلينا نحن الذين ننتمي إلى الجيل القديم، إننا نواجه صعوبة في التخلي عن العادات القديمة". وغمز باولا بطريقة ودية. فبادلته الابتسامة، ولكنها ذكّرت نفسها بأن الرجل الجالس أمامها كرّس كل حياته لعرقلة الأشخاص مثلها ومحاربتهم.

استعادت تعبيرها الصارم وقالت: "تحدثت في رسائلك عن تهديد..."

"حسناً، لا أسميه تهديداً بالضبط". ونظر إليها فرانس بهدوء، ثم اتكأ مجدداً

على كرسيه إلى الخلف، وشبك ساقاً فوق الأخرى قبل أن يتابع: "فكرت فقط في أنني أدين لإيريك بالإشارة إلى وجود بعض... القوى ضمن المنظمة التي لا تحسن دوماً التصرف؛ إذا صحّ القول".

"ولماذا شعرت أنك ملزم بإطلاع إيريك على ذلك؟".

"أنا وإيريك صديقان منذ أن كنا صغيرين؛ رغم اعترافي علناً بأننا ابتعدنا عن بعضنا لاحقاً، ولم تعد هناك صداقة حقيقية تجمعنا طوال أعوام. لقد اخترنا مسارين مختلفين في الحياة" وابتسم فرانس. "لكنني لم أتمنَّ الأذى لإيريك يوماً. ولذلك، عندما أتيحت لي فرصة تحذيره فعلت ذلك. إذ يواجه بعض الأشخاص صعوبة في فهم أن اللجوء إلى القوة الجسدية ليس دوماً الحل الأمثل

قال مارتن: "أنت نفسك لم تكن الفكرة غريبة بالنسبة إليك... أعني اللجوء إلى القوة الجسدية. ثلاث تهم بالاعتداء، وعدة تهم بسرقة مصارف. ومثلما أفهم منك، لم تمضِ وقتك مثل الدالاي لاما".

لم يشعر فرانس بأية إهانة، وبالكاد ابتسم لتعليقات مارتن بطريقة تذكّر فعلاً بالدالاي لاما. "ثمة سبب لكل شيء. للسجن قواعده الخاصة، وهناك يتم فهم لغة واحدة فقط. سمعت أيضاً أن الحكمة تأتي مع العمر، وتعلّمت درسي مع مرور السنوات".

"ألم يتعلم حفيدك الدرس بعد؟". وتمدّد مارتن للإمساك بقطعة بسكويت فيما طرح السؤال. وبلمح البصر، انقضّت يد فرانس للإمساك بمعصم مارتن بقبضة حديدية. وثبّت عينيه على الشرطي وهو يقول بحدة: "لا علاقة لحفيدي بهذا. هل تفهم؟".

بقي مارتن ينظر إليه لفترة طويلة قبل أن يبعد يده أخيراً، ثم قال له بصوت منخفض: "لا تفعل هذا مجدداً". وقاوم رغبته في تدليك معصمه الذي آلمه.

ضحك فرانس واتكأ إلى الخلف، وعاد مجدداً إلى ذاته الودودة. لكن مظهره الخارجي هذا تصدّع لثوانٍ معدودة، وكشف عن غضب كبير يختبئ خلف الهدوء الخارجي. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو إن كان إيريك قد تحمّل وطأة ذلك الغضب.

شدّ إرنست الحبل بقوة، عاجزاً عن فهم سبب إصرار سيده فجأة على المشي بخطى بطيئة، والتوقف للنظر حوله طوال الوقت. وكلما حاول ميلبرغ كبح الحيوان، شدّ إرنست الحبل بقوة أكبر؛ مصمماً على الإسراع.

اجتازا معظم الطريق تقريباً قبل أن تكافأ جهود ميلبرغ. فقد كان على وشك الاستسلام عندما سمع صوت خطوات خلفه، وبدأ إرنست يرقص فرحاً عند اقتراب صديقته منه.

"إذاً، لقد خرجت للتنزه أيضاً". بدا صوت ريتا مرحاً مثلما يذكره ميلبرغ، وأحسّ بابتسامة ترتسم على شفتيه.

"نعم، صحيح. أقصد أننا خرجنا للتنزه". وأحسّ ميلبرغ بالرغبة في ركل نفسه. ما هذا الجواب الغبي؟! إنه لبق عادة مع السيدات، ولكن ها هو الآن يبدو مثل مغفل حقيقي. استعاد صوته السلطوي وقال: "أعرف أنه من المهم حصول الكلاب على بعض النشاط الجسدي. لذا، أحاول التنزه مع إرنست لمدة ساعة كل يوم".

"ليست الكلاب وحدها التي تستفيد من النشاط الجسدي. إذ يمكننا أنا وأنت الاستفادة منه أيضاً". وقهقهت ريتا وربّتت على معدتها الممتلئة، فوجد ميلبرغ تصرفها هذا محرراً جداً. ها قد وجد أخيراً امرأة تفهم أن القليل من اللحم على العظم ليس بالضرورة شيئاً سيئاً.

فقال وهو يربّت على كرشه الكبيرة: "بالفعل. من المهم الحفاظ على بعض المظهر اللائق".

ضحكت ريتا. "أوه، نعم". بدا التعجب قديم الطراز قليلاً ساحراً جداً بالترافق مع لكنتها. "لهذا السبب أفكر دوماً في شحن البطاريات". وتوقفت أمام مجموعة من الشقق، فبدأت سينيوريتا تندفع إلى الأمام صوب أحد المداخل. "هل أستطيع دعوتك إلى بعض القهوة والحلوى؟".

بذل ميلبرغ ما بوسعه لمنع نفسه من القفز فرحاً، لكنه انتظر قليلاً كما لو أنه يفكر في العرض قبل الإجابة. "نعم، شكراً، سيكون هذا لطيفاً. لا أستطيع الابتعاد عن مكتبي لوقت طويل، لكن..."

"حسناً إذاً". وضغطت على رمز الباب، وأفسحت الطريق إلى الداخل. بعد

أن فقد إرنست سيطرة سيده عليه، قفز إلى الأمام مسروراً لفكرة مرافقة سينيوريتا إلى منزلها.

أول كلمة خطرت في بال ميلبرغ عندما دخل شقة ريتا كانت "مريحة". إذ لم تكشف الشقة عن تلك البرودة البسيطة التي يميل السويديون إلى تفضيلها، بل تلألأ منزلها بالألوان والدفء. فكّ رباط الكلب، فأسرع إرنست خلف سينيوريتا. علّق ميلبرغ سترته، وخلع حذاءه ووضعه بترتيب على رف الأحذية قبل أن يلحق بصوت ريتا صوب المطبخ.

"يبدو أنهما يحبان بعضهما".

"من؟". سأل ميلبرغ بغباء؛ إذ كان دماغه مشغولاً برؤية جسم ريتا الممتلئ من الخلف، والذي استدار صوبه فيما وقفت أمام المجلى وهي تضع القهوة في آلة صنع القهوة.

"سينيوريتا وإرنست طبعاً" واستدارت وضحكت.

ضحك ميلبرغ محرجاً وقال: "أوه، نعم، بالطبع. يبدو أنهما يحبان بعضهما، أليس كذلك؟". نظرة سريعة إلى غرفة الجلوس أكّدت ذلك. كان إرنست يشمّ سينيوريتا.

سألت ريتا: "هل تحب الكعك المحلّى؟".

"هل تنام دولي بارتون على ظهرها؟" سأل ميلبرغ بطريقة منمّقة، وندم فوراً على اختياره للكلمات. استدارت ريتا صوبه، والحيرة على وجهها، وقالت:

"لا أعرف. هل تفعل ذلك؟! حسناً، نظراً إلى حجم صدرها أفترض أنها تفعل

ضحك ميلبرغ وقال: "إنه مجرد تعبير. أقصد أنني أحب الكعك المحلّى

راقب بدهشة حين وضعت ثلاثة أكواب وثلاثة أطباق على طاولة المطبخ. لكن اللغز حلّ عندما استدارت ريتا صوب الغرفة المحاذية للمطبخ ونادت: "جوهانا، حان وقت القهوة!"

سمعا كلمة "آتية" تصدر من الغرفة المجاورة. وبعد ثانية، دخلت المطبخ شقراء فاتنة ذات بطن عملاق.

قالت ريتا وهي تشير إلى المرأة الشابة الحامل: "إنها كنتي جوهانا، وهذا

برتيـل. إنـه صاحب إرنسـت. التقيته وأنا أتنـزه". وقهقهت. مدّ ميلبرغ يده للتعريف عن نفسـه، وفي اللحظة التالية، كاد ينبطح أرضاً من شـدة الألـم. لقد صافح أيدي بعـض الأشـخاص الأقويـاء على مرّ الأعـوام، ولكنه لم يعرف مطلقاً مصافحة قوية مثل مصافحة جوهانا.

صرخ بعد أن أفلتت يده: "تملكين قبضة رهيبة"

نظـرت إليـه جوهانا بسـرور قبل أن تجلس إلـى طاولة المطبخ. احتاجت إلى بضع دقائق للعثور على وضعية تتيح لها الوصول إلى كوبها والطبق المشتمل على الكعك المحلى، ثم باشرت الأكل بسرور.

سألها ميلبرغ بتهذيب: "متى يحين موعد الولادة؟"

أجابـت باقتضـاب: "بعـد ثلاثـة أسـابيع" وأصـرّت علـى التهـام كل الفتـات الموجود، ثم تمددت لأخذ كعكة أخرى.

قال ميلبرغ ضاحكاً: "ألاحظ أنك تتناولين كمية تكفي لشخصين". لكن نظرة صارمة من جوهانا أسكتته، فأدرك أنها ليست امرأة يسهل التعامل معها.

قالت ريتا بفخر: "إنه حفيدي الأول". وربّتت على بطن جوهانا بحنان. أشرق وجه جوهانا حين نظرت إلى حماتها، ووضعت يدها بدورها على بطن ريتا.

سألته ريتا بعدما ملأت أكواب القهوة وانضمت إليهما: "هل تملك أحفاداً؟".

قـال ميلبـرغ بفخـر: "لا، ليـس بعـد. لكن، لديّ ابن اسـمه سـيمون، وهو في السابعة عشرة". وصل هذا الابن في مرحلة متأخرة من حياته، ولم يكن خبر قدومه شـيئاً تلقاه بالكثير من الحماسـة. إلا أنهما اعتادا على بعضهما تدريجياً، وهو الآن يشعر بالذهول من مشاعره حيال سيمون. إنه ولد جيد.

"سبعة عشر عاماً؟! حسناً، إذاً لا داعي للعجلة. لكن، دعني أخبرك أن الأحفاد هم نكهة الحياة". وربّتت على بطن جوهانا مجدداً.

شـربوا القهوة وتحدثوا بسـرور، فيما تجوّل الكلبان في الشـقة. ذهل ميلبرغ من الفرحة الحقيقية التي شعر بها لمجرد جلوسه في مطبخ ريتا. فبعد كل خيبات الأمل التي عاشها في الأعوام الأخيرة، ظن أنه لن يرغب أبداً في رؤية امرأة أخرى. لكن، ها هو الآن هنا، ويستمتع.

"إذاً، ما رأيك؟". كانت ريتا تحدق إليه، فأدرك أنه فوّت السؤال الذي يحتاج الآن إلى جواب.

"عفواً؟".

"سألتك إذا كنت تودّ المجيء إلى صف رقص السالسا الليلة. إنه للمبتدئين، وهو ليس صعباً أبداً. في تمام الساعة الثامنة"

نظر إليها ميلبرغ غير مصدق. صف رقص السالسا! هو؟! يا لها من فكرة سخيفة فعلاً. لكنه ما إن نظر إلى أعماق عينَي ريتا الداكنتين، حتى سمع نفسه يقول: "صف سالسا؟ الساعة الثامنة؟ رائع". وذُهل ما إن تفوّه بتلك الكلمات.

بدأت إيريكا تندم على قرارها فيما مشت على الممر المرصوف بالحصى المؤدي إلى منزل إيريك وأكسيل. إذ لا تبدو هذه الفكرة جيدة. وبالكثير من التردد، رفعت قبضة يدها وطرقت على الباب. في البداية، لم يكن هناك أي جواب، فشعرت بالارتياح حين فكرت أنه لا يوجد أحد في المنزل. بعد ذلك، سمعت صوت خطوات في الداخل، وخفق قلبها بقوة حين فتح الباب.

"نعم؟". بدا أكسيل فرانكل منهكاً، ووجه إليها نظرة محتارة.

"مرحبا. أنا إيريكا فالك، وأنا..." توقفت لأنها لم تعرف كيف تتابع.

"ابنة إلسي وبدا لها وكأن تعبه قد اختفى فيما كان يتأملها وهناك نظرة غريبة في عينيه. "نعم، أستطيع رؤية ذلك الآن. فأنتما تشبهان بعضكما كثيراً، أنت وأمك".

قالت إيريكا متفاجئة: "حقاً؟!" لم يقل لها أحد ذلك من قبل.

"نعم. ثمة شبه في عينيك وفمك". وأمال رأسه وتأمل كل تفصيل في مظهرها، ثم وقف جانباً وقال: "ادخلي

دخلت إيريكا إلى الردهة وتوقفت.

"تعالي من هنا. سوف نذهب للجلوس على المصطبة". ومشى بسرعة متوقعاً على ما يبدو أن تلحق به. فعلّقت معطفها، وأسرعت للحاق به. أشار إلى أريكة موضوعة على مصطبة جميلة محاطة بالزجاج، وشبيهة بتلك الموجودة في منزلهما هي وباتريك.

"اجلسي"

جلسا هناك صامتين لفترة. وبعدما أدركت أنه لن يقدم لها القهوة، تنحنحت وقالت: "حسناً، سبب مجيئي... سبب مجيئي إلى هنا هو أنني تركت ميدالية مع إيريك". أدركت كم بدت كلماتها فظّة، فأضافت: "أوه، وأردت طبعاً تقديم التعازي لك. أنا...". شعرت بالانزعاج أكثر فأكثر، فتململت بعصبية فيما بحثت عن طريقة للمتابعة.

إلا أن أكسيل بدّد إحراجها الواضح بتلويحة من يده، وقال بصوت ودود: "كنت تقولين شيئاً عن ميدالية".

أجابت إيريكا: "نعم، هذا صحيح". وشعرت بالامتنان لأنه بدّل الحديث. "في الربيع الماضي، عثرت على ميدالية بين أغراض أمي، ميدالية نازية. لم أعرف سبب احتفاظها بها، وشعرتُ بالفضول. وبما أنني كنت أعرف أخاك...

هزّت كتفها.

"هل استطاع إيريك مساعدتك؟"

"لا أعرف. تحدثنا عبر الهاتف في الربيع، لكنني انشغلت كثيراً بعدها، وحسناً... كنت أنوي الاتصال به مجدداً، لكن... واختفت كلماتها.

"والآن، أنت تتساءلين عما إذا كانت الميدالية لا تزال موجودة، أليس كذلك؟".

أومأت إيريكا برأسها مجيبة: "نعم، أنا آسفة. يبدو مريعاً فعلاً أنني أزعجك بشأنها الآن فيما أنت... لكن أمي لم تحتفظ بالكثير من الأمور، ولذلك...". تلعثمت مجدداً. كان يجدر بها الاتصال هاتفياً عوضاً عن زيارته؛ إذ تبدو المحادثة شديدة الحساسية.

"أفهم. أفهمك فعلاً، صدقيني. فأنا من أكثر الأشخاص الذين يعرفون أهمية امتلاك روابط مع الماضي؛ حتى لو كانت تلك الروابط مرتكزة على أشياء تافهة. وكان إيريك سيفهم الأمر من دون شك أيضاً، نظراً إلى كل الأشياء التي جمعها، وكل الحقائق. بالنسبة إليه، لم تكن أموراً ميتة، بل كانت حية، وتخبر حكاية، وتعلمنا شيئاً ما... حدّق عبر الألواح الزجاجية، وبدا لبرهة كما لو أنه بعيد في مكان ما. ثم استدار صوب إيريكا مجدداً.

"طبعاً، سأبحث عنها. لكن، أخبريني أولاً القليل عن أمك. كيف كانت؟ كيف كانت حياتها؟".

وجدت إيريكا هذين السؤالين غريبين نوعاً ما. لكنها عند رؤيتها العينين المتوسلتين لأكسيل، بذلت ما بوسعها للإجابة.

"ممم... كيف كانت أمي؟ بصراحة، لا أعرف تماماً. كانت ماما متقدمة في العمر عندما أنجبتني أنا وأختي، و... لا أعرف... لم تكن علاقتنا جيدة معها يوماً. وبالنسبة إلى حياتها...". وارتبكت إيريكا؛ ربما لأنها لم تفهم تماماً ما أراد معرفته، وربما لأنها لم تعرف ماذا تقول.

"أعتقد أنها واجهت صعوبة كبيرة؛ أقصد في الحياة. كانت دوماً شديدة التحفظ. بالنسبة إليّ، لم أرها يوماً... سعيدة". كافحت إيريكا لإيجاد طريقة أفضل للشرح، لكن هذا التعبير كان الأقرب إلى الحقيقة. فهي لا تذكر أنها رأت أمها سعيدة يوماً.

"آسف لسماع ذلك". ومجدداً، نظر أكسيل خارج النافذة؛ كما لو أنه لا يتحمل النظر إلى إيريكا. فتساءلت عن سبب طرحه هذه الأسئلة عليها.

"كيف كانت أمي عندما عرفتها؟". لم تستطع إيريكا إخفاء التوق الذي بدا واضحاً في صوتها.

استدار أكسيل صوبها، وبدا أن وجهه أصبح أكثر ليونة. "في الواقع، أخي هو من كان صديقاً لإلسي؛ لأنهما كانا في العمر نفسه تقريباً. لكنهما كانا جزءاً من فرقة رباعية: إيريك وإلسي وفرانس وبريتا. فرقة رباعية حقيقية". وضحك ضحكة خالية من المرح.

"نعم، لقد كتبت عنهم في المذكرات التي وجدتها. أعرف أخاك، لكن من فرانس وبريتا؟".

"مذكرات؟!". ذهل أكسيل بشدة، لكن ذهوله هذا اختفى بسرعة كبيرة، لدرجة أن إيريكا ظنت أنها تخيلت ردة فعله. "فرانس رينغهولم، وبريتا..." طقطق أكسيل أصابعه. "والآن، ماذا كانت شهرة بريتا؟". وأغمض عينيه كما لو أنه يبحث في أعماق ذاكرته، لكنه هزّ رأسه بعد ذلك عاجزاً عن إيجاد المعلومات. "على أية

حال، أظن أنها لا تزال تعيش هنا في فجالباكا. أنجبت بنتين أو ثلاث بنات، لست واثقاً. لكنهنّ أكبر منك سناً. مم... الاسم على طرف لساني، لكن... لقد بدّلت ربما اسم شهرتها عندما تزوجت. انتظري، الآن تذكرت. كانت شهرتها جوهانسون، وتزوجت من رجل شهرته جوهانسون أيضاً، ولذلك لم تضطر في النهاية إلى تغيير شهرتها".

إذاً، يفترض بي أن أتمكن من إيجادها. لكنك لم تجب عن سؤالي. كيف كانت أمي في ذلك الحين؟"

بقي أكسيل صامتاً لوقت طويل، ثم قال: "كانت فتاة هادئة، ومولعة بالتأمل، وإنما غير كئيبة أبداً. أي لم تكن مثلما وصفتها. امتلكت فرحة هادئة نابعة من داخلها، ولم تشبه بريتا مطلقاً". شخر بصوت عالٍ.

"كيف كانت بريتا؟".

"لم أستلطفها يوماً. ولا أفهم لماذا أراد أخي قضاء الوقت مع مثل تلك... المرأة السخيفة" هزّ أكسيل رأسه. "لا، كانت أمك فتاة مختلفة تماماً. أما بريتا فكانت تافهة وسطحية، واستمرت في الركض وراء فرانس بطريقة غير معهودة لدى الفتيات في ذلك الوقت. كانت أيامنا مختلفة مثلما تعرفين". ووجّه ابتسامة حزينة إلى إيريكا وغمزها.

"إذاً، ماذا عن فرانس؟". كانت إيريكا تحدق إلى أكسيل المذهول، مستعدة لالتقاط كل المعلومات التي يملكها عن أمها. وكلما اكتشفت المزيد، أدركت أنها لم تعرف أمها جيداً.

"كان فرانس رينغهولم شخصاً آخر لا يجدر بأخي قضاء الوقت معه. فقد كان ذا طباع رديئة، ورجلاً حقيراً و... باختصار، ليس من النوع الذي يفترض مصادقته في ذلك الحين أو الآن".

"ماذا يفعل الآن؟".

"إنه يعيش في غريبيستاد. ويمكنك القول إننا اعتمدنا- أنا وهو- مسارين مختلفين في الحياة". وامتلأت نبرة صوت أكسيل بالاحتقار.

"ماذا تقصد؟".

"أقصد أنني كرّست حياتي لمحاربة النازية، فيما فضّل فرانس رؤية التاريخ يكرر نفسه؛ وربما هنا على الأرض السويدية"

"ما موقع الميدالية النازية التي وجدتها في الصورة؟". ولشدّة توقها، انحنت إيريكا صوب أكسيل، لكن وجهه تجمد فجأة.

قال: "أوه، صحيح. الميدالية... ثم نهض وتحرك بسرعة صوب الباب قائلاً: "أعتقد أنه يجدر بنا الذهاب للبحث عنها".

وفيما لحقت به، تساءلت إيريكا عما قالته لجعله مصدوماً هكذا، لكنها وجدت أن الوقت غير مناسب لتسأله. خارجاً في الردهة، لاحظت أن أكسيل توقف أمام باب لم تنتبه إليه سابقاً. كان الباب مغلقاً، وتردد حين وضع يده على المقبض.

قال وصوته يرتجف قليلاً: "أعتقد أنه من الأفضل أن أدخل بمفردي". فأدركت إيريكا أنهما يقفان على الأرجح أمام المكتبة؛ أي الغرفة التي قتل فيها إيريك.

قالت: "يمكننا فعل ذلك مرة أخرى". وأحسّت بالذنب لأنها تزعج أكسيل في فترة حزنه.

غير أنه قال بخشونة: "لا، سنفعل ذلك الآن". ثم كرر كلماته؛ ولكن بنبرة ألطف، كما لو أنه أراد أن يثبت لها عدم نيته في أن يكون قاسياً جداً.

"سأعود". فتح الباب ودخل، ثم أغلق الباب خلفه. بقيت إيريكا في الردهة، تصغي إلى أكسيل وهو يفتش في الداخل. بدا وكأنه يفتح أدراجاً، ولا بدّ أنه عثر على ما كان يبحث عنه بسرعة، لأنه احتاج إلى دقيقة واحدة أو اثنتين قبل أن يخرج.

"ها هي بتعبير مبهم، ووضع الميدالية في يد إيريكا الممدودة.

"شكراً. أنا...". وتاهت منها الكلمات، فأطبقت أصابعها ببساطة على الميدالية وكررت: "شكراً".

وفيما كانت تمشي على الممر المرصوف بالحصى والميدالية في جيبها، أحست بعينَي أكسيل تراقبانها. فكرت في العودة للاعتذار على إزعاجه، لكنها سمعت بعد ذلك صوت الباب الأمامي وهو يغلق.

فجالباكا 1943

"لا أفهم كيف يمكن لبير ألبين هانسون أن يكون جباناً هكذا!". ضرب فيلغوت رينغهولم الطاولة بمعصمه، مما جعل زجاجة الشراب تقفز في مكانها. طلب من بوديل إحضار الوجبات الخفيفة الخاصة بالعشاء، وتساءل عن سبب تأخرها هكذا. إنها نموذج المرأة التي تبدد الوقت سدى. ما من شيء ينجز على ما يرام إلا إذا فعله بنفسه.

"بوديل!". صرخ في اتجاه المطبخ، لكنه لم يحصل على أي جواب. فنفض الرماد عن سيجاره، وصرخ مجدداً بأعلى صوت ممكن: "بوديلللل!".

مازحه إيغون رودغرين: "هل أضاعت زوجتك طريقها في الخروج من المطبخ؟". فيما انضم هجالمار بينغتسون إلى نوبة الضحك. وهذا ما جعل فيلغوت أكثر غضباً. فالمرأة تجعله الآن يبدو مثل الأحمق أمام شريكه المفترض في العمل. لا بد من فعل شيء ما. لكن، فيما كان على وشك النهوض لمعرفة ما يجري، خرجت زوجته من المطبخ حاملة صينية مليئة.

قالت: "أنا آسفة لأنني استغرقت وقتاً طويلاً" وأخفضت عينيها فيما وضعت الصينية على الطاولة أمامهما. "فرانس، هل يمكنك...؟" وأشارت في اتجاه المطبخ، لكن فيلغوت لوّح للصبي.

"لن أقبل ببقاء فرانس في المطبخ لينجز أعمال النساء. لقد أصبح صبياً كبيراً الآن، ويمكنه البقاء هنا معنا وتعلّم أمر أو أمرين" وغمز ابنه الذي جلس منتصباً على الكرسي قبالته. إنها المرة الأولى التي يسمح له فيها بالبقاء في الغرفة بعد عشاء العمل الذي يقيمه والده. ففي العادة، يفترض به أن يستأذن ما إن ينتهوا من الأكل وينسحب إلى غرفته، لكن والده أصرّ اليوم على بقائه. فامتلأ صدره بالفخر إلى أن كادت الأزرار تتطاير عن قميصه وتتبعثر في كل الاتجاهات. وها هي الأمسية

على وشك أن تصبح أفضل.

"حسناً يا بني، ما رأيك في تذوق بضع قطرات من الشراب؟ ما رأيكم أيها السادة؟ لقد أتمّ الثالثة عشرة من عمره هذا الأسبوع. ألم يحن الوقت ليتذوق الصبي أول نقطة من الشراب؟".

ضحك هجالمار: "حان الوقت!! أعتقد أن الوقت قد فات كثيراً على ذلك. لقد تذوق أولادي أول قطرة من الشراب عندما كانوا في الحادية عشرة، ودعوني أخبركم أن ذلك قد أفادهم".

"فيلغوت، هل تعتقد فعلاً..." راقبت بوديل بحزن شديد فيما سكب زوجها عمداً كوباً كبيراً من الشراب وأعطاه لفرانس الذي بدأ يسعل فور ابتلاعه أول جرعة.

"حسناً، أيها الصبي. هوّن عليك. يجدر بك ارتشافه، وليس ابتلاعه".

قالت بوديل مجدداً: "فيلغوت..."

صرخ فيلغوت وقد اسودّ وجهه: "لماذا لا تزالين هنا؟ ألا توجد أشياء في المطبخ تحتاج إلى التنظيف؟".

لوهلة، كانت بوديل على وشك قول شيء ما، واستدارت صوب فرانس، لكنه اكتفى برفع كوبه بانتصار وقال بابتسامة: "في صحتك يا أمي العزيزة".

وعلى صوت ضحكة مدوّية، عادت بوديل إلى المطبخ وأغلقت الباب وراءها.

قال فيلغوت: "والآن، أين كنا؟". وهو يشير إلى ضيوفه ليتناولوا بأنفسهم سندويشات السمك الموضوعة على الصينية الفضية. "أوه حسناً، ما الذي يفكر فيه رئيس الوزراء بير ألبين؟ لا شك في أنه يجدر بنا تقديم الدعم لألمانيا!".

أومأ إيغون وهجالمار برأسيهما. فهما موافقان طبعاً.

قال هجالمار: "من المخزي ألا تستطيع السويد الصمود في مثل هذه الأوقات الصعبة، والتمسك بالمبادئ السويدية. أكاد أشعر بالخجل لأنني سويدي".

أومأ كل الرجال برؤوسهم وارتشفوا الشراب.

"ما الذي أفكر فيه؟ لا يمكننا الجلوس هنا واحتساء هذا النوع من الشراب مع سمك الرنكة. فرانس، انزل إلى الأسفل وأحضر لنا بعض زجاجات الشراب الباردة".

بعد خمس دقائق، جرى تنفيذ الطلب، وتمكنوا من التهام سندويشات الرنكة مع جرعات كبيرة من الشراب البارد الذي كان في القبو. كان فرانس جالساً على الكرسي قبالة والده، وابتسم ابتسامة عريضة جداً حين فتح فيلغوت إحدى القناني وأعطاه إياها.

"خصصتُ كروناً واحداً أو اثنين لمساندة القضية. وأقترح عليكما أن تفعلا الشيء نفسه. يحتاج هيتلر إلى أكبر عدد من الرجال قربه الآن".

قال هجالمار، وهو يرفع قنينته: "لا شك في أن الأعمال تزدهر. بالكاد نستطيع تلبية طلبات التصدير. قولوا ما تشاءون عن الحرب، لكنها ليست فكرة سيئة من منظور العمل

"أنت محق في ذلك. وإذا استطعنا التخلص من بعض أولئك التعساء في الوقت نفسه، فسيكون الأمر أفضل وتمدد إيغون للإمساك بسندويش رنكة أخرى. لم يبقَ الآن إلا عدد قليل من السندويشات. التهم قضمة، ثم استدار صوب فرانس الذي كان يصغي جيداً إلى كل ما يُقال، وقال له: "يفترض بك أن تكون فخوراً بوالدك أيها الصبي. إذ لا يوجد الكثير من أمثاله في السويد هذه الأيام".

"نعم سيدي". تمتم فرانس، وشعر فوراً بالإحراج بسبب الانتباه الموجَّه إليه.

"أصغِ إلى ما يقوله والدك، وتجاهل كل أولئك الأغبياء الذين يُدينون الألمان والحرب. معظمهم من سلالات هجينة مثلما تعلم. فهناك الكثير من الغجر هنا، ومن الطبيعي أن يشوهوا الحقائق. لكن والدك يعرف حقيقة الأمر، ونحن أيضاً. لقد رأينا كيف حاول اليهود والأجانب الاستيلاء، وفعلوا كل ما بوسعهم لتدمير كل ما هو سويدي ونقي. لا، هيتلر على المسار الصحيح، تذكّر كلماتي كان إيغون متحمساً جداً، حيث تطاير فتات الخبز من فمه. وبدا فرانس مفتوناً.

"أعتقد أنه يجدر بنا الآن التحدث في العمل أيها السادة". وضع فيلغوت قنينة شراب أمامه على الطاولة بصوت مدوٍّ، فاتجهت كل الأنظار إليه.

جلس فرانس هناك يستمع إلى الرجال لمدة عشرين دقيقة إضافية، ثم وقف بطريقة غير ثابتة وذهب إلى السرير. شعر وكأن الغرفة كلها تدور حوله، فاستلقى على السرير من دون أن يبدّل ملابسه. استطاع سماع الصوت الخفيف الصادر من

الردهة فيما كان الرجال يتكلمون. وحين خلد إلى النوم أخيراً، لم يكن مدركاً لما سيشعر به حين يستيقظ.

* * *

تنهد غوستا بعمق. سيحلّ الخريف قريباً وسينتهي فصل الصيف. من الناحية العملية، ذلك يعني أن مباريات الغولف سيقلّ عددها بشكل جذري. لا يزال الطقس دافئاً، ومن الناحية النظرية، ما زال يملك فترة شهر تقريباً للعب. لكنه عرف من تجربة مريرة كيف تحصل الأمور. إذ يهطل المطر أثناء بعض المباريات، فيتم إلغاء مباريات أخرى بسبب العواصف الرعدية. وبين يوم وآخر، تنخفض درجات الحرارة من مستوى مقبول إلى مستوى لا يحتمل. هذه هي مساوئ العيش في السويد، ولا يمكنه رؤية الكثير من المزايا التي تعوّض عن تلك السيئات؛ باستثناء توافر surstomming، سمكة الرنكة البلطية المخمّرة التي تعتبر المفضلة لديه. لكن إذا انتقل إلى الخارج، فبإمكانه وضع بعض العلب في حقيبة سفره. وحينها سيكون قد حصل على أفضل ما في العالمين.

على الأقل، الأمور هادئة في مركز الشرطة. فقد خرج ميلبرغ للتنزه مع إرنست، فيما ذهب مارتن وباولا إلى غريبيستاد لاستجواب فرانس رينغهولم. تساءل غوستا مجدداً عن سبب شعوره أنّ الاسم مألوف جداً، وشعر بالارتياح كثيراً عندما تذكر أمراً. فأمسك بعدد ذلك النهار من صحيفة Bohuslaningen الموجودة على مكتبه، وتصفحها إلى أن وضع إصبعه بانتصار على الاسم؛ كجيل رينغهولم. الصحافي سريع الغضب في الجريدة كان ناقداً قاسياً للسياسيين المحليين وكل من هم في السلطة. قد يكون الأمر مصادفة، لكن هذا الاسم غير شائع جداً. هل هو ابن فرانس؟ حفظ غوستا المعلومات في ذهنه في حال برزت الحاجة إليها لاحقاً.

في الوقت الحاضر، ثمة أمور أكثر إلحاحاً يجدر به التعاطي معها. تنهد مجدداً. على مرّ الأعوام، تحوّل التنهد إلى عادة لديه. يجدر به الانتظار ربما إلى أن يعود مارتن، حيث يتمكن من تشارك عبء العمل معه. والميزة في ذلك هي أنه يحصل على ساعة لنفسه، أو ربما ساعتين؛ إذا قرر مارتن وباولا التوقف لتناول الغداء قبل العودة إلى مركز الشرطة.

لكنه عندما فكّر في الأمر مجدداً، رأى أنه من الأفضل إنهاء العمل بدلاً من تركه مؤجلاً. أمسك غوستا بسترته، وأخبر آنيكا إلى أين سيذهب، ثم أخذ إحدى السيارات من الكاراج، وتوجّه إلى فجالباكا.

لم يدرك أنّ القرار الذي اتخذه غبياً إلا بعد أن رنّ جرس الباب. فقد تجاوز الوقت الظهر، ويفترض أن يكون الصبيّان في المدرسة. كان على وشك المغادرة عندما فتح الباب وظهر آدم وهو يتنفّس بصوت مسموع، وأنفه أحمر وعيناه لامعتان.

سأل غوستا: "هل أنت مريض؟".

فأومأ الصبي برأسه. وكما لو أن الإثبات ضروري، عطس بصوت عالٍ، ثم مسح أنفه بالمنديل الذي كان يحمله وقال بصوت أثبت بوضوح مدى الاحتقان في أنفه: "أعاني من الزكام".

"هل أستطيع الدخول؟".

وقف آدم جانباً، وقال وهو يعطس مجدداً: "حسناً، ولكن على مسؤوليتك".

أحسّ غوستا برذاذ خفيف من اللعاب المحمّل بالفيروسات يرتطم بيده، فمسحه بهدوء بكمّ قميصه. لا ضير أبداً في الحصول على إجازة مرضية لمدة يومين. إنه مستعد بسرور للمعاناة من احتقان الأنف إذا استطاع التمدد على الأريكة في المنزل ومشاهدة قرص "دي في دي" لأحدث مباريات "الماسترز". كان ينتظر الفرصة لتأمل ضربة "تايغر بالحركة البطيئة.

قال آدم: "بابا ليس في المنزل".

قطّب غوستا جبينه، فيما لحق بالصبي إلى المطبخ. ثم فهم الأمر. لا بدّ أن آدم أراد القول: "ماما ليست في المنزل". وخطر في بال غوستا أنه لا يجدر به استجواب قاصر من دون وجود وصيّ قانوني، لكنه تخلى سريعاً عن تلك الفكرة. ولو كان إرنست هنا لقدّم الدعم الكامل لغوستا؛ والمقصود هنا بالطبع هو إرنست زميله السابق وليس الكلب. قهقه غوستا حين فكر في ذلك، فحظي بنظرة مرتبكة من آدم.

جلسا إلى طاولة المطبخ التي لا تزال تحمل آثار فطور هذا الصباح: فتات الخبز، والقطع الصغيرة من الزبدة، والقليل من شراب الشوكولا "أوبوي".

قال غوستا: "إذاً". ونقر بأصابعه على الطاولة، لكنه ندم فوراً حين اتسخت

أصابعه بفتات الخبز الدبق، فمسحها بسرواله ثم بدأ مجدداً:

"إذاً، كيف... تتقبل كل المسألة؟" بدا السؤال غريباً حتى بالنسبة إليه. فهو ليس بارعاً كثيراً في التحدث إلى الأولاد أو الأشخاص المصدومين. وهو لا يستوعب تماماً أياً من ذلك الهراء. كان الرجل العجوز ميتاً عندما وجداه، فما مدى السوء في ذلك؟! لقد رأى بعض الجثث خلال سنوات عمله في الشرطة، ولم يشعر يوماً بالصدمة.

مسح آدم أنفه وسوّى كتفيه قائلاً: "أوه، جيداً مثلما أفترض. جميع من في المدرسة يظنون أن هذا رائع".

"كيف حصل أن ذهبتما أنتما الاثنان إلى هناك أساساً؟".

"كانت فكرة ماتياس". تمتم آدم بالاسم، لكن غوستا أصبح معتاداً الآن على مدى تأثير الزكام في كلام الصبي، ولذلك استطاع فهم ما قاله.

"جميع من في الجوار عرفوا أن هذين الرجلين مهووسان بالحرب العالمية الثانية وبالأمور المماثلة، وجميع من في المدرسة قالوا إنه توجد الكثير من الأشياء الرائعة في منزلهما، ولذلك رأى ماتياس أنه يجدر بنا الذهاب والتحقق..." توقف تسلسل كلماته فجأة بسبب عطسة قوية جداً جعلت غوستا يقفز في مكانه فعلاً.

قال غوستا: "إذاً، كان ماتياس من اقترح اقتحامكما المكان، أليس كذلك؟". ووجَّه نظرة صارمة إلى آدم.

فارتبك آدم وقال: "لا أعرف إذا كان بوسعي تسمية الأمر اقتحاماً. فنحن لم نشأ سرقة أي شيء، بل أردنا فقط إلقاء نظرة. وظننّا أن الرجلين خارج المنزل، ولذلك لن يلاحظا على الأرجح أننا دخلنا إلى هناك".

قال غوستا: "حسناً، أفترض أنه يجدر بي تصديق كلامك. هل دخلت منزلهما سابقاً؟".

قال آدم بحماسة: "لا، أقسم بالله. كانت تلك أول مرة ندخل فيها إلى هناك".

"سأحتاج إلى أخذ بصماتك كي أتحقق مما تقوله لي، ونستطيع حينها إبعادك عن الشبهات. هل لديك مشكلة في ذلك؟".

قال آدم وقد لمعت عيناه: "لا، على الإطلاق. أشاهد دوماً برنامج CSI

(التحقق من مسرح الجريمة)، وأعرف مدى أهمية ذلك؛ أعني إبعاد الشبهات عن شخص معين. ثم توضع كل البصمات في جهاز الكمبيوتر لمعرفة من دخل المكان أيضاً".

قال غوستا بتعبير صارم: "بالضبط. هكذا نعمل بالضبط" وسخر من الأمر في قرارة نفسه. وضع كل البصمات في جهاز الكمبيوتر! أوه طبعاً.

أخرج المعدات التي يحتاج إليها لأخذ بصمات آدم: محبرة، وبطاقة فيها عشرة مربعات ضغط عليها أصابع الصبي بعناية، الواحدة تلو الأخرى.

ثم قال بنبرة راضية: "ها قد انتهينا"

سأل آدم: "هل تمسحها في جهاز الكمبيوتر، أو ماذا تفعل؟".

أجاب غوستا: "صحيح، نمسحها في جهاز الكمبيوتر، ثم نمررها في قاعدة البيانات التي تحدثت عنها. نملك في قاعدة البيانات بصمات كل مواطن سويدي تخطى الثامنة عشرة من عمره، بالإضافة إلى عدد من الأجانب أيضاً؛ بواسطة الانتربول مثلما تعلم. نحن نتواصل معهم. أقصد الانتربول؛ مباشرة. كما نتواصل مع مكتب التحقيقات الفدرالي، ووكالة الاستخبارات المركزية".

قال آدم: "رائع". ونظر إلى غوستا بإعجاب.

ضحك غوستا طوال طريق العودة إلى تانومشيد.

حضّر الطاولة بعناية فائقة مستعملاً الشرشف الأصفر الذي عرف أن بريتا تحبه كثيراً، ووضع الأواني الخزفية الصينية بيضاء اللون ذات النقوش النافرة، والشمعدانات التي تلقياها هدية في زفافهما. كما وضع بعض الأزهار في إناء. أياً كانت الفترة من السنة، فإن بريتا تضع دوماً الأزهار في المنزل. إنها زبونة منتظمة لبائع الأزهار، أو على الأقل هكذا كانت. ففي هذه الأيام، بات هيرمان من يشتري الأزهار. أراد أن يبقى كل شيء مثلما كان دوماً. فإذا بقي كل شيء حولها من دون أي تغيير، فربما يتباطأ تراجع حالتها على الأقل؛ حتى لو لم يكن بالإمكان إيقافه تماماً.

الأسوأ كان في البداية؛ قبل إبلاغهما بالتشخيص. إذ لطالما كانت بريتا دقيقة

جداً في كل الأمور، ولم يفهم أحد من أفراد العائلة لماذا أصبحت فجأة عاجزة عن إيجاد مفاتيح سيارتها، أو سبب مناداتها حفيدها باسم خاطئ، أو استحالة تذكرها أرقام هواتف الأصدقاء التي حفظتها معظم حياتها. ألقوا اللوم على التعب والتوتر، وبدأت تتناول الفيتامينات المتعددة وتشرب "بلوتسافت"؛ ظناً منها أن هذا قد يحارب النقص الغذائي الذي تعاني منه. لكن الأمور وصلت إلى مرحلة باتوا فيها عاجزين عن تجاهل حقيقة أن شيئاً خطيراً يحصل.

إلا أن التشخيص جعلهم مصدومين. ثم أصدرت بريتا تنهيدة. كان هذا كل شيء: تنهيدة واحدة. ضغطت على يد هيرمان، فضغط بدوره على يدها. عرفا كلاهما معنى ذلك. الحياة التي تشاركاها طوال خمسة وخمسين عاماً سوف تتغير بطريقة صعبة. فالمرض سيعطّل عقلها ببطء، وسيجعلها تخسر المزيد والمزيد من نفسها: ذكرياتها، وشخصيتها. اتسعت الفجوة بشكل كبير وعميق أمامهما.

مرّ عام منذ ذلك الحين، وأصبحت اللحظات الجيدة ضئيلة ومتقطعة الآن. ارتجفت يدا هيرمان وهو يطوي المناديل الورقية. لطالما جعلتها بريتا على شكل مراوح. لكن رغم مراقبته إياها مرات كثيرة وهي تفعل ذلك، إلا أنه لم ينجح في القيام بذلك شخصياً. وبعد المحاولة الرابعة، تصاعد الغضب والإحباط داخله، فمزّق المنديل إرباً، وتناثرت أجزاؤه فوق الطبق. جلس على كرسي، وحاول التماسك قدر الإمكان، فيما مسح دمعة سالت من عينه.

تشاركا خمسة وخمسين عاماً. كانت أعواماً جيدة، أعواماً سعيدة. لا شك في أنهما واجها بعض الصعوبات والمشاكل؛ تماماً كما يحصل في أي زواج. لكن الأساس بقي صلباً دوماً. أصبحا راشدين معاً؛ هو وبريتا. خصوصاً بعدما أنجبا آنا غريتا. كان فخوراً ببريتا جداً. وقبل ولادة ابنتهما، توجّب عليه الاعتراف بأنه وجد زوجته سطحية أحياناً. لكن، منذ اليوم الأول الذي حملت فيه آنا غريتا بين ذراعيها تبدلت. كما لو أن الأمومة أعطتها ركيزة كانت تفتقد إليها حتى ذلك الحين. أنجبا ثلاث بنات؛ ثلاث بنات رائعات. وكبر حبه لزوجته مع ولادة كل بنت.

أحسّ بيدٍ على كتفه. "بابا، ما المشكلة؟ لم تجب حين طرقت على الباب، فقررت الدخول بمفردي".

مسح هيرمان عينيه بسرعة، وابتسم حين شاهد القلق البادي على وجه ابنته الكبرى. لكنه لم يستطع خداعها، فلفّت ذراعيها حوله، ووضعت وجنتها على وجنته.

"أهو أحد الأيام الصعبة يا بابا؟".

أومأ برأسه، ولهنيهة سمح لنفسه بأن يشعر مثل الطفل بين ذراعَي ابنته. لقد ربّياها تربية جيدة، هو وبريتا. كانت بريتا شخصاً حنوناً ومتزناً، وجدة محبة لحفيدين. في بعض الأحيان، لا يفهم كيف حصلت الأمور بسرعة كبيرة. وكيف يمكن لهذه المرأة ذات الشعر الأشيب والتي تبلغ من العمر خمسين عاماً أن تكون الابنة التي لعبت في المنزل وأمسكت به بيديها الصغيرتين.

قال أخيراً: "الوقت يمرّ آنا غريتا". وربّتت على ذراعها التي وضعتها فوق صدره.

فقالت وهي تعانقه بقوة أكبر: "نعم بابا، الوقت يمرّ". وعانقته بقوة أكبر ثم أفلتته.

"سأطوي المناديل الورقية فيما تحضر بنفسك الشوك والسكاكين. أعتقد أن هذا أفضل نظراً إلى ما أراه هنا". وأشارت إلى الفتات المتناثرة على الطاولة مثل قصاصات الورق الملون، وغمزته.

فقال وهو يبتسم لابنته بامتنان:"أنت محققة. قد يكون هذا أفضل. قد يكون هذا أفضل

"متى يفترض بهم الوصول إلى هنا؟". نادى باتريك من الحمام حيث كان يبدّل ملابسه ويرتدي شيئاً ملائماً أكثر من الجينز والقميص القطني، بناء على طلب إيريكا. إذ لم تنفع اعتراضاته: "لكن أختك ودان هما القادمان إلى العشاء...". يبدو أن وصول مدعوين إلى العشاء يستلزم شيئاً أكثر من الملابس غير الرسمية. نهاية القصة.

فتحت إيريكا باب الفرن لإلقاء نظرة على شرائح اللحم المشوية. إنها تشعر بالذنب منذ أن صرخت في وجه باتريك البارحة. وللتعويض عن ذلك، ها هي تحضّر أحد أطباقه المفضلة: شرائح اللحم المخبوزة في عجينة الباف، مع صلصة

العنب والبطاطا المهروسة. هذا هو الطبق الذي حضرته له عندما دعته للعشاء أول مرة. أول ليلة... ضحكت وأغلقت باب الفرن. يبدو الأمر وكأنه حصل قبل زمن بعيد جداً، رغم أن أعواماً قليلة فقط مرّت على ذلك. وبقدر ما أحبّت باتريك، بدا لها غريباً كيف استطاع الروتين اليومي ومتطلبات الاهتمام بالطفلة القضاء بسرعة على أية رغبة في القيام بعلاقة حميمة خمس مرات متتالية؛ مثلما فعلا في الليلة الأولى. في هذه الأيام، إنها تشعر بالإرهاق لمجرد التفكير في ذلك. يبدو لها الآن أن القيام بذلك مرة كل أسبوع إنجاز حقيقي.

صرخت نحو الأعلى: "سيصلان بعد نصف ساعة". ثم بدأت تحضّر الصلصة. وبعد ذلك، بدّلت ملابسها وارتدت سروالاً أسود وكنزة ليلكية؛ إحدى القطع المفضلة لديها من الأعوام التي عاشتها في استوكهولم. لتوخي الحذر وضعت المئزر، وصفر باتريك إعجاباً حين دخل المطبخ.

"ما الذي تراه عيناي المتعبتان هنا؟ مفاجأة رائعة! امرأة فاتنة جداً، ذات أناقة بسيطة ومهارة مطبخية".

قالت إيريكا ضاحكة: "لا توجد كلمة مطبخية في اللغة". فيما قبّل باتريك الجهة الخلفية لعنقها، وقال وهو يغمزها: "باتت موجودة الآن". ثم تراجع إلى الخلف، ودار حول نفسه في وسط المطبخ وسألها: "إذاً، هل مظهري جيد هكذا؟ أم أحتاج للذهاب إلى الأعلى وتبديل ملابسي مجدداً؟".

"توقف. أنت تجعل الأمر يبدو وكأنني صعبة الإرضاء فعلاً". ونظرت إليه من الأعلى إلى الأسفل مع تعبير صارم، ثم ضحكت وقالت: "جيد جداً. أنت رائع بالنسبة إلى عينين متعبتين. والآن، إذا استطعت ترتيب الطاولة، فقد أتذكر ربما لماذا تزوجتك".

"أرتب الطاولة؟ اعتبري الأمر منجزاً"

بعد نصف ساعة، وفي تمام الساعة السابعة، حين رنّ جرس الباب كان الطعام جاهزاً والطاولة مرتبة. وقف دان وآنا أمام الباب برفقة إيما وأديان اللذين دخلا على الفور وهما يناديان ماجا؛ قريبتهما الصغيرة ذات الشعبية الكبيرة.

قالت آنا: "من هذا الرجل الظريف إيريكا؟ ماذا فعلت بباتريك؟ يبدو أن

الوقت قد حان واستبدلته بعارض أزياء أكثر وسامة".

عانق باتريك آنا وقال: "سررت برؤيتك يا ابنة حماي العزيزة. كيف حال طيرَي الحب هذه الأيام؟ يسرّنا أنا وإيريكا أنكما استطعتما الخروج من غرفة النوم لوقت طويل بما فيه الكفاية لزيارتنا ورؤيتنا في عشنا المتواضع".

قالت آنا: "توقف!". وضربت باتريك على صدره. لكن النظرة التي وجهتها إلى دان كشفت أن باتريك محق فعلاً.

أمضوا أمسية جميلة جداً معاً، وفرح أدريان وإيما بتسليتهما ماجا إلى أن حان موعد خلودها إلى النوم، ثم ناما بدورهما على طرفَي الأريكة. حظي الطعام بالمديح الذي يستحقه، وكان الشراب ممتازاً. استمتعت إيريكا بوجود أختها ودان معها إلى المائدة لتناول عشاء لذيذ من دون وجود أي غيوم تلوح في الأفق، ومن دون التفكير حتى في كل ما حصل في الماضي. بل لمجرد تبادل حديث لطيف وملاحظات ودية.

إلا أن المزاج تبدل فجأة مع الرنين الملح لجوّال دان.

قال دان: "عفواً، عليّ أن أعرف من يتصل بي في هذا الوقت من الليل ثم خرج وسحب هاتفه الخلوي من جيب سترته، وقطّب جبينه عندما نظر إلى الشاشة كما لو أنه لم يعرف الرقم.

قال: "مرحبا. أنا دان، من المتصل؟ عذراً، لكنني لا أستطيع السماع... بليندا؟ أين؟ ماذا؟ لكنني أحتسي الشراب ولا أستطيع... ضعيها في سيارة أجرة وأرسليها إلى هنا. الآن! نعم، سأدفع للسائق عندما تصل. تأكدي فقط من وصولها إلى هنا". وأعطى المتصلة عنوان منزل باتريك وإيريكا ثم أنهى الاتصال قائلاً: "لا أصدق ذلك".

سألت آنا قلقة: "ماذا يجري؟"

"إنها بليندا. يبدو أنها ذهبت إلى حفلة راقصة، وهي الآن ثملة. اتصلت بي إحدى صديقاتها، وسوف يرسلونها إلى هنا في سيارة أجرة".

"لكنني ظننت أنها ستبقى مع برنيلا في مانكيدال".

"وأنا أيضاً. لكن، يبدو جلياً أنها لم تذهب إلى هناك. فصديقتها تتصل من غريبيستاد".

راح دان يضغط على الأرقام في هاتفه الخلوي. وبدا وكأنه قاطع نوم زوجته السابقة. ذهب إلى المطبخ، واستطاعوا سماع أجزاء من المحادثة، لكن الكلام لم يكن ودياً على الإطلاق. وبعد دقائق قليلة، عاد إلى غرفة الطعام، وجلس إلى الطاولة وهزّ رأسه بإحباط.

"يبدو أن بليندا أخبرت أمها أنها ستمضي الليلة مع صديقتها. ويبدو أن صديقتها قالت إنها ستمضي الليلة مع بليندا؛ لكنهما ذهبتا بدلاً من ذلك إلى حفلة راقصة في غريبيستاد. اللعنة! ظننتُ أنني أستطيع الاعتماد عليها في مراقبة الفتاة!".

قالت آنا: "أتقصد برنيلا؟" وربتت على ذراعه لتهدئته. "ليس الأمر بهذه السهولة دان. إنها أقدم حيلة في التاريخ. حتى أنت كان من الممكن أن تقع في الفخ".

أجاب دان بغضب: "لا، غير صحيح! كنت سأتصل بأهل صديقتها خلال المساء لمعرفة كيف تجري الأمور. فأنا لا أثق أبداً بفتاة عمرها سبعة عشر عاماً. كم يمكن أن يكون الشخص غبياً؟ ألا يجدر بي الاعتماد عليها للاهتمام بالأولاد؟".

قالت آنا بصرامة: "اهدأ. الشيء الأهم في الوقت الحاضر هو الاهتمام ببليندا عندما تصل إلى هنا" فتح دان فمه لقول شيء ما، لكنها أوقفته قبل أن يستطيع الكلام. "ولن نوبخها الليلة. سنترك الحديث لصباح الغد، بعدما تكون قد استعادت رزانتها. اتفقنا؟" جميع الجالسين إلى المائدة، بمن فيهم دان، عرفوا أنه لا يمكن مناقشة هذه المسألة الآن، لذا أوْمأ برأسه.

قالت إيريكا وهي تنهض: "سأحضّر غرفة الضيوف".

قال باتريك: "وسأحضر دلواً". وأمل بشدّة ألا يجد نفسه مضطراً لقول الشيء نفسه عندما تصبح ماجا مراهقة.

بعد دقائق قليلة، سمعوا سيارة تتوقف في الخارج، فأسرع دان وآنا إلى الباب الرئيس. دفعت آنا الأجرة للسائق، فيما أخرج دان بليندا من السيارة. كانت مستلقية على المقعد الخلفي مثل دمية قماشية عتيقة.

قالت بصوت متلعثم: "بابا... ثم وضعت ذراعيها حول عنقه، وضغطت بوجهها على صدره. رائحة التقيؤ جعلت دان يشعر بالغثيان، لكنه أحسّ في الوقت

نفسه بكمّ هائل من العاطفة تجاه ابنته التي بدت فجأة صغيرة وضعيفة جداً. مضت أعوام طويلة منذ أن حملها بين ذراعيه.

إلا أن الصوت الصادر لدى محاولة بليندا التقيؤ جعله من دون أن ينتبه يحرّك رأسها، ويديره بعيداً عن صدره. تدفق سائل موحل أحمر اللون وذو رائحة كريهة على الدرج الأمامي لمنزل إيريكا وباتريك. يبدو جلياً أنها احتست شراباً أحمر.

قالت إيريكا: "أدخلها. لا تقلق بشأن الفوضى، سننظف لاحقاً". وأشارت إلى دان وآنا للدخول. "ضعها في الحمام. سوف ننظفها أنا وآنا، وسنعطيها بعض الملابس النظيفة لترتديها".

في الحمام، بدأت بليندا تبكي. كان صوت بكائها محطماً للقلب؛ فربّتت آنا على شعرها، فيما جففتها إيريكا بالمنشفة بعناية.

قالت آنا: "ششششش، سيكون كل شيء على ما يرام. لا تقلقي ثم أدخلت قميصاً قطنياً نظيفاً في رأس بليندا.

"كان يفترض أن يكون كيم هناك... وظننتُ أن... لكنه أخبر ليندا أنه يجدني.... بشعة...". بالكاد استطاعت إخراج الكلمات من فمها بين نوبات البكاء.

نظرت آنا إلى إيريكا من فوق رأس بليندا. لم تشأ أي منهما أن تكون مكان الفتاة مهما كانت الظروف. فما من شيء مؤلم بقدر القلب المحطم لفتاة مراهقة. لقد عاشتا كلتاهما هذه التجربة، وهما تفهمان سبب لجوئها في هذه الظروف إلى احتساء الشراب؛ فلا بد أنها فعلت ذلك لتخفيف أحزانها. لكنه تأجيل مؤقت. غداً، ستشعر بليندا بسوء أكبر؛ فهذا أمر آخر تعرفه الأختان من تجربتيهما الشخصيتين. وكل ما تستطيعان فعله الآن هو وضعها في السرير، وسوف تهتمان بالباقي في الصباح.

وقف ميلبرغ واضعاً يده على المقبض، وراح يقارن بين الإيجابيات والسلبيات. لا شك في أن السلبيات ستتفوق بفارق ملحوظ. إلا أنه جاء، وثمة سببان وراء ذلك. أولاً، إنه لا يملك شيئاً أفضل لفعله هذه الليلة. وثانياً، استمرّ في رؤية عينَي ريتا الداكنتين. ما زال يتساءل عما إذا كان هذان العاملان كافيين

ليفعل شيئاً أحمق كحضور صف رقص السالسا. سيكون المكان على الأرجح مليئاً بنساء يائسات؛ نساء اعتقدن أنه بوسعهن اصطياد رجل بالذهاب إلى صف رقص. يا للقرف! فكّر هنيهة في أن يعود أدراجه، ويذهب إلى محطة الوقود لشراء علبة من رقاقات البطاطا المقلية، قبل التوجه إلى المنزل لمشاهدة برنامجه التلفزيوني المفضل "ثلاجة كاملة مع ستيفان وكريستر مجرد التفكير في ذلك جعله يضحك. هذا الثنائي مشاغب جداً.

ما إن حسم ميلبرغ أمره باختيار الخطة الثانية، حتى فُتِح الباب أمامه.

"برتيل! سررت كثيراً برؤيتك، كنا على وشك أن نبدأ". وقبل أن يدرك ذلك، أمسكت ريتا بيده وسحبته إلى داخل النادي الرياضي. كانت الموسيقى الأميركية اللاتينية تصدح من جهاز استيريو نقال موضوع على الأرض، ونظر إليه ثنائيان باهتمام حين دخل. لاحظ ميلبرغ بدهشة أن عدد الرجال والنساء متساوٍ، وتبددت على الفور الصورة التي تخيلها بأن يتحول إلى كتلة لحم تمزقها مجموعة من السيدات في جوّ حار.

قالت ريتا: "عليك أن ترقص معي. يمكنك مساعدتي في إظهار الخطوات". وجرّته إلى وسط حلبة الرقص. وقفت أمامه، وأمسكت إحدى يديه بيدها، فيما وضعت ذراعه الأخرى حول خصرها. توجب على ميلبرغ كبت رغبته في معانقة جسمها الممتلئ الجميل. إنه ببساطة لا يفهم الرجال الذين يفضلون النساء النحيلات.

قالت ريتا بصرامة: "حسناً برتيل، انتبه الآن". فوقف منتصباً. قالت ريتا للثنائيين الآخرين: "انتبهوا إلى ما سنفعله أنا وبرتيل. بالنسبة إلى السيدات، القدم اليمنى إلى الأمام، ثم نقل الوزن إلى القدم اليسرى، وإرجاع القدم اليمنى إلى الخلف. بالنسبة إلى الرجال، الحركة نفسها وإنما باستعمال القدم الأخرى؛ أي القدم اليسرى إلى الأمام، ثم نقل الوزن إلى القدم اليمنى، وإرجاع القدم اليسرى إلى الخلف. سوف ننجز الحركة نفسها إلى أن يستوعبها الجميع".

كافح ميلبرغ لتعلم الخطوات. في البداية، بدا وكأن دماغه مصمم لمحو المعلومات الأساسية، مثل التمييز بين القدم اليمنى والقدم اليسرى. لكن ريتا مدرّبة

جيدة. فقد أرشدته إلى الخطوات، وجعلته يحرّك قدميه إلى الأمام والخلف. وبعد فترة قصيرة، بدأ يستوعب الرقصة.

قالت ريتا موجهة إلى تلاميذها نظرة تشجيعية: "والآن... سنبدأ بتحريك الوركين. نحن متصلبون جداً؛ أعني السويديين. لكن رقصة السالسا قائمة على الحركة، والجاذبية، والنعومة".

أظهرت لهم ما تقصده؛ وذلك بتحريكها وركيها على إيقاع الموسيقى. وجعلت الأمر يبدو وكأن وركيها تتحركان جيئة وذهاباً مثل الموجة. راقب ميلبرغ بافتتان فيما حرّكت ريتا جسدها. بدا الأمر سهلاً جداً حين فعلته. أصرّ على ترك انطباع جيد لديها، فحاول تقليد حركاتها، وحرّك قدميه إلى الأمام والخلف وفق النمط الذي ظن أنه حفظه؛ إلا أنه لم ينجح على الإطلاق. فقد كانت وركاه متصلبتين مثل الخشب، وأفضت كل محاولاته لتنسيق حركة وركيه مع قدميه إلى حركة قصيرة. فجأة توقف، وبدا الإحباط على وجهه. ولزيادة الأمور سوءاً، اختار شعره في تلك اللحظة الانسدال فوق أذنه اليسرى، فأعاده بسرعة إلى مكانه، على أمل ألا يكون أحد قد لاحظ ما حصل. لكن ضحكة مكبوتة من أحد الثنائيين بددت كل أوهامه في هذا المجال.

قالت ريتا: "أعرف أنه أمر صعب برتيل. إذ يحتاج الأمر إلى التمرين". وألحّت عليه للتجربة مرة أخرى. "أصغِ إلى الموسيقى برتيل. أصغِ، ودع جسمك يلحق بالإيقاع. لكن، لا تنظر إلى قدميك، بل انظر إليّ. ففي رقصة السالسا، يجب أن تنظر دوماً إلى عيني المرأة. إنها رقصة حب، رقصة شغف".

ثبتت نظرها عليه، وبجهد كبير نجح في النظر إليها بدلاً من النظر إلى قدميه. في البداية، بدا الأمر ميؤوساً منه. ولكن بعد برهة، وبناء على إرشادات ريتا اللطيفة، أحسّ أن شيئاً ما يحصل. فقد بدأ جسمه يسمع الموسيقى فعلاً، وبدأت وركاه تتحركان بنعومة وجاذبية. نظر أكثر إلى عينَي ريتا. وفيما صدحت الإيقاعات الأميركية اللاتينية من الجهاز، أحسّ بنفسه يقع.

كريستيانساند 1943

ليس صحيحاً أن أكسيل يستمتع بالمجازفة، وأنه شجاع بشكل استثنائي. فهو خائف بلا شك، وسيكون أحمق إذا لم يخف. لكنه ببساطة أمر أحسّ أنه يجدر به القيام به. إذ لا يستطيع الاكتفاء بالجلوس والسماح للشر بالسيطرة من دون الاعتراض.

وقف قرب الدرابزين، وأحسّ بالرياح تلفح وجهه. إنه يحبّ رائحة الماء المالح، ولطالما حسد الصيادين الذين يخرجون إلى عرض البحر من الصباح الباكر وحتى أواخر المساء، تاركين قواربهم تأخذهم إلى حيث السمك الوفير. إلا أنه أبقى هذا الحسد داخله. فقد عرف أنهم سيضحكون عليه، ولن يصدقوا أنه هو- ابن الطبيب- الذي يفترض به إكمال دراسته ليصبح شيئاً مهماً، يغار منهم، ويغار من القروح في أيديهم، ومن رائحة السمك التي لا تفارق ملابسهم أبداً، ومن عدم تيقنهم مما إذا كانوا سيعودون إلى منازلهم كلما خرجوا أم لا. سيجدون أن تمنّيه عيش حياة الصياد أمر مضحك ووقح. لن يفهموا أبداً. لكنه أحسّ في أعماق نفسه بأن هذا هو نوع الحياة المقدّرة له. إنه يملك من دون شك رأساً جيداً للدراسة، لكنه لم يشعر يوماً بالارتياح مع الكتب والتعلم مثلما يفعل هنا على متن المركب، فيما الرياح تداعب شعره ورائحة السمك تملأ منخريه.

من جهة أخرى، أحبّ إيريك عالم الكتب. فقد كان ينبعث منه تورّد سعيد كلما جلس على سريره في المساء لتتصفح عيناه صفحات كتاب قديم جداً وسميك جداً يستحيل أن يبعث أي نوع من الحماسة في نفس أي شخص آخر. كان يلتهم المعلومات، ويجد متعة في اكتساب المعرفة، وتعلم الحقائق والتواريخ والأسماء والأماكن. كان أكسيل مفتوناً بذلك، لكنه أحسّ بالحزن أيضاً. إنهما أخوان مختلفان جداً. ويعزى ذلك إلى فارق العمر بينهما ربما؛ فهو أكبر من أخيه بأربع سنوات،

ولذلك لم يلعبا مع بعضهما قط، ولم يتشاركا الألعاب مطلقاً. بالإضافة إلى ذلك، عاملهما والداهما بطريقة مختلفة جداً. فقد وضعا أكسيل على قاعدة مرتفعة بطريقة أحدثت خللاً في توازن العائلة؛ إذ جعلاه شخصاً مميّزاً وليس كما هو فعلاً، فيما حطّا من شأن إيريك. لكن، كيف يستطيع منعهما؟ إنه يستطيع فقط أن يفعل ما قدّر له.

"سوف ندخل المرفأ بين دقيقة وأخرى".

قفز أكسيل عند سماعه صوت إيلوف الجاف خلفه، فهو لم يسمعه فيما كان يقترب منه.

"سأنزل إلى الشاطئ ما إن نتوقف، وسأغيب قرابة الساعة"

أومأ إيلوف برأسه وقال: "توخَّ الحذر أيها الشاب". ووجَّه إلى أكسيل نظرة أخيرة، قبل أن يركز مجدداً على إدارة دفة المركب.

بعد عشر دقائق، نظر أكسيل حوله قبل أن ينزل إلى الرصيف. لمح البذلات العسكرية الألمانية في كل الاتجاهات على الشاطئ، لكن معظم الجنود بدوا مشغولين في التحقق من المراكب. أحسّ بنبضه يتسارع، لكنه أجبر نفسه على الكشف عن مظهر اللامبالاة؛ مثل الصيادين الذين ينجزون عملهم في تحميل السفن وإفراغها. لم ينقل أي شيء هذه المرة؛ إذ إن هدف هذه الرحلة هو أخذ شيء. لا يعرف أكسيل ما الذي يوجد في المستند الذي طُلِب منه إعادته إلى السويد، ولا يريد أن يعرف. فكل ما يعرفه هو اسم المستلم.

التعليمات التي تلقاها واضحة تماماً. الرجل الذي يبحث عنه سيكون واقفاً في الطرف البعيد من المرفأ، وقد ارتدى قميصاً بنياً، واعتمر قبعة زرقاء. أبقى عينيه يقظتين ومنتبهتين إلى كل ما يحيط به. اقترب أكسيل من زاوية المرفأ حيث يفترض أن يكون الرجل. لغاية الآن، يجري كل شيء وفق الخطة المعدّة. فقد مرّ بين الصيادين من دون أن يلاحظه الألمان؛ إلى أن لمح رجلاً يتطابق مع الأوصاف التي يبحث عنها. كان يكدّس الأقفاص، وبدا مركزاً على مهمته تماماً. توجّه أكسيل صوبه، وحرص على عدم إزاحة نظره أو الانتباه إلى النظرات المسترقة، لأن ذلك سيكون أشبه برسم الهدف على صدره.

وعندما أصبح قرب الرجل الذي بدا أنه لم يلمحه، رفع أكسيل أقرب قفص إليه وأضافه إلى كدسة الأقفاص. رأى من زاوية عينه ذلك الرجل وهو يوقع شيئاً على الأرض بالقرب من الأقفاص، فانحنى أكسيل إلى الأسفل لرفع قفص، وأمسك بالورقة الملفوفة في الوقت نفسه ووضعها في جيبه. تمت عملية التسليم بنجاح؛ رغم أنه لم يتبادل مع الرجل أية نظرة بعد.

شعر بالارتياح؛ فالتسليم دوماً هو اللحظة الأكثر صعوبة. وبعد إنجازه، يصبح الخطر أقل...

"توقفا! ارفعا أيديكما!".

جاءت الأوامر الألمانية من حيث لا يدري. وجَّه أكسيل نظرة دهشة إلى الرجل قربه، فأخبره التعبير الخجول الذي بدا على وجه الرجل بما يجري. إنه فخ. إما أن يكون قد تم إعداد كل المهمة لإلقاء القبض عليه، أو أن الألمان حصلوا على معلومات حول ما يتم تحضيره وأجبروا المعنيين على مساعدتهم في إعداد الفخ. لا بد أن الألمان كانوا يراقبونه منذ لحظة نزوله إلى الشاطئ وإلى حين إنجاز التسليم. وبات الآن راغباً في التخلص من المستند الذي في جيبه. غير أنه رفع يديه دليل الاستسلام. لقد انتهت اللعبة.

* * *

ثمة طرق قوي على الباب قطع روتينه الصباحي. إنه الروتين نفسه كل صباح. فأولاً الاستحمام، ومن ثم الحلاقة، وبعد ذلك تحضير الفطور المؤلف من بيضتين وشريحة من خبز الجاودار مع الزبدة والجبن، وكوب كبير من القهوة. إنه دوماً الفطور نفسه الذي يأكله أمام شاشة التلفزيون. سمع الطرق على الباب مجدداً. انزعج فرانس، ولكنه نهض وذهب لفتح الباب.

"مرحباً فرانس   كان ابنه واقفاً عند العتبة، وقد بدت النظرة القاسية في عينيه؛ تلك النظرة التي أصبحت مألوفة جداً.

لم يعد بوسع فرانس التذكر متى كان كل شيء مختلفاً. لكنّ عليه القبول بما لا يمكن تغييره؛ وهذا أحد تلك الأمور. فقط في أحلامه يحسّ بتلك اليد الصغيرة وهي تمسك بيده. إنها ذكرى ترجع إلى زمن بعيد جداً.

مع تنهيدة خافتة جداً، وقف جانباً للسماح لابنه بالدخول.

قال: "مرحباً كجيل. ما الذي جاء بك اليوم إلى هنا لزيارة والدك العجوز؟".

قال كجيل ببرودة: "إيريك فرانكل وحدق إلى والده كما لو أنه توقع ردة فعل معينة.

"أنا أتناول فطوري. هيّا ادخل

لحق به كجيل إلى غرفة الجلوس، ونظر حوله ملياً. فهو لم يدخل المنزل مطلقاً من قبل.

لم يزعج فرانك نفسه بعرض فنجان من القهوة على ابنه؛ لأنه عرف مسبقاً ما سيكون جوابه.

"إذاً، ماذا عن إيريك فرانكل؟".

"أفترض أنك تعلم أنه مات". كان ما قاله بلاغاً وليس سؤالاً.

فأومأ فرانس برأسه مجيباً: "نعم، سمعت أن إيريك العجوز قد مات. يا للأسف".

"هل هذا رأيك صراحة؟ هل هذا مؤسف فعلاً؟". وحدّق كجيل إلى والده، فعرف فرانس تماماً ما يجول في خاطره. فهو لم يأتِ إلى هنا بصفته ابنه، وإنما بصفته الصحافي.

أخذ فرانس وقته قبل الإجابة. فهناك الكثير من الأمور المضطربة تحت السطح؛ العديد من الذكريات. لكنها أمور لن يخبرها لابنه أبداً، إذ لن يفهم كجيل ذلك مطلقاً. فلقد أدان والده قبل زمن بعيد، وهما الآن يقفان على جهتَي جدار عالٍ جداً يستحيل القفز فوقه. عرف فرانس تماماً أن اللوم يلقى عليه شخصياً. إذ لم يرَ كجيل الكثير من والده- السجين المزمن- عندما كان صغيراً. فقد أحضرته أمه معها إلى السجن مرات قليلة، لكن رؤيته ذلك الوجه الصغير المليء بالأسئلة في غرفة الزيارات الباردة وغير المضيافة جعلته يقسو على قلبه، ويمنع المزيد من الزيارات. ظنّ حينها أن ذلك هو الخيار الأمثل للصبي. ولكن، ربما كان مخطئاً. غير أن الوقت قد فات الآن لفعل أي شيء.

"نعم، أنا آسف لأن إيريك مات. عرفنا بعضنا حين كنّا شابين، ولا أملك

سوى الذكريات الجيدة عن إيريك. وبعد ذلك، سلكنا طريقين منفصلين...". ورفع فرانس يديه، فهو لا يريد أن يشرح لكجيل. فهما الاثنان عرفا كل ما يمكن معرفته عن سلوك مسارين مختلفين.

"لكن هذا غير صحيح. فحسب مصادري، كنت على تواصل مع إيريك في وقت لاحق. وكشفت جمعية أصدقاء السويد عن اهتمام بالأخوين فرانكل. أنت لا تمانع إذا دوّنت الملاحظات، أليس كذلك؟". وضع كجيل دفتره على الطاولة بطريقة استعراضية، ونظر إلى والده بتحدٍّ فيما وضع القلم فوق الورقة.

هزّ فرانس كتفه ولوّح بيده استهزاء، فهو لم يعد يحبّ هذه اللعبة. فهناك الكثير من الغضب داخل كجيل، ولقد أحسّ بكل ذرّة منه. إنه الغضب الشديد نفسه الذي أصاب فرانس منذ زمن بعيد جداً، وأوقعه في المشاكل، ودمّر الأشياء العزيزة على قلبه. وجد ابنه طريقة للتعبير عن غضبه من خلال مهاجمته السياسيين والزعماء الصناعيين في عمود الجريدة الذي يحمل توقيعه. صحيح أنهما اختارا مسارين مختلفين في السياسة، لكن الأب وابنه يملكان الكثير من الأمور المشتركة. فقد تشاركا القدرة نفسها على الكراهية، والغضب الشديد نفسه. وهذا ما جعل فرانس يشعر بالكثير من الارتياح مع مؤيدي النازية في السجن خلال تنفيذه أول حكم له، وفهِم الكراهية التي تحركهم. وفي المقابل، رحّبوا به لأنهم اعتبروا غضبه ميزة، ودليلاً على قوته. وبالإضافة إلى ذلك، كان جيداً في مناقشة المسائل؛ بفضل والده الذي علّمه البلاغة. وفي الواقع، إن الانتماء إلى فرقة النازيين في السجن منحه الأهمية والقوة. وعندما غادر السجن، بات دوره أكثر أهمية، ولم يعد بالإمكان تمييزه عن آرائه. فقد حددته سياساته. وقد امتلك إحساساً يملكه كجيل أيضاً.

"أين كنا؟". نظر إيريك إلى دفتره الذي كان لا يزال خالياً من الكتابة. "أوه، حسناً. يبدو أنك كنت على تواصل مع إيريك".

"فقط إكراماً لصداقتنا القديمة. لا شيء مهم. وما من شيء يمكن ربطه بموته".

أجاب كجيل: "هذا ما تقوله أنت. لكن، يعود للآخرين أن يحددوا ما إذا كان الأمر صحيحاً أم لا. أي نوع من التواصل كان بينكما؟ هل هددته؟".

زمجر فرانس قائلاً: "لا أعرف من أين تحصل على معلوماتك، لكنني لم

أهدد إيريك فرانكل مطلقاً. كتبتَ ما يكفي عن الأشخاص الذين يشاركونني آرائي لتعرف أنه يوجد دوماً بعض... المتهورين الذين لا يستطيعون التفكير بعقلانية. كل ما فعلته هو تحذير إيريك من المخاطر

قال كجيل بسخرية أقرب إلى الاشمئزاز: "الأشخاص الذين يشاركونك آراءك؟! أنت تقصد أولئك المجانين المتخلفين الذين يظنون أنهم يستطيعون إحكام إغلاق حدود السويد".

قال فرانس منهكاً: "سمِّهم كما تشاء، لكنني لم أهدد إيريك فرانكل. والآن، أفضّل أن تغادر".

للحظات، بدا وكأن كجيل قد يرفض الطلب، ثم وقف، وانحنى نحو والده، وثبّت عينيه عليه قائلاً:

"لم تكن والداً بالنسبة إليّ، وأستطيع تحمل ذلك. لكن، أقسم إنك إذا جعلت ابني يغوص في هذه المسألة أكثر مما فعل أصلاً، فسوف..." وأطبق قبضتَي يديه بإحكام.

نظر إليه فرانس بهدوء تام وقال: "أنا لم أجبر ابنك على فعل أي شيء. فهو كبير كفاية ليفكر وحده، ويحدد خياراته بنفسه".

صرخ كجيل: "تماماً مثلك أنت!". ثم خرج مسرعاً، كما لو أنه لم يعد بوسعه تحمل البقاء في الغرفة نفسها مع والده.

لم يتحرك فرانس، وأحسّ بقلبه يخفق في صدره بسرعة، فيما أصغى إلى الباب وهو يغلق بقوة. فكر في الآباء والأبناء، وفي الخيارات التي تتخذ لهم، سواء أحبوها أم لا.

"هل كانت عطلة نهاية الأسبوع جيدة؟". وجّهت باولا سؤالها إلى مارتن وغوستا فيما وضعت القهوة في آلة صنع القهوة. وبالكاد أومأ زميلاها برأسيهما بكآبة؛ إذ لم يكن أي منهما مولعاً بصباح يوم الاثنين. وبالإضافة إلى ذلك، لم ينم مارتن جيداً طوال عطلة نهاية الأسبوع.

ففي الآونة الأخيرة، بدأ يستلقي في الليل مستيقظاً وقلقاً بشأن الطفل الذي

يفترض أن يولد بعد شهرين. ليس لأن الطفل غير مرغوب فيه، فعلى العكس، فهو يرغب فيه وبشدة. لكنه استوعب للتو مدى المسؤولية الكبيرة التي سيتحملها. إذ سيتوجب عليه توفير الحماية له، وتربيته، والاهتمام بحياة ذلك الشخص الصغير على كل المستويات الممكنة. أبقاه ذلك يقظاً طوال الليل، ومحدقاً إلى السقف، فيما بطن بيا الكبير يرتفع وينخفض بالتزامن مع تنفسها اللطيف. ما رآه في المستقبل كان تنمراً وأسلحة ومخدرات وإساءة وأحزاناً ومحناً. وكلما فكر في الأمر أكثر، وجد أنه لا نهاية أبداً لكل الأشياء المريعة التي قد يصادفها ولدهما. وللمرة الأولى، تساءل عما إذا كان فعلاً على مستوى المسؤولية. لكن الوقت قد فات الآن للقلق بشأن ذلك. فبعد شهرين، سيصبح الطفل معهما.

"يا لكما من ثنائي مرح!". جلست باولا ووضعت ذراعيها على الطاولة، فيما تأملت غوستا ومارتن مبتسمة.

قال غوستا: "من المخالف للقانون أن يكون المرء مرحاً جداً صباح الاثنين". ونهض لملء كوب قهوته. لم يكن الماء قد انتهى من التقطر بعد. ولذلك حين سحب الإبريق تقطرت القهوة على الآلة. لم يلاحظ غوستا ما حصل، وأعاد الإبريق إلى مكانه بعدما ملأ كوبه.

قالت باولا بصرامة: "غوستا". فيما أدار ظهره للفوضى التي أحدثها وجلس أمام الطاولة مجدداً. "لا يمكنك ترك الأمور هكذا. عليك مسح القهوة التي سكبتها".

ألقى غوستا نظرة من فوق كتفه على بقعة القهوة التي تركها، ثم قال بكآبة: "أوه، عفواً". وذهب لمسح القهوة.

ضحك مارتن. "من الجيد أن يكون هناك شخص يعرف كيف يبقيك منضبطاً".

"أوه، صحيح، امرأة نموذجية. لا بد أن يكنّ دوماً نيقات جداً".

كانت باولا على وشك قول شيء لاذع حين سمعوا صوتاً في الرواق، صوتاً لا ينتمي إلى الأصوات العادية في مركز الشرطة؛ الثرثرة المرحة لطفل.

مدّ مارتن عنقه إلى الأمام، وبدت اللهفة على وجهه وهو يقول: "لا بدّ أن...". وقبل أن يكمل العبارة، ظهر باتريك عند الباب حاملاً ماجا بين ذراعيه.

"مرحباً جميعاً".

قال مارتن بفرح: "مرحباً! أرى أنه لم يعد بوسعك الغياب لوقت أطول".

ابتسم باتريك مجيباً: "لا. فكرنا أنا والسيدة الصغيرة في أن نمرّ لزيارتكم والتأكد من أنكم تعملون فعلاً. أليس كذلك يا حبيبتي؟". ثرثرت ماجا بفرح، ولوّحت بذراعيها، ثم بدأت تتلوّى لتظهر لهم أنها تريد النزول. أذعن باتريك لرغبتها، فانطلقت فوراً بساقيها المترددتين متوجهة مباشرة صوب مارتن.

"مرحباً ماجا. إذاً، لقد تذكرت العم مارتن، أليس كذلك؟ هل تذكرين كيف نظرنا إلى مهد الأزهار معاً؟ هل تعرفين أمراً؟ سوف يجد العمّ مارتن علبة ألعاب لك" ونهض لإحضار العلبة التي يحتفظون بها في مركز الشرطة لمثل هذه المناسبات؛ أي حين يأتي شخص مع طفل يتوجب إلهاؤه لبعض الوقت. فرحت ماجا كثيراً بصندوق الكنز الذي ظهر في المطبخ بعد دقائق قليلة.

قال باتريك: "شكراً مارتن" وسكب لنفسه كوباً من القهوة وجلس إلى الطاولة، ثم سأل: "إذاً، كيف تجري الأمور؟". وكشّر حين ارتشف القهوة؛ فقد احتاج إلى أسبوع فقط لينسى كم هي مريعة القهوة في مركز الشرطة.

أجاب مارتن: "بطيئة نوعاً ما. لكننا أنجزنا عدداً من المهام الضرورية". وأخبر باتريك عن محادثتهما مع فرانس رينغهولم، ومع أكسيل فرانكل، فأومأ باتريك برأسه دليل اهتمام.

"كما أخذ غوستا بصمات أحد الصبيين وآثار حذائه. علينا فقط فعل الشيء نفسه مع الصبي الآخر لنتمكن من حذف بصماتهما من التحقيق"

سأل باتريك: "ما الذي قاله الصبي؟ هل لاحظا أي شيء مهم؟ لماذا قررا دخول المنزل أساساً؟ هل توصلتم إلى أي خيوط تستحق المتابعة؟".

أجاب غوستا بوجه متجهم: "لا، لم أحصل على أي معلومات مفيدة من الصبي أحسّ أن باتريك سأله عن كيفية إنجازه مهمته، فلم يحبّ الأمر. وفي الوقت نفسه، أفضت أسئلة باتريك إلى اندلاع شرارة في دماغه. ثمة شيء ما يتململ هناك، شيء عرف أنه يجدر به إخراجه إلى السطح. أو إنه ربما مجرد تخيل منه. لكن، في كلتا الحالتين، سيعاود باتريك الكلام مجدداً إذا ذكر الأمر. "الشيء الوحيد المهم الذي توصلنا إليه هو الرابط مع جمعية أصدقاء السويد. يبدو

أن إيريك فرانكل لم يكن لديه أي أعداء، ولم نعثر على أي حوافز أخرى ممكنة"

قال باتريك مفكراً بصوت عالٍ: "هل تحققتم من حساباته المصرفية؟ فقد تجدون شيئاً مهماً فيها".

هزّ مارتن رأسه منزعجاً لأنه لم يفكر في فعل ذلك من تلقاء نفسه، وقال: "سنفعل ذلك بأسرع ما يمكن. ونحتاج أيضاً إلى سؤال أكسيل عما إذا كانت هناك امرأة في حياة أخيه، أو شخص كان يبوح له بأسراره. ثمة شيء آخر علينا فعله اليوم، وهو التحدث إلى المرأة التي تنظف منزل إيريك وأكسيل

قال باتريك، وهو يومئ برأسه: "جيد. ستعرفون حينها لماذا لم تنظف منزلهما طوال الصيف؛ مما يفسر سبب عدم العثور على جثة إيريك سابقاً".

وقفت باولا قائلة: "أعتقد أنني سأتصل بأكسيل الآن، وسأعرف منه كل الاهتمامات العاطفية الممكنة التي كانت لدى إيريك". ثم غادرت الغرفة.

سأل باتريك: "هل تملكون الرسائل التي أرسلها فرانس إلى إيريك؟".

نهض مارتن قائلاً: "سأحضرها لك لأنني أعتقد أنك تريد النظر إليها، أليس كذلك؟".

هزّ باتريك كتفه متظاهراً باللامبالاة. "حسناً، بما أنني هنا على أية حال..."

ضحك مارتن وقال: "لا يستطيع الفهد تغيير بقعه. لكن، ألست في إجازة أبوة؟".

"حسناً، حسناً، انتظر حتى تصبح في الموقع نفسه. هناك فقط عدد معين من الساعات التي يمكنك قضاؤها في علبة الرمل. وبما أن إيريكا تعمل في المنزل، فإنها تفرح كثيراً حين نبتعد عنها قليلاً".

"هل تعرف بشأن مغامرتك الصغيرة مع ماجا إلى مركز الشرطة؟". لمعت عينا مارتن.

"حسناً، ربما لا، لكنني مررتُ فقط لوقت قصير؛ لمعرفة كيف تجري الأمور معكم".

"إذاً، أفترض أنه من الأفضل أن أحضر تلك الرسائل بما أنه صودف مرورك بنا".

بعد دقائق قليلة، عاد مارتن مع خمس رسائل باتت الآن موضوعة في ملفات بلاستيكية. رفعت ماجا نظرها عن علبة ألعابها، ومدّت يدها نحو الأوراق التي حملها مارتن، لكنه قدّمها لباتريك قائلاً: "عذراً حبيبتي، ليست هذه الأوراق لك لتلعبي بها". فاستجابت ماجا بتعبير منزعج قليلاً، لكنها عادت لاستكشاف ما هو موجود في العلبة على الأرض.

وضع باتريك الرسائل على الطاولة قرب بعضها بعضاً، وقرأها بصمت، مقطباً حاجبيه بشدة.

"ما من شيء محدد. إنه يكرر مبدئياً الأمور نفسها. يقول إنه يجدر بإيريك توخي الحذر لأنه لم يعد بوسعه حمايته، وإن هناك قوى ضمن جمعية أصدقاء السويد لا تفكر قبل أن تتصرف". وتابع باتريك القراءة. "ولديّ انطباع بأن إيريك قد استجاب، لأن فرانس كتب:

أعتقد أن ما تقوله خطأ. فأنت تتحدث عن عواقب، وعن مسؤولية. أما أنا فأتحدث عن دفن الماضي، والتطلع إلى الأمام. أنا وأنت نملك آراء مختلفة، ووجهات نظر مختلفة. لكن نقطة انطلاقنا هي نفسها. وفي القاعدة يوجد الوحش نفسه، في المرصاد. أنا، على عكسك، أعتقد أنه من غير الحكمة إعادة الوحش القديم إلى الحياة. فثمة عظام يجب ألا نلمسها أبداً. لقد أعطيتك رأيي بشأن ما حصل في رسالتي السابقة، ولن أتحدث عن الأمر مجدداً. أوصيك بأن تفعل الشيء نفسه. في الوقت الحاضر، اخترت التصرف بطريقة وقائية. ولكن، إذا تبدل الوضع؛ إذا أعيد الوحش إلى العلن، فقد أتصرف بطريقة مختلفة".

نظر باتريك إلى مارتن وسأله: "هل سألت فرانس عما يقصده بقوله هذا؟ ما هو هذا الوحش القديم الذي يتحدث عنه؟".

"لم تتح لنا الفرصة لسؤاله بعد. لكننا سنجري معه العديد من المقابلات الإضافية".

ظهرت باولا قرب الباب قائلة: "نجحت في اكتشاف المرأة في حياة إيريك. فقد فعلتُ ما اقترحه باتريك، واتصلت بأكسيل هاتفياً، فقال إنه خلال الأعوام

الأربعة الماضية، كانت لدى إيريك صديقة جيدة، مثلما وصفها، واسمها فيولا إيلماندر. تحدثت إليها، ويمكننا الذهاب لرؤيتها هذا الصباح".

قال باتريك: "يا له من عمل سريع!". موجهاً إلى باولا ابتسامة تقدير.

فسأله مارتن بحماسة: "هل تريد المجيء معنا؟". لكنه نظر بعد ذلك إلى ماجا التي كانت تتأمل عينَي الدمية وأضاف: "لا، طبعاً لن ينجح ذلك".

غير أنهم سمعوا آنيكا تقول من الرواق: "بلى، يمكنك تركها هنا معي". ووجّهت إلى باتريك نظرة متفائلة، فيما ابتسمت لماجا، وحظيت على الفور بابتسامة في المقابل. فبما أنها لا تملك أطفالاً، تفرح آنيكا بأي فرصة للاهتمام بطفل.

قال باتريك بتردد: "هممم..."

سألت آنيكا: "ألا تعتقد أنه بوسعي تحمل المسؤولية؟". وشبكت ذراعيها، متظاهرة بإحساسها بالإهانة.

فأجاب باتريك وهو لا يزال متردداً: "لا، ليس الأمر هكذا". غير أن حسّ الفضول تغلب عليه فأومأ برأسه. "حسناً، فلنفعل ذلك. لكنني سأتركها معك بعض الوقت؛ إذ يجدر بي العودة قبل الغداء. اتصلي بي إذا واجهت أية مشاكل. تحتاج إلى تناول الطعام قرابة العاشرة والنصف، ولا تزال تفضل الطعام مهروساً، لكنني أعتقد أنني أحضرت علبة من اللحم بالصلصة، حيث يمكنك تسخينها في المايكروويف. وهي تشعر عادة بالتعب بعد الأكل، لكن كل ما عليك فعله هو وضعها في عربتها الصغيرة وتحريكها قليلاً. ولا تنسي دميتها. إنها تريد أن يكون دبها بالقرب منها حين تنام و...

قالت آنيكا: "توقف، توقف" ورفعت يديها ضاحكة. "سنكون بخير. لا تقلق. سأحرص على ألا تموت جوعاً وهي في رعايتي، وسوف نتدبر أمر القيلولة أيضاً".

قال باتريك وهو ينهض: "شكراً آنيكا" ثم جلس القرفصاء قرب ابنته، وربّت على شعرها الأشقر. "سيغيب بابا لبعض الوقت، لكنك ستبقين هنا مع آنيكا. اتفقنا؟". نظرت إليه ماجا قليلاً بعينين واسعتين، ثم ركزت انتباهها مجدداً على نتف أهداب الدمية. شعر باتريك بالقليل من الاستياء، ثم نهض وقال: "حسناً، يمكنك أن تلاحظي كم أنا ضروري. طاب وقتك".

ثـم عانـق آنيـكا وخرج إلى المرأب. أحـسّ بفرح كبير حين جلس وراء مقود سـيارة الشـرطة فيما جلس مارتن على الكرسـي قربه. أرجع باتريك السـيارة إلى الخلـف لإخراجهـا مـن المرأب، وتوجه إلى فجالباكا. وبالكاد تمكن من السـيطرة على نفسه كي لا يبدأ بالغناء.

أعاد أكسيل سماعة الهاتف إلى مكانها ببطء. فجأة، بدا كل شيء غير حقيقي. وبدا له كما لو أنه لا يزال مسـتلقياً على السـرير وهو يحلم. المنزل فارغ جداً من دون إيريـك. كانـا حريصيـن علـى منـح بعضهمـا بعضاً مسـاحة كافية مـن الحرية؛ حيـث كانـا يتنـاولان وجبـات الطعام في أوقات مختلفـة، وجعلا غرفهما في أنحاء منفصلـة مـن المنـزل، إذ رغبـا فـي ألا يتطفـلا على خصوصية بعضهمـا بعضاً. في بعض الأحيان، كانت تمرّ أيام من دون أن يتبادلا الحديث. لكن، لا يجب ترجمة ذلك بأنهما ليسـا قريبين من بعضهما. فهما قريبان من بعضهما كثيراً، أو بالأحرى كانا كذلك؛ صحّح أكسـيل لنفسـه. ثمة نوع مختلف من الصمت يسـود الآن في المنزل. ليس الصمت نفسـه الذي كان يسـود حين اعتاد إيريك على الجلوس في غرفة المكتبة للمطالعة. في تلك الأيام، كان بوسـعهما كسـر الصمت وتبادل بعض الكلمات؛ إذا أرادا ذلك. إلا أن هذا الصمت مطبق وغير متناهٍ.

لـم يحضـر إيريـك فيـولا إلى المنزل قطّ، ولم يتحدث عنهـا مطلقاً. التواصل الوحيد الذي كان بينها وبين أكسيل كان يحصل حين يردّ صدفة على الهاتف عندما تتصل. وتلا تلك الاتصالات عادة اختفاء إيريك لبضعة أيام. إذ كان يوضّـب حقيبة صغيـرة يضـع فيها اللوازم الأساسـية، ويقول وداعاً، ويغـادر. وبين الحين والآخر، كان أكسـيل يشـعر بالغيرة. فهو لم يسـتطع يوماً إقامة علاقة عاطفية طويلة. تعرّف إلى الكثير من النسـاء طبعاً، لكنهن لم يبقين طويلاً في حياته. إنها غلطته وليسـت غلطتهـن. فالحـب لا يسـتطيع التنافـس مع شـغفه الآخر المسـيطر عليـه. فعلى مرّ الأعوام، تحوّل عمله إلى حبيبة متطلبة لم تترك المجال لأي شيء آخر. كان عمله حياته، وهويته، وجوهره الحقيقي. إنه لا يعرف بالضبط متى حصل ذلك. لا، إنها كذبة. إنه يعرف تماماً.

في المنزل الصامت، جلس أكسيل على الكرسي المحشو بإفراط قرب المكتب في الردهة، وللمرة الأولى منذ وفاة شقيقه بكى.

استمتعت إيريكا بالصمت في المنزل. حتى إنها استطاعت ترك الباب مفتوحاً في مكتبها من دون أن يزعجها أي ضجيج خارجي. رفعت قدميها على طاولة المكتب، وفكّرت في الحديث الذي أجرته مع شقيق إيريك فرانكل. لقد فتح لها نوعاً من مسرب للفيضان، حيث ولّد لديها فضولاً هائلاً وكبيراً بشأن جوانب حياة أمها التي لم تعرف شيئاً عنها، أو حتى تشك فيها. أحسّت أن أكسيل فرانكل أخبرها فقط بجزء مما يعرفه عن أمها. لكن، لماذا يحتفظ لنفسه بالأسرار؟ هل ثمة شيء في خلفية إلسي يريد إخفاءه عنها؟ تمددت إيريكا للإمساك بدفاتر المذكرات، وبدأت تقرأها من حيث توقفت قبل أيام قليلة. إلا أن تلك المذكرات لم توفر أي تلميح إلى ما سبّب تلك النبرة الغريبة في صوت أكسيل حين تحدث عن أمها.

استمرت إيريكا في القراءة، وفتشت الصفحات بحثاً عن أي شيء يمكن أن يخفف من الانزعاج الذي شعرت به. لكنها حين وصلت إلى الصفحات الأخيرة من الدفتر الثالث، وجدت شيئاً قد يكون له رابط معقول بأكسيل.

فجأة، عرفت ما يجدر بها فعله. أنزلت ساقيها عن المكتب، وحملت دفاتر المذكرات ووضعتها بعناية في حقيبة يدها. وبعد أن فتحت الباب الرئيس للتحقق من درجة الحرارة، ارتدت سترة خفيفة، ثم انطلقت مشياً بوتيرة سريعة.

صعدت السلالم العالية المؤدية إلى باديس، وتوقفت في الأعلى وهي تتعرق نتيجة التعب. بدا المطعم القديم مهجوراً ومتروكاً الآن بعد انتهاء زحمة الصيف، لكن شعبيته تضاءلت خلال الأعوام القليلة الماضية، وبالكاد أصبح مزدحماً؛ حتى في عزّ الصيف. إلا أنه احتل رغم ذلك موقعاً مهماً على الهضبة، حيث يطلّ على مناظر غير محجوبة لأرخبيل فجالباكا. لسوء الحظ، وقع المبنى طيّ الإهمال على مر الأعوام، وبدا لها أن إنعاش باديس مجدداً يحتاج إلى استثمار كبير.

المنزل الذي تبحث عنه يقع خلف المطعم قليلاً، وأملت في أن يكون الشخص الذي تبحث عنه موجوداً في المنزل.

نظرت إليها عينان تتقدان حيوية عندما فُتِح الباب، وقالت لها المرأة: "نعم؟".
"اسمي إيريكا فالك". ترددت هنيهة. "أنا ابنة إلسي موستروم".
ثمة شيء لمع في عينَي بريتا. غير أنها وقفت هناك هنيهة من دون أي حراك، ومن دون التفوه بأية كلمة، ثم ابتسمت فجأة ووقفت جانباً.
"طبعاً. ابنة إلسي. ألاحظ ذلك الآن. هيا ادخلي
كان المنزل مشرقاً وجميلاً. تأملت نظرات إيريكا الفضولية كل الصور- الأولاد والأحفاد، وربما بعض أحفاد الأولاد أيضاً- التي غطت الجدران. سألت وهي تتأمل الصور: "كم ولداً لديك سيدتي؟"
"ثلاث بنات. وأرجوك لا تناديني سيدتي. إذ يشعرني هذا أنني عجوز جداً. صحيح أنني لست شابة كثيراً، لكن لا داعي أبداً لأن يشعر الشخص أنه عجوز. في النهاية، العمر مجرد رقم".
قالت إيريكا ضاحكة: "هذا صحيح". لقد أحبت هذه السيدة العجوز.
قالت بريتا: "ادخلي واجلسي ولمست مرفق إيريكا قليلاً. وبعد خلعها سترتها وحذاءها، لحقت بها إيريكا إلى غرفة الجلوس.
"تملكين منزلاً جميلاً".
قالت بريتا: "عشنا هنا لخمسة وخمسين عاماً". وبدا وجهها رقيقاً ومتفائلاً كلما ابتسمت. جلست على الأريكة الكبيرة المغطاة بقماش مطبع بالأزهار، وربتت على الوسادة قربها قائلة: "اجلسي هنا كي نتحدث قليلاً. سررت بلقائك. أنا وإلسي... أمضينا الكثير من الوقت معاً حين كنا شابتين".
لهنيهة، ظنت إيريكا أنها سمعت في صوت بريتا النبرة الغريبة نفسها التي تسللت إلى صوت أكسيل عندما تحدث عن أمها، لكن تلك النبرة اختفت في اللحظة التالية، وابتسمت لها بريتا برفق.
"حسناً، وجدت بعض الأشياء التي تركتها أمي فيما كنت أنظف العلية و... حسناً، جعلتني أشعر بالفضول. لا أعرف الكثير عن ماضي أمي. مثلاً، كيف تعرفتما إلى بعضكما؟".
"كنا زميلتين في الصف، أنا وإلسي. جلسنا دوماً بالقرب من بعضنا؛ منذ أول

يوم لنا في المدرسة".

"وهل كنتما صديقتين أيضاً لإيريك وأكسيل؟".

"كنا صديقتين لإيريك أكثر من أكسيل. فشقيق إيريك أكبر منا ببضعة أعوام، وربما وجدنا صغاراً جداً. لكنه كان شاباً وسيماً جداً، أعني أكسيل

ضحكت إيريكا قائلة: "نعم، هذا ما سمعته. بالمناسبة، لا يزال وسيماً".

همست بريتا بطريقة مثيرة: "أميل إلى موافقتك الرأي، لكن لا تخبري زوجي

"أعدك أنني لن أفعل توددت إيريكا إلى صديقة أمها القديمة أكثر فأكثر. "ماذا عن فرانس؟ حسبما فهمت، كان فرانس رينغهولم أيضاً جزءاً من مجموعتكم الصغيرة. أليس هذا صحيحاً؟"

تصلبت بريتا وأجابت: "فرانس؟ نعم، حسناً، كان فرانس أيضاً في مجموعتنا".

"يبدو أنك لم تحبي فرانس كثيراً".

"لم أحبه!! أوه، بالعكس. كنت مغرمة به جداً. لكن الإحساس لم يكن متبادلاً. فقد كانت عيناه تركزان فقط على... شخص آخر

سألت إيريكا: "أوه، ومن هي؟" رغم اعتقادها بأنها تعرف الجواب.

"أمك. لحق بها مثل الجرو الصغير. لكن هذا لم يجده نفعاً. إذ لا يمكن أن تغرم إلسي أبداً بشخص مثل فرانس. وحدها غبية مثلي ترتكب هذا الخطأ؛ لأن كل ما همني حينها هو وسامة الرجل. وكان بلا شك رجلاً جذاباً، جذاباً بتلك الطريقة الخطرة التي تبدو مغرية جداً للفتيات المراهقات، وإنما تبدو مرعبة حين يصبحن أكبر سناً".

قالت إيريكا: "أوه، لا أعرف شيئاً عن هذا. يبدو الرجال الخطرون مغرين جداً؛ حتى بالنسبة إلى النساء المتقدمات في العمر

أجابت بريتا وهي تنظر إلى خارج النافذة: "أنت محقة ربما. لكنْ، من حسن الحظ أنني تجاوزت تلك المرحلة، وتوقفت عن حب فرانس. لم... لم يكن الرجل الذي أردته في حياتي. ليس مثل هيرمان".

"ألا تقسين على نفسك قليلاً؟! فأنت لا تبدين لي امرأة غبية".

"لا، ليس الآن. لكن، عليّ الاعتراف بأنني كنت كذلك؛ إلى أن التقيت هيرمان

وأنجبت طفلتي الأولى. لا، لم أكن فتاة عاقلة".

تفاجأت إيريكا بصراحة بريتا. يا له من رأي قاسٍ تملكه تجاه نفسها!

"ماذا عن إيريك؟ كيف كان؟"

مجدداً، حوّلت بريتا نظرها إلى النافذة. بدت وكأنها تفكر في كيفية الإجابة، ثم أصبحت تعابيرها أكثر ليونة. "كان إيريك الرجل الصغير؛ حتى عندما كان ولداً. لكنني لا أقصد أمراً سلبياً في ذلك، بل أقصد أنه بدا أكبر من عمره. وكان حساساً؛ بطريقة راشدة نوعاً ما. كان دوماً يفكر في الأشياء، ويقرأ. أقحم أنفه دوماً في كتاب أو آخر. وقد اعتاد فرانس على ممازحته بشأن ذلك. لكن إيريك كان غريب الأطوار قليلاً بسبب أخيه ربما"

"فهمت أن أكسيل كان يتمتع بشعبية واسعة".

"أكسيل كان بطلاً، وكان إيريك أشدّنا إعجاباً به. وبرأي إيريك، لا يرتكب أكسيل أي خطأ أبداً". وربّتت بريتا على ساق إيريكا، ثم وقفت فجأة. "هل تعرفين شيئاً؟ سأحضّر بعض القهوة. ابنة إلسي. كم هذا جميل، إنه أمر جميل جداً".

بقيت إلسي في مكانها، فيما اختفت بريتا في المطبخ. سمعت طقطقة الخزفيات وخرير الماء. وبعدها، لم يصدر أي صوت مطلقاً. انتظرت إيريكا بهدوء، وهي جالسة على الأريكة ومستمتعة بالمنظر الممتد أمامها. لكن، بعد دقائق عدة من الصمت، بدأت تشم رائحة شيء يحترق. نادت: "بريتا؟ هل كل شيء على ما يرام؟" لا جواب. نهضت وذهبت إلى المطبخ للبحث عن مضيفتها.

كانت بريتا جالسة إلى طاولة المطبخ، ومحدّقة إلى الخارج. وكانت نار الموقد متقدة باللون الأحمر، وثمة إبريق قهوة فارغ فوقها، وقد بدأ الدخان يتصاعد منه للتو. فسارعت إيريكا لإبعاد الإبريق عن الموقد. "اللعنة!". صرخت عندما أحرقت يدها. ولتخفيف الألم، مدّت يدها تحت الماء الجاري من الحنفية، ثم استدارت صوب بريتا.

قالت برفق: "بريتا؟" ظهر على وجه المرأة تعبير غير واضح، فخشيت إيريكا أن تكون بريتا قد عانت من نوبة تشنج. لكن هذه الأخيرة استدارت للنظر إليها قائلة:

"جئت أخيراً إلسي لتلقي عليّ التحية".

نظرت إليها إيريكا بذهول وقالت: "بريتا، أنا إيريكا ابنة إلسي

لكن الكلمات لم تعلق على ما يبدو في رأس المرأة العجوز، إذ قالت: "أوه، إلسي. أردت التحدث إليك منذ وقت طويل، لأشرح لك. لكنني لم أستطع..."

"ما الذي لم تستطيعي شرحه؟ ما الذي أردت التحدث بشأنه مع إلسي؟". جلست إيريكا قبالة بريتا، وقلبها يخفق بقوة. للمرة الأولى، أحست أنها على وشك اكتشاف السرّ الذي حاول إيريك وأكسيل إخفاءه عنها.

لكن بريتا نظرت إليها بارتباك. قاومت إيريكا الرغبة في هزّها، وإجبارها على قول ما كان على طرف لسانها، غير أنها اكتفت بتكرار السؤال: "ما الذي لم تستطيعي شرحه؟ أهو شيء بخصوص أمي؟ ما هو؟".

لوّحت بريتا بيدها، ثم اتكأت فوق الطاولة. وبصوت أشبه بالهمس قالت: "أردت التحدث إليك. لكن العظام قديمة. لا بد أن أرقد بسلام. لا جدوى من... قال إيريك إن... جندياً مجهولاً..." اختفى صوتها في تمتمة خافتة، وحدقت إلى الفراغ مجدداً.

"أي عظام؟ عمّ تتحدثين؟ ماذا قال إيريك؟". ومن دون أن تدرك ذلك، بدأت إيريكا ترفع صوتها. وبدا صوتها مثل صراخ عالٍ في صمت المطبخ. فوضعت بريتا يديها على أذنيها، وبدأت تهذي بأشياء غير مفهومة؛ مثلما يفعل الأولاد حين لا يرغبون في سماع شخص يوبخهم.

"ما الذي يجري هنا؟ من أنت؟". صوت رجل غاضب صدر من وراء إيريكا، وجعلها تستدير في مكانها. ظهر عند باب المطبخ رجل طويل ذو شعر أشيب حول حلقة صلعاء، ويحمل بيديه كيسَي تسوق. فأدركت إيريكا أنه هيرمان على الأرجح، ووقفت.

"أنا آسفة... اسمي إيريكا فالك. عرفت بريتا أمي حين كانتا شابتين، وأردت أن أطرح عليها فقط بعض الأسئلة. بدا الأمر عادياً جداً في البداية، لكن بعدها... اشتعلت الموقد". لاحظت إيريكا أن كلامها غير منطقي أبداً، لكن ما من شيء في الوضع بدا منطقياً أصلاً. واستمر هذيان بريتا الطفولي خلفها من دون توقف.

قال هيرمان، وهو يضع الكيسين أرضاً: "تعاني زوجتي من داء ألزهايمر

سمعت إيريكا الحزن البادي في صوته، وأحست بشيء من الذنب. داء ألزهايمر، كان يجدر بها تخمين ذلك؛ نظراً إلى التحول السريع بين الوضوح الكامل والارتباك الفظيع. لقد قرأت في مكان ما أن أدمغة مرضى ألزهايمر تدفعهم إلى نوع من المساحة الحدودية، حيث لا يبقى في النهاية إلا الضباب.

توجّه هيرمان صوب زوجته، ورفع يديها عن أذنيها برفق. "بريتا، عزيزتي. توجّب عليّ الخروج للتسوق قليلاً. لقد عدت الآن. ششششش، كل شيء على ما يرام. كل شيء على ما يرام". وأرجحها بين ذراعيه، فتوقف الهذيان تدريجياً. نظر إلى إيريكا قائلاً: "من الأفضل أن تغادري الآن. وأفضّل ألا تعودي أبداً"

"لكن زوجتك ذكرت شيئاً عن... أريد أن أعرف..." تلعثمت إيريكا في كلماتها، محاولة إيجاد الطريقة الصحيحة للتعبير، لكن هيرمان حدّق إليها بغضب وقال بصرامة:

"لا تعودي".

شعرت إيريكا أنها متطفلة، فانسحبت خارج المنزل. سمعت خلفها هيرمان يتحدث بصوت لطيف مع زوجته. لكن بقي في رأسها صدى كلمات بريتا المرتبكة بشأن العظام القديمة. ما الذي كانت تقصده؟

كانت أزهار إبرة الراعي رائعة على نحو استثنائي هذا الصيف. تنزهت فيولا، ونتفت البتلات الذابلة. إزالة الطفيليات أمر ضروري إذا أرادتها أن تبقى جميلة. لكن أحواض إبرة الراعي لديها باتت الآن مذهلة فعلاً. كل عام، تأخذ أجزاء صغيرة منها وتزرعها بعناية في أوعية صغيرة. وما إن تصبح كبيرة بما فيه الكفاية حتى تنقلها إلى وعاء أكبر. الزهرة المفضلة لديها كانت إبرة الراعي. ما من شيء يضاهي جمالها؛ إذ ثمة شيء في الدمج بين البراعم الوردية الناعمة والأعناق المنتشرة في غير اتساق أثّر فيها بشكل يفوق الوصف. لكن إبرة الراعي الوردية جميلة أيضاً.

هناك الكثير من خبراء أزهار إبرة الراعي هنا. ومنذ أن علّمها ابنها كيفية الاستفادة من روعة الإنترنت، أصبحت عضواً في ثلاثة منتديات مختلفة حول أزهار إبرة الراعي، وتسجلت في أربع نشرات إخبارية. لكنها وجدت المتعة الكبرى في

تبادل الرسائل الإلكترونية مع لاسي أنريل. فإذا كان هناك شخص واحد يحب أزهار إبرة الراعي أكثر منها، فلا شك في أنه هو. إنهما يتبادلان الرسائل الإلكترونية منذ أن حضرت إحدى محاضراته. أرادت أن تطرح عليه الكثير من الأسئلة تلك الليلة، ووقّع لها على نسخة من كتابه حول أزهار إبرة الراعي. استلطفا بعضهما بعضاً، وباتت تتطلع إلى الرسائل الإلكترونية التي تظهر بانتظام في علبة بريدها. اعتاد إيريك على ممازحتها بشأن ذلك، قائلاً إنها تقيم على الأرجح علاقة غرامية مع لاسي أنريل من دون علمه، وإن كل ذلك الحديث عن أزهار إبرة الراعي مجرّد رمز للمزيد من النشاطات الغرامية. امتلك إيريك نظريته الخاصة لناحية معنى كل مصطلح. إبرة الراعي الوردية المزهرة أعجبته كثيراً، واعتاد على مناداتها إبرة الراعي الوردية.... تورّدت فيولا لمجرّد تفكيرها في ذلك، لكن ذلك التورد اختفى عن وجهها بسرعة لتحلّ الدموع مكانه. للمرة الألف خلال الأيام القليلة الماضية، توجب عليها قبول حقيقة أن إيريك قد رحل.

امتصت التربة الماء بلهفة فيما سكبت بحذر القليل من الماء في كل وعاء. من المهم عدم الإفراط في ريّ إبرة الراعي، ويجب أن تكون التربة جافة تماماً بين موعد ريّ وآخر. في العديد من النواحي، ثمة أوجه شبه ملائمة مع العلاقة التي أقامتها مع إيريك. لقد كانا مثل نبتتين تروى تربتهما حين يلتقيان، ويخشيان في الوقت نفسه الري المفرط. وهكذا، استمرا في العيش بعيدين عن بعضهما، وحافظا على حياتيهما المنفصلتين، والتقيا فقط حين شعرا كلاهما بالحاجة إلى التواجد مع بعضهما. منذ البداية، تعاهدا على أن تكون علاقتهما تبادلاً من الحنان والحب والمحادثات الجيدة؛ كلما حركتهما الروح. لم يُسمح قطّ لتفاهات الحياة اليومية بأن تؤثر في علاقتهما.

حين سمعت طرقاً على الباب، وضعت فيولا الوعاء الذي تستخدمه للريّ جانباً، ومسحت الدموع بكمّ كنزتها. أخذت نفساً عميقاً، وألقت نظرة أخيرة على نباتات إبرة الراعي لتمنح نفسها القوة، ثم ذهبت لفتح الباب.

فجالباكا 1943

"بريتا، اهدئي. ماذا حصل؟ هل ثمل مجدداً؟". ربّتت إلسي على ظهر صديقتها لتهدئتها، فيما جلستا على سريرها. فأومأت بريتا برأسها، وحاولت قول شيء ما، لكن لم يخرج من فمها سوى البكاء. فشدّتها إلسي إليها، وبقيت تربّت على ظهرها.

"ششش... ستتمكنين من الابتعاد قريباً. ستعثرين على وظيفة في مكان ما، وستبتعدين عن كل البؤس في المنزل".

قالت بريتا باكية: "لن... لن أعود أبداً" واتكأت على صديقتها.

أحست إلسي أن كنزتها أصبحت رطبة نتيجة دموع بريتا، لكنها لم تبالِ.

"هل كان حقيراً مع أمك مجدداً؟".

أومأت بريتا برأسها مجيبة: "لقد صفعها على وجهها. لم أرَ أي شيء بعد ذلك. هربت. أوه، ليتني كنت صبياً، عندها كنت سأضربه إلى أن يصبح لونه أسود وأزرق".

قالت إلسي: "ستكون مضيعة لهذا الوجه الجميل لو كنتِ صبياً". ثم عانقت بريتا وضحكت. إنها تعرف صديقتها جيداً، وتدرك أن القليل من الإطراء يحسّن مزاجها دوماً.

قالت بريتا، وقد خفّ بكاؤها قليلاً: "مضحك جداً، لكنني أشعر بالأسف على أخويّ الصغيرين وأختي

قالت إلسي: "لا يسعك فعل الكثير حيال ذلك". وتصوّرت إخوة بريتا الثلاثة الصغار، فانقبضت حنجرتها بسبب الغضب حين فكرت كيف يجعل والد بريتا الأمور تعيسة بالنسبة لأفراد عائلته. كان تورد جوهانسون مشهوراً في فجالباكا لأنه يحتسي الكثير من الشراب وذو مزاج سيئ جداً. وكان يضرب زوجته روث مرات عدة أسبوعياً، تلك المرأة الخائفة التي تخفي الرضوض التي تبدو على وجهها

تحت حجاب إذا أجبرت على الخروج من المنزل بعد تعرضها للضرب. في بعض الأحيان، عانى الأولاد أيضاً من نوبات غضبه، لكن الضرب اقتصر لغاية الآن على الأخوين الصغيرين لبريتا. فهو لم يرفع يده بعد على بريتا وأختها الصغرى.

همست بريتا: "أتمنى فقط لو أنه يموت. ليته يقع في البحر ويغرق حين يكون ثملاً".

شدّتها إلسي إليها أكثر فأكثر، وقالت لها: "ششش. لا يجدر بك قول مثل هذه الأشياء بريتا. بمعونة الله، أنا واثقة من أن الأمور ستكون على ما يرام؛ بطريقة أو أخرى. ومن دون الحاجة إلى أن ترتكبي خطيئة بتمنيك الموت له".

قالت بريتا بمرارة: "أنا لست متفائلة، رغم أن أمي لا تزال تجلس في المنزل وتصلّي. لقد أفادها ذلك كثيراً! يسهل عليكِ التحدث عن ذلك، فوالداك لطيفان جداً، ولا تملكين أي إخوة أو أخوات للتنافس معهم أو الاهتمام بهم". لم تستطع بريتا إخفاء المرارة في صوتها.

أفلتت إلسي صديقتها، وبنبرة ودودة وإنما صارمة قليلاً قالت لها: "ليست الأمور سهلة دوماً معنا أيضاً. أمي تقلق كثيراً على والدي، حيث أصبحت أكثر نحولاً يوماً بعد يوم. فمنذ أن تم ضرب سفينة أوكيرو بالصواريخ، وهي تظن أن كل رحلة يقوم بها والدي على متن مركبه ستكون الأخيرة. أجد نفسي أحياناً واقفة أمام النافذة وأنا أحدّق خارجاً إلى البحر، كما لو أنني أتوسل إليه ليعيد أبي إلى المنزل".

قالت بريتا وهي تمسح أنفها: "حسناً، لا أعتقد أن الأمور هي نفسها".

"طبعاً، ليست الأمور نفسها. أقصد، فقط... أوه، لا تبالي عرفت إلسي أنه من غير المجدي متابعة الحديث. أحبت صديقتها كثيراً، حيث إنها تعرف تماماً ما يوجد داخلها، لكن بريتا تكون أنانية أحياناً.

سمعتا أحداً ما يصعد السلالم، فنهضت بريتا على الفور وبدأت تمسح الدموع عن وجهها.

قالت هيلما: "لديكما زائران". وظهر خلفها فرانس وإيريك على السلالم.

"مرحباً".

لاحظت إلسي أن أمها غير مسرورة، لكنها تركتهم بمفردهم بعد قولها: "إلسي،

لا تنسي أنه يجدر بك تسليم الغسيل الذي أنجزته لآل أوسترمان. لديك عشر دقائق فقط قبل أن تذهبي. وتذكري أن والدك يمكن أن يصل إلى المنزل في أية دقيقة".

عندما غادرت، جلس فرانس وإيريك بارتياح على الأرض في غرفة إلسي؛ إذ لا مكان آخر للجلوس.

قال فرانس: "لا يبدو أنها ترغب في مجيئنا إلى هنا".

أجابت إلسي: "لا توافق أمي على فكرة اختلاط الأشخاص المتحدرين من طبقات اجتماعية مختلفة. وأنتما الاثنان من طبقة أعلى منا؛ رغم عدم فهمي لأسباب هذا التفكير ووجّهت إليهما ابتسامة ماكرة، فمدّ فرانس لسانه لها، فيما كان إيريك ينظر إلى بريتا، ثم قال لها بهدوء: "كيف حالك بريتا؟ يبدو أنك مستاءة من شيء ما".

صرخت: "ليس هذا من شأنك" ورفعت رأسها عالياً.

فقال فرانس ضاحكاً: "إنها مجرد مشاكل فتيات ربما".

وجّهت إليه بريتا نظرة عشق وابتسامة كبيرة، لكن عينيها كانتا لا تزالان حمراوين.

سألت إلسي وهي تشبك يديها في حضنها: "لماذا تظن دوماً أن كل شيء مرح يا فرانس؟ بعض الأشخاص يواجهون أوقاتاً صعبة مثلما تعلم. ليس الجميع مثلك أنت وإيريك. لقد سببت الحرب البلاء للعديد من العائلات. ويجدر بك التفكير في هذا بين الحين والآخر

سأل إيريك وهو يشعر بالإهانة: "كيف تم جرّي إلى هذا!؟ نعلم جميعاً أن فرانس أحمق وجاهل، لكن اتهامي بعدم الإدراك أن الأشخاص يعانون..." ووجّه إلى إلسي نظرة احتقار، ثم قفز وصرخ "آخ" حين ضربه فرانس على ذراعه.

"أحمق وجاهل؟! أتوسل إليك للتمييز. الحمقى هم الذين يتحدثون عن عدم إدراك أن الأشخاص يعانون. تبدو وكأن عمرك ثمانون عاماً على الأقل. كل تلك الكتب التي قرأتها ليست مفيدة لصحتك. فهي تجعلك غريباً هنا". ونقر فرانس بإصبعه على صدغه.

قالت إلسي بتعب: "أوه، لا تكترث له" في بعض الأحيان، تشعر بالإحباط

من الشجار الدائم بين الصبيان؛ إنهم سخفاء جداً.

إلا أن صوتاً صادراً من الأسفل جعل وجهها مشرقاً. "لقد عاد بابا". ابتسمت لأصدقائها الثلاثة بفرح، وتوجهت إلى الأسفل لرؤيته. لكنها توقفت في منتصف الطريق حين أدركت أن الأصوات الفرحة التي تسمعها عادة حين يعود والدها إلى المنزل لم تكن موجودة مطلقاً هذه المرة. وعوضاً عن ذلك، ارتفع صوتا والديْها وانخفضا، مع نبرة غاضبة. وما إن رأته حتى عرفت أن شيئاً مريعاً قد حصل. فقد كان وجهه ملطخاً بالرماد، وكان يمرر يده في شعره مثلما يفعل عادة حين يكون قلقاً جداً.

قالت بتردد وهي تشعر بقلبها يخفق بقوة: "بابا، ماذا حصل؟". وحاولت النظر إلى عينيه، لكنها رأت أنه ينظر مباشرة إلى إيريك الذي لحق بها. فتح فمه مرات عدة للتكلم، ثم أغلقه مجدداً عاجزاً عن التفوه بأية كلمة. وأخيراً، نجح في القول: "إيريك، أعتقد أنه يجدر بك الذهاب إلى المنزل. سوف يحتاج إليك... أبوك وأمك".

"لماذا؟ ماذا حصل؟". ثم وضع إيريك يده فوق فمه حين أدرك أن والد إلسي على وشك أن ينقل إليه خبراً سيئاً. "أكسيل؟ هل...؟" ولم يستطع إنهاء العبارة، وحاول ابتلاع لعابه بصعوبة؛ كما لو أنه أراد إزالة الكتلة العالقة في حنجرته. وتسارعت في عقله صورة لجثة أكسيل. كيف يستطيع مواجهة أمه وأبيه؟ كيف يستطيع...؟

قال إيلوف حين أدرك ما يفكر فيه الشاب: "ليس ميتاً... ليس ميتاً. لكن الألمان ألقوا القبض عليه".

تحوّل تعبير إيريك إلى الذهول. والإحساس بالارتياح والفرح الذي شعر به لدى سماعه أن أكسيل ليس ميتاً حل محلّه بسرعة إحساس بالقلق والرعب لمجرد تفكيره أن أخاه أصبح بأيدي العدو.

قال إيلوف: "هيا، سأرافقك إلى المنزل". وبدا جسمه كله مثقلاً بمسؤولية إخبار والدَي أكسيل أن ابنهما لن يعود إلى المنزل هذه المرة.

* * *

ابتسمت باولا برضى فيما كانت جالسة على المقعد الخلفي للسيارة. ثمة شيء جميل وودي في طريقة تخاصم باتريك ومارتن على المقعدين الأماميين. في الوقت الحاضر، كان مارتن يلقي خطبة لاذعة وطويلة عن طريقة قيادة باتريك. فهو لم يشتق على ما يبدو إلى تلك القيادة. لكن، بدا جلياً أن الرجلين مولعان بعضهما كثيراً، وبدأت تكنّ احتراماً كبيراً لباتريك.

لغاية الآن، يبدو أن الانتقال إلى تانومشيد أمر جيد. فمنذ لحظة وصولها وهي تشعر كما لو أنها عادت إلى منزلها. فقد عاشت في استوكهولم لأعوام طويلة، حيث نسيت ماهية العيش في بلدة صغيرة. تذكرها تانومشيد ربما بقريتها الصغيرة في تشيلي حيث أمضت أعوامها الأولى. لم تستطع إيجاد أي تبرير لسبب تكيفها السريع مع المكان. فما من شيء تشتاق إليه في استوكهولم. إنها ليست غلطة استوكهولم نفسها ربما. ولكن، بصفتها شرطية، رأت أسوأ الأسوأ، وأثّر ذلك في رؤيتها للمدينة. والحقيقة أنها لم تشعر يوماً بالارتياح هناك، حتى عندما كانت صغيرة. فقد كانت مع أمها جزءاً من موجة مبكرة للمهاجرين. تم منحهما شقة صغيرة جداً في ضواحي استوكهولم، في منطقة حيث جرى تمييزهما بسبب العيون السوداء والشعر الأسود. كانت الوحيدة في صفها غير المولودة في السويد، وتوجّب عليها دفع ثمن ذلك. في كل يوم، وفي كل دقيقة، دفعت ثمن كونها مولودة في بلد مختلف. ولم تساعدها حقيقة إجادتها اللغة السويدية بطلاقة بعد عام واحد فقط، ومن دون أي أثر للكنة. فقد بقيت متطفلة.

لكن، على عكس الاعتقاد الشعبي، لم يعد التميز العنصري في الشرطة مشكلة عندما التحقت بها. فقد اعتاد السويديون أخيراً على الأشخاص القادمين من دول أخرى، ولم يعد أحد يعتبرها مهاجرة. ربما لأنها عاشت لأعوام عديدة في السويد، وربما لأنها لا تنتمي إلى الفئة نفسها من اللاجئين الآتين من الشرق الأوسط وأفريقيا؛ نظراً إلى خلفيتها الأميركية الجنوبية. لطالما وجدت أن فكرة فقدانها صفة المهاجرة- لمجرد أنها باتت تبدو أقل غرابة من اللاجئين الأكثر حداثة- في غاية السخافة.

وجدت الرجال مثل فرانس رينغهولم مخيفين. فهم لا يرون الفرق، ولا

يلاحظون الاختلاف. وبعد نظرة وجيزة جداً، كانوا مستعدين للهجوم على أحدهم استناداً إلى مظهره. إنه النوع نفسه من التمييز المجحف الذي أجبرها وأمها على الهروب من تشيلي. فالمعتقدات العائدة إلى قرون عدة، والتي حددت أن نوعاً واحداً من الأشخاص هو الأمر الصحيح فيما كل شيء آخر بغيض، هي بلا شك معتقدات بغيضة وتشكل تهديداً للعالم. إلا أن الأشخاص أمثال رينغهولم موجودون دوماً، الأشخاص الذين يعتقدون أنهم يمتلكون الذكاء أو السلطة أو القوة لتحديد المعايير.

استدار مارتن صوب باولا، وقاطع أفكارها قائلاً: "في أي رقم قلت إنها موجودة؟" نظرت إلى قصاصة الورق في يدها.

"الرقم سبعة".

قال مارتن: "هناك". وأشار إلى المبنى، فانعطف باتريك بالسيارة ثم أوقفها. إنهم في منطقة كولن، أمام مبنى من الشقق السكنية المواجهة لملعب الرياضة.

اللافتة الاعتيادية على الباب تم استبدالها بلافتة أخرى شخصية مصنوعة من الخشب كُتِب عليها اسم فيولا بيترسون بأناقة داخل دائرة من الأزهار المرسومة يدوياً. والمرأة التي فتحت الباب تناغمت مع اللافتة. بالفعل، كانت فيولا ممتلئة الجسم وإنما بشكل متناسق، وشعّ الدفء من وجهها. عندما رأت باولا فستانها الرومنسي المطبع بالأزهار، وجدت أن قبعة القش تناسبها تماماً، فوق ذلك الشعر الأشيب المربوط إلى الخلف على شكل كعكة.

قالت فيولا: "تفضلوا". نظرت باولا بإعجاب إلى الردهة. فقد كانت الشقة مختلفة كثيراً عن شقتها، لكنها أحبتها. إنها لم تذهب يوماً إلى الأرياف، لكنها تعتقد أن الجو يبدو هكذا هناك. فالمفروشات ريفية، ومترافقة مع أقمشة ولوحات غنية بالأزهار. نظرت إلى غرفة الجلوس، ولاحظت أن الأسلوب نفسه يطغى على المكان.

قالت فيولا: "حضّرت القهوة" ومشت أمامهم. على طاولة القهوة، وضعت فناجين قهوة مطبعة بالأزهار الوردية الناعمة مع قطع بسكويت في طبق.

قال باتريك: "شكراً". وجلس بحذر على الأريكة. بعد الانتهاء من عملية

التعريف، سكبت فيولا القهوة للجميع، ثم بدت كما لو أنها تنتظرهم ليستهلوا الكلام.

"كيف تجعلين أزهار إبرة الراعي تبدو جميلة هكذا؟!" وجدت باولا نفسها تطرح هذا السؤال فيما ارتشفت القهوة، فنظر إليها باتريك ومارتن بدهشة. عندها، شرحت قائلة: "أزهاري دوماً متعفنة أو يابسة". فرفع باتريك ومارتن حاجبيهما أكثر فأكثر.

أجابت فيولا بفخر: "أوه، ليس الأمر صعباً جداً. تأكدي فقط من جفاف التربة جيداً بين ريّ وآخر. ويجب عدم الإفراط في ريها أبداً. تلقيت نصيحة مذهلة من لاسي أنريل. فقد علّمني كيف أخصبها بالقليل من البول بين الحين والآخر. من شأن هذا أن يجدي نفعاً إذا كنت تواجهين مشكلة".

قال مارتن: "لاسي أنريل؟ أليس هو كاتب المقالات الرياضية في جريدة أفتونبلاديت؟ ما علاقته بأزهار إبرة الراعي؟".

بدت فيولا وكأنها منزعجة من الإجابة عن هذا السؤال السخيف. فبالنسبة إليها، لاسي هو أولاً وأخيراً خبير في أزهار إبرة الراعي، وبالكاد تستوعب أنه أيضاً كاتب مقالات رياضية وشخصية تلفزيونية.

تنحنح باتريك ثم قال: "حسبما فهمنا، اعتدت أنت وإيريك فرانكل على الالتقاء بشكل منتظم". وصمت قليلاً ثم تابع: "أنا... أنا آسف جداً لخسارتك".

قالت فيولا وهي تنظر إلى فنجان قهوتها: "شكراً. نعم، كنا نلتقي. كان إيريك يمكث هنا مرتين شهرياً ربما".

سألت باولا: "وكيف التقيتما؟". إذ صعب عليها تخيل اتفاق هذين الشخصين معاً؛ نظراً إلى الاختلاف الكبير في منزليهما.

ابتسمت فيولا، فلاحظت باولا أنها تملك غمازتين ساحرتين.

"ألقى إيريك محاضرة في المكتبة قبل بضعة أعوام. متى كان ذلك بالضبط؟ قبل أربعة أعوام ربما. كانت محاضرة عن البوهوسلان والحرب العالمية الثانية مثلما أذكر. بعد ذلك، رحنا نتحدث، و... حسناً، انتقل الحديث من أمر إلى آخر ابتسمت للذكرى.

"ألم تلتقيا مطلقاً في منزله؟". وتمدد مارتن للإمساك بقطعة بسكويت.

"لا. فقد وجد إيريك أنه من الأسهل أن نلتقي هنا. فهو يتشارك... أو بالأحرى، تشارك المنزل مع أخيه مثلما تعلمون، ورغم أن أكسيل كان يغيب لفترات طويلة... إلّا أن إيريك فضّل المجيء إلى هنا".

سأل باتريك: "هل ذكر أمامك يوماً أنه تلقى تهديدات؟"

هزت فيولا رأسها بقوة وأجابت: "لا، أبداً. لا أتخيل حتى... أقصد... لماذا سيرغب أي كان في تهديد إيريك، أستاذ التاريخ المتقاعد؟ من السخافة حتى التفكير في مثل هذا الشيء".

"لكنه في الحقيقة تلقى تهديدات. على الأقل بطريقة غير مباشرة؛ بسبب اهتمامه بالحرب العالمية الثانية والنازية. فبعض أعضاء المنظمات لا يحبون رسم الأشخاص صورة للتاريخ لا يوافقون عليها"

قالت فيولا وقد تلألأ الغضب فجأة في عينيها: "لكن إيريك لم يرسم صورة مثلما تقول، بل كان اختصاصياً متفانياً في التاريخ، ودقيقاً بشأن الحقائق، وحريصاً جداً على نقل الحقيقة كما هي؛ وليس مثلما أرادها هو أو أي شخص آخر. إيريك لم يرسم صورة، بل جمع قطع الأحجية معاً؛ ببطء شديد، وقطعة وراء قطعة، واكتشف كيف كانت الأمور في الماضي. قطعة سماء زرقاء هنا، وقطعة مرج أخضر هناك، إلى أن تمكن أخيراً من إظهار النتائج لنا. إلا أنه لم ينتهِ من ذلك تماماً". وعادت النظرة اللطيفة إلى عينيها. "هناك دوماً المزيد من الوقائع، والمزيد من الحقيقة الواجب كشفها".

سألت باولا: "لماذا كان مهتماً جداً بالحرب العالمية الثانية؟".

"لماذا يهتم أي كان بأي شيء؟ لماذا أحب نباتات إبرة الراعي وليس الورود؟" ورفعت فيولا يديها في الهواء، لكن تعبيرها بدا في الوقت نفسه إيجابياً. "بالنسبة إلى إيريك، لا حاجة إلى أن يكون المرء مثل آينشتاين لمعرفة السبب. فما حصل لأخيه خلال الحرب أثر فيه. لم يتحدث معي مطلقاً في هذا الخصوص، أو بالأحرى فعل ذلك مرة واحدة فقط؛ وكانت تلك هي المرة الوحيدة التي رأيت فيها إيريك ثملاً. كانت تلك آخر مرة نرى فيها بعضنا". انخفض صوتها، واحتاجت إلى بضع

دقائق لتستعيد رباطة جأشها مجدداً وتتابع: "جاء إيريك إلى هنا من دون أن يعلمني مسبقاً أنه آتٍ. وكان ذلك الأمر غريباً بحد ذاته، ولكن بدا جلياً أنه احتسى الكثير من الشراب، ولم يكن هذا من عاداته. أول ما فعله حين وصل إلى هنا كان التوجه إلى خزانة المشروبات وصبّ كوب كبير من الشراب لنفسه. ثم جلس هناك على الأريكة، وبدأ يتكلم فيما كان يشرب. لم أفهم الكثير مما قاله، وبدا لي كلامه مثل ثرثرة شخص ثمل. لكنني فهمت أن للأمر علاقة بأكسيل، وما عاناه حين كان سجيناً، وكيف أثر الأمر في العائلة".

"قلت إنها كانت المرة الأخيرة التي رأيت فيها إيريك. لماذا؟ لماذا لم تلتقيا خلال الصيف؟ ألم تتساءلي عن مكانه؟".

تغيرت ملامح فيولا فيما كبحت دموعها. وأخيراً، قالت بصوت أجش: "لأن إيريك قال وداعاً. خرج من هنا قرابة منتصف الليل- أو بالأحرى خرج مترنحاً- وآخر ما قاله هو إنه علينا قول الوداع لبعضنا. وشكرني على الأوقات التي قضيناها معاً، وقبّلني على وجنتي ثم غادر. اعتقدت أنه مجرد هراء ثمالة. وتصرفت مثل الحمقاء فعلاً في اليوم التالي؛ حيث جلست وحدقت إلى الهاتف طوال اليوم بانتظار اتصاله بي ليشرح الأمر، أو ليعتذر، أو... أي شيء آخر. لكنني لم أسمع صوته. وبسبب كبريائي الغبية رفضت الاتصال به. ولو اتصلت، لما بقي هناك بمفرده...". وسيطرت عليها نوبة بكاء منعتها من إكمال جملتها.

لكن باولا فهمت، ووضعت يدها فوق يد فيولا وقالت برفق: "لم يكن بوسعك فعل أي شيء. كيف كان بإمكانك أن تعرفي!؟".

فأومأت فيولا برأسها على مضض، ومسحت الدموع بيدها.

سألها باتريك: "هل تذكرين أي يوم حصل فيه ذلك؟".

قالت فيولا: "سأتحقق من الروزنامة" ونهضت شاعرة بالامتنان لإيجادها شيئاً يصرف انتباهها عن مشاعرها الحزينة. "فأنا أدوّن دوماً ملاحظات عن كل يوم، ولذلك يفترض بي أن أعرف التاريخ" غادرت الغرفة وغابت لبعض الوقت، ثم قالت حين عادت: "كان ذلك في الخامس عشر من شهر يونيو. أذكر أنني ذهبت إلى عيادة طبيب الأسنان بعد الظهر، ولذلك أنا متأكدة من التاريخ تماماً".

قال باتريك وهو ينهض: "حسناً، شكراً لك".

وبعد توديعهم فيولا وخروجهم إلى الشارع مجدداً، خطرت لهم جميعاً الفكرة نفسها. ما الذي حصل في الخامس عشر من يونيو وجعل إيريك يثمل وينهي علاقته مع فيولا؟ ما الذي حصل؟

"يتضح جلياً أنها لا تسيطر على نفسها!"

"لكن، دان أنت غير عادل! كيف لك أن تجزم بأنك لم تقع ضحية الشيء نفسه؟". كانت آنا متكئة على المجلى وقد شبكت ذراعيها وهي تحدق إليه بغضب.

"أوه، لا. طبعاً لا". انتصب شعر دان الأشقر على الأطراف بسبب تمريره يديه فيه باستمرار بدافع الإحباط.

"صحيح. وأنت الشخص الذي ظن جدياً أن أحدهم قد اقتحم المنزل ليلاً وتناول كل الشوكولا الموجودة في خزانة المطبخ. لو لم أعثر على أوراق الشوكولا تحت وسادة لينا، لبقيت أنت هناك تبحث عن سارق يحمل علامات الشوكولا حول فمه". كبحت آنا ضحكة عالية، وأحسّت أن بعض غضبها قد اختفى. فنظر إليها دان، وأحس بابتسامة ترتسم على شفتيه.

"عليك الاعتراف بأنها كانت مقنعة كثيراً حين أكّدت لي أنها بريئة".

"من دون شك. ستفوز هذه الفتاة بجائزة أوسكار حين تكبر. لكن، تذكر أن بليندا يمكنها أن تكون مقنعة بالقدر نفسه. ليس مستغرباً أن برنيلا قد صدقتها. ولا يمكنك الجزم بأنك ما كنت لتفعل الشيء نفسه"

قال دان بكآبة: "حسناً، حسناً. لكن، كان يجدر ببرنيلا الاتصال بوالدة صديقة بليندا للتأكد. هذا ما كنت سأفعله"

"نعم، كنت ستفعل ذلك ربما. ومن الآن فصاعداً، ستفعل برنيلا ذلك أيضاً"

"لماذا تتحدثان عن ماما؟" نزلت بليندا السلالم وهي لا تزال ترتدي قميص النوم، فيما شعرها مشعث جدًّا. رفضت النهوض من السرير منذ إحضارها إلى البيت من منزل إيريكا وباتريك صباح يوم السبت؛ إذ شعرت على ما يبدو بالكثير من الندم. لقد اختفى معظم الشعور بالندم منذ ذلك الحين، وتم استبداله بالمزيد

من الغضب الذي أصبح رفيقها الدائم.

قال دان منهكاً: "نحن لا نتحدث عن أمك تحديداً". وأحسّ أن نوبة شجار أخرى تلوح في الأفق.

فصرخت بليندا، وقد استدارت صوب آنا: "هل تتحدثان بالسوء عن أمي مجدداً؟".

وجهت آنا نظرة استسلام إلى دان وقالت بهدوء: "لم أتفوه يوماً بالسوء عن أمك، وأنت تعرفين ذلك. لذا، لا تتحدثي إليّ بهذه النبرة".

صرخت بليندا: "سأستعمل نبرة الصوت التي أريدها! هذا منزلي وليس منزلك! لذا، يمكنك أخذ ولديك اللعينين والخروج من هنا!".

عندها، تقدّم دان خطوة إلى الأمام، ولمعت عيناه غضباً.

"لا تتحدثي إلى آنا بهذه الطريقة. إنه منزلها أيضاً، وينطبق الأمر نفسه على أدريان وإيما. وإذا لم يعجبك الأمر..." خرجت الكلمات من فمه بسرعة أكبر من المتوقع، وأحسّ أنه لفظ أسوأ كلمة يمكنه قولها.

"لا، لا يعجبني! سأوضب حقائبي وأذهب إلى منزل ماما. وسأبقى هناك إلى أن تخرج هذه المرأة وولداها من المنزل!" استدارت بليندا في مكانها وأسرعت إلى الأعلى. وجفل دان وآنا حين أغلقت باب غرفتها بقوة كبيرة.

قالت آنا بصوت خافت: "قد تكون محقة دان. فربما حصلت الأمور بسرعة كبيرة. أقصد، لم يكن لديها الوقت الكافي للاعتياد على الفكرة قبل أن نأتي ونجتاح منزلها وحياتها".

"بالله عليك، إنها في السابعة عشرة، ولكنها تتصرف مثل فتاة في الخامسة"

"عليك أن تفهم وجهة نظر بليندا. ليس الأمر سهلاً عليها. كانت في عمر حساس عندما انفصلتما أنت وبرنيلا، و...

"أوه، شكراً جزيلاً. كما لو أنني أحتاج مجدداً إلى ذلك العبء الجديد من الإحساس بالذنب. أعرف أننا تطلقنا بسبب غلطتي، ولذلك لا داعي لتذكيري بالأمر

عندئذ، مشى بسرعة أمام آنا وتوجه إلى الباب الأمامي. وللمرة الثانية، أغلق

بـاب بقـوة كبيـرة جداً لدرجة أن الألواح الزجاجية للنوافذ طقطقت. وقفت آنا أمام المجلى من دون حراك لثوانٍ معدودة، ثم جلست على الأرض وبكت.

فجالباكا 1943

"سمعت أن الألمان قد ألقوا القبض أخيراً على ابن الطبيب".

قهقه فيلغوت فرحاً فيما علّق معطفه على المشجب في الردهة، وسلّم حقيبته إلى فرانس الذي وضعها في مكانها الاعتيادي، متكئة على كرسي.

"لقد حان الوقت لذلك. أنا أسمّي ما فعله خيانة، لكن الناس مثل الخراف. فهم يلحقون بالمجموعة، ويلتزمون بالأوامر. وحده شخص مثلي يجرؤ على التفكير بطريقة مستقلة، ويرى الأمور مثلما هي فعلاً. ثق بي، كان أكسيل فرانكل خائناً. أتمنى أن يقضوا عليه بسرعة".

ذهب فيلغوت إلى غرفة الجلوس واستراح على كرسيه المفضل، فلحق به فرانس، ونظر إليه فيلغوت.

"هاي، أين شرابي؟ لماذا أنت بطيء هكذا اليوم؟". وبدا صارماً، فأسرع فرانس إلى خزانة المشروبات ليسكب كأساً لوالده. إنه روتينهما منذ أن كان ولداً صغيراً. ولم تحب أمه يوماً فكرة الطلب منه التعاطي مع أمورْ الشراب في مثل تلك السن المبكرة. لكنْ كما هي العادة، لا يؤخذ برأيها في المسألة.

"اجلس أيها الصبي، اجلس أمسك فيلغوت كأسه بإحكام، وأشار إلى الكرسي الموجود قربه.

شمّ فرانس رائحة الشراب تفوح من فم أبيه حين جلس. يبدو أن الكأس التي سكبها لوالده ليست الأولى له اليوم.

"دعني أخبرك أن والدك عقد صفقة ممتازة اليوم" وانحنى فيلغوت إلى الأمام، فامتلأ منخرا فرانس برائحة الشراب. "وقّعت عقداً مع شركة ألمانية. إنه عقد حصري. سأكون المورّد الوحيد لهم في السويد. قالوا إنهم يواجهون صعوبة في العثور على شركاء عمل، وأنا أصدقهم". وقهقه فيلغوت، فاهتز بطنه الكبير.

أفرغ كأسه ثم أعطاه إلى فرانس قائلاً: "اسكب لي كأساً أخرى". ولمعت عيناه بتأثير الشراب. ارتجفت يد فرانس قليلاً حين أخذ الكأس، وكانت لا تزال ترتجف فيما هو يسكب الشراب، فسالت بضع قطرات خارج الكأس.

قال فيلغوت: "اسكب لنفسك كأساً". بدا قول أبيه أمراً أكثر مما هو دعوة. وهكذا كان. وضع فرانس الكأس المليئة الخاصة بوالده، وأحضر كأساً فارغة لنفسه. لم تعد يده ترتجف فيما كان يملأ كأسه حتى الحافة العلوية. ركّز كل انتباهه على الكأسين، ثم حملهما إلى حيث يجلس والده. رفع فيلغوت كأسه، فيما جلس فرانس مجدداً. "نخبك أيها الصبي

أحسّ فرانس بالسائل يحرق حنجرته، نزولاً إلى معدته؛ حيث استقر مثل كتلة ساخنة. ابتسم والده، وتقطر القليل من الشراب عن ذقنه.

"أين أمك؟" سأل فيلغوت بصوت خافت.

حدّق فرانس إلى بقعة في الجدار وأجاب: "إنها تزور جدتي، ولن تعود إلا في ساعة متأخرة". بدا صوته مكبوتاً وخافتاً كما لو أنه صادر من فم شخص آخر؛ شخص من الخارج.

"رائع. إذاً، نستطيع نحن الاثنان التكلم بهدوء. هيا يا بني، أحضر كأساً أخرى".

أحسّ فرانس بعينَي والده تراقبانه فيما ذهب لإعادة ملء كأسه. هذه المرة، لم يترك القنينة في الخزانة، وإنما أحضرها معه. فابتسم فيلغوت دليل تقدير، ورفع كأسه لملئها مجدداً.

"أنت ولد جيد فرانس

مجدداً، أحرق الشراب حنجرته قبل أن يتحول شعوره ذاك إلى إحساس لطيف في مكان ما في بطنه. بدأت حدود كل الأشياء حوله تختفي، وأحسّ كما لو أنه يطفو في مكان ما؛ بين الحقيقة والحلم.

أصبح صوت فيلغوت أكثر نعومة: "أستطيع جني آلاف النقود من هذه الصفقة، خلال السنوات القليلة المقبلة. وإذا استمر الألمان في زيادة طلباتهم على الأسلحة، فبإمكاني جني المزيد؛ ربما الملايين. وعدوني بجعلي على اتصال بشركات أخرى تحتاج إلى خدماتنا. وبعد أن وضعت الآن قدمَيّ على العتبة الصحيحة...". لمعت

عينا فيلغوت في الضوء الخافت، ولعق شفتيه قبل أن يتابع: "سيكون عملاً ناجحاً تستلمه شخصياً في يوم ما فرانس ومدّ يده ووضعها على ساق ابنه. "سيأتي يوم تخبر فيه جميع من في فجالباكا أنك حققت نجاحاً باهراً. فبعد استيلاء الألمان على السلطة، سنكون نحن المسؤولين، وسنحصل على مال أكثر مما يحلم به أولئك المغفلون. لذا، اشرب كأساً مع والدك، ودعنا نشرب نخب المستقبل الساطع!". رفع فيلغوت كأسه مجدداً، وقرّبها من فرانس الذي سارع إلى ملئها حتى أعلاها.

استمر الإحساس الرائع بالانتشار في صدر فرانس فيما شرب كأساً أخرى مع والده.

* * *

كان غوستا قد بدأ للتو بجولة غولف على كمبيوتره حين سمع صوت خطوات ميلبرغ في الرواق. فأغلق إطار اللعبة بسرعة، ورفع تقريراً وهو يحاول أن يبدو منهمكاً تماماً في قراءته. اقتربت خطوات ميلبرغ أكثر، لكنْ ثمة شيء مختلف فيها. وما هذه الدمدمة الغريبة؟ أرجع غوستا كرسيه إلى الخلف كي يتمكن من مدّ رأسه صوب الرواق. أول ما رآه كان إرنست المتبختر أمام ميلبرغ فيما لسانه الطويل ممدود إلى الخارج؛ كالمعتاد. وظهر خلفه شكل محدّب بشكل غريب يشقّ طريقه بصعوبة إلى الأمام. إنه يشبه ميلبرغ كثيراً، ولكنه في الوقت نفسه لا يشبهه.

"إلامَ تنظر بالله عليك؟".

لا شك في أن الصوت والنبرة يخصان مديره.

سأل غوستا: "ماذا حصل لك؟". في تلك اللحظة، أطلّت آنيكا من المطبخ حيث كانت منهمكة في إطعام ماجا.

تمتم ميلبرغ شيئاً غير مفهوم.

قالت آنيكا: "ماذا؟ ماذا قلت؟ لم أسمع".

حدّق إليها ميلبرغ بغضب ثم قال: "كنت آخذ دروساً في رقص السالسا. هل من مشكلة في ذلك؟"

تبادل غوستا وآنيكا النظرات بذهول، ثم كافحا للإبقاء على تعابيرهما حيادية.

صرخ ميلبرغ: "حسناً، هل من ملاحظات مضحكة من أي كان؟ لأنه توجد

الكثير من الفرص لتخفيض الرواتب هنا في المركز". ثم أغلق باب مكتبه بقوة.

حدّق غوستا وآنيكا إلى الباب المغلق لثوانٍ عدة، لكن لم يعد بوسعهما كبت نفسيهما أكثر، فضحكا إلى أن انهمرت الدموع من عيونهما؛ لكنهما فعلا ذلك بأكبر هدوء ممكن.

بعد التحقق من أن مكتب ميلبرغ لا يزال مغلقاً، تسلل غوستا إلى المطبخ وهمس لآنيكا: "هل قال إنه يأخذ دروساً في السالسا؟ هل قال ذلك فعلاً؟".

أجابت آنيكا وهي تمسح دموعها بكمّ كنزتها: "أخشى هذا". نظرت إليهما ماجا بذهول فيما جلست أمام الطاولة مع طبق أمامها.

قال غوستا بنبرة مشككة: "لكن، لماذا؟ ما الذي دفعه إلى القيام بذلك؟". فيما تخيّل المشهد في عقله.

"حسناً، إنها المرة الأولى التي أسمع فيها بذلك". هزّت آنيكا رأسها وهي لا تزال تضحك، ثم جلست لمتابعة إطعام ماجا.

"هل لاحظت كيف يبدو متصلباً؟ يبدو مثل ذلك الكائن في فيلم "ملك الحلبات". غولوم. أليس هذا اسمه؟". فعل غوستا ما بوسعه لتقليد طريقة تحرك ميلبرغ، فوضعت آنيكا يدها على فمها للحؤول دون انفجارها في الضحك.

"سالسا! لا بدّ أن هذا الأمر أحدث صدمة حقيقية في جسم ميلبرغ. فهو لم يمارس أي تمارين منذ... حسناً، منذ الأزل. لا أزال أجهل كيف نجح في الجزء البدني في تدريب الشرطة".

"نعرف أنه كان بطلاً رياضياً عظيماً في أيام شبابه" فكّرت آنيكا في ما قالته للتو، ثم هزّت رأسها. "لكنني لا أظن ذلك. يا إلهي، إنها نكتة اليوم. ميلبرغ في صف سالسا! ماذا بعد؟" ورفعت ملعقة مليئة بالطعام إلى فم ماجا، لكن الطفلة برمت رأسها بعيداً بعناد. "لا تريد هذه الصغيرة أن تأكل أي شيء. وإذا لم أنجح في إطعامها بضع ملاعق على الأقل، فلن يثق إيريك أبداً في تركها معي مجدداً". تنهدت وجربت مرة أخرى، لكن فم ماجا بقي مغلقاً مثل القلعة الحصينة.

سأل غوستا وهو يتمدد للإمساك بالملعقة: "هل يمكنني التجربة؟". فنظرت إليه آنيكا مستغربة.

"أنت؟! حسناً، هيا. لكن، لا تتأمل كثيراً".

لـم يجـب غوسـتا بأي شـيء فيما جلس مكان آنيـكا؛ بالقرب من ماجا. أفرغ نصـف كميـة الطعـام الكبيـرة التي وضعتها آنيكا في الملعقـة، ثم رفعها في الهواء. "فـروم، فـروم، فـروم، ها قد وصلـت الطائرة". وحرّك الملعقـة مثل الطائرة فحظي بانتبـاه ماجـا الكامـل. "فـروم، فـروم، فـروم. ها قـد وصلت الطائرة لتحط مباشـرة في...". ففتحت ماجا فمها في تلك اللحظة تحديداً، وهبطت فيه الطائرة المحمّلة بالمعكرونة وصلصة اللحم.

قال غوسـتا: "ممم... كان هذا جيداً" ووضع المزيد من الطعام في الملعقة. "تشـوغا، تشـوغا، تشـوغا. ها قد وصل القطار. تشـوغا، تشـوغا، تشوغا... ليدخل مباشرة في النفق". ففتحت ماجا فمها مجدداً، ودخلت المعكرونة النفق.

قالت آنيكا بدهشة: "لا أصدق ذلك! أين تعلمت هذا؟".

قال غوستا بتواضـع: "أوه، هذا ليس أمراً مهمّاً" لكنه ابتسم بفخر فيما دخلت سيارة السباق الثالثة فم الطفلة.

جلسـت آنيـكا إلـى طاولـة المطبـخ، وراقبت غوسـتا فيمـا أفرغ ببـطء الطبق الموجود أمام ماجا التي ابتلعت كل لقمة.

قالت آنيكا: "هل تعرف أمراً غوستا؟ الحياة غير عادلة أحياناً".

سألها غوستا من دون أن ينظر إليها: "هل فكرتما أنتما الاثنان في التبني؟ في أيامي، لم يكن الأمر شـائعاً جداً. لكنني اليوم ما كنت لأتردد في القيام بذلك. إذ يبدو أنه يتم تبني ولد من بين كل اثنين".

قالت آنيكا وهي ترسم على شرشف الطاولة دوائر بطرف إصبعها: "تحدثنا في الأمر. لكننا لم نتوصل إلى أي شـيء. فعلنا ما بوسـعنا لملء حياتنا بأشـياء أخرى غير الأولاد، لكن..."

قال غوستا: "لم يفت الأوان بعد. إذا بدأتما الآن، فقد لا تستغرق المسألة وقتاً طويلاً. ولا يهم لون بشرة الطفل. لذا، اختارا البلد الذي يقدم أصغر لائحة انتظار. هناك الكثير من الأطفال الذين يحتاجون إلى منزل. ولو كنت ولداً، لحمدت ربي إذا تبنيتني أنت ولينارت".

شعرت آنيكا بغصة، ونظرت إلى إصبعها التي تتحرك فوق الشرشف. لقد نجحت كلمات غوستا في إيقاظ شيء داخلها؛ شيء حاولت هي ولينارت قمعه خلال الأعوام القليلة الماضية. إنهما خائفان ربما بعد كل عمليات الإجهاض، وكل الآمال التي تبددت مراراً وتكراراً. لكنهما الآن قويان كفاية، وربما يستطيعان القيام بذلك إذا تحليا بالجرأة؛ لأن الرغبة لا تزال موجودة، وهي قوية أكثر من أي وقت مضى. وما من شيء استطاع على ما يبدو أن يقمع تلك الرغبة في حملهما طفلاً بين أذرعهما، وفي امتلاك طفل يحبانه.

قال غوستا: "حسناً، من الأفضل أن أنجز بعض العمل ونهض من دون أن ينظر إليها، وربّت على رأس ماجا. "على الأقل، أكلت شيئاً، ولذلك لن يقلق باتريك بشأن تضورها جوعاً حين يتركها هنا معنا في المرة المقبلة".

كان على وشك مغادرة المطبخ حين قالت آنيكا بهدوء: "شكراً غوستا".

أومأ برأسه محرجاً، ثم اختفى في مكتبه وأغلق الباب خلفه. جلس أمام الكمبيوتر، محدقاً إلى الشاشة من دون أن يراها فعلاً. رأى بدلاً من ذلك وجه ماج-بريت، والصبي الذي عاش أياماً قليلة فقط. مرّت أعوام عدة منذ ذلك الحين... دهر... حياة كاملة. لكنه ما زال يحسّ باليد الصغيرة جداً وهي تمسك بإصبعه.

تنهد غوستا ونقر لفتح لعبة الغولف مجدداً.

لثلاث ساعات، نجحت إيريكا في إبعاد كل الأفكار المتعلقة بزيارتها لبريتا. وخلال ذلك الوقت، كتبت خمس صفحات من كتابها الجديد. ثم عادت أفكارها إلى بريتا مجدداً، فتوقفت عن محاولة الكتابة.

أحست بالكثير من الخجل حين غادرت منزل بريتا. كان من الصعب عليها نسيان تعابير هيرمان عندما رآها جالسة هناك أمام طاولة المطبخ، بالقرب من زوجته التي كانت في حالة انهيار. تفهمت إيريكا ردة فعله. كانت فاقدة الإحساس تماماً لأنها لم تتعرف إلى الإشارات. إلا أنها في الوقت نفسه غير نادمة على زيارتها بريتا. فقد بدأت ببطء بجمع قطع إضافية من الأحجية. إنها مشتتة وغامضة، لكنها بدأت تكوِّن صورة عن أمها؛ صورة أكثر اكتمالاً من تلك التي كانت لديها سابقاً.

من الغريب أنها لم تسمع قطّ بأسماء إيريك وبريتا وفرانس. لا بد أنهم كانوا مهمين جداً بالنسبة إلى أمها في مرحلة ما من حياتها. لكن، يبدو أن أياً منهم لم يبقَ على تواصل مع الآخرين بعدما كبروا؛ على الرغم من إقامتهم جميعاً في فجالباكا الصغيرة.

وصف كل من أكسيل وبريتا والدتها إلسي بالشابة الحنونة والرزينة، ولذلك وجدت صعوبة في مطابقة ذلك مع ذكرياتها الخاصة عن أمها. إنها لا تقول إن أمها كانت إنسانة حقيرة، لكنها كانت متحفظة جداً، ومنطوية جداً، حيث يبدو وكأن أي حنان لديها قد اختفى وتبدد قبل زمن طويل جداً من ولادة إيريكا وآنا. شعرت إيريكا فجأة بالكثير من الحزن وهي تفكر في كل الأشياء التي فاتتها؛ الأشياء التي لم تستطع يوماً المطالبة بها. لقد ماتت أمها في حادث سيارة قبل أربعة أعوام، وكذلك تور والد إيريكا وآنا. ما من شيء تستطيع إيريكا إحياءه، وما من شيء تستطيع المطالبة بالتعويض عنه، وما من شيء تستطيع توسله، وما من اتهامات تستطيع توجيهها إلى أمها. الشيء الوحيد الذي تأمل العثور عليه هو الوضوح. ماذا حصل لإلسي التي عرفها أكسيل وبريتا؟ ماذا حصل لإلسي صاحبة القلب الحنون؟

إلا أن طرقاً على الباب الرئيس قاطع أفكارها، فنهضت لفتحه.

"آنا؟! هيا ادخلي بالعينين الحادتين للأخت الكبرى، لاحظت فوراً الاحمرار في عينَي آنا، فسألتها: "ما الأمر؟". وبدت قلقة أكثر مما أرادت أن تبدو فعلاً. فقد عانت آنا كثيراً خلال الأعوام القليلة الماضية، ولم تستطع إيريكا مطلقاً التخلي عن دور الأم الذي تولّته خلال مرحلة نموهما.

قالت آنا بضحكة ضعيفة: "مجرد مشاكل في محاولة دمج عائلتين مختلفتين. ليس هذا أمراً أعجز عن تحمله، لكنْ سيكون رائعاً إن تحدثت عنه".

قالت إيريكا: "هيا، فلنتحدث. سأسكب لك كوب قهوة، وإذا فتشت جيداً في الخزانة، فقد أعثر على بعض الحلويات التي نستطيع تدليل نفسينا بها".

قالت آنا: "هل يعني ذلك أنك توقفت عن الحمية بعد أن أصبحت الآن امرأة متزوجة؟".

تنهدت إيريكا وتوجهت إلى المطبخ قائلة: "لا تذكريني بذلك. بعد قضاء

أسبوع وأنا جالسة أمام مكتبي، سأضطر إلى شراء سروال جديد قريباً جداً. فقد أصبح السروال الحالي ضيقاً جداً؛ وكأنه ملتصق بي

قالت آنا وهي تجلس إلى الطاولة: "أعرف بالضبط ما تقصدينه. فمنذ انتقالي للعيش مع دان، أشعر كما لو أن وزني قد ازداد عدة كيلوغرامات. وما يزيد المشكلة سوءاً أن دان يستطيع التهام أي شيء أمامه من دون أن يكتسب غراماً واحداً".

قالت إيريكا وهي تضع بعض الكعك المحلى في طبق: "يسهل حسده على ذلك. هل ما زال يتناول لفافات القرفة أثناء الفطور؟"

ضحكت آنا مجيبة: "تخيلي فقط كم يصعب إقناع الولدين بأهمية تناول فطور صحي فيما دان جالس أمامهما وهو يغمّس لفافات القرفة في شراب الشوكولا الساخن؛ مباشرة أمام عيونهما"

"يغمّس باتريك سندويشات الكافيار بالجبن في شراب الشوكولا الساخن أيضاً، وليس هذا أفضل بكثير. إذاً، أخبريني، ما الذي يجري؟ هل تسبّب بليندا بالمشاكل مجدداً؟".

"أوه، هذا صلب المشكلة. لكن كل الأمور الأخرى باتت مزعجة جداً. بدأنا اليوم أنا ودان نتشاجر بسبب ذلك و...". بدت آنا غير سعيدة فيما أخذت كعكة محلاة من الطبق. "ليست فعلاً غلطة بليندا؛ هذا ما كنت أحاول شرحه لدان. فهي تتفاعل مع وضع جديد بالنسبة إليها، وضع ليس من اختيارها. وهي محقة؛ فهي لم تطلب تطفلنا عليها".

"أعتقد أن هذا صحيح، ولكن يجدر بها التصرف بطريقة حضارية؛ وهذه مهمة دان. يقول الدكتور فيل إن زوجة الأب غير مسؤولة أبداً عن تربية ولد في مثل عمرها".

"الدكتور فيل؟!". ضحكت آنا بشدة لدرجة أن قطعة صغيرة من الكعكة علقت في حنجرتها فبدأت تسعل. "إيريكا، أرى أنك تأثرت كثيراً بإجازة الأمومة. الدكتور فيل!؟"

قالت إيريكا وهي تشعر بالإهانة: "لا بدّ أن تعرفي أنني تعلمت الكثير أثناء مشاهدتي برنامج الدكتور فيل" إنها لا تقبل أن يمازحها أحد بخصوص نجمها

المحبوب. فقد كان برنامج الدكتور فيل أهم محطة في أيامها خلال العام الماضي، وفكرت في الآونة الأخيرة في الاستفادة من استراحة الغداء لمشاهدة برنامجه.

اعترفت آنا: "لكنني أعتقد أنه محق. إذ أشعر أن دان لا يأخذ الأمور على محمل الجد بما فيه الكفاية، أو يفعل ذلك بجدية كبيرة. فمنذ يوم الجمعة الفائت، وأنا أواجه أوقاتاً صعبة معه أثناء محاولتي منعه من التشاجر مع برنيلا بشأن كيفية تربية الأولاد. فقد بدأ يتحدث عن كيفية عدم وثوقه فيها للاهتمام بالأولاد و... حسناً، غضب كثيراً. وفي خضمّ كل شيء، نزلت بليندا إلى الأسفل، وتحوّل الأمر حينها إلى جحيم حقيقي. والآن، لا تريد بليندا العيش معنا، ولذلك وضعها دان على متن حافلة وأرسلها إلى مانكدال".

"كيف يتكيف أدريان وإيما؟". تناولت إيريكا قطعة حلوى أخرى من الطبق، وهي تفكر في أنها ستعاود الالتزام بحميتها الغذائية في الأسبوع المقبل من دون شك. لكنها تحتاج خلال هذا الأسبوع إلى الاعتياد على روتين الكتابة، وبعدها...

"كل شيء جيد لغاية الآن. الحمد لله. انقري على الخشب". وطرقت آنا على طاولة المطبخ. "إنهما يحبان دان والفتاتين كثيراً، ويعتقدان أن امتلاك أختين كبيرتين أمر رائع. لذا، لا توجد في الوقت الحاضر أية مشاكل على هذا الصعيد".

"ماذا عن مالن وليزن؟ كيف تواجهان المسألة؟". كانت إيريكا تشير إلى الأختين الصغيرتين لبليندا البالغتين من العمر أحد عشر عاماً وثمانية أعوام.

"إنهما بخير أيضاً، وهما تحبان اللعب مع إيما وأدريان، ويبدو أنهما تتحملانني على الأقل. لا، المشكلة الأساسية مع بليندا. لكنها مثلما تعلمين في ذلك العمر الذي تكون فيه الأمور صعبة" تنهدت آنا ثم مدّت يدها لتناول كعكة أخرى. "ماذا عنك؟ كيف حال الأمور هنا؟ هل تحرزين أي تقدم في الكتاب؟"

"أعتقد أن الأمور جيدة. تكون المسألة دوماً بطيئة في البداية. فهناك الكثير من الأبحاث التي يجدر بي قراءتها، فضلاً عن حجزي مواعيد للكثير من المقابلات. بدأت كل الأمور تنجلي تقريباً. لكن...". ترددت إيريكا، فهي تملك رغبة كبيرة في حماية أختها، لكنها قررت أن آنا تملك الحق في معرفة ما يشغل بالها في الآونة الأخيرة. لذا، استهلت القصة من البداية، وأخبرت أختها بسرعة عن الميدالية

والأمور الأخرى التي وجدتها في صندوق إلسي، ودفاتر المذكرات، وحقيقة تحدثها مع العديد من الأشخاص بخصوص ماضي أمها.

سألتها آنا: "لماذا لم تخبريني عن ذلك قبلاً؟"

تململت إيريكا في مكانها بانزعاج، ثم أجابت: "أوه، حسناً، أعرف أنه كان يجدر بي فعل ذلك... هل هذا مهم فعلاً؟ ها أنا أخبرك الآن، أليس كذلك؟".

بدت آنا وكأنها تفكر في ما إذا كان يجدر بها مناقشة المسألة، لكنها قررت على ما يبدو التغاضي عن الموضوع، وقالت باقتضاب: "أريد رؤية كل شيء". فنهضت إيريكا بسرعة، وشعرت بالارتياح لأن أختها لم تصرخ في وجهها بسبب عدم إطلاعها على ما اكتشفته.

"طبعاً، سأحضر كل شيء". أسرعت إيريكا إلى مكتبها في الأعلى. وحين عادت، وضعت الأغراض على طاولة المطبخ: دفاتر المذكرات، وقميص الطفل، والميدالية.

حدّقت آنا إلى الأغراض بذهول وقالت: "من أين جاءت هذه؟!". ورفعت الميدالية وحملتها في راحة يدها وتأملتها بإمعان، ثم تابعت: "وهذا، من يخص؟". وحملت القميص الصغير الملطخ. "هل هذا صدأ؟". ونظرت عن كثب أكبر متأملة البقع الصغيرة التي غطت جزءاً كبيراً من القماش.

قالت إيريكا: "يعتقد باتريك أنه دم" مما جعل آنا تصاب بالذهول.

"دم! لماذا ستحتفظ أمي بقميص طفل ملطخ بالدم في صندوق قديم في العلية؟". وباشمئزاز واضح، رمت القميص على الطاولة ورفعت دفاتر المذكرات.

سألت آنا وهي تلوّح بدفاتر المذكرات الزرقاء: "هل من شيء غير صالح للأولاد في هذه الدفاتر؟ هل من قصص غرامية قد تصدمني لبقية حياتي إذا قرأتها؟".

قالت إيريكا وهي تضحك: "لا. لا تقلقي هكذا. ما من شيء فاضح فيها. في الواقع، لا يوجد شيء مهم، بل مجرد وصف تافه للحياة اليومية. لكن أمراً واحداً فقط كنت أتساءل بشأنه... وللمرة الأولى، أحسّت إيريكا أنها قادرة على التعبير بالكلمات عن الفكرة التي جالت في خاطرها منذ فترة.

"ما الأمر؟". سألتها آنا فيما تصفحت دفاتر المذكرات.

"حسناً، أتساءل عما إذا كان هناك المزيد من هذه الدفاتر في مكان آخر. فتلك الموجودة في الصندوق الخشبي تتوقف عند تاريخ شهر مايو 1944، عند انتهاء الدفتر الرابع. هذا كل شيء. ربما تكون ماما قد سئمت من كتابة يومياتها. لكن، إذا كانت الحال هكذا، فلماذا أزعجت نفسها بإكمال الدفتر الرابع؟ يبدو الأمر غريباً قليلاً"

"إذاً، أتعتقدين أن هناك المزيد من الدفاتر؟ لكن، بماذا ستخبرك عدا عما قرأته أصلاً؟ أقصد أن ماما لم تعش حياة مثيرة على وجه التحديد. فقد ولدت وترعرعت هنا، والتقت بابا، وأنجبتنا، وبعدها، حسناً... ماذا يوجد أكثر؟".

أجابت إيريكا: "لا تقولي هذا". وتساءلت بشأن ما تستطيع إخبار أختها به. فهي لا تملك أي شيء ملموس، لكن حدسها يقول لها إن الميدالية والقميص الملطخ بالدم سيفضيان إلى اكتشافات أخرى، وسيكشفان ربما ما إذا أثر الأمر في حياتهما؛ أي حياتها هي وآنا.

أخذت نفساً عميقاً، ثم سردت بالتفصيل الحديث الذي أجرته مع إيريك وأكسيل وبريتا.

قالت آنا بالصراحة القاسية التي تصدر فقط عن أخت صغرى: "إذاً، ذهبت إلى منزل أكسيل فرانكل وسألته عن الميدالية بعد أيام قليلة فقط من العثور على جثة أخيه! يا إلهي! لا بد أنه وجدك وحشاً حقيقياً".

سألتها إيريكا بسخط: "هل تريدين أن تعرفي ما قالوه أم لا؟". رغم ميلها إلى موافقة آنا الرأي؛ إذ لم يكن ما فعلته أمراً لطيفاً.

وعندما أنهت إيريكا قصتها، جلست آنا محدّقة إليها بوجه مقطب. "يبدو لي أنهم عرفوا شخصاً مختلفاً تماماً! ما الذي قالته بريتا عن الميدالية؟ هل تعرف سبب احتفاظ ماما بميدالية نازية بين أغراضها؟".

هزّت إيريكا رأسها مجيبة: "لم يتح لي الوقت لسؤالها. إنها تعاني من داء ألزهايمر، وبعد فترة وجيزة من كلامنا أصيبت بالارتباك، ثم عاد زوجها إلى المنزل وانزعج فعلاً و... تنحنحت إيريكا ثم تابعت: "حسناً، طلب مني المغادرة".

صرخت آنا: "إيريكا! هل تقولين لي إنك حاولت استجواب امرأة عجوز

مضطربة؟ لا عجب في أن يرميك زوجها خارجاً. ألا تعتقدين أنك غاليت في هذا قليلاً؟"

"بلى. لكن، ألا تشعرين على الأقل بالفضول؟ لماذا خبأت ماما كل هذه الأغراض؟ ولماذا وصفها الناس الذين عرفوها بطريقة تجعلها إنسانة لا تشبه أبداً الأم التي كبرنا معها؟ ثمة شيء حصل في مرحلة ما... كانت بريتا على وشك أن تخبرني بشيء ما حين اضطربت. قالت شيئاً عن عظام قديمة و... أوه، لا أستطيع أن أذكر، لكن بدا لي وكأنها قد استعملت تلك الكلمات بمثابة تعبير مجازي تقصد به شيئاً مدفوناً و... كنت أتخيل الأشياء ربما، لكن...". رنّ جرس الهاتف، فتوقفت إيريكا في منتصف جملتها ونهضت للإجابة.

"إيريكا تتكلم. أوه، مرحباً كارين". استدارت إيريكا للنظر إلى آنا، وبرمت عينيها. "نعم، كل شيء على ما يرام. نعم، من الجميل أنه سنحت لي أخيراً فرصة التحدث إليك". وكشرّت أمام آنا التي لم تفهم مطلقاً ما يجري. "باتريك؟ لا، ليس في المنزل في الوقت الحاضر. ذهب مع ماجا إلى مركز الشرطة لإلقاء التحية على رفاقه، ولا أعرف إلى أين ذهبا بعد ذلك. فهمت. أووه. نعم، أنا واثقة من أنهما يرغبان في التنزه معك ومع الصغير لود غداً. تمام الساعة العاشرة. أمام الصيدلية. حسناً، سأخبره. سأدعه يبلغك إذا كانت لديه مشاريع أخرى، لكنني لا أعتقد ذلك. حسناً، شكراً. أنا واثقة من أننا سنتكلم مجدداً. شكراً. وأنت أيضاً".

سألت آنا بدهشة: "ما كل هذا الحديث؟ من هي كارين؟ وماذا سيفعل باتريك معها غداً أمام الصيدلية في تمام العاشرة؟".

جلست إيريكا أمام طاولة المطبخ. وبعد فترة صمت طويلة قالت: "كارين هي زوجة باتريك السابقة. وقد انتقلت مع زوجها الثاني مؤخراً إلى فجالباكا. وصودف أنها- تماماً مثل باتريك- في إجازة من وظيفتها للاهتمام بطفلها، ولذلك سيتنزهان معاً غداً".

ضحكت آنا. "هل حددت للتو موعداً بين باتريك وزوجته السابقة؟ يا إلهي! لا أصدق ذلك. ألا يملك أي صديقات قديمات يمكنك الاتصال بهنّ لمعرفة ما إذا كنّ يرغبن في الانضمام إلى النزهة أيضاً؟ لا نريده أن يضجر خلال إجازة

الأبوة، الرجل المسكين".

حدّقت إيريكا إلى أختها الصغيرة بغضب وقالت: "إذا لم تلاحظي، هي التي اتصلت بي. وعلى أية حال، ما الغريب جداً في ذلك؟ لقد تطلقا منذ أعوام عدة. وكل منهما يقضي وقته في المنزل مع طفل صغير. لا، لا أجد الأمر غريباً جداً. لا أجد أية مشكلة في الأمر

صرخت آنا: "أوه، حسناً. ألاحظ أنك لا تجدين أية مشكلة في الأمر. على الإطلاق... لكن أنفك يصبح أطول وأطول بمرور كل ثانية".

للحظة، فكرت إيريكا في رمي كعكة على وجه أختها، لكنها قررت عدم فعل ذلك. تستطيع آنا التفكير كما تشاء، لكنها ليست غيورة.

سأل مارتن: "ما رأيكما في زيارة عاملة التنظيف مجدداً؟". تردّد باتريك، ثم أخرج هاتفه الخلوي.

"أريد التحقق فقط من أن كل شيء على ما يرام مع ماجا"

بعد الاستماع إلى تقرير آنيكا، أعاد هاتفه الخلوي إلى جيبه وأومأ برأسه.

"حسناً، كل شيء على ما يرام. لقد نامت ماجا للتو في عربتها المتحركة". واستدار نحو باولا سائلاً إياها: "هل تملكين العنوان؟".

"نعم". نظرت باولا إلى دفترها، ثم قرأت العنوان بصوت عالٍ: "اسمها ليلى فالثرز. قالت إنها ستكون في المنزل طوال اليوم. هل تعرف أين يقع منزلها؟".

أجاب مارتن: "إنه في أحد تلك المباني الصفراء قرب الطريق الملتوية في الطرف الجنوبي من فجالباكا. انعطف إلى اليمين بعد المدرسة".

وصلوا إلى هناك بعد دقائق قليلة، وكانت ليلى في المنزل مثلما قالت. بدت خائفة قليلاً عندما فتحت الباب؛ كما لو أنها غير راغبة في السماح لهم بالدخول، لكنهم لم يرغبوا في طرح الكثير من الأسئلة عليها، ولذلك بقوا في الردهة أثناء إجراء المقابلة.

"أنت تنظفين منزل الأخوين فرانكل، أليس كذلك؟" كان صوت باتريك هادئاً ولطيفاً في محاولة لجعل حضورهم ودياً قدر الإمكان.

قالت ليلى: "نعم. لكنني لا أريد التورط في المشاكل بسبب هذا، أليس كذلك؟". وكان صوتها أشبه بالهمس. إنها امرأة قصيرة، وقد ارتدت ملابس بنية مريحة مصنوعة من قماش طري مناسب تماماً لقضاء اليوم كله في المنزل. كان شعرها أشيب وباللون الرمادي، وذا قصة قصيرة عملية من دون شك، وإنما غير جذابة جداً. بدّلت وقفتها بعصبية من قدم إلى أخرى، فيما وقفت هناك شابكة ذراعيها. وبدت قلقة جداً بانتظار سماعها جوابهم عن سؤالها. واعتقد باتريك أنه يعرف ما يزعجها.

"هل تقصدين أنك لم تصرّحي عن مدخولك؟ أؤكد لك أننا غير مهتمين بهذا الجانب من الأمور، ولا ننوي التقدم بشكوى ضدك. نحن نجري تحقيقاً في جريمة، ولذلك ينصبّ تركيزنا على مسائل مختلفة تماماً". ووجه إليها ابتسامة مطمئنة، فكافأته ليلى بالتوقف عن التبديل المتوتر لوقفتها من قدم إلى أخرى.

"صحيح. كانا يضعان لي المال في مغلف على مكتب الردهة مرة كل أسبوعين. وقد اتفقنا على أن أذهب للتنظيف كل يوم أربعاء".

"هل تملكين مفتاحاً خاصاً بك؟".

هزّت ليلى رأسها ثم أجابت: "لا، كانا يضعان المفتاح دوماً تحت حصيرة الباب، وأعيده إلى مكانه عندما أنتهي

سألتها باولا: "لماذا لم تنظفي منزلهما طوال الصيف؟". إنه السؤال الذي يرغبون في الحصول على إجابة عنه أكثر من سواه.

"ظننتُ أنني سأتابع تنظيف منزلهما خلال الصيف. على الأقل، لم نناقش أي تغيير في الاتفاق. لكن، عندما ذهبت إلى هناك لم أجد المفتاح في مكانه الاعتيادي. طرقت على الباب، لكن أحداً لم يجب. حاولت لاحقاً الاتصال هاتفياً لمعرفة ما إذا كان قد حصل أي سوء تفاهم. لكن أحداً لم يجب. وكنت أعرف أن الأخ الأكبر، أكسيل، سيكون بعيداً عن المنزل طوال الصيف. فهذا ما يفعله كل عام منذ أن بدأت بتنظيف منزلهما. وهكذا، حين لم أحصل على جواب، افترضت ببساطة أن الأخ الأصغر غاب عن المنزل خلال الصيف أيضاً. واعتقدت آنذاك أنهما تصرفا بفظاظة حين امتنعا عن إخباري، ولكنني الآن أفهم السبب..." ونظرت

إلى الأرض.

سأل مارتن: "ألم تري أي شيء خارج عن المألوف حيث لفت انتباهك؟".

هزّت ليلى رأسها بقوة. "لا، لا أستطيع قول ذلك. لا، لم يخطر في بالي أي شيء".

سأل باتريك: "هل تعرفين اليوم الذي ذهبت فيه إلى هناك من دون أن تتمكني من الدخول على وجه التحديد؟".

"نعم؛ لأنه كان يوم ذكرى ميلادي. وكنت قد فكرت أنني غير محظوظة البتة لأنني لن أنظف أي شيء في ذلك النهار. إذ كنت قد خططت لشراء هدية لنفسي بالمال الذي يفترض بي جنيه". وصمتت، فسألها باتريك بلباقة:

إذاً، متى كان ذلك؟ أعني، متى كانت ذكرى ميلادك؟"

قالت: "أوه، يا لغبائي! كانت في السابع عشر من يونيو. أنا متأكدة من ذلك. السابع عشر من يونيو. ذهبت إلى هناك مرتين إضافيتين لإلقاء نظرة، لكن لم يكن أحد في المنزل، ولم أجد أي مفتاح تحت الحصيرة. وهكذا، افترضت أنهما نسيا إخباري أنهما لن يتواجدا في المنزل طوال الصيف". وهزّت كتفها بطريقة توحي أنها معتادة على الأشخاص الذين ينسون إخبارها بالأمور.

"شكراً لك. كان هذا مفيداً جداً" ومدّ باتريك يده، وارتعد قليلاً لمصافحتها الضعيفة. وبدا له وكأن أحداً قد وضع سمكة ميتة في يدها.

"ما رأيكما؟". سأل حين عادوا إلى السيارة، وفيما كانوا متوجهين إلى مركز الشرطة.

قالت باولا: "أعتقد أنه يمكن الجزم بأن إيريك فرانكل قد قتل بين الخامس عشر والسابع عشر من يونيو

قال باتريك: "نعم، أوافقك الرأي". وأومأ برأسه، فيما قاد على الطريق الضيق قبل أنراس بسرعة زائدة قليلاً، وكاد يرتطم بشاحنة نفايات. فهزّ عامل النفايات قبضة يده بقوة، فيما أمسك مارتن المذعور بمقبض اليد المعلّق فوق الباب.

سألته باولا من المقعد الخلفي: "هل حصلت على رخصة القيادة بمثابة هدية في الكريسمس؟". وبدت منزعجة من تجربتهم التي أوشكوا فيها على الموت.

قال باتريك وهو يشعر بالإهانة: "ماذا تقصدين؟ أنا سائق ممتاز!". ونظر إلى مارتن طلباً للدعم.

فقال مارتن: "هذا صحيح" ثم استدار إلى باولا وتابع: "طرحت فكرة ترشحه في برنامج أسوأ السائقين في السويد، لكنهم وجدوه على الأرجح صاحب مزايا متقدمة. ولن تحصل أية منافسة في حال كان باتريك أحد المشاركين".

ضحكت باولا، وزمجر باتريك مشيراً إلى شعوره بالإهانة. "لا أعرف عما تتحدث. استناداً إلى الوقت الذي أمضيناه معاً في قيادة السيارة، هل حصل يوماً أن صدمت أحداً أو واجهت أي حادث؟ لا، أملك سجل قيادة نظيفاً، وبالتالي ما تقوله مجرد هراء". وزمجر مجدداً فيما نظر بغضب إلى مارتن، وكاد يرتطم بسيارة موجودة أمامهم، فتوجب عليه الضغط بقوة على المكابح في اللحظة الأخيرة.

قال مارتن: "أستسلم". ورفع يديه، فيما ارتفع صوت ضحك باولا.

قطّب باتريك جبينه خلال طريق العودة إلى المركز، ولكنه على الأقل التزم بحدود السرعة.

كان كجيل لا يزال منزعجاً بعد لقائه والده. فلطالما أثّر فيه فرانس بهذه الطريقة. لا، في الواقع، ليس هذا صحيحاً؛ ليس دوماً. فحين كان صبياً، كانت خيبة الأمل هي الشعور الطاغي لديه. خيبة الأمل الممزوجة بالحب الذي تحوّل مع مرور الأعوام إلى نواة صلبة من الكراهية والغضب. أدرك أنه سمح لكل تلك المشاعر بتوجيه الخيارات التي اتخذها في حياته. وفي هذا السياق، سمح لوالده عملياً بتوجيه حياته. لكنه كان عاجزاً تماماً عن القيام بأي شيء حيال ذلك، تماماً مثلما كان عاجزاً عن المقاومة حين أخذته أمه برفقتها في زياراتها الكثيرة لرؤية فرانس في السجن. تذكّر غرفة الزوار الباردة والرمادية والخالية تماماً من أية حياة أو روح، ومحاولات والده الغريبة للتحدث إليه؛ مدعياً أنه بالفعل جزء من حياته وليس مجرد غريب يراقبها من بعيد، من وراء القضبان.

مضت أعوام كثيرة على خروج والده من السجن بعد تنفيذه الحكم الأخير الصادر بحقه. لكن هذا لا يعني أن شخصيته قد أصلحت، بل العكس، فقد أصبح

ببساطة أكثر ذكاء، واختار مساراً مختلفاً. ونتيجة لذلك، اختار كجيل المسار المناقض للمسار الذي اختاره والده تماماً. فكتب عن المنظمات المناهضة للأجانب بحماسة وشغف منحا اسمه شهرة كبيرة تخطت قرّاء صحيفة بوهوسلانينجن. وبات ضيفاً منتظماً في التلفزيون المحلي كلما احتاجوا إلى خبير في مسألة القوى المدمرة للنازية الجديدة وكيفية تعاطي المجتمع معها. وعلى عكس العديد من الأشخاص الآخرين الذين أرادوا دعوة المنظمات النازية الجديدة إلى منتدى عام لمناقشة مفتوحة تبعاً للروح التوافقية، حافظ كجيل على المسار الذي سلكه. فبكل بساطة، لا يفترض تحمل تلك المنظمات، بل يجب محاربتها بكل الطرائق، ومعارضتها في كل سياق تتخذه، وطردها بقسوة؛ تماماً مثلما يُفعَل مع الوحوش البغيضة.

ركن السيارة أمام منزل زوجته السابقة. هذه المرة، لم يزعج نفسه بالاتصال مسبقاً. فهي تحاول أحياناً مغادرة المنزل قبل أن يصل. لكنه تأكد هذه المرة من وجودها في المنزل؛ فقد جلس في سيارته على بعد مسافة قصيرة من منزلها، وانتظر إلى أن يلمحها. بعد ساعة، وصلت إلى المنزل وركنت السيارة أمامه. بدا له وكأنها كانت تتسوق؛ لأنها أخرجت بعض الأكياس من السيارة. انتظر كجيل إلى أن أصبحت في الداخل، ثم تقدم آخر مئة متر للوصول إلى المنزل. وبعد ذلك، خرج من السيارة وطرق على الباب. ترهلت كتفا كارينا بوضوح عندما رأت من يقف أمام الباب.

سألت: "هذا أنت، أليس كذلك؟ ماذا تريد؟"

لماذا تبدو دوماً محطمة هكذا؟ لا تزال هكذا حتى بعد مرور عشرة أعوام. إحساسه بالذنب زاد من عصبيته. لماذا لا تفهم جدية الوضع؟ لماذا لا تدرك أن الوقت قد حان لهما ليتخذا خطوة صارمة؟

"نحتاج إلى التكلم بشأن بير واندفع إلى الداخل، وبدأ يخلع حذاءه، ثم علق سترته. لهنيهة، بدت كارينا وكأنها على وشك الاعتراض، لكنها هزّت كتفها بعد ذلك ودخلت المطبخ. وقفت، وجعلت ظهرها يتكئ على المجلى، فيما شبكت ذراعيها أمام صدرها كما لو أنها تستعد للشجار

"ما الأمر الآن؟". هزّت رأسها فتسللت الشعيرات الداكنة من غرّتها ودخلت

عينيها، وتوجب عليها دفعها بعيداً. لقد رأى هذا المشهد نفسه مرات عدة. إنه أحد الأمور التي أحبها فيها حين التقيا؛ أي قبل أن يلقي الروتين اليومي والحزن بثقلهما على حياتهما معاً، وقبل أن يخبو حبهما ويدفعه إلى اختيار مسار آخر. ما زال يجهل ما إذا كان قد اتخذ الخيار الصحيح أم لا.

أزاح كجيل أحد كراسي المطبخ وجلس. "علينا أن نفعل شيئاً. فهذه المسألة لن تحلّ بمفردها. حين يتوغل ولد وسط هذا النوع من المجموعات..."

قاطعته كارينا برفع يدها قائلة: "متى قلتُ إن المسألة ستحلّ بمفردها؟ لكنني ببساطة أملك رأياً مختلفاً حيال ما يجب فعله. إرسال بير بعيداً ليس الحل. وعليك أن تفهم ذلك أيضاً".

"لماذا لا تدركين أنه يحتاج إلى الابتعاد عن هذه البيئة؟". ومرر يده بعصبية في شعره.

"هل أفهم أنك تقصد والدك بالقول هذه البيئة؟". وكان صوت كارينا مليئاً بالازدراء. "أعتقد أنه يجدر بك حلّ مشاكلك مع والدك قبل توريط بير

"أي مشاكل؟". وأدرك كجيل أن صوته يرتفع، ولذلك أجبر نفسه على التنفس بعمق مرات عدة متتالية كي يهدأ. "في البداية، أنا لا أتحدث فقط عن والدي عندما أقول إنه يتوجب على بير الابتعاد عن هنا. ألا تعتقدين أنني أستطيع رؤية ما يجري؟ ألا تعتقدين أنني أعرف أنك تخبئين القناني في كل خزانة ودرج؟". وأشار إلى خزائن المطبخ. أوشكت كارينا على الاحتجاج، لكنه رفع يده لمنعها، ثم قال عبر أسنانه المطبقة: "وما من شيء يجب حله بيني وبين فرانس. فبالنسبة إليّ، أفضل عدم وجود أية علاقة تربطني بالرجل، ولا أنوي أبداً السماح له بالتأثير في بير. لكن، بما أننا لا نستطيع مراقبة الصبي في كل دقيقة من اليوم، ويبدو أنك غير مهتمة كثيراً في التعامل معه، لا أجد حلاً آخر سوى إرساله بعيداً. علينا أن نعثر على مدرسة داخلية حيث يعرف الموظفون كيفية التعاطي مع مثل هذا النوع من الأوضاع".

صرخت كارينا: "وكيف سيتم تدبير ذلك برأيك؟ لا يتم إرسال المراهقين إلى تلك المدارس من دون سبب. لا بد أن يكونوا قد فعلوا شيئاً أساساً..."

فقاطعها كجيل: "ما رأيك بالتحطيم والاقتحام؟ فقد تم إلقاء القبض عليه وهو يقتحم منزل أحدهم".

"عمّ تتحدث؟ لم يحدث مطلقاً..."

"في بداية يونيو. قبض عليه صاحب المنزل بالجرم المشهود واتصل بي، فذهبت إلى هناك وأحضرته. دخل المنزل عبر نافذة في الطابق الأرضي، وكان يجمع أغراضاً من المنزل حين تم إلقاء القبض عليه. هدّده صاحب المنزل بالاتصال بالشرطة إذا لم يفصح عن رقم هاتف والديه، فأعطاه رقمي وليس رقمك". وشعر بالاعتداد بنفسه حين لاحظ كم بدت كارينا منزعجة وخائبة الأمل.

"هل أعطاه رقم هاتفك؟ لكن، لماذا؟"

هزّ كجيل كتفه مجيباً: "من يعلم؟ أعتقد أن الأب يبقى أباً دوماً".

"إلى منزل من تسلل؟". بدت كارينا وكأنها لا تزال تواجه صعوبة في قبول حقيقة أن بير طلب من الرجل الاتصال بكجيل.

تردد لثوانٍ قليلة ثم قال: "منزل ذلك الرجل العجوز الذي عثروا عليه ميتاً في فجالباكا الأسبوع الماضي؛ إيريك فرانكل. لقد تسلل إلى منزله".

"لكن، لماذا؟". وهزّت رأسها.

"هذا ما أحاول قوله لك. كان إيريك فرانكل خبيراً في الحرب العالمية الثانية، وهو يملك الكثير من المواد المتعلقة بتلك الحقبة، وأراد بير ربما ترك انطباع قوي لدى رفاقه؛ وذلك بعرض بعض التذكارات النازية الحقيقية أمامهم".

"هل تعرف الشرطة بشأن ذلك؟".

أجاب ببرودة: "ليس بعد. الأمر مرتبط بما..."

فقاطعته كارينا مذعورة: "لماذا ستفعل هذا بابنك؟ لماذا ستبلغ عن اقتحامه المنزل؟".

أحسّ كجيل بانقباض كبير في معدته. وتصوّرها مثلما بدت حين التقيا أول مرة في حفلة راقصة في كلية الصحافة. ذهبت إلى الحفلة برفقة صديقة لها كانت تدرس هناك، لكن الفتاة غادرت برفقة شاب مباشرة بعد وصولهما، وانتهى الأمر بكارينا وهي تجلس على الأريكة وتشعر أنها وحيدة ومهملة. وقع في غرامها لحظة رآها. كانت

قد ارتدت يومها فستاناً أصفر، ووضعت عصابة صفراء على شعرها الذي كان داكناً مثلما هو الآن، ولكن من دون الشعيرات البيضاء التي باتت الآن ظاهرة للعيان. ثمة شيء فيها الآن جعله يرغب في الاهتمام بها وحمايتها وحبها. تذكّر زفافهما، والفستان الذي يتم اعتباره اليوم بمثابة أثر يرجع إلى حقبة الثمانينيات، بتنورته الفضفاضة وكميه المنتفخين. وجدها من دون ريب مذهلة في ذلك الفستان. ثم خطرت صورة أخرى في باله؛ كارينا المرهقة من دون مستحضرات تجميل، والمرتدية رداء المستشفى البشع وهي تحمل ابنهما بين ذراعيها. عندما نظرت إليه وابتسمت، أحسّ أنه قادر على مواجهة التنين أو حتى جيش بأكمله من أجل زوجته وابنه.

وفيما وقفا الآن في المطبخ الصغير مثل محاربين يواجهان بعضهما بعضاً، تذكَّر كل منهما الشخصين اللذين كانا عليهما سابقاً، والأوقات التي ضحكا فيها معاً، وقاما فيها بعلاقة حميمة. تذكر تلك الأيام، أي قبل أن يتحوَّل حبهما إلى شيء هش وضعيف. شعر بالضعف، وازداد الانقباض الذي يشعر به في معدته أكثر فأكثر.

أبعد كجيل تلك الأفكار عن رأسه وقال: "إذا اضطررت، فسأحرص على إبلاغ الشرطة بهذه المعلومات. إما أن نتخذ الترتيبات لإخراج بير من هذه البيئة، أو سأدع الشرطة تنجز المهمة بالنيابة عنا"

صرخت كارينا: "أيها الحقير وامتلأ صوتها بالدموع وخيبة الأمل.

نهض كجيل من مكانه، وكان صوته بارداً حين قال: "هكذا ستجري الأمور. ولديّ اقتراح بشأن المكان الذي سنرسل بير إليه. سأرسل لك العنوان عبر البريد الإلكتروني كي تتمكني من إلقاء نظرة عليه. لكن، يفترض ألا يجري أي اتصال أبداً مع والدي؛ مهما كانت الظروف. هل فهمت؟".

لم تجب كارينا، وإنما أحنت فقط رأسها دليل استسلام. مضى زمن طويل جداً على امتلاكها الطاقة لمحاربة كجيل. فيوم تخلى عنها أو عنهما، تخلت هي أيضاً عن نفسها.

عندما عاد كجيل إلى سيارته، قاد مسافة بضع مئات من الأمتار ثم توقف. وضع جبينه على مقود السيارة وأغمض عينيه. خطرت في باله صور لإيريك فرانكل، وفكّر في ما عرفه عن ذلك الرجل. السؤال هو: ما الذي يجدر به فعله بالمعلومات؟

غريني، خارج أوسلو، 1943

البرد أسوأ ما في الأمر. لم يتمكن مطلقاً من الإحساس بالدفء؛ فالرطوبة امتصت كل الدفء من زنزانته، وطوّقت جسمه وكأنها بطانية رطبة وجليدية. تقوقع أكسيل فوق السرير الخشبي. الأيام طويلة جداً في زنزانته الفردية، لكنه فضّل الكآبة على المقاطعات المتواترة، والضرب، والاستجواب، وكل الأسئلة المنهمرة عليه وكأنها مطر غزير يرفض التوقف عن الهطول. كيف يستطيع منحهم الأجوبة فيما هو لا يعرف إلا القليل؟ ومهما كان ما يعرفه، فلن يخبرهم به أبداً. عليهم أن يقتلوه أولاً.

مرر أكسيل يده فوق فروة رأسه. لا توجد سوى بعض الشعيرات القصيرة جداً الآن، وأحس بها خشنة تحت راحة يده. لقد أجبروا كل السجناء على الاستحمام وحلقوا لهم رؤوسهم ما إن وصلوا. كما أجبروهم على ارتداء بذلات الحرس النروجي. عندما تم إلقاء القبض عليه، عرف أكسيل فوراً إلى أين سيذهب؛ إلى السجن الواقع على مسافة اثني عشر كيلومتراً خارج أوسلو. ولكن، لم يحضّره أحد للحياة الموجودة هنا، وللرعب الكبير الذي يملأ كل ساعات اليوم، بالإضافة إلى الضجر والألم.

"الطعام". صدر صوت طقطقة من خارج زنزانته، فيما وضع الحارس الشاب صينية خارج القضبان.

سأل أكسيل بالنروجية: "في أي يوم نحن؟". كان وإيريك قد أمضيا كل عطلاتهما الصيفية تقريباً مع جدهما لأمهما في النروج، ولذلك كان يتحدث اللغة بطلاقة. إنه يرى هذا الحارس كل يوم، ويحاول دوماً الانخراط في حديث معه؛ نظراً إلى توقه للتواصل مع البشر. إلا أنه يتلقى عادة الأجوبة الأكثر اقتضاباً؛ تماماً مثلما حصل اليوم.

"الأربعاء".

"شكراً". أجبر أكسيل نفسه على الابتسام. استدار الشاب للمغادرة، فخشي أكسيل اللحظة التي سيعود فيها إلى عزلته والبرد مجدداً، لذا حاول إبقاء الحارس لوقت أطول، وذلك بطرح سؤال جديد عليه:

"كيف حال الطقس في الخارج؟".

توقف الشاب، وتردد قليلاً، ثم نظر حوله، وعاد بعد ذلك إلى زنزانة أكسيل.

قال: "إنه ملبّد بالغيوم. بارد جداً". تفاجأ أكسيل حين أدرك أن الشاب صغير في السن. لا بدّ أنه في مثل عمره تقريباً، أو ربما هو أصغر منه ببضع سنوات. لكن، نظراً إلى حال أكسيل هذه الأيام، افترض أنه يبدو أكبر منه سناً؛ من الداخل والخارج على حد سواء.

تراجع الشاب مجدداً بضع خطوات إلى الخلف.

"الطقس بارد بالنسبة إلى هذا الوقت من السنة، أليس كذلك؟". واختفى صوته، مما جعل الملاحظة العادية تبدو غريبة جداً. في الماضي، كان يعتبر مثل هذه الثرثرة التافهة مضيعة للوقت. إلا أنها الآن بمثابة حبل للنجاة، وتذكير له بأن العالم الخارجي يبدو أكثر وأكثر بعداً.

"نعم، يمكنك قول ذلك. لكن الطقس يصبح بارداً جداً في أوسلو في هذا الوقت من السنة".

"هل أنت من هنا؟". سارع أكسيل إلى طرح السؤال قبل أن يقرر الحارس المغادرة.

تردد الشاب غير واثق مما إذا كان يجدر به الإجابة أم لا، ثم نظر حوله مجدداً. لكن، لم يكن هناك أحد على مرأى أو مسمع منه.

"جئنا إلى هنا قبل بضعة أعوام فقط".

قرر أكسيل طرح سؤال آخر عليه: "كم مضى على وجودي هنا؟ أشعر أنه دهر وضحك، لكنه ذهل حين لاحظ كم بدت ضحكته قاسية وغير مألوفة. مضى وقت طويل جداً على وجود أي شيء يستلزم الضحك.

"لا أعرف إذا كان يجدر بي...". سوّى الحارس ياقة بذلته، وبدا غير مرتاح

في ملابسه العسكرية. غير أن أكسيل اعتقد أنه سيعتاد على ذلك مع مرور الوقت، وسيتعلّم قبول البذلة الرسمية وطريقة معاملة السجناء على حد سواء. فهذه هي الطبيعة البشرية.

قال أكسيل: "وما الفرق إذا أخبرتني كم مضى على وجودي هنا؟". كان ثمة شيء مزعج جداً في تواجده في هذه الحالة السرمدية؛ من دون ساعات، أو تواريخ، أو أيام أسبوع يستطيع تنظيم حياته وفقها.

"قرابة الشهرين. لست واثقاً تماماً".

"قرابة الشهرين. واليوم هو الأربعاء، مع سماء ملبدة بالغيوم. هذا كافٍ بالنسبة إليّ". ابتسم أكسيل للشاب وتلقى في المقابل ابتسامة حذرة.

بعد مغادرة الحارس، جلس أكسيل على سريره الخشبي ووضع الصينية على حضنه. لا يثير الطعام الشهية. فهو الطعام نفسه كل يوم؛ بطاطا مناسبة للحيوانات، ويخنات مقرفة. لكن هذا من دون شك جزء من استراتيجيتهم لتحطيم السجناء. غمّس الملعقة في الكتلة الرمادية في الطبق، وأجبره جوعه أخيراً على رفعها إلى فمه. حاول الادعاء أنه يتناول يخنة البقر التي تعدّها أمه، لكن الأمور ازدادت سوءاً؛ لأن أفكاره تحولت عندئذ إلى أشياء منع نفسه من التفكير فيها: منزله، وعائلته، والدته، ووالده، وإيريك. فجأة، لم يعد جوعه قوياً كفاية. ما من شيء يستطيع إجباره على الأكل. وضع الملعقة في الطبق، وأرجع رأسه إلى الخلف على الجدار الخشن. استطاع رؤيتهم جميعاً بوضوح؛ رأى والده بشاربيه الرماديين الكبيرين اللذين يمشطهما بعناية كل ليلة قبل الخلود إلى النوم، ووالدته بشعرها الطويل المربوط إلى الخلف على شكل كعكة عند الجهة الخلفية لعنقها، فيما نظارتها متكئة على طرف أنفها وهي تحيك الصوف تحت الضوء المنبعث من مصباح القراءة خلال السهرات، وإيريك الموجود ربما في غرفته يقرأ كتاباً. ماذا يفعلون جميعاً؟ ماذا يقولون عنه الآن؟ كيف تفاعل أهله مع خبر اعتقاله؟ إيريك الذي يبقى صامتاً في أغلب الأحيان يحتفظ بأفكاره لنفسه بالتأكيد. ذكاؤه الشديد يمكنه من تحليل النصوص والحقائق بسرعة مذهلة، لكنه يواجه صعوبة في التعبير عن عواطفه. وبين الحين والآخر، وبمحض العناد، يعانق أكسيل أخاه بشدة، ليشعر فوراً

أن جسمه قد تصلّب بسبب انزعاجه من ملامسته. لكن، بعد هنيهة يلين إيريك. تمرّ بضع ثوانٍ يكون خلالها مسترخياً ومستسلماً قبل أن يصرخ "اتركني"، ويبعد نفسه عنه. يعرف أكسيل أخاه جيداً؛ أكثر مما يظن إيريك نفسه. ويعرف أن إيريك يشعر أحياناً أنه بمثابة متطفل على العائلة، ويعتقد أنه لا يستطيع التنافس مع أكسيل. وها قد أصبحت الأمور الآن أكثر سوءاً بالنسبة إليه. عرف أكسيل أن قلق أخيه عليه سيؤثر في حياة إيريك اليومية، وأن مكانة أخيه في العائلة سوف تتضاءل أكثر فأكثر. إنه لا يجرؤ حتى على التفكير في ما سيحصل لإيريك إذا مات.

* * *

"مرحباً، ها قد عدنا إلى المنزل!". أغلق باتريك الباب، ووضع ماجا على الأرض في الردهة، فانطلقت على الفور، وتوجّب عليه الإمساك بسترتها لإيقافها.

"دقيقة واحدة يا حبيبتي. سوف نخلع حذاءينا وسترتينا قبل أن نذهب لرؤية ماما". خلع سترتها أولاً ثم أفلتها.

صرخ: "إيريكا، لقد عدنا إلى المنزل!". لا جواب. لكن، عندما توقف لينصت جيداً، سمع صوت طقطقة من الأعلى. فحمل ماجا وذهب إلى مكتب إيريكا، ووضع الفتاة الصغيرة على الأرض.

"مرحباً، إذاً أنت هنا".

"نعم. أنجزت عدداً من الصفحات اليوم، ثم جاءت آنا وتناولنا القهوة". ابتسمت إيريكا لماجا، ومدّت ذراعيها للإمساك بابنتها، فركضت ماجا وطبعت قبلة رطبة على شفتَي إيريكا.

"مرحباً حبيبتي. ماذا فعلت اليوم أنت وبابا؟". وفركت أنفها على أنف ماجا، فقهقهت الفتاة الصغيرة فرحاً. قبلات الأسكيمو من اختصاصها. قالت إيريكا وهي تحوّل انتباهها إلى باتريك مجدداً: "غبتما لوقت طويل

قال بحماسة: "حسناً، توجب عليّ البقاء لإنجاز بعض الأعمال. تبدو الشرطية الجديدة رائعة، لكنهم لم ينظروا إلى الأمور من كل الزوايا، ولذلك ذهبت معهم إلى فجالباكا لإجراء زيارة ميدانية، مما أعطانا دليلاً أتاح لنا تحديد الإطار الزمني الذي قتل فيه إيريك فرانكل على الأرجح..." وتوقف في منتصف الجملة عندما

رأى تعبير إيريكا، وأدرك أنه كان يجدر به التفكير أكثر قبل فتح فمه.

سألت إيريكا والجليد في صوتها: "وأين كانت ماجا فيما كنت تنجز بعض الأعمال؟".

أجفل باتريك. إنه وقت جيد ليتصاعد فيه إنذار الدخان. أخذ نفساً عميقاً، وأخبرها بالحقيقة على الفور.

"اهتمت بها آنيكا لبعض الوقت؛ في مركز الشرطة". لم يفهم السبب الذي جعل الأمر يبدو سيئاً جداً عندما لفظ الكلمات بصوت عالٍ. لغاية الآن، لم يخطر له قطّ أن الأمر لم يكن فكرة جيدة.

"إذاً، اهتمت آنيكا بابنتنا في مركز الشرطة فيما ذهبت شخصياً لإنجاز مهمة لبضع ساعات. هل فهمتُ الأمور بشكل صحيح؟".

قال باتريك: "أوه، نعم" وبحث عن طريقة لتحويل المسألة لصالحه. "قضت وقتاً رائعاً، وتناولت غداء كاملاً، ثم ذهبت للقيام بنزهة مع آنيكا إلى أن نامت في عربتها المتحركة".

"أنا واثقة من أن آنيكا أنجزت مهمة رائعة في حضانة الطفلة. ليست هذه هي المشكلة. فما يزعجني هو أننا اتفقنا على أن تهتم شخصياً بماجا فيما أعمل. لم أتوقع منك طبعاً أن تقضي معها كل دقيقة حتى شهر يناير، فسوف نحتاج حتماً إلى مربية بين الحين والآخر. لكنني أعتقد أنه أمر مبالغ فيه أن تترك ماجا مع سكرتيرة المركز كي تنجز مهمة بعد مرور أسبوع واحد فقط على إجازة الأبوة. ما رأيك؟".

تساءل باتريك هنيهة عما إذا كان سؤال إيريكا مجرد عرض للوقائع، لكنه عندما لاحظ أنها تنتظر منه جواباً، أدرك أنه سؤال حقيقي.

"حسناً، أنت تصفين الأمور الآن هكذا. أنا... حسناً، كان هذا غباء مني. لكنهم لم يتحققوا حتى إذا كان إيريك... ووجدت نفسي مهتماً جداً، حيث... حسناً، كان هذا غباء". أضاف معتذراً بارتباك. ومرر يده في شعره، مما جعله ينتصب.

"منذ الآن فصاعداً لا يجب أن تعمل. عدني بذلك. فقط أنت وماجا. والآن، أقسم لي". فرفع يده إلى الأعلى، محاولاً أن يبدو جديراً بالثقة قدر الإمكان.

أصدرت إيريكا تنهيدة طويلة من حيث تجلس على كرسيها ثم قالت: "حسناً

حبيبتي، لا يبدو أنك عانيت من أي شيء. هل نسامح بابا وننزل إلى الأسفل لتحضير العشاء؟". فأومأت ماجا برأسها. عندها قالت إيريكا: "يستطيع بابا تحضير معكرونة كاربونارا لنا للتعويض عما فعله اليوم". ونزلت إلى الأسفل، واضعة ماجا على وركها. أومأت ماجا برأسها بحماسة، إذ إن طبق الكاربونارا الذي يحضّره بابا هو أحد الأطباق المفضلة لديها.

سألت إيريكا لاحقاً، فيما جلست إلى طاولة المطبخ مراقبة باتريك وهو يقلي اللحم ويغلي الماء لسلق المعكرونة: "هل توصلتم إلى أي استنتاجات؟". كانت ماجا جالسة أمام التلفزيون تشاهد بوليبومبا، كي ينعم والداها ببعض الهدوء والسلام بمفردهما.

"على الأرجح، مات بين الخامس عشر والسابع عشر من يونيو". وحرّك باتريك اللحم المقدد في المقلاة. "اللعنة!" وتناثر بعض الدهن على ذراعه. "هذا مؤلم! الحمد لله لأنني لا أقلي اللحم وأنا عارٍ

"هل تعرف شيئاً يا حبيبي؟ أوافقك الرأي. من الجيد أنك لا تقلي اللحم عارياً". وغمزته إيريكا، فذهب لتقبيلها على شفتيها.

"إذاً، هل أنا حبيبك مجدداً؟ هل يعني ذلك أنني لم أعد مضطراً إلى الاختباء في غرفة الجلوس؟".

زعمت إيريكا أنها تفكر في الأمر هنيهة ثم أجابت: "لم أسامحك إلى هذا الحد. لكنني قد أفعل ذلك قريباً؛ فإذا كان طبق الكاربونارا جيداً فعلاً، فقد أعيد النظر في الأمر

سألها باتريك وهو يعاود الطهو: "كيف كان نهارك؟". ورفع بحذر قطع اللحم من المقلاة ووضعها على منديل ورقي لامتصاص الدهن الفائض. سرّ تحضير الكاربونارا اللذيذة يكمن في اللحم الهشّ فعلاً. فلا شيء أسوأ من اللحم الطري.

سألت إيريكا: "من أين أبدأ؟". وتنهدت، ثم أخبرته أولاً عن زيارة آنا ومشاكلها مع ابنة زوجها المراهقة. وبعد ذلك، ذكرت له ما حصل عندما ذهبت لرؤية بريتا. وضع باتريك الملعقة جانباً، وحدّق إليها بذهول.

"هل ذهبت إلى منزلها لتطرحي عليها الأسئلة؟! والمرأة العجوز تعاني من داء

ألزهايمر! لا عجب في أن زوجها طردك. كنت سأفعل الشيء نفسه أيضاً".

"أوه، شكراً جزيلاً. قالت آنا الشيء نفسه أيضاً، وقد سمعت ما يكفي من الانتقادات بشأن هذا الموضوع. شكراً جزيلاً". وقطّبت جبينها، ثم تابعت: "لم أكن أعرف أي شيء عن مرضها عندما ذهبت إلى هناك".

سألها باتريك: "ماذا قالت؟". ووضع المعكرونة في الماء المغلي.

"هل تدرك أن هذه الكمية تكفي لجيش صغير؟". قالت إيريكا ذلك حين رأته يضع ثلثَي علبة المعكرونة تقريباً في القدر.

قال باتريك وهو يشير إليها بالملعقة: "هل أنا من يحضّر العشاء أم أنت؟ حسناً، ماذا قالت؟".

"حسناً، أولاً يبدو أنهما أمضتا الكثير من الوقت معاً حين كانتا شابتين، أي بريتا وأمي. ويبدو أنهما بالإضافة إلى إيريك فرانكل وشخص اسمه فرانس قد شكلوا مجموعة مقرّبة".

"أهو فرانس رينغهولم؟". سأل باتريك فيما حرّك المعكرونة.

"نعم، أعتقد أن هذا هو اسمه؛ فرانس رينغهولم. لماذا؟ هل تعرفه؟". ووجّهت إليه نظرة مرتبكة، لكن باتريك اكتفى بهزّ كتفه.

"هل قالت شيئاً آخر؟ هل كان هناك أي تواصل بينها وبين إيريك أو فرانس أو أكسيل في هذا الخصوص؟".

أجابت إيريكا: "لا أظن ذلك. لا يبدو أن أياً منهم بقي على تواصل مع الآخرين، لكنني قد أكون مخطئة". وقطّبت جبينها، وتذكرت المحادثة، ثم أضافت بتردد: "ثمة شيء..."

توقف باتريك عن التحريك فيما انتظر مضيها قدماً.

"قالت بريتا شيئاً... شيئاً عن إيريك وعظام قديمة، وعن ضرورة تركها بسلام. كما قالت إن إيريك قال... لا، ثم انزلق عقلها في الضباب، ولم يعد بوسعي فهم أي شيء آخر. كانت مرتبكة فعلاً، ولذلك لا أعرف كم أستطيع منح أهمية لما قالته. فهو ربما مجرد هراء".

قال باتريك: "ليس بالضرورة. ليس بالضرورة. إنها المرة الثانية اليوم التي

أسمع فيها هذه الكلمات بالترافق مع اسم إيريك فرانكل. عظام قديمة... أتساءل عمّا يمكن أن يعنيه ذلك؟"

وفيما فكّر باتريك في المسألة، بدأ ماء المعكرونة يغلي ويسيل خارج القدر.

استعدّ فرانس جيداً قبل اللقاء. إذ يجتمع المجلس مرة كل شهر، وهناك العديد من المسائل التي يحتاجون إلى مناقشتها. ستحلّ قريباً سنة الانتخابات، ويكمن أمامهم التحدي الأكبر.

"هل الجميع هنا؟". ألقى نظرة حول الطاولة، مراقباً بصمت الأعضاء الخمسة الآخرين للمجلس. كلهم رجال. فالمساواة بين الجنسين لم تصل بعد إلى المنظمات النازية الجديدة، ولن تصل أبداً على الأرجح.

المقرّ في أوديفالا تم استئجاره من بيرتلوف سيفنسون، وهم يجتمعون الآن في غرفة في الطابق الأرضي من مبنى الشقق الذي يملكه. يُستخدَم هذا المكان أيضاً للقاءات الروحية، ولا تزال هناك آثار حفلة أقامها أحد المستأجرين خلال عطلة نهاية الأسبوع. يستطيع أفراد المجموعة أيضاً النفاذ إلى مكتب في المبنى نفسه، لكن المكتب صغير ولا يناسب اجتماعات المجلس.

تمتم بيرتلوف: "لم ينظفوا المكان جيداً. سأتحدث إليهم عندما ننتهي من هنا". وركل قنينة شراب فارغة، فجعلها تتدحرج على الأرض.

قال فرانس بصرامة: "فلنبدأ هذا الاجتماع". فهم لا يملكون وقتاً للثرثرات غير المهمة. "أين أصبحنا في التحضيرات؟".

استدار فرانس صوب بيتر ليندغرين أصغر أعضاء المجلس. فبالرغم من اعتراضات فرانس بصوت عالٍ، تم اختياره لتنسيق الحملة الانتخابية. إنه لا يثق في الرجل بكل بساطة. ففي الصيف الماضي، كان ليندغرين في السجن بسبب اعتدائه على رجل صومالي في السوق في غريبستاد، ولم يصدق فرانس أنه قادر على الحفاظ على رباطة جأشه إلى الدرجة التي ستصبح لازمة قريباً.

وكما لو أنه أراد تأكيد شكوك فرانس، تهرب بيتر من السؤال وقال بدلاً من ذلك: "هل سمعتم بما حصل في فجالباكا؟". وضحك ثم تابع: "يبدو أن أحدهم

قرر التخلص من فرانكل؛ ذلك الخائن اللعين".

قال فرانس مثبتاً عينيه على بيتر: "بما أنني أفترض أن أياً منا ليست له علاقة بذلك، أقترح أن نعود إلى جدول أعمالنا". لهنيهة، تشارك الرجلان معركة قوة صامتة، ثم نظر بيتر بعيداً. "إننا نحرز تقدماً جيداً. أدخلنا بعض المتطوعين الجدد إلى الجمعية، وحرصنا على أن يكون الجميع- القدماء والجدد- مستعدين لإنجاز العمل الميداني القائم على نشر رسالتنا في مساحة كبيرة إلى حين موعد الانتخابات".

قال فرانس باقتضاب: "جيد. ماذا عن تسجيل الحزب؟ هل تم إنجاز ذلك؟ وماذا عن أوراق الاقتراع؟".

"كل شيء تحت السيطرة". نقر بيتر بأصابعه على الطاولة، وبدا جلياً أنه منزعج من استجوابه مثل تلميذ المدرسة. لذا، أراد مضايقة فرانس فأضاف: "إذاً، يبدو أنك لم تستطع حماية صديقك القديم. ما المهم في ذلك الرجل العجوز لدرجة أنك قبلت بالمجازفة من أجله؟ فالناس يتحدثون عن ذلك مثلما تعلم، ويتساءلون عن إخلاصك"

وقف فرانس وحدق إلى بيتر بغضب، إلا أن ويرنر هيرمانسون الذي كان جالساً إلى جانب فرانس من الجهة الأخرى أمسك بذراعه قائلاً: "لا تصغِ إليه يا فرانس. وبيتر، بالله عليك هوّن الأمور. هذا سخيف. يفترض أن نتحدث عن كيفية عملنا، وليس أن نجلس هنا لمهاجمة بعضنا بعضاً. حسناً، والآن تصافحا". نظر ويرنر إلى بيتر أولاً، ومن ثم إلى فرانس. باستثناء فرانس، كان ويرنر العضو الأقدم في جمعية أصدقاء السويد، وقد عرف فرانس لوقت أطول من الآخرين. لذا، إنه الآن يحاول حماية بيتر وليس فرانس؛ فقد عرف ما يستطيع فرانس فعله.

لهنيهة، ساد الصمت المطبق، ثم جلس فرانس.

"لا أريد أن أكرر الأمور، لكنني أقترح مجدداً أن نعود إلى جدول الأعمال. هل من اعتراضات؟ هل من مواضيع إضافية أخرى نريد تبديد الوقت عليها؟". وحدّق إلى كل واحد من أعضاء المجلس إلى أن أبعدوا أنظارهم، ثم تابع قائلاً: "يبدو أن معظم المسائل العملية في موقعها الصحيح. في هذه الحالة، هل

نتقل للتحدث عن المسائل التي يفترض أن تشكل أساس الحزب؟ كنت أستمع إلى ما يقوله الناس هنا في المنطقة، وأعتقد فعلاً أننا نستطيع الفوز بمقعد في المجلس البلدي في هذه الفترة. فالناس يدركون كيف تعاطت الحكومة الوطنية والدولة باستخفاف مع مسائل الهجرة، ويرون كيف تذهب وظائفهم إلى غير السويديين، ويلاحظون كيف يتم تبديد أموال البلديات على خدمات اجتماعية مجانية تقدّم للمجموعات نفسها من الأشخاص. ثمة امتعاض كبير من كيفية تسيير الأمور على الصعيد المحلي، وعلينا الاستفادة من ذلك"

رنّ هاتف فرانس الخلوي في جيب سرواله. "اللعنة! عفواً، نسيت أن أطفئه. ثانية من فضلكم" وأخرج الهاتف، ونظر إلى الشاشة. عرف الرقم؛ إنه هاتف منزل أكسيل. غير أنه أطفأ هاتفه من دون أن يجيب.

"عفواً. حسناً، أين كنا؟ أوه، حسناً. نحن نملك فرصة مذهلة لاستغلال الجهل الذي كشفت عنه المنطقة حيال مشكلة اللاجئين".

استمر فرانس في التكلم، فيما نظر إليه جميع الجالسين حول الطاولة بانتباه. لكن أفكاره كانت تتسارع في اتجاه مختلف تماماً.

القرار بعدم دخول صف الرياضيات لم يكن وليد الصدفة. فإذا كان هناك صف لا يرغب في حضوره، فهو صف الرياضيات من دون شك. إذ ثمة شيء في الأرقام وكل تلك الأمور يجعله يشعر بالرعب. إنه لا يستوعبها بكل بساطة، ويصبح عقله فارغاً لحظة محاولته الجمع أو الحذف. وبماذا سيفيده علم الحساب على أية حال؟ فهو لن يصبح أبداً واحداً من رجال الأعمال، وبالتالي علم الرياضيات مضيعة للوقت.

أشعل بير سيجارة أخرى فيما راقب ملعب المدرسة. لقد غادر الآخرون إلى هيدرمير لسرقة المحلات، لكنه لم يشأ الذهاب معهم. بقي في منزل توماس في الليلة الماضية، ولعب لعبة "تومب رايدر" حتى الساعة الخامسة فجراً. استمرت أمه في الاتصال به على هاتفه الخلوي إلى أن أطفأه أخيراً. كان يفضّل البقاء في السرير، لكن والدة توماس رمته خارج المنزل عندما غادرت إلى عملها، ولذلك

جاءا إلى المدرسة بحثاً عن فكرة أفضل.

في الوقت الحاضر، إنه يشعر فعلاً بالكثير من الضجر. كان يجدر به ربما الذهاب مع بقية العصابة. نهض عن مقعده للحاق بهم، لكنه جلس مجدداً عندما رأى ماتياس يخرج من المدرسة مع تلك الفتاة الغبية التي يركض الجميع خلفها لسبب ما. لم يفهم قط سبب إيجادهم ميا جذابة جداً؛ فهو لا يحب تلك الفتاة الشقراء بريئة المظهر.

حاول الإصغاء إلى ما يقولانه. كان ماتياس من يتكلم في معظم الوقت، ولا بد أن كلامه كان مهماً لأن ميا انتبهت إلى كل كلمة يتفوّه بها، ونظرت إليه بعينيها الزرقاوين اللتين تغطيهما مستحضرات التجميل. وعندما اقتربا منه، استطاع بير سماع مقتطفات من حديثهما، وتجمد في مكانه. كان ماتياس مركزاً جداً على لفت انتباه ميا، فلم يلاحظ وجود بير.

"ليتك رأيت كيف أصبح آدم شاحباً عندما رآه. لكنني أدركت فوراً ما يجب فعله، وطلبت من آدم الانسحاب من هناك كي لا يتم العبث بالأدلة".

قالت ميا بإعجاب: "واو!".

ضحك بير حين سمع ذلك. يا إلهي، يحاول ماتياس تضخيم الأمور للفت انتباهها؛ وربما تبوّلت في ملابسها الداخلية.

والرائع في الأمر أن أحداً لم يجرؤ على الذهاب إلى هناك. بعض الآخرين تحدثوا عن الأمر، لكننا نعلم جيداً أن التكلم عن الموضوع أمر، وفعله أمر آخر

سمع بير ما يكفي، فقفز عن المقعد، وركض صوب ماتياس. وقبل أن يعرف ماتياس ما يحصل، تقدم بير من الصبي من الخلف وطرحه أرضاً، ثم جلس على ظهره، وبرم ذراعه إلى الأعلى إلى أن صرخ ماتياس متألماً، ثم أمسك بشعره. تلك التسريحة المقرفة معدّة لكي ينتزع الشعر بعنف. ثم قام بير برفع رأس ماتياس إلى الأعلى عمداً ليضربه بالزفت، وتجاهل صراخ ميا على مسافة أمتار قليلة. وفيما ركضت الفتاة صوب المدرسة طلباً للمساعدة، ضرب بير رأس ماتياس على الأرض مجدداً.

"عن أي هراء تتكلم؟ أنت مجرد أحمق. لا تظن أنني سأسمح لك بالاستمرار في فعل هذا أيها الولد الحقير كان بير غاضباً جداً؛ حيث أصبح كل شـيء أمام عينيه أسـود، ولم يعد يرى أي شـيء حوله. والشـيء الوحيد الذي أدركه هو يده الممسـكة بشـعر ماتياس، والارتجاج الذي يشـعر به في أصابعه كلما ارتطم رأس الصبي بالأرض. والشيء الوحيد الذي رآه كان الدم الذي بدأ يلوّن السطح الأسود تحت رأس ماتياس. شعر بالكثير من الرضى عندما رأى تلك البقعة حمراء اللون، وأحسّ بالرضى في أعماق صدره، واسـتمتع بذلك الإحسـاس. كما أحسّ بهدوء نـادراً مـا شـعر بـه سـابقاً. لم يحاول مطلقـاً مقاومة الغضب، بل تركـه يتغلغل فيه، واستسلم له، واستساغ ذلك الإحساس البدائي الذي قضى على كل شيء آخر؛ كل شيء معقد، ومحزن، وصغير. لم يشأ التوقف، بل لم يستطع التوقف. واستمر في الصراخ والضرب، وفي رؤية تلك البقعة الحمراء الدبقة والرطبة وهي تزداد اتساعاً كلما رفع رأس ماتياس وضربه بالأرض؛ إلى أن أحسّ أخيراً بشـخص ما يمسـك به من الخلف ويبعده بقوة.

"ماذا تفعل؟!". استدار بير بدهشة حقيقية، ورأى التعبير الغاضب الظاهر على وجـه أسـتاذ الرياضيـات. هنـاك، في مبنى المدرسـة، كانت الوجـوه تحدق من كل نافـذة، فيمـا احتشـدت مجموعة صغيرة من الفضوليـن في الملعب. حدّق بير إلى جسم ماتياس الهامد من دون أن يشعر بأية عاطفة، وسمح لنفسه بأن يتم جرّه من دون مقاومة عدة أمتار بعيداً عن ضحيته.

""يا إلهي! هل فقدت صوابك؟". كان وجه أستاذ الرياضيات على مسافة إنش واحد فقط، وكان يصرخ بصوت عالٍ، لكن بير أدار رأسـه من دون أن يشـعر بأي شيء.

منذ لحظات، أحسّ بروعة كبيرة. والآن، لم يبقَ سوى الفراغ.

وقف في الردهة محدّقاً إلى الصور المعلقة على الجدار لوقت طويل. هناك الكثير من الأوقات السعيدة، والكثير من الحب. صور زفافهما بالأسود والأبيض، عندمـا بـدا وبريتـا أكثـر رزانة مما كانا عليـه فعلاً. بريتا تحمل آنا غريتا بين ذراعيها

فيما التقط صورتهما. إنه يذكر جيداً ما حصل حينها، فقد وضع الكاميرا على الأرض بعد التقاط الصورة، وحمل ابنته بين ذراعيه للمرة الأولى. وذكّرته بريتا بعصبية بضرورة دعم رأس الطفلة، لكن بدا له وكأنه يعرف فطرياً كيف يحملها. ولطالما كشف عن دور نشط في الاهتمام بفتياتهما؛ بدرجة أكبر من تلك المتوقعة من زوج في ذلك الحين. وفي العديد من الأحيان، وبخته حماته قائلة له إنه ليس من واجبات الرجل تبديل الحفاضات أو مساعدة الطفل على الاستحمام. لكنه لم يستطع الابتعاد. وبدا الأمر طبيعياً جداً بالنسبة إليه، إذ لم يجد أن إلقاء الحمل كله على بريتا للاهتمام بالفتيات الثلاث اللواتي أنجبتهن في فترات متقاربة أمر عادل.

في الواقع، رغب في إنجاب المزيد من الأولاد، لكن بعد ولادة طفلتهما الثالثة التي كانت معقدة عشر مرات أكثر من الولادتين السابقتين، أخذه الطبيب على انفراد، وقال له إن جسم بريتا لن يتحمل على الأرجح حملاً جديداً. وبكت بريتا. أحنت رأسها من دون النظر إليه، فيما انهمرت الدموع على وجهها، واعتذرت لعدم قدرتها على إنجاب ابن له. حينها، حدّق إليها بدهشة؛ إذ لم يخطر في بال هيرمان مطلقاً أن يتمنى شيئاً أكثر ممّا أعطي إياه. فهو محاط بزوجته وبناته الثلاث، ووجد نفسه أغنى مما حلم يوماً. احتاج إلى بعض الوقت لإقناعها بهذه الحقيقة، ولكنْ حين أدركت بريتا أنه جدي فعلاً في قوله، توقفت عن البكاء، ثم ركزا كل انتباههما على الفتيات الثلاث اللواتي أنجباهما.

والآن، هناك الكثير من الأشخاص لمنحهم الحب. فقد أنجبت الفتيات أولاداً بدورهن، وهيرمان وبريتا يحبانهم كثيراً. ولقد أثبت مجدداً مهارته في تغيير الحفاضات كلما ذهبا لمساعدة بناتهما. فالأمر صعب جداً عليهنّ في هذه الأيام؛ بسبب محاولتهن الاهتمام بكل الأمور دفعة واحدة، أي العمل والمنزل والعائلة. لكنه وبريتا يشعران بالفرح والامتنان لوجود مكان لهما، ووجود شخص يستطيعان مساعدته، ومنحه حبهما. والآن، أنجب بعض أحفادهم أولاداً أيضاً. لا شك في أن أصابعه أصبحت أكثر تصلباً الآن، لكن بوجود هذه الحفاضات الجديدة المبتكرة، لا يزال بوسعه تغيير الحفاض بين الحين والآخر. هزّ رأسه. أين ذهبت كل هذه السنوات؟

صعد إلى الأعلى إلى غرفة النوم، وجلس على حافة السرير. كانت بريتا تأخذ قيلولة بعد الظهر. لقد كان يوماً سيئاً. لم تتعرف إليه مرات عدة خلال اليوم، واعتقدت أنها عادت إلى منزل أهلها. سألت عن أمها، ثم عن والدها، والخوف واضح في صوتها. فربّت على شعرها، وطمأنها مراراً وتكراراً أن والدها قد مات قبل أعوام كثيرة، ولم يعد قادراً على إيذائها مطلقاً.

داعب يدها المستريحة فوق البطانية المحبوكة. كانت بشرتها مجعدة، وفيها البقع الداكنة نفسها الموجودة على يديه. لكن أصابعها لا تزال طويلة وأنيقة. ابتسم لنفسه عندما رأى طلاء الأظفار الوردي. لطالما كانت مزهوة بنفسها قليلاً، ولا تزال هكذا. إلا أنه لم يتذمر يوماً. فلطالما كانت زوجة جميلة، وطوال الأعوام الخمسة والخمسين التي مضت على زواجهما، لم ينظر يوماً إلى امرأة أخرى.

رفرف جفناها. إنها تحلم بشيء ما. وتمنى لو كان بإمكانه دخول أحلامها، والعيش داخلها معها، والادعاء أن كل شيء لا يزال مثلما كان.

اليوم، وأثناء اضطرابها، تحدثت عن الشيء الذي اتفقا على عدم ذكره أبداً. لكن، مع انهيار دماغها، بدأت السدود تنهار؛ تلك الجدران التي شيّداها على مرّ السنوات لاحتواء سرّهما. لقد تشاركا السرّ لوقت طويل جداً؛ لدرجة أنه اختفى نوعاً ما في طيات حياتهما إلى أن أصبح غير منظور البتة. وقد سمح لنفسه بالاسترخاء ونسيان أمره.

لم تكن فكرة جيدة أن تزورها إيريكا؛ على الإطلاق. فزيارتها هي التي سبّبت الصدع في الجدار، وها هو الصدع يصبح الآن أكبر وأكبر. وإذا لم يتم سدّ ذلك الصدع، فسيحدث فيضان كبير وسيسحقهم جميعاً.

إلا أنه لم يعد مضطراً إلى القلق بشأن إيريك بعد الآن. ليسا بحاجة إلى القلق بشأن إيريك بعد الآن.

واستمر في التربيت على يدها.

"أوه، نسيت أن أخبرك. اتصلت بك كارين. لديكما موعد للقيام بنزهة في تمام الساعة العاشرة. ستنتظرك أمام الصيدلية".

توقـف باتريـك فـي مكانـه: "كارين! اليوم؟ بعد..." ونظر إلى سـاعته ثم تابع: ...نصف ساعة؟!".

قالت إيريكا: "عفواً". رغم أن نبرة صوتها أشـارت إلى أنها غير آسـفة البتة. ثـم لانـت قليـلاً وأضافـت: "كنت أفكر في الذهاب اليوم إلى المكتبة لإنجاز بعض الأبحاث، فإذا كان بوسعك أنت وماجا الاستعداد خلال عشرين دقيقة، فبإمكانكما الذهاب معي

تردد باتريك وقال: "هل... هل يناسبك ذلك؟".

ذهبت إيريكا إليه وقبّلته قائلة: "مقارنة مع اسـتعمال مركز الشـرطة بمثابة دار حضانة لابنتنا، فإن موعداً مع زوجتك السابقة للقيام بنزهة ليس بالأمر المهم".

قال باتريك بتجهم: "هاهاها، هذا مضحك جداً". رغم معرفته أن إيريكا محقة. فما فعله البارحة كان تصرفاً غبياً جداً.

"إذاً، لا تقـف هنـاك! هيـا، تحرك وارتدِ ملابسـك! سـأعارض حتماً إذا ذهبت للقاء زوجتك السابقة وأنت بهذا المظهر وضحكت إيريكا وهي تنظر إلى زوجها من الأعلى إلى الأسـفل وهو واقف في غرفة النوم، مرتدياً فقط ملابسـه الداخلية مع جوربين سميكين.

سأل باتريك وهو يتخذ وضعية بطل كمال الأجسام: "لماذا؟! ألا أبدو جذاباً كفايـة هكـذا؟". فضحكـت إيريـكا بشـدة، لدرجة أنـه توجب عليهـا الجلوس على السرير.

"أوه، بالله عليك، توقف".

قال باتريك وهو يزعم أنه شعر بالإهانة: "لمعلوماتك، أنا جاموس مقرف جداً، وأواجه صعوبة في الحصول على هذه الطلة. لكن، من المهم إخفاء المظهر البشع تحـت غطـاء آمـن". وربّـت على معدته التـي اهتزّت. لم ينجح الـزواج في تصغير محيط خصره بشكل محلوظ.

قالـت إيريـكا: "توقـف! لـن أتمكن أبداً من القيـام بعلاقة حميمة معك مجدداً إذا لـم تتوقـف". فاستجاب باتريك لذلك بإلقائه نفسه على السرير، وراح يدغدغها.

"تراجعي عن قولك! هل ستتراجعين عن قولك أم لا؟".

صرخـت إيريـكا التي شـعرت بالكثير من الدغدغـة: "بلى، بلى، أتراجع الآن. توقف أرجوك".

"ماما! بابا!". كانت ماجا واقفة عند الباب وهي تصفق بيديها فرحاً لمشاهدتها العـرض الحاصـل أمامهـا. فقد خرجت من غرفتها لدى سـماعها الأصوات المثيرة في غرفة والديها.

قـال باتريـك: "تعالـي إلـى هنا، ودعي بابا يدغدغـك أيضاً". ثم رفع ماجا إلى السـرير. وفي اللحظة التالية، كانت الأم وابنتها تنفجران ضحكاً. بعد ذلك، استلقوا هـم الثلاثـة علـى السـرير، منهكين ومعانقين بعضهم بعضـاً؛ إلى أن انتصبت إيريكا فجأة وقالت: "يستحسن أن تسرعا. أستطيع مساعدة ماجا على ارتداء ملابسها فيما ترتب أنت نفسك".

بعـد عشـرين دقيقـة، أوقفـت إيريكا السـيارة أمام مبنى البلدية المشـتمل أيضاً على الصيدلية والمكتبة. ستكون هذه أول مرة تلتقي فيها كارين؛ رغم أنها سمعت الكثير عنها سابقاً. لم تكن تعرف ماذا تتوقع. فقد التزم باتريك الصمت حيال زواجه الأول.

ركنت السيارة، وساعدت باتريك على إخراج العربة المتحركة من الصندوق، ثم ذهبت معه للقاء كارين. أخذت نفساً عميقاً ومدّت يدها قائلة: "مرحباً. أنا إيريكا. تحدثنا عبر الهاتف البارحة".

قالـت كاريـن: "كـم سـررت بلقائك". وأدركت إيريكا بدهشـة أنها اسـتلطفت فوراً المرأة الواقفة أمامها. لاحظت من زاوية عينها كم بدا باتريك منزعجاً، حيث تأرجح على قدميه متمايلاً، فلم تستطع منع نفسها من الاستمتاع بالوضع. إنه أمر مضحك فعلاً.

تأملـت زوجتـه السـابقة بفضـول. كانت كارين أكثر نحولاً منهـا، وأقصر منها بقليل. شـعرها الداكن مربوط إلى الخلف في تسـريحة ذيل حصان بسـيطة. وكانت تملـك قسـمات دقيقـة، ولا تضـع أياً من مسـتحضرات التجميل، وبـدت... منهكة نوعـاً مـا. فكّـرت إيريـكا في سـرها أن السـبب يعزى من دون شـك إلـى الاهتمام بطفـل صغيـر، وأدركـت أن مظهرهـا لـم يكن أفضل أيضاً قبـل أن ينجحا في جعل

ماجا تنام طوال الليل.

تحدثتا لبعض الوقت، ثم لوّحت إيريكا بيدها مودعة وتوجهت إلى المكتبة. شعرت بالارتياح لأنها رأت أخيراً وجه المرأة التي شكلت جزءاً أساسياً من حياة باتريك طوال ثمانية أعوام. فهي لم ترَ أية صورة لها من قبل. لكن، نظراً إلى الظروف التي دفعتهما إلى الانفصال، تفهّمت عدم رغبة باتريك في الاحتفاظ بأية صورة ترجع إلى تلك الفترة التي عاشا فيها معاً.

كانت المكتبة هادئة كما هي الحال دوماً. كانت تمضي ساعات عدة في هذا المكان؛ إذ ثمة شيء في المكتبات يعطيها إحساساً كبيراً بالرضى.

"مرحباً كريستيان".

نظر مسؤول المكتبة إلى الأعلى، وابتسم عندما رأى إيريكا.

"مرحباً إيريكا. كم أنا مسرور لرؤيتك مجدداً! كيف أساعدك اليوم؟". بدت لكنته الخاصة بمنطقة سمالاند محببة جداً، فتساءلت إيريكا عن سبب ظهور الأشخاص القادمين من سمالاند محببين لحظة فتحهم أفواههم. في حالة كريستيان، بقي الانطباع الأول الذي كوّنته عنه صحيحاً. فلطالما كان ودوداً ومساعداً، فضلاً عن إجادته وظيفته. وفي مناسبات كثيرة، ساعد إيريكا على إيجاد المعلومات التي لم يكن بوسعها قطّ العثور عليها بمفردها.

سألها وهو ينظر إليها بتفاؤل: "هل تحتاجين إلى معرفة المزيد عن القضية نفسها التي أجريت أبحاثاً عنها في المرة الماضية؟". فأسئلة إيريكا كانت دوماً ترفيهاً مرحباً به لصرف انتباهه عن الروتين الممل في وظيفته، والقائم أساساً على جمع المعلومات عن السمك والمراكب وحيوانات بوهوسلان.

قالت له: "لا، ليس اليوم". وجلست على كرسي قبالته أمام مكتب الاستعلامات." أحتاج اليوم إلى معرفة بعض الحقائق عن أشخاص هنا في فجالباكا، وإلى معرفة بعض الأحداث".

فقال وهو يغمزها: "أشخاص وأحداث! هلّا حددت أكثر من فضلك".

"سأحاول". ولفظت إيريكا بسرعة لائحة من الأسماء: "بريتا جوهانسون، فرانس رينغهولم، أكسيل فرانكل، إلسي فالك- أو بالأحرى، موستروم- و..."

ترددت بضع ثوانٍ قبل أن تضيف: "إيريك فرانكل

ذهل كريستيان، وسألها: "أليس الرجل الذي عثر عليه مقتولاً؟".

أجابت إيريكا: "هذا صحيح"

"وإلسي؟ هل هي...؟"

"أمي، نعم. أحتاج إلى بعض المعلومات عن كل هؤلاء الأشخاص في فترة الحرب العالمية الثانية تقريباً. في الواقع، دعنا نحصر البحث في سنوات الحرب".

"بكلمات أخرى، من عام 1939 إلى عام 1945".

أومأت إيريكا برأسها، وراقبت كريستيان فيما كان يضغط على أزرار جهاز الكمبيوتر للبحث عمّا طلبته. "بالمناسبة، كيف حال مشروعك؟".

بدا وكأن غيمة مرّت أمام وجه المسؤول عن المكتبة، ثم اختفت. وبعد ذلك، أجاب عن سؤالها: "أنا في منتصف الطريق تقريباً؛ شكراً على السؤال. ويعود معظم الفضل في ما أنجزته لغاية الآن إلى النصيحة التي أسديتني إياها".

قالت إيريكا وقد بدت محرجة: "أوه، لم يكن ذلك شيئاً يذكر. دعني أعرف إذا احتجت إلى المزيد من النصائح حول الكتابة، أو إذا أردت أن ألقي نظرة على كتابك. بالمناسبة، هل اخترت عنواناً؟"

قال كريستيان من دون النظر إلى عينيها: "الحورية. سيكون اسمه الحورية".

"يا له من عنوان جيد! كيف توصلت إليه؟". سألته إيريكا، لكنه هزّ رأسه بفظاظة مشيراً إلى أنه لا يريد مناقشة الأمر، فنظرت إليه بدهشة؛ إذ إن هذا ليس من عادته. وتساءلت عمّا إذا كانت قد قالت شيئاً أهانه لكنها لم تعرف ما هو.

قال كريستيان بعدها: "إليك بعض المقالات التي قد تهمك. هل أطبعها لك؟".

قالت إيريكا وهي لا تزال مذهولة قليلاً: "نعم، من فضلك". لكن، عندما عاد كريستيان بعد دقائق قليلة حاملاً لها كدسة من الأوراق أحضرها من الآلة الطابعة، كان قد عاد إلى حالته الطبيعية.

"يفترض أن تبقيك هذه المقالات مشغولة لبعض الوقت. أبلغيني إذا كان هناك أي شيء آخر أستطيع مساعدتك به".

شكرته إيريكا وغادرت المكتبة. إنها محظوظة؛ فالمقهى في الجهة المقابلة

من الشارع مفتوح. اشترت لنفسها كوباً من القهوة قبل أن تجلس وتبدأ بالقراءة. لكن ما وجدته كان مثيراً جداً؛ لدرجة أنها لم تلمس كوبها مطلقاً، وأصبحت قهوتها باردة.

* * *

"حسناً، ماذا وجدنا لغاية الآن؟" وكشّر ميلبرغ فيما مدد ساقيه، وتفاجأ من استمرار الأوجاع والآلام الناجمة عن التمارين لغاية هذا الوقت الطويل. على هذه الحال، سيتعافى في الوقت المناسب للمشاركة في صف السالسا يوم الجمعة. لكن الغريب في الأمر هو أن الفكرة لم تكن مخيفة مثلما تصوّر. فثمة شيء في الدمج بين الموسيقى المذهلة والاقتراب من جسم ريتا، وحقيقة تحرك قدميه وفق الخطوات الصحيحة في نهاية صف الأسبوع الماضي. لا، إنه لا ينوي التخلي عن حضور الصفوف في وقت قريب. فإذا كانت هناك فرصة في أن يصبح أي كان ملك السالسا في تانومشيد، فلا شك في أنه هو.

"عفواً، ماذا قلت؟". جفل ميلبرغ في مكانه؛ فهو لم ينتبه مطلقاً إلى ما قالته باولا، إذ كان شارداً في أحلام اليقظة بشأن الإيقاعات اللاتينية.

قال غوستا: "مثلما قالت باولا، نجحنا في تحديد الإطار الزمني الذي حصلت فيه جريمة قتل إيريك فرانكل. كان مع... صديقته، حسبما يمكن تسميتها في هذه المرحلة العمرية، يوم الخامس عشر من يونيو. انفصل عنها في ذلك اليوم، وكان ثملاً بشكل واضح؛ وهذا أمر غير اعتيادي البتة حسب قولها".

أضاف مارتن: "وذهبت عاملة التنظيف إلى المنزل في السابع عشر من يونيو، لكنها لم تستطع الدخول. لا يعني ذلك بالضرورة أنه كان ميتاً حينها، لكنه دليل واضح على إمكانية حصول ذلك. فهي لم تعجز سابقاً عن دخول المنزل. ففي حال عدم تواجد الأخوين في المنزل، كانا يتركان المفتاح لها دوماً".

"حسناً، جيد. إذاً، سوف نعمل في الوقت الراهن على افتراض أن إيريك قد توفي بين الخامس عشر والسابع عشر من يونيو. تحقّقوا من أخيه لمعرفة ما إذا كان في المنزل في ذلك الحين أو كان قد غادر إلى باريس وانحنى ميلبرغ إلى الأسفل لمداعبة إرنست خلف أذنيه. فقد كان الكلب مستلقياً تحت طاولة المطبخ،

ومستقراً فوق قدمَي ميلبرغ كالمعتاد.

"لكن، هل تظن فعلاً أن أكسيل فرانكل له أية علاقة بـ...؟". وتوقفت باولا في منتصف الجملة عندما رأت التعبير الظاهر على وجه ميلبرغ.

"لا أظن أي شيء في الوقت الحاضر. لكنك تعلمين مثلما أعلم شخصياً أن معظم الجرائم يرتكبها أحد أفراد العائلة. لذا، فلنتحقق من وضع الأخ. اتفقنا؟".

أومأت برأسها. هذه المرة، كان ميلبرغ محقاً.

"ماذا عن الولدين اللذين دخلا المنزل؟ هل توصلنا إلى أية أدلة منهما؟".

نظر ميلبرغ إلى زملائه الجالسين حول الطاولة، فاستدار الجميع نحو غوستا الذي تململ بعصبية.

"آه... حسناً... نعم ولا. أخذتُ آثار الأحذية وبصمات أحد الولدين- آدم- لكن، لم يتسنَّ لي الوقت للتحدث إلى الولد الآخر

فتح ميلبرغ عينيه مذهولاً وقال: "كانت لديك عدة أيام لإنجاز هذه المهمة البسيطة، ولم تنجزها بعد!! كان لديك \الوقت الكافي للقيام بذلك. أليس هذا صحيحاً؟".

أومأ غوستا برأسه، وبدا محبطاً: "أوه، نعم... هذا صحيح. لكنني سأحاول اليوم". فتلقّى نظرة غاضبة أخرى من ميلبرغ.

قال غوستا وهو ينظر إلى الأسفل: "على الفور، بأسرع ما يمكن".

قال ميلبرغ: "من الأفضل أن تسرع في ذلك". ثم حوّل انتباهه إلى مارتن وباولا.

"هل من شيء آخر؟ كيف هي الأمور مع رينغهولم؟ هل من جديد؟ شخصياً، أعتقد أنه الخيط الأكثر أهمية، ويفترض أن نقلب الأمور رأساً على عقب مع جمعية أصدقاء السويد"

"تحدثنا إلى فرانس، لكننا لم نحصل على أي شيء مهم لنمضي فيه قدماً. فحسبما قال، هناك بعض الأعضاء في الجمعية الذين هددوا فرانكل، لكنه حاول التدخل لحماية إيريك؛ بسبب صداقتهما القديمة".

"وأولئك \الأعضاء..." وأشار ميلبرع بأصابعه إلى المزدوجين الافتراضيين

المحيطين بالكلمة، ثم تابع: "هل تحدثنا إليهم؟".

قال مارتن بهدوء: "لا، ليس بعد. لكن هذا الأمر على جدول أعمال اليوم".

أجاب ميلبرغ: "جيد، جيد". وأبعد إرنست عن قدميه لأنه بدأ يشعر بالخدر فيهما. أطلق إرنست صوت تجشؤ عالياً، ثم استقر بارتياح أكبر فوق قدمَي سيده. "حسناً، تبقى لدينا مسألة واحدة لمناقشتها. هذا المركز ليس داراً للحضانة، هل تفهمون؟". وحدّق إلى آنيكا التي كانت تدوّن الملاحظات بهدوء خلال الاجتماع. فنظرت إليه من فوق حافة نظارتها الطبية. وبعد هنيهة، بدأ ميلبرغ يتململ متسائلاً عمّا إذا كانت نبرة صوته قاسية قليلاً.

ثم قالت: "أنجزت عملي رغم أنني اعتنيت بماجا لبعض الوقت البارحة. وهذا آخر ما يجدر بك القلق بشأنه برتيل

ساد نزاع القوة الصامت فيما حدّقت آنيكا بهدوء إلى عينَي ميلبرغ. وأخيراً، أبعد نظره وتمتم: "حسناً، حسناً، أنت ربما أفضل حكم لـ..."

"بالإضافة إلى ذلك، يعود الفضل إلى باتريك في إدراكنا أننا نسينا التحقق من حسابات إيريك المصرفية". وغمزت باولا آنيكا لإظهار دعمها لها.

وقال غوستا: "أنا واثق من أننا كنا سنفكر في المسألة عاجلاً أم آجلاً... لكن، بفضل باتريك، تم حلّ المسألة عاجلاً وليس آجلاً" وألقى نظرة صوب أنيكا قبل أن يخفض عينيه ويعود لتأمل سطح الطاولة.

فقال ميلبرغ بفظاظة مدركاً أنه خسر المعركة: "حسناً، لكنني اعتقدت أنه في إجازة أبوّة. ما الذي تنتظرونه جميعاً؟ بعد أن أصبحت لدينا الآن مهام لإنجازها، فلنمضِ قدماً". نهض الجميع عن الطاولة، ووضعوا فناجين القهوة في آلة غسل الأطباق.

في تلك اللحظة، رنّ الهاتف.

فجالباكا 1944

جلست إلسي بالقرب من إيريك، في صدع جلمود صخري كبير وقالت: "اعتقدت أنني سأجدك هنا".

فقال إيريك باقتضاب: "هنا تتاح لي فرصة الإحساس بالسلام". ثم أصبحت تعابيره أكثر ليونة، وأغلق الكتاب الذي كان يضعه على حضنه وتابع: "عذراً، لم أقصد أن أريك مزاجي السيئ".

فسألته إلسي برقة: "هل غياب أكسيل هو سبب مزاجك السيئ؟ كيف هي الأمور في المنزل؟".

فأجاب إيريك: "تبدو الأجواء كما لو أنه قد مات". ونظر إلى المياه المتلاطمة عند مدخل مرفأ فجالباكا. "على الأقل، تتصرف أمي بهذه الطريقة؛ كما لو أنه مات. ويتحرك أبي في المنزل متمتماً، ورافضاً التحدث عن الموضوع".

سألت إلسي وهي تتأمل صديقها: "ماذا عنك؟ كيف تشعر؟". إنها تعرف إيريك جيداً؛ أكثر مما يظن. فلقد أمضوا ساعات طويلة في اللعب معاً؛ هي وإيريك، وبريتا وفرانس. لم تبقَ لديهم الآن أي ألعاب ليلعبوها؛ بعد أن أصبحوا ناضجين تقريباً. لكن، في هذه اللحظة، لم ترَ أي فرق بين إيريك البالغ من العمر أربعة عشر عاماً والصبي ابن الأعوام الخمسة الذي بدا مثل رجل كبير في جسم صغير، حتى في سرواله القصير.فقد بدا لها وكأن إيريك ولد رجلاً صغيراً ويكبر تدريجياً ليقولب كينونته. كما لو أن جسم الطفل، ثم جسم الصبي، والآن جسم الشاب مراحل توجّب عليه المرور بها قبل أن يصبح ما هو عليه.

قال إيريك باقتضاب: "لا أعرف طبيعة شعوري". ونظر بعيداً. لكنه لم يكن سريعاً كفاية، إذ رأت إلسي الدموع تتلألأ في عينيه.

فقالت وهي تحدق إليه: "بلى، تعرف. تحدث إليّ".

"أشعر... بأنني ممزق. فثمة جزء مني خائف وحزين بسبب ما حصل، وسوف يحصل لأكسيل. فمجرد التفكير في أنه قد يموت..." وبحث عن الكلمات المناسبة لكنه لم يجدها. لكن إلسي فهمت، ولم تتكلم، وإنما انتظرته كي يتابع كلامه.

"لكن، في الوقت نفسه، ثمة جزء آخر مني يشعر بالكثير من الغضب". كان صوته أكثر عمقاً؛ كما لو أنه يحمل تلميحاً إلى ما سيكون عليه صوت إيريك الناضج. "أنا غاضب لأنني أصبحت الآن عديم الأهمية أكثر مما كنت قبلاً. فأنا الآن غير موجود. حين كان أكسيل في المنزل، بدا وكأنه قد استطاع أن يعكس عليّ بعض الضوء الساطع منه؛ شعاعاً صغيراً بين الحين والآخر، فكنت أحصل على القليل من الضوء والانتباه. وكان هذا كافياً لي. فأنا لم أرغب يوماً في أكثر من ذلك. فقد استحق أكسيل أن يكون تحت الأضواء، وأن يحظى بالانتباه. إذ لطالما كان أفضل مني. ولم أجرؤ يوماً على فعل ما فعله. فأنا لست شجاعاً، ولا ألفت الانتباه، ولا أملك قدرة أكسيل على جعل الأشخاص المحيطين بي يشعرون بالرضى؛ لا أملك هذه الموهبة. فأنا أجعل الأشخاص متوترين ومنزعجين، حيث إنهم لا يعرفون فعلاً ماذا يسعهم أن يفعلوا بي. فأنا أعرف الكثير، ولا أضحك كفاية..." وأجبر نفسه على التوقف عما بدا أطول خطاب متواصل ألقاه في حياته، وأخذ نفساً عميقاً.

لم تستطع إلسي منع نفسها من الضحك. "انتبه كي لا تستعمل كل كلماتك دفعة واحدة إيريك. فأنت مقتضب في كلامك عادة وابتسمت، لكن إيريك أطبق فكيه قبل أن يتابع قائلاً:

"لكن، هذا ما أقصده بالضبط. وهل تعرفين شيئاً؟ أعتقد أنه بات بوسعي الابتعاد أكثر فأكثر، الابتعاد وعدم العودة أبداً. إذ لن يلاحظ أحد في المنزل أنني ابتعدت. فبالنسبة إلى أمي وأبي، أنا مجرد ظلّ على هامش حقل رؤيتهما. وفي بعض النواحي، أعتقد أنهما سيشعران بالارتياح إذا اختفى هذا الظل كي يتمكنا من تركيز كل انتباههما على أكسيل واختنق صوته، فأدار رأسه بعيداً وهو يشعر بالخجل.

وضعت إلسي ذراعها حوله، وأحنت رأسها على كتفه، فأجبرته على العودة

من ذلك المكان المعتم حيث كان يحاول الاختباء.

"إيريك، أعلم أنهما سيلاحظان إذا اختفيت. إنهما فقط... مشغولان في الاهتمام بما جرى مع أكسيل

قال إيريك بحزن: "مضت أربعة أشهر على اعتقاله على يد الألمان. لكم من الوقت سيبقيان مركزين على ذلك؟ ستة أشهر؟ سنة؟ سنتين؟ العمر كله؟ أنا هنا في الوقت الحاضر. لا أزال هنا. لماذا لا يعني ذلك أي شيء؟ وفي الوقت نفسه، أشعر أنني شخص مريع لأنني أغار من أخي الذي يفترض أنه قابع في السجن، وقد يحكم عليه بالموت قبل أن تتاح لأي منا فرصة رؤيته مجدداً. يا لي من أخ عظيم!".

"ما من أحد يشكك في حبك لأكسيل وربّتت على ظهره. "لكن، ليس غريباً أن ترغب أنت أيضاً في لفت الاهتمام، وفي أن يلاحظا وجودك. وأعرف تماماً أنك موجود. لكن، عليك أن تخبرهما عن شعورك. عليك أن تجعلهما يريانك".

هزّ إيريك رأسه وقال: "لا أجرؤ. فربما سيعتقدان أنني شخص مريع".

أمسكت إلسي برأسه بين يديها، وأجبرته على النظر إليها قائلة: "أصغِ إليّ إيريك فرانكل. لست شخصاً مريعاً، فأنت تحب أخاك ووالديك، لكنك تتألم أيضاً. عليك التحدث إليهما بشأن ذلك. عليك أن تطالب بمساحة صغيرة لنفسك. هل تفهم؟".

حاول النظر بعيداً، لكنها بقيت ممسكة برأسه بين يديها، ومحدقة إلى عينيه.

أخيراً، أومأ برأسه قائلاً: "أنت محقة. سأتحدث إليهما".

وبطريقة عفوية، وضعت إلسي ذراعيها حوله وعانقته بشدة، وأحسّت أنه يسترخي فيما ربّتت على ظهره.

"بالله عليكما، ماذا..." ثمة صوت خلفهما جعلهما يبتعدان عن بعضها. فاستدارت إلسي، ورأت فرانس يحدق إليهما بوجه شاحب ويدين مطبقتين.

وكرر كلامه: "بالله عليكما، ماذا... وبدا وكأنه يواجه صعوبة في العثور على الكلمات الأخرى. أدركت إلسي حقيقة المشهد، فتحدثت بهدوء في محاولة لجعل فرانس يفهم ما جرى فعلاً قبل أن يفقد أعصابه. فقد شاهدت غضبه يشتعل بسرعة النيران مرات عدة سابقاً. ثمة شيء في فرانس يدفعه دوماً إلى حدود العنف؛ كما

لو أنه يبحث دوماً عن أسباب للهجوم. وكانت ذكية كفاية لتعرف أنه مفتون بها. وفي هذا الوضع، قد تكون النتائج كارثية إذا لم تنجح في تفسير الحقيقة.

تحدثت بهدوء وروية: "كنا أنا وإيريك جالسين هنا نتحدث".

قال فرانس: "أوه، نعم. أرى أنكما كنتما جالسين وتتحدثان". ثمة شيء في عينيه جعل إلسي ترتعد خوفاً.

قالت: "كنا نتحدث عن أكسيل ومدى صعوبة الوضع لعدم وجوده هنا". وأبقت عينيها مسمّرتين على فرانس، فاختفت قليلاً تلك النظرة الباردة والشريرة الظاهرة في عينيه. فتابعت الكلام: "كنت أواسي إيريك. هذا ما كنت أفعله. لماذا لا تجلس وتنضم إلينا؟".

وربّتت على الصخرة، فتردد. لكنه أرخى قبضتَي يديه، واختفى تماماً التعبير الغاضب عن وجهه. ثم تنهد بعمق وجلس.

وقال من دون النظر إليها: "عفواً".

أجابت: "لا بأس. لكن، لا تتسرع في إصدار الأحكام مجدداً".

جلس فرانس هناك بصمت لبعض الوقت، ثم استدار للنظر إليها. قوة العواطف التي رأتها في عينيه أخافتها فجأة أكثر مما فعل غضبه الشديد. وأحسّت أن الأمور لن تجري على ما يرام.

فكرت أيضاً في بريتا، وفي النظرات المفتونة التي توجِّهها دوماً إلى فرانس.

لا، لن تنتهي الأمور على ما يرام.

* * *

"تبدو لطيفة جداً". ابتسمت كارين فيما كانت تدفع عربة لود.

فقال باتريك: "إيريكا هي الفضلى وارتسمت ابتسامة على شفتيه. لا شك في أنهما تشاجرا قليلاً في الآونة الأخيرة، لكن هذا غير مهم. فهو يعتبر نفسه رجلاً محظوظاً لأنه يستيقظ بالقرب من إيريكا كل صباح.

قالت كارين: "أتمنى لو كان بوسعي قول الشيء نفسه عن ليف. لكنني بدأت أسأم فعلاً من الزواج من عازف في فرقة راقصة. إلا أنني عرفت مسبقاً ما ينتظرني، ولذلك أفترض أنه لا يجدر بي التذمر

قال باتريك: "تتغير الأمور عند إنجاب الأطفال، أليس كذلك؟". وبدت ملاحظته تقريراً وسؤالاً في الوقت نفسه.

فأجابت كارين بسخرية: "هل تظن ذلك؟ كنت ساذجة ربما، لكنني لم أعرف مطلقاً مقدار العمل اللازم، ومقدار الطلبات التي تلقى على عاتق الشخص عند وجود طفل صغير. و... ليس من السهل عليّ تحمل كل العبء بمفردي. أشعر أحياناً أنني من ينجز العمل الشاق كله؛ حيث إنني أستيقظ في الليل، وأغيّر حفاضات لود، وألعب معه، وأطعمه، وآخذه إلى الطبيب حين يمرض. ثم يأتي ليف راقصاً، فيرحّب به لود في المنزل كما لو أنه سانتا. أشعر أن هذا غير عادل".

سأل باتريك: "لكن، إلى من يلجأ لود إذا آذى نفسه؟".

ابتسمت كارين مجيبة: "أنت محق، أنا من يلجأ إليه. إذاً، أعتقد أنه يدرك تماماً أنني من يواسيه في منتصف الليل. لكن، لا أعرف... أشعر نوعاً ما أنني مخدوعة. إذ لا يفترض أن تكون الأمور هكذا". ثم تنهدت وسوّت قبعة لود التي انزاحت وأصبحت تغطي أذناً واحدة فقط.

قال باتريك: "شخصياً، أجد الأمر ممتعاً أكثر مما تخيلت". وأدرك أنه أدلى بملاحظة غبية عندما لمح النظرة الحادة التي رمقته بها كارين.

وسألته بحدة: "وهل تشعر إيريكا بالشيء نفسه؟". ففهم إيريك وجهة نظرها، وأجاب: "لا، إنها لا تفعل. أو على الأقل، لم تفعل خلال العام الماضي أحسّ بشيء من الذنب عندما تذكر كم كانت إيريكا شاحبة وحزينة خلال الأشهر الأولى بعد ولادة ماجا.

"هل يعزى ذلك ربما إلى تخلي إيريكا عن حياتها كامرأة ناضجة للبقاء في المنزل مع ماجا، فيما ذهبت أنت إلى العمل كل يوم؟".

احتج باتريك قائلاً: "لكنني ساعدتها قدر المستطاع".

فقالت كارين: "ساعدتها طبعاً" وحرّكت عربة طفلها ودفعتها إلى الأمام حين وصلا إلى منعطف ضيق في الطريق يؤدي إلى بادهولمن. "لكن، ثمة فرق كبير بين المساعدة وبين أن تكون الشخص الذي تلقى على عاتقه معظم المسؤولية. فليس أمراً بسيطاً أن تجيد تهدئة طفل يبكي، أو تعرف كيف ومتى يحتاج إلى تناول

الطعام، أو كيف تبقي نفسك أنت والطفل منهمكين طيلة خمسة أيام في الأسبوع على الأقل، من دون صحبة أي شخص راشد. تقوم المسألة على كونك المدير العام التنفيذي لشركة الطفل، مقارنة مع كونك مجرد مساعد يقف جانباً ويدوّن الملاحظات".

قال باتريك فيما كان يحرّك عربة الطفلة إلى أعلى الهضبة: "لكن، لا يمكنك اعتبار كل الآباء هكذا. ففي أغلب الأحيان، لا ترغب الأمهات في التخلي عن السيطرة. وإذا قام الزوج بتغيير حفاض، فهي تقول له إنه فعل ذلك بطريقة خاطئة. وإذا أطعم الطفل، فهي تقول إنه لا يمسك قنينة الرضاعة كما يجب، وما شابه ذلك. لا يسهل دوماً على الآباء أن يشاركوا في دور المدير العام التنفيذي الذي تتحدثين عنه".

لم تتفوه كارين بأية كلمة لبضع دقائق، ثم نظرت إلى باتريك وقالت: "هل كانت إيريكا هكذا حين مكثت في المنزل مع ماجا؟ هل رفضت السماح لك بالمشاركة؟".

وانتظرت جوابه.

فكّر باتريك هنيهة، ثم أجبر نفسه على الاعتراف: "لا، لم تكن هكذا. أعتقد أنني سررتُ لعدم تحملي المسؤولية الكبيرة. فحين كانت ماجا تحزن وأحاول مواساتها، كنت أدرك في قرارة نفسي أنها مهما بكت، ففي النهاية بوسعي ترك المهمة لإيريكا إذا لم أنجح في تهدئتها. وكانت إيريكا تهتم بالأمور. وكان الذهاب إلى العمل كل صباح رائعاً فعلاً؛ مع العلم بأنني سأعود إلى المنزل في المساء للقاء ماجا".

قالت كارين بنبرة جافة: "وفي غضون ذلك، كنت تحصل على جرعتك من العالم الناضج. كيف هي الأمور الآن بعد أن توليت بنفسك المسؤولية الكبيرة؟ هل كل شيء على ما يرام؟".

فكر باتريك لفترة طويلة، ثم توجب عليه هزّ رأسه قائلاً: "حسناً، لم أحصل على علامات مذهلة في أداء دوري كأب في المنزل. لكن الأمر ليس سهلاً. فإيريكا تعمل في المنزل مثلما ترين، وتعرف مكان كل شيء و..." هزّ رأسه مجدداً.

"يبدو هذا مألوفاً. فكلما عاد ليف إلى المنزل، وقف صارخاً: كارين! أين الحفاضات؟ أتساءل أحياناً كيف تنجحون أيها الرجال في إنجاز مهامكم أساساً؛ إذ لا يمكنكم تذكر مكان أي شيء في المنزل"

قال باتريك وهو يلكز كارين قليلاً: "أوه، بالله عليك. لسنا عاجزين إلى هذا الحد. أعطينا بعض الفضل؛ فقبل جيل واحد فقط، لم يكن الرجال يغيرون حفاضات أطفالهم مطلقاً. وقد قطعنا شوطاً كبيراً منذ ذلك الحين. لكن، لا يمكنك إجراء هذه الأنواع من التحولات بين ليلة وضحاها. فقد كان آباؤنا النماذج القدوة بالنسبة إلينا، وهم الذين أثروا فينا، ونحتاج إلى الوقت للتكيّف؛ لكننا نبذل قصارى جهدنا".

قالت كارين وقد بدت حزينة مجدداً: "أنت تفعل ذلك ربما. لكن الحال ليست هكذا مع ليف".

لم يجب باتريك، فهو لا يملك شيئاً لقوله. وعندما انفصلا في سالفيك عند التقاطع قرب نادي نوردرفيكين للملاحة، أحسّ بالحزن والكآبة. أحسّ لفترة طويلة من الزمن بمشاعر سلبية تجاه كارين؛ بسبب خيانتها له. لكنه الآن يشعر بالأسف الكبير عليها.

الاتصال الهاتفي الوارد إلى مركز الشرطة جعلهم يهرعون إلى سيارة الشرطة على الفور. وكالعادة، تمتم ميلبرغ بعذر معين وأسرع إلى مكتبه، أما مارتن وباولا وغوستا فقد أسرعوا إلى ثانوية تانومشيد. وعند وصولهم، تم إرشادهم إلى مكتب المدير. وبما أنها ليست زيارتهم الأولى إلى المدرسة، لم يجد مارتن صعوبة في معرفة الطريق.

"ماذا حصل هنا؟". وألقى نظرة في أرجاء الغرفة. كان ثمة مراهق مكفهرّ الوجه يجلس على كرسي، ويحيط به المدير ورجلان. واعتقد مارتن أنهما أستاذان.

قال المدير باشمئزاز فيما جلس وراء مكتبه: "ضرب بير أحد تلاميذنا. أنا مسرور لوصولكم بسرعة".

فسألت باولا: "وكيف حال التلميذ؟".

"لا يبدو بحالة جيدة. ممرضة المدرسة موجودة معه حالياً، وسيارة الإسعاف في طريقها إلى هنا. لقد اتصلت بوالدة بير، وستصل إلى هنا سريعاً". وحدّق المدير بغضب إلى الصبي الذي تثاءب بعدم مبالاة.

قال مارتن وهو يشير إلى بير للوقوف: "عليك أن تذهب معنا إلى مركز الشرطة" واستدار نحو المدير قائلاً: "حاولوا الاتصال بأمه قبل أن تصل إلى هنا، وإلا فعليكم الطلب منها أن تلاقينا في المركز. سوف تبقى زميلتي باولا موراليس هنا، وستقابل كل من كانوا شهوداً على الهجوم".

قالت باولا: "سأبدأ على الفور" وتوجهت نحو الباب.

استمرّ بير في إظهار التعبير اللامبالي نفسه حين مشى في الرواق خلف رجلَي الشرطة. واحتشدت مجموعة كبيرة من التلاميذ الفضوليين، فتفاعل بير مع هذا الاهتمام بالابتسام ورفع إصبعه لهم.

وتمتم: "اللعنة عليكم أيها الحمقى

عندها، وجَّه إليه غوستا نظرة حادة وقال: "دع فمك مغلقاً إلى أن نصل إلى المركز".

فهزّ بير كتفه، لكنه أطاع الأمر. وفي طريق العودة إلى المبنى المشتمل على مركز الشرطة ومركز الإطفاء، حدّق بير إلى خارج النافذة بصمت كبير.

وعند الوصول إلى المركز، وضعا الصبي في قاعة الاستجواب، وانتظرا وصول أمه. في تلك الأثناء، رنّ هاتف مارتن الخلوي، فأصغى باهتمام، ثم استدار صوب غوستا وهناك نظرة شاردة تبدو على وجهه.

قال: "هذه باولا. هل تعرف من الذي ضربه بير؟".

"لا. هل هو شخص نعرفه؟".

"نعم. إنه ماتياس لارسون، أحد الولدين اللذين عثرا على إيريك فرانكل. لقد أخذوه إلى المستشفى الآن، ولذلك علينا استجوابه في وقت لاحق".

تلقى غوستا المعلومات من دون تعليق، لكن مارتن لاحظ أن وجهه أصبح شاحباً.

وبعد عشر دقائق، دخلت كارينا عبر الباب الرئيس، ووصلت إلى قاعة

الاستقبال منقطعة الأنفاس، وهي تسأل عن ابنها. فاصطحبتها آنيكا بهدوء إلى مكتب مارتن.

"أين بير؟ ماذا فعل؟". كانت تكبح دموعها بصعوبة، وبدت على وشك الإصابة بنوبة هستيرية. صافحها مارتن فيما كان يعرّف عن نفسه. ففي أغلب الأحيان، تكشف الإجراءات الشكلية والروتينية عن تأثير مهدئ. وبعد أن أعطت هذه الخطوة مفعولها الآن، كررت كارينا سؤاليْها، وإنما بنبرة أقل حدة، ثم جلست على الكرسي الذي عرضه عليها مارتن الذي كشّر حين جلس أمام مكتبه؛ إذ تعرّف الرائحة المألوفة المنبعثة من المرأة الجالسة قبالته. إنها رائحة الشراب الذي لا بد أنها أسرفت في احتسائه. ربما كانت في حفلة راقصة في الليلة الفائتة؛ لكنه لا يظن ذلك. فقسماتها المنتفخة قليلاً تدلّ على إدمانها على الشراب.

"حسب التقرير الصادر عن المدرسة، اعتدى بير على زميل له".

فقالت وهي تمسك بذراعَي الكرسي: "أوه، يا إلهي! كيف...؟ هل الصبي...؟" ولم تستطع إكمال سؤالها.

"تم أخذه إلى المستشفى. يبدو أنه تعرض لضرب مبرح".

"لكن، لماذا؟". وابتلعت لعابها بصعوبة، وهزّت رأسها.

"هذا ما نحاول معرفته. وضعنا بير في إحدى غرف الاستجواب هنا، ونحتاج إلى إذنك لنطرح عليه بعض الأسئلة"

فأومأت كارينا برأسها قائلة: "نعم، طبعاً" وابتلعت لعابها بصعوبة مجدداً.

"حسناً. إذاً، فلنذهب ونتحدث إلى بير مشى مارتن في المقدمة، وتوقف في الرواق للطرق على باب مكتب غوستا قائلاً له: "تعال معنا. سوف نتحدث إلى الصبي

تصافح غوستا وكارينا، ثم توجه الثلاثة إلى الغرفة حيث كان بير ينتظر، محاولاً أن يبدو وكأن المسألة كلها تضجره. إلا أنه فقد رباطة جأشه ما إن رأى أمه. ليس تماماً، لكن حصل ارتعاش خفيف في زاوية عينه، وارتجفت يداه، ثم أجبر نفسه على استعادة مظهره اللامبالي، وحوّل نظره إلى الجدار.

"بير، ماذا فعلت الآن؟!" ارتفع صوت كارينا بشدة فيما جلست بالقرب من

ابنها، ووضعت ذراعها حوله، فدفعها بعيداً ورفض الإجابة.

جلس مارتن وغوستا قبالة بير وكارينا، وأدار مارتن جهاز التسجيل. وبدافع العادة، أحضر معه قلماً ودفتراً أيضاً، وضعهما على الطاولة، ثم حدد التاريخ والوقت من أجل التسجيل، وتنحنح ثم قال:

"حسناً بير، هلا تخبرنا بما حصل. بالمناسبة، تم أخذ ماتياس إلى المستشفى؛ في حال كنت تتساءل عما حصل له".

بالكاد ابتسم بير.

"بير!". لكزته أمه بمرفقها على جانبه وتابعت: "عليك أن تجيب عن السؤال. كنت قلقاً على الصبي بالطبع، أليس كذلك؟". كان صوتها حاداً، لكن ابنها رفض النظر إليها.

فقال غوستا وهو يشير إلى كارينا لتهدأ: "فلنعطِ بير بعض الوقت للإجابة".

جلسوا بصمت منتظرين ابن الخامسة عشرة كي يجيب. وأخيراً، أمال رأسه وقال: "ينطق ماتياس بالكثير من التفاهات".

فقال مارتن مبقياً صوته ودوداً: "أي نوع من التفاهات؟ هل يمكنك أن تكون أكثر تحديداً؟".

ساد صمت طويل مجدداً، ثم أجاب: "كان يتحدث إلى ميا، ويتبجح بمدى شجاعته عندما تسلل مع آدم إلى منزل ذلك الرجل العجوز وعثرا على جثته، وكيف أن أحداً لا يجرؤ على فعل ذلك! أقصد، ما كل هذا الهراء؟ فقد خطرت لهما الفكرة فقط لأنني دخلت قبلهما إلى المنزل. انتصبت آذانهما مثل أقراص الأقمار الاصطناعية عندما أخبرتهما عن الأشياء الرائعة الموجودة لديه. ويعرف الجميع أنهما ليسا أول اثنين يدخلان المنزل. إنهما حقيران"

وأرجع رأسه إلى الخلف وضحك، فيما حدّقت أمه إلى الطاولة بخجل.

فقال مارتن بطريقة متشككة: "هل تتحدث عن منزل إيريك فرانكل؟".

قال بير وقد ظهر لمعان في عينيه: "نعم، ذلك الرجل الذي وجده ماتياس وآدام ميتاً، الرجل الذي يملك كل الأشياء النازية. إنها أشياء رائعة فعلاً. وكنت آمل الحصول على بعض القطع الجميلة، لكن الرجل العجوز ظهر فجأة، واحتجزني

في الداخل، واتصل بوالدي و..."

قال مارتن رافعاً يديه: "أوووووه، لحظة! على مهلك من فضلك. هل تقول إن إيريك فرانكل عثر عليك عندما تسللت إلى منزله؟ وأنه احتجزك؟".

أومأ بير برأسه مجيباً: "لم أظن أنه في المنزل، ولذلك دخلت عبر نافذة في الطابق الأرضي. لكنه نزل إلى الأسفل فيما كنت في تلك الغرفة المشتملة على كل الكتب والأشياء، وأغلق الباب وأقفله، ثم أجبرني على إعطائه رقم هاتف والدي كي يتصل به".

"هل تعرفين بشأن ذلك؟". واستدار مارتن نحو كارينا موجهاً إليها نظرة صارمة.

فأومأت برأسها على مضض وقالت: "عرفت البارحة. كجيل- زوجي السابق- لم يخبرني بالأمر سابقاً، ولذلك لم أكن أعرف. ولا أفهم سبب عدم إعطائه رقم هاتفي أنا، بير، بدلاً من إقحام والدك في كل ذلك!".

قال بير: "لم يكن بوسعك معالجة المسألة" ونظر إلى أمه للمرة الأولى منذ دخولها وتابع قائلاً: "فأنت تكتفين بالجلوس واحتساء الشراب طوال الوقت من دون الاهتمام بأي شيء آخر. بالمناسبة، تفوح منك رائحة الشراب المقرفة. أقول هذا فقط لإبلاغك!". وبدأت يداه ترتجفان، وفقد رباطة جأشه مجدداً.

انهمرت الدموع على وجنتَي كارينا وهي تقول: "هل هذا هو الشيء الوحيد الذي تريد قوله لي؛ بعد كل ما فعلته من أجلك؟ لقد أنجبتك، وأطعمتك، وألبستك، واهتممت بك طوال الأعوام التي لم يرغب فيها والدك في التعاطي معنا مطلقاً". واستدارت نحو مارتن وغوستا وتابعت: "ذات يوم، تركنا ومضى. وضّب حقائبه وذهب برفقة فتاة في الخامسة والعشرين من عمرها حملت منه. تخلى عني وعن بير من دون أن ينظر إلى الوراء. ذهب لتأسيس عائلة جديدة، فيما تركنا وراءه مثل قمامة البارحة".

قال بير بصوت منهك: "مضت عشرة أعوام على تخلي والدي عنا". ثم بدا فجأة أكبر من سنواته الخمس عشرة.

سأل غوستا: "ما اسم والدك؟".

فأجابت كارينا بتوتر: "زوجي السابق هو كجيل رينغهولم. أستطيع أن أعطيك

رقم هاتفه إذا شئت".

تبادل مارتن وغوستا النظرات، ثم سأل غوستا: "هل هو كجيل رينغهولم نفسه الذي يكتب في جريدة بوهوسلانينغن؟". وقد بدأت قطع الأحجية تجتمع في رأسه. "أهو ابن فرانس رينغهولم؟".

فقال بير بفخر: "فرانس جدي، إنه رائع. دخل السجن سابقاً، لكنه منخرط الآن في العمل السياسي. سوف يفوزون في الانتخابات المقبلة، فيما يضطر أولئك السود الحقيرون إلى الانسحاب".

فقالت كارينا مصدومة: "بير!" ثم استدارت نحو الشرطيين قائلة: "إنه في عمر يختبر فيه الأشياء. ولا يؤثر فيه فرانس بصورة إيجابية. لقد منع كجيل ابنه بير من رؤية جده".

فتمتم بير: "كما لو أن هذا سيمنعني. وذلك الرجل العجوز صاحب الأغراض النازية... لقد نال جزاءه. سمعت طريقة كلامه مع والدي عندما جاء لإحضاري. كل ذلك الهراء عن إمكانية إعطائه والدي مواد جيدة للمقالات التي يكتبها حول جمعية أصدقاء السويد، وخصوصاً عن فرانس. لم يعرفا أنني أصغي إليهما، ولكنني سمعت أنهما اتفقا على موعد للقاء مجدداً. الخائنان اللعينان، كلاهما خائنان. أفهم الآن لماذا يخجل جدي بوالدي". قال بير بعدائية.

بوم! صفعت كارينا ابنها. وفي الصمت الذي تلا ذلك، تبادلت الأم وابنها النظرات بدهشة وكراهية. ثم لانت تعابير كارينا وقالت: "أنا آسفة حبيبي. أنا آسفة فعلاً. لم أقصد... أنا... أنا آسفة". وحاولت معانقة ابنها، لكنه دفعها بعيداً.

"ابتعدي عني أيتها الثملة اللعينة. لا تجرئي على لمسي!".

"حسناً، فليهدأ الجميع". ونهض غوستا عن كرسيه محدقاً بدهشة إلى كارينا وبير، ثم تابع: "لا أعتقد أننا سنحصل على المزيد من المعلومات في الوقت الحاضر. يمكنك المغادرة الآن يا بير. لكن...". ونظر إلى مارتن الذي أومأ برأسه بطريقة خفية تقريباً. "لكننا سنتصل بمكتب الخدمات الاجتماعية بشأن ذلك. فقد رأينا ما يكفي من الأمور التي تدعو إلى القلق، وسوف نطلب من مكتب الخدمات الاجتماعية إلقاء نظرة عن كثب. وفي غضون ذلك، سوف نجري تحقيقنا الخاص".

سألت كارينا بصوت مرتعش: "هل هذا ضروري؟". لكن سؤالها افتقد إلى القوة الحقيقية. وشعر غوستا أنها ارتاحت لمعرفتها أن شخصاً ما سيهتم بوضعهم.

وبعد أن غادر بير وكارينا مركز الشرطة، ومشيا جنباً إلى جنب من دون أن ينظرا إلى بعضهما، لحق غوستا بمارتن إلى مكتبه.

قال مارتن فيما جلس: "حسناً، لا شك في أن هذا يعطينا بعض الخيوط للتفكير فيها".

فأجاب غوستا: "بالطبع" وعضّ شفته، وتأرجح إلى الأمام والخلف على كعبَي قدميه.

"تبدو وكأنك تريد قول شيء ما. ما هو؟".

"همم... حسناً، قد لا يكون الأمر مهماً". ثم اتخذ غوستا قراره؛ فهذا الشيء كان يزعجه في لاوعيه منذ أيام عدة، وأدرك الآن حقيقته أثناء مقابلته بير. لكن السؤال هو في كيفية التعبير عنه بالكلِمات. لن يكون مارتن مسروراً.

وقف أكسيل على المصطبة لوقت طويل متردداً. وأخيراً، طرق الباب. فتح هيرمان الباب على الفور تقريباً.

"هذا أنت".

فأومأ برأسه، وبقي حيث هو من دون أن يحاول الدخول.

"ادخل. لم أخبرها أنك آتٍ. ولا أعرف إذا كانت تذكرك"

"هل حالها سيئة إلى هذه الدرجة؟". نظر أكسيل إلى الرجل الواقف أمامه بتعاطف، فقد بدا هيرمان متعباً. لا يبدو الأمر سهلاً.

سأل أكسيل: "هل هذه هي القبيلة كلها؟". وأشار إلى الصور في الردهة أثناء دخوله.

فأشرق وجه هيرمان وهو يجيب: "نعم. هذه هي العائلة كلها".

تأمل أكسيل الصور، شابكاً يديه خلف ظهره. احتفالات الصيف والكريسمس، ولقاءات الأيام العادية. مجموعة كبيرة من الأشخاص، بمن فيهم الأولاد والأحفاد. لهنيهة، سمح لنفسه بالتفكير كيف كان جدار الصور في منزله سيبدو لو امتلك

واحداً. استرجع صوراً من أيامه في المكتب، حيث توجد كومات لامتناهية من المستندات، وحفلات عشاء لامتناهية مع سياسيين وأصحاب نفوذ. سيكون هناك عدد قليل من صور الأصدقاء. إذ لم يكن عدد الأشخاص الذين امتلكوا الطاقة للتماشي معه كبيراً، أولئك الذين استطاعوا تحمل الحافز الدائم لتعقب مجرم حرب آخر نجح في عيش حياة مريحة لا يستحقها، أو نازي سابق آخر تلطخت يداه بالدماء لكنه يستمتع بميزة استخدام تينك اليدين الملوثتين للتربيت على رؤوس أحفاده. كيف يستطيع أفراد العائلة أو الأصدقاء أو الحياة العادية التنافس مع هذا الحافز الدائم؟ لفترات طويلة من حياته، لم يسمح لنفسه بالتفكير في ما إذا كان قد فوّت شيئاً على نفسه. وكانت المكافأة حين أثمرت جهوده نفعاً، وحين أفضت كل تلك السنوات من الأبحاث وإجراء المقابلات مع الناجين أصحاب الذكريات الضعيفة في الكشف أخيراً عن المذنبين وسوقهم إلى العدالة. المكافأة في مثل تلك الأوقات كانت كبيرة جداً؛ لدرجة أنها أبعدت أي توق إلى عيش حياة عادية. أو على الأقل، هذا ما اعتقده على الدوام. لكن الآن، فيما هو يقف أمام هذه الصور العائلية، تساءل عمّا إذا كان مخطئاً في جعله الأولوية للموت بدلاً من حياته.

قال أكسيل وهو يدير ظهره للصور: "إنها رائعة". ولحق بهيرمان إلى غرفة الجلوس، وتوقف فجأة عندما رأى بريتا. رغم أنه وإيريك لم يهجرا منزلهما في فجالباكا مطلقاً، إلا أنه مضت عقود على رؤيته بريتا لآخر مرة. إذ لم تحصل مناسبة طوال ذلك الوقت لتتقاطع حياتاهما معاً.

إلا أن الأعوام الطويلة تبددت الآن بقوة رهيبة، وأحسّ بنفسه يضطرب. لا تزال جميلة. في الواقع، كانت أكثر جمالاً من إلسي التي أمكن وصفها بالأنيقة. لكن إلسي امتلكت تألقاً داخلياً، ولطافة لم يستطع قط الجمال الخارجي لبريتا أن يضاهيهما. غير أنه لاحظ الآن أن شيئاً ما قد تغير فيها مع مرّ الأعوام؛ إذ لم يعد هناك أثر لسلوكها المتغطرس. بالفعل، كشفت الآن عن حنان الأم الدافئ، وعن نضوج وهبتها إياه الأعوام.

قالت وهي تنهض عن الأريكة: "هل هذا أنت؟! هل أنت أكسيل فعلاً؟". ومدّت يديها صوبه، فأمسك بهما. مرّت أعوام عدة؛ عدد لا يصدق من الأعوام،

ستون عاماً؛ دهر بكامله. حين كان أصغر سناً، لم يتخيل مطلقاً أن الوقت يمكنه أن يمرّ بسرعة هكذا. اليدان اللتان يمسك بهما الآن بين يديه باتتا مجعدتين ومليئتين ببقع الشيخوخة البنية. ولم يعد شعرها داكناً، وإنما أصبح باللون الرمادي الفضي. نظرت بريتا إلى عينيه بهدوء وقالت:

"من الجيد رؤيتك مجدداً أكسيل. لقد كبرت أنت أيضاً".

قال أكسيل مبتسماً: "هذا مضحك، لكنني كنت أفكر في الشيء نفسه عنك".

"حسناً، فلنجلس ونتحدث قليلاً. هيرمان، هل بإمكانك أن تحضّر لنا القهوة؟".

أومأ هيرمان برأسه، وذهب إلى المطبخ لتحضير القهوة. جلست بريتا مجدداً وهي لا تزال تمسك بيدَي أكسيل، فيما جلس قربها.

وقالت وهي تحني رأسها للنظر إليه: "من قال إننا سنصبح عجوزين هكذا يا أكسيل. لم أحلم قطّ بأن يحصل ذلك". لاحظ أكسيل بسرور أنها لا تزال تحتفظ ببعض الغنج من أيام شبابها. قالت: "سمعت أنك أنجزت الكثير من الأمور الجيدة على مرّ الأعوام". وتأملته ملياً، فنظر بعيداً وقال: "لا أعرف ما تقصدينه بعبارة الأمور الجيدة. فقد فعلت ما يجب فعله. هناك بعض الأمور التي لا يمكن التغاضي عنها". ثم صمت.

قالت بريتا برزانة: "أنت محق في ذلك أكسيل. لا شك في أنك محق في ذلك".

جلسا قرب بعضهما صامتين وهما ينظران إلى الخليج، إلى أن عاد هيرمان مع فناجين القهوة على صينية تغطيها رسوم الأزهار.

"حضّرت لكما بعض القهوة"

قالت بريتا: "شكراً عزيزي". أحسّ أكسيل بانقباض في قلبه عندما رأى النظرة التي تبادلاها. وذكّر نفسه أنه استطاع بفضل عمله توفير الإحساس بالسلام للعديد من الأشخاص، ومنحهم الرضى لدى رؤيتهم معذبيهم وهم يساقون إلى محكمة القانون. فهذا أيضاً نوع من الحب. ليس حباً شخصياً أو جسدياً، ولكنه نوع من الحب.

كما لو أنها استطاعت قراءة أفكاره، أعطته بريتا فنجان قهوة وقالت: "هل عشت حياة جيدة أكسيل؟".

انطوى السؤال على أبعاد عدة، ومستويات عدة، حيث لم يعرف كيف يجيب عنه. استرجع في عقله صورة إيريك وأصدقائه في مكتبة منزلهما وهم يمرحون ويفرحون. إلسي بابتسامتها الجميلة وسلوكها اللطيف، وفرانس الذي جعل جميع من حوله يشعرون بأنهم يسيرون على حافة بركان؛ لكن رغم كل شيء بقي هناك جانب هش وحساس لديه، وبريتا التي بدت مختلفة جداً عما هي عليه الآن. في تلك الأيام، استعملت جمالها بمثابة درع واقٍ، فحكم عليها بأنها مجرد قشرة فارغة وخالية من أي جوهر مهم. وهذا ما كانت عليه في ذلك الحين ربما. لكن الأعوام ملأت تلك القشرة، وها هي الآن تبدو متألقة من الداخل. وإيريك... كان التفكير في إيريك مؤلماً جداً، فرغب دماغه في طرد الفكرة بعيداً. لكن، فيما كان يجلس في غرفة جلوس بريتا، أجبر أكسيل نفسه على تصوّر أخيه مثلما كان في ذلك الحين قبل بدء الأوقات الصعبة؛ جالساً أمام مكتب والده، ورافعاً قدميه إلى الأعلى. شعره البني أشعث كالعادة، والتعبير الشارد يجعله يبدو أكبر سناً من عمره الحقيقي. إيريك، العزيز والحبيب إيريك.

أدرك أكسيل أن بريتا تنتظر جوابه، فأجبر نفسه على العودة من الماضي، وحاول إيجاد جواب في الحاضر. لكن، كما هي الحال دوماً، تشابك الزمنان معاً، واندمجت الأعوام الستون التي مضت في ذاكرته؛ بما تضمنته من أشخاص، ولقاءات، وأحداث.

ارتجفت يده التي كانت ممسكة بالفنجان، وقال أخيراً: "لا أعرف. أظن ذلك. كانت جيدة بقدر ما أستحق".

"لقد عشتُ حياة جيدة أكسيل، وقررت قبل زمن طويل جداً أنني أستحقها، ويجدر بك فعل الشيء نفسه".

ارتجفت يده أكثر فأكثر، مما جعل القهوة تتناثر على الأريكة.

"أوه، أنا آسف... أنا..."

فوقف هيرمان بسرعة وقال: "لا تقلق. سأحضر فوطة". وذهب إلى المطبخ، ثم عاد بسرعة حاملاً فوطة مطبخ رطبة عليها مربعات زرقاء، ووضعها بحذر فوق الأريكة.

أطلقت بريتا صرخة صغيرة؛ مما جعل أكسيل يقفز في مكانه. "أوه، الآن سوف تغضب ماما مني. فهذه أريكتها المفضلة. هذا مؤسف جداً".

وجّه أكسيل نظرة استفسار إلى هيرمان الذي استجاب بفرك البقعة بقوة أكبر. "هل تعتقد أنك تستطيع تنظيفها؟ سوف تغضب أمي مني!". تأرجحت بريتا إلى الأمام والخلف، وراقبت بقلق جهود هيرمان الهادفة إلى تنظيف القهوة. وبعد ذلك، انتصب ووضع ذراعه حول زوجته. "سيكون كل شيء على ما يرام يا حبيبتي. سأتخلص من البقعة، أعدك".

"هل أنت واثق؟ فإذا غضبت أمي، فقد تخبر بابا و..." شبكت بريتا يديها وطقطقت براجمها بعصبية.

"أعدك أنني سأتخلص منها. لن تلاحظ أي شيء".

قالت بريتا، مسترخية: "أوه، جيد. هذا جيد". ثم جفلت وحدقت إلى أكسيل. "من أنت؟ ماذا تريد؟".

فنظر أكسيل إلى هيرمان طالباً توجيهاته.

فقال له: "تأتي النوبات وتختفي وجلس قرب بريتا، وربّت على يدها. تأملت بريتا أكسيل بتمعّن، كما لو أنه يوجد شيء مزعج أو مربك في وجهه؛ شيء يضللها. ثم أمسكت بيد أكسيل، وجعلت وجهها قريباً من وجهه.

"إنه يناديني. هل تعلم؟".

قال أكسيل: "من؟". كابحاً رغبته في إبعاد وجهه ويده وجسمه.

لم تجب بريتا في البداية، ثم سمع صدى كلماتها حين همست، ووجهها بعيد سنتيمترات قليلة فقط عن وجهه: "هناك بعض الأمور التي لا يمكن التغاضي عنها".

أفلت يده من قبضتها، ونظر إلى هيرمان من فوق شعر بريتا الرمادي الفضي.

فقال هيرمان بنبرة منهكة: "ها قد رأيت الأمور بنفسك. ماذا سنفعل الآن؟".

"أدريان! توقف!". كانت آنا تكافح بشدة، لدرجة أنها تعرّقت نتيجة بذلها جهداً مضاعفاً لجعل ابنها يرتدي ملابسه. في الآونة الأخيرة، حوّل تلوّيه إلى شكل فني، حيث استحال إقناعه بارتداء ملابسه. نجحت في تثبيته لوقت كافٍ فقط لجعله

يرتدي سروالاً داخلياً، لكنه أفلت من قبضتها بعد ذلك وراح يركض في كل أرجاء المنزل.

"أدريان، تعال إلى هنا الآن! أرجوك. ماما لا تملك الوقت الكافي. سوف نذهب مع دان إلى تانومشيد للتسوق قليلاً. يمكنك النظر إلى الألعاب في متجر هيديمر" قالت في محاولة للفوز بتعاونه، رغم معرفتها بأن الرشوة ليست أفضل طريقة لمعالجة مشكلة ارتداء الملابس. لكن، ما الذي يسعها فعله غير ذلك؟

سأل دان: "ألم تجهزا بعد؟". ثم نزل إلى الأسفل، ورآها جالسة على الأرض قرب كومة من الملابس، فيما استمر أدريان في الركض مثل المجنون. "يبدأ صفي بعد نصف ساعة. عليّ المغادرة".

صرخت آنا: "جيد. جرّب بنفسك إذاً". ورمت ملابس أدريان نحو دان الذي نظر إليها بدهشة. لا شك في أن مزاجها لم يكن جيداً في الآونة الأخيرة، لكن هذا ليس غريباً جداً ربما. فقد تبيّن أن دمج عائلتين أصعب بكثير مما توقعاه.

قال دان: "هيا أدريان". وأمسك بعنق الصبي حين مرّ أمامه، وتابع: "دعنا نرى إذا كنت لا أزال أجيد فعل ذلك". ألبس الصبي جوربيه بسهولة نسبياً، ولكنّ أدريان تابع التلوي ورفض ارتداء سرواله. جرّب دان بضع مرات، لكنه فقد صبره بعد ذلك، فصرخ قائلاً: "أدريان، قف جامداً الآن!".

بدا أدريان مذهولاً للحظات، وتوقف على الفور، ثم أصبح وجهه أحمر اللون. "لست بابا، اخرج من هنا. أريد بابا! بابا!".

هذا كثير على آنا. عادت إليها كل ذكرياتها مع لوكاس، وذلك الوقت المريع الذي عاشت خلاله كسجينة في منزلها، فبدأت تبكي، وأسرعت إلى الطابق العلوي، ورمت نفسها على السرير، حيث أجهشت في البكاء.

ثم أحست بيد لطيفة على ظهرها. "حبيبتي، ما المشكلة؟ ليس الأمر بهذا السوء. إنه ليس معتاداً على الوضع، وهو يختبرنا. هذا كل ما في الأمر. ليتك رأيت بليندا حين كانت في مثل عمره. إنه مبتدئ مقارنة معها. ذات مرة، سئمت جداً من الجلبة الكبيرة التي أحدثتها أثناء ارتدائها ملابسها، لدرجة أنني وضعتها خارج المنزل عارية تماماً فيما كانت تنتعل حذاءها فقط. حينها، غضبت برنيلا كثيراً؛ فقد

كنا في شهر ديسمبر. لكنني تركتها في الخارج لدقيقة واحدة فقط".

لم تضحك آنا، وبدلاً من ذلك بكت أكثر فأكثر، وصارت ترتجف كلها.

"حبيبتي، ما المشكلة؟ تجعلينني أشعر بالقلق فعلاً. أعرف أنك عانيت الكثير، لكننا نستطيع إنجاح المسألة. يحتاج الجميع إلى بعض الوقت، ثم ستهدأ الأمور. أنت... أنت وأنا... معاً يمكننا إنجاح ذلك".

رفعت وجهها الملطخ بالدموع للنظر إليه، ثم حاولت الجلوس على السرير.

"أعرف..." تمتمت فيما حاولت التوقف عن البكاء. "أعرف ذلك... ولا أفهم... لماذا أتفاعل... بهذه الطريقة". ربّت دان على ظهرها، وبدأ بكاؤها يخف. "أنا فقط... حساسة بإفراط... لا أفهم. أتفاعل بهذه الطريقة عادة فقط حين أكون..." صمتت آنا في منتصف الجملة، وحدّقت إلى دان مفتوحة الفاه.

فقال وهو يبدو مذهولاً: "ماذا؟ تتصرفين عادة بهذه الطريقة حين ماذا؟".

لم تستطع آنا حمل نفسها على الإجابة، وبعد هنيهة رأت اللمعان يتلألأ في عينيه.

ثم أومأت برأسها. "أتصرف هكذا عادة فقط حين أكون... حاملاً".

ساد الصمت في غرفة النوم، ثم سمعا صوت طفل صغير عند الباب.

"ارتديت ملابسي الآن. فعلت ذلك بنفسي. أنا صبي كبير. هل يمكننا الذهاب إلى متجر الألعاب الآن؟".

نظر دان وآنا إلى أدريان الواقف عند الباب، وابتسامة فخر على وجهه. كان سرواله مبروماً إلى الخلف، وقميصه بالمقلوب. لكنه محق، لقد ارتدى ملابسه بمفرده.

فاحت رائحة لذيذة في الرواق، فيما توجّه ميلبرغ إلى المطبخ محاولاً توقع نوع الطعام سلفاً. فقد اتصلت به ريتا مباشرة قبل الساعة الحادية عشرة لتسأله عما إذا كان يودّ تناول الغداء معها لأن كلبتها سينيوريتا أعربت عن رغبتها في اللعب مع إرنست. لم يسألها كيف أبلغتها كلبتها عن رغبتها تلك، فثمة أمور يجب قبولها كما هي.

"مرحباً". كانت جوهانا واقفة قرب ريتا، وهي تساعدها على فرم الخضار. وبدا جلياً أنها بذلت جهداً للقيام بذلك؛ لأن بطنها الممتلئ أجبرها على الابتعاد عن المجلى.

قال ميلبرغ وهو يشمّ الهواء: "مرحباً. تبدو الرائحة لذيذة هنا".

قالت ريتا وهي تتجه نحوه لتقبيله على وجنته: "نحن نحضّر اللحم مع الفليفلة الحريفة". فقاوم ميلبرغ رغبته في رفع يده ولمس المساحة التي كانت شفتاها عليها. وبدلاً من ذلك، جلس إلى الطاولة المعدّة لأربعة أشخاص.

وسأل وهو ينظر إلى ريتا: "هل سينضم إلينا أحد؟".

فقالت جوهانا وهي تفركِ ظهرها: "ستأتي صديقتي لتناول الغداء في المنزل".

قال لها ميلبرغ وهو يسحب كرسياً: "ألا يجدر بك الجلوس؟ لا شك في أنه يصعب حمل كل هذا الوزن".

أذعنت جوهانا، وجلست قربه وهي تتنفس بصعوبة. "أوه، ليست لديك فكرة. لحسن الحظ، إن الوقت المتبقي لم يعد طويلاً. سيكون التخلص من هذا أمراً رائعاً". ومررت يدها فوق بطنها، ثم سألت ميلبرغ عندما رأت تعبيره: "هل تريد اللمس؟".

فسألها بخجل: "هل أستطيع؟". لم يكتشف وجود ابنه إلا حين أصبح مراهقاً. وبالتالي، هذا الجزء من الأبوّة غامض بالنسبة إليه.

"انظر، ها هو الطفل يركل أخذت جوهانا يده ووضعتها على الجانب الأيسر من بطنها.

ذهل ميلبرغ حين أحسّ بركلة قوية على يده. "يا إلهي! هذا مذهل؟ ألا يؤلمك ذلك؟". وحدّق إلى بطنها، فيما استمر إحساسه بالركلات القوية على راحة يده.

"ليس تماماً. الأمر مزعج قليلاً أحياناً عندما أحاول النوم. ويظن زوجي أن الطفل سيكون لاعب كرة قدم".

قال ميلبرغ وهو لا يرغب في إبعاد يده: "أميل إلى موافقته الرأي". حرّكت هذه التجربة مشاعر غريبة داخله لم يستطع تحديدها. أهي توق، أم ذهول، أم ندم؟ لم يكن واثقاً تماماً. سأل ضاحكاً: "هل يملك والده موهبة في لعب كرة القدم كي

يرثها الطفل؟". وصمت قليلاً ثم سأل: "أين صديقتك؟ وما اسمها". لكنه تفاجأ كثيراً حين جوبه سؤاله بصمت مطبق. وحين نظر إلى الأعلى، وجد نفسه أمام تعبير ريتا المذهول.

"لكن برتيل، ألا تعرف أن...

في تلك اللحظة، فتح الباب الرئيس.

وسمعوا من الردهة صوتاً يقول: "يا للرائحة اللذيذة ماما! ماذا تحضرين؟ أهو طبق الفليفلة الخاص بك؟".

دخلت باولا المطبخ، وكانت دهشتها أكبر من دهشة ميلبرغ.

"باولا؟".

"سيدي؟".

تسارعت الأفكار في عقل ميلبرغ إلى أن بدأت الحقيقة تتضح أمامه؛ باولا التي انتقلت للعيش هنا مع أمها، وريتا التي انتقلت إلى هنا مؤخراً، والعيون الداكنة. كيف لم يلاحظ ذلك من قبل!؟ فهما تملكان العيون نفسها تماماً.

قالت جوهانا وهي تضع ذراعها حول كتفي باولا: "أرى أنك تعرفت إلى صديقتي وحدّقت إلى ميلبرغ، منتظرة ردة فعله.

من زاوية عينها، كانت ريتا تراقبه بتوتر وقد أمسكت بملعقة خشبية في يدها، لكنها توقفت عن التحريك بانتظار ردة فعله. تسارعت آلاف الأفكار في عقل ميبرغ، وآلاف الأحكام المسبقة، وآلاف الأمور التي قالها على مرّ الأعوام والتي كان يستحسن ألا يقولها. لكنه أدرك فجأة أن هذه هي لحظة حياته التي يجدر به أن يقول فيها الشيء الصحيح، ويفعل الشيء الصحيح؛ فهناك الكثير من المجازفة. وفيما كانت عينا ريتا الداكنتان مثبتتين عليه، قال بهدوء:

"لم أعرف أنك ابنة ريتا، وأنك عمّة المولود القادم. لا بدّ من تقديم التهاني لك. وكما رأيت، كانت جوهانا لطيفة كفاية لتسمح لي بالإحساس بذلك القط البري، وأعتقد أنها ستلد لاعب كرة قدم"

لم تتحرك باولا لبضع ثوانٍ، وأبقت جوهانا ذراعها حولها فيما ثبتت باولا عينيها عليه، محاولةً أن تحدد ما إذا كانت هناك سخرية مبطنة في ما قاله، ثم

استرخت وابتسمت قائلة: "من المذهل الإحساس بكل ذلك الركل، أليس كذلك؟". ثم ساد الارتياح في الغرفة كلها.

عاودت ريتا تحريك الفليفلة الحريفة فيما قالت ضاحكة: "هذا ليس شيئاً مقارنة مع ركلك يا باولا. أذكر أن والدك كان يمازحني بشأن ذلك، ويقول إنك تبحثين عن مخرج مختلف غير المخرج الاعتيادي".

قبّلت باولا والدتها على وجنتها وجلست أمام الطاولة، ولم تستطع إخفاء حقيقة تحديقها إلى ميلبرغ بذهول. بدوره، أحسّ ميلبرغ بالكثير من الرضى عن نفسه. كان لا يزال يشعر بأن ما حصل صدفة غريبة فعلاً، لكنه عاجلاً أم آجلاً سوف يشبع فضوله بشأن حياة ريتا وأسرتها. واللافت في كل ما حصل هو أنه قال الشيء الصحيح، لكن ما فاجأه هو أنه لم يشعر بالضيق.

وضعت ريتا قدر الفليفلة الحريفة على الطاولة، وطلبت منهم أن يسكبوا لأنفسهم. وكانت النظرة التي وجهتها إلى ميلبرغ الدليل الأخير على أنه أبلى حسناً.

كان لا يزال يحسّ ببطن جوهانا المنتفخ تحت يده، وبقدم الطفل وهي تركل بطنها تحت راحة يده.

"جئت في الوقت المناسب لتناول الغداء. كنت على وشك الاتصال بك". تذوّق باتريك ملعقة من حساء البندورة، ثم وضع القدر على الطاولة.

"هذا ما أسميه نداء الخدمة. ما المناسبة؟". دخلت إيريكا المطبخ، وقبّلته على الجهة الخلفية من عنقه.

"هل تظنين أن هذا كل شيء؟ هل تقصدين أنني أحاول ترك أثر إيجابي لديك بمجرد تحضيري طعام الغداء؟ يا إلهي، ذلك يعني أنني غسلت الملابس، ونظفت غرفة الجلوس، وبدلت المصباح في الحمام من دون أي مقابل واستدار باتريك وقبّلها على شفتيها.

قالت إيريكا وهي تنظر إليه بدهشة: "أياً يكن العقار الذي تتناوله، فإنني أريد القليل منه. أين ماجا؟".

"نامت قبل خمس عشرة دقيقة. إذاً، يمكننا تناول الغداء بهدوء وسلام، أنا

وأنت. وبعد ذلك، يمكنك الصعود إلى الأعلى فيما أغسل الأطباق".

قالت إيريكا: "حسناً... أجد الأمور مبالغاً فيها قليلاً. فإما أن تكون قد أنفقت كل مالنا، أو أنت على وشك أن تقول لي إنك تملك حبيبة، أو تم قبولك في برنامج الفضاء التابع لناسا وسوف تمضي السنة المقبلة وأنت تدور حول الأرض في مركبة فضائية... أو ربما خطف زوجي على أيدي غرباء، وأنت نوع من نسخة هجينة؛ نصف بشري ونصف آلي؟".

قال باتريك غامزاً إياها: "كيف عرفت بشأن ناسا؟". ووضع بضع شرائح من الخبز في السلة، ثم جلس إلى طاولة المطبخ قبالة إيريكا قائلاً: "لا، الحقيقة هي أنني اكتشفت أمراً فيما كنت أتنزه مع كارين اليوم. و... حسناً، أعتقد أنه يجدر بي تقديم المزيد من المساعدة. لكنني لا أظن أنك ستحظين بهذا النوع من المعاملة كل يوم. فأنا لا أضمن لك ذلك".

"إذاً، الشيء الوحيد الذي كنت أحتاج إليه لإقناع زوجي بمساعدتي أكثر في المنزل كان إرساله في موعد مع زوجته السابقة؟ عليّ إخبار صديقاتي بشأن ذلك".

قال باتريك وهو ينفخ على ملعقة مليئة بالحساء الساخن: "أوه، لم أكن أعرف ذلك. لم يكن موعداً غرامياً مثلما تعلمين. وهي لا تستمتع بوقتها كثيراً". وأخبرها باختصار بما قالته له كارين، فأومأت إيريكا برأسها. إذ رغم حصول كارين على دعم في المنزل أقل من ذلك الذي تحظى هي به ، إلّا أن الأمر بدا مألوفاً جداً.

سأل باتريك وهو يصدر بعض الصوت فيما تناول حساءه: "كيف كان صباحك؟".

أشرق وجه إيريكا وهي تجيب: "عثرت على الكثير من الأمور الجيدة. لن تصدق الأمور التي حصلت في فجالباكا خلال الحرب العالمية الثانية. فقد حصل كل أنواع التهريب من النروج وإليها؛ من أطعمة، وأخبار، وأسلحة، وأشخاص. جاء المرتدون الألمان ومحاربو المعارضة النروجية إلى هنا. ولاحقاً، توجّب على الناس توخي الحذر من الألغام. فُقِد عدد من مراكب الصيد وسفن النقل، مع أفراد طواقمها وكل ما كان على متنها؛ وذلك عند اصطدامها بالألغام. وهل تعلم أنه في عام 1940 تم إسقاط طائرة حربية ألمانية من قبل القوات الجوية السويدية

خارج دينغل؟ قتل أفراد طاقمها الثلاثة. لم أسمع قطّ أياً كان يتحدث عن ذلك. ولطالما كان لديّ انطباع بأن الحرب لم تؤثر في هذه الأماكن كثيراً؛ باستثناء الطعام والتقنين في الوقود".

قال باتريك: "يبدو لي أنك أصبحت مهتمة بالموضوع فعلاً". فيما سكب لإيريكا المزيد من الحساء.

"لم أخبرك بنصف المعلومات التي عرفتها بعد. طلبت من كريستيان أن يبحث لي عن أي شيء ذُكِر فيه اسم أمي وأسماء أصدقائها؛ من دون أن أعرف مطلقاً إلى أين يمكن أن يصل في تحقيقه طلبي، وذلك لأنهم كانوا صغاراً نسبياً في ذلك الحين. لكن، انتظر حتى ترى هذا... وارتعش صوت إيريكا بفعل الحماسة فيما نهضت لإحضار حقيبتها. وضعتها على الطاولة، وأخرجت كدسة سميكة من الأوراق.

"واوا، يا لها من كدسة أوراق!".

قالت إيريكا: "أمضيت ثلاث ساعات وأنا أقرأها كلها". وقلّبت الأوراق فيما ارتجفت أصابعها. أخيراً، وجدت ما كانت تبحث عنه. "هنا، انظر إلى هذا". وأشارت إلى مقالة ظهرت فيها صورة كبيرة بالأسود والأبيض.

تأمل باتريك المقالة التي أعطته إياها. كانت الصورة أول شيء لفت انتباهه. إذ ظهر فيها خمسة أشخاص يقفون قرب بعضهم بعضاً. حدّق إلى الورقة ملياً لقراءة الكلام تحت الصورة، وتعرف إلى أربعة من الأسماء المذكورة: إلسي موستروم، فرانس رينغهولم، إيريك فرانكل، وبريتا جونسون. لكن الشخص الخامس لم يكن قد سمع به مطلقاً من قبل. كان صبياً في مثل عمر الآخرين تقريباً، اسمه هانس أولافسن. قرأ باتريك المقالة بصمت، فيما ثبّتت إيركا عينيها على وجهه.

"إذاً، ما رأيك؟ لا أعرف معنى ذلك، لكن لا يمكن أن تكون مصادفة. انظر إلى التاريخ. لقد جاء إلى فجالباكا في اليوم نفسه الذي أنهت فيه أمي كتابة مذكراتها اليومية. لا يمكن أن تكون هذه صدفة! لا بد أن الأمر يعني شيئاً ما". وذرعت إيريكا المطبخ ذهاباً وإياباً.

أحنى باتريك رأسه متأملاً الصورة مجدداً، وتأمل الأشخاص الخمسة الذين

يظهرون فيها. ماتت إلسي في حادث سيارة قبل أربعة أعوام. والآن، مات واحد آخر منهم مقتولاً بعد ستين عاماً على التقاط هذه الصورة. أحسّ أن إيريكا محقة؛ فلا بد أن الأمر يعني شيئاً.

كانت أفكار باولا مضطربة حين عادت إلى مركز الشرطة. فقد ذكرت لها أمها أنها التقت رجلاً لطيفاً، وأنه يرافقها في نزهاتها، وأنها أقنعته بالمشاركة في صف السالسا. لكن باولا لم تتوقع مطلقاً أن يكون ذلك الرجل مديرها الجديد. وليس من المبالغ فيه قولها إنها غير مسرورة كثيراً. فميلبرغ هو آخر رجل على الأرض قد تختاره لأمها. لكن، عليها الاعتراف بأنه قد تقبل فكرة كونها ابنة ريتا بطريقة جيدة، ومفاجئة. فلطالما كان ضيق تفكير الناس ذريعتها الأساسية لعدم المجيء إلى تانومشيد. فقد صعب عليها العمل كشرطية في استوكهولم. وفي بلدة صغيرة كهذه... حسناً، قد يكون الأمر كارثة. لكنها تحدثت في الأمر مع أخيها وزوجته جوهانا وأمها، واتفقوا جميعاً على أنه إذا لم تجر الأمور على ما يرام، فبإمكانها العودة إلى استوكهولم.

لغاية الآن، جرى كل شيء بصورة أفضل مما هو متوقع. فقد أحبت عملها في مركز الشرطة، وتدبرت أمها أمرها في صفوف السالسا، بالإضافة إلى حصولها على وظيفة بدوام جزئي في سوبرماركت كونسو. ورغم أن جوهانا في إجازة مرضية في الوقت الحاضر، وسوف تحظى بعدها بإجازة أمومة، إلّا أنها تحدثت مع عدد من الشركات المحلية التي أبدت اهتمامها بالاستفادة من مساعدتها في الشؤون المالية. في حين أن أخاها ظلّ في استوكهولم في الوقت الحالي ريثما يتدبر أموره. لكن، ما إن رأت تعبير ميلبرغ حين دخلت البيت حتى أحسّت أن كل شيء يمكن أن ينهار مثل القصر الورقي. في تلك اللحظة، كان من الممكن أن تنهار حياتها كلها. لكن ميلبرغ فاجأها. لم يكن ميؤوساً منه ربما مثلما افترضت في بادئ الأمر.

تبادلت باولا بضع كلمات مع آنيكا في ردهة الاستقبال، ثم طرقت على باب مكتب مارتن ودخلت.

وسألته حين رفع نظره عن الأوراق الموضوعة أمامه: "كيف تسير الأمور؟".

"أتقصدين قضية الاعتداء؟ حسناً، اعترف الصبي بفعلته؛ إذ لم يكن لديه خيار آخر. وأخذته أمه إلى المنزل، لكن غوستا أبلغ مركز الخدمات الاجتماعية. لا يبدو الوضع مستقراً جداً في المنزل".

قالت باولا وهي تجلس: "هذه هي الحال في أغلب الأحيان".

"لكن اللافت في الأمر فعلاً هو سبب الاعتداء في الدرجة الأولى؛ فقد تبيّن أن بير اقتحم منزل إيريك فرانكل في بداية شهر يونيو

رفعت باولا حاجبها عالياً، وسمحت لمارتن بأن يتابع من دون أي تعليق. وبعد أن أخبرها القصة كاملة، صمتا كلاهما هنيهة.

قالت باولا: "أتساءل عما امتلكه إيريك ليلفت اهتمام كجيل. هل يمكن أن يكون شيئاً له علاقة بفرانس؟".

هزّ مارتن كتفه مجيباً: "هذا ما قاله الصبي. أرى أنه من الأفضل سؤال كجيل. ما زال علينا الذهاب إلى أوديفالا لمقابلة بعض أفراد جمعية أصدقاء السويد؛ علماً أن مكتب التحرير الرئيس لجريدة بوهوسلانينجن موجود هناك. ويمكننا زيارة أكسيل في طريقنا إلى هناك".

قالت باولا وهي تنهض: "هيا بنا. لا داعي للتأخير

بعد عشرين دقيقة، كانا مجدداً خارج الباب الأمامي لمنزل الأخوين فرانكل.

بدا أكسيل برأي باولا أكبر سناً مما بدا عليه في المرة الماضية. إذ كان أكثر نحولاً، وشفافاً تقريباً بطريقة ما. وجّه إليهما ابتسامة ودودة فيما دعاهما للدخول. لم يسألهما عن سبب مجيئهما، وإنما أفسح الطريق أمامهما إلى المصطبة.

سألهما حين جلسوا: "هل أحرزتم أي تقدم؟". ثم أوضح: "أقصد في التحقيق".

نظر مارتن إلى باولا ثم قال: "ثمة خيوط عدة نتابعها. والأهم من ذلك أننا نجحنا في تحديد الوقت المحتمل الذي توفي فيه أخوك".

قال أكسيل مبتسماً: "حسناً، هذا تطور مهم". لكن الابتسامة لم تخفِ أياً من الحزن أو التعب في عينيه. "متى كان ذلك برأيكما؟".

"ذهب لرؤية... صديقته فيولا إيلماندر يوم الخامس عشر من يونيو. وكانت تلك آخر مرة شوهد فيها حياً. ويوم السابع عشر من يونيو، جاءت عاملة التنظيف..."

قال أكسيل: "ليلى عندما لاحظ أن مارتن يكافح لتذكر الاسم.

"صحيح، ليلى. جاءت إلى هنا يوم السابع عشر من يونيو لتنظيف المنزل كالمعتاد، لكن أحداً لم يفتح لها الباب عندما رنّت الجرس، ولم يترك لها المفتاح؛ مثلما كنتما تفعلان في حال عدم وجودكما في المنزل".

"نعم، كان إيريك حريصاً جداً بشأن ترك المفتاح لليلى. حسب علمي، لم ينسَ ذلك قطّ. وإذا لم يفتح لها الباب، ولم يكن هناك مفتاح، إذاً...". وصمت أكسيل وفرك عينيه، كما لو أنه رأى صوراً لأخيه يفضل نسيانها.

قالت باولا برفق: "أنا آسفة جداً. لكن، علينا أن نسألك عن مكان تواجدك بين الخامس عشر والسابع عشر من يونيو. أؤكد لك أنه مجرد إجراء شكلي

لوّح أكسيل بيده دليل رفضه لطمأنتها وقال: "لا داعي للاعتذار. أعرف أنكم تنجزون مهمتكم. بالإضافة إلى ذلك، ألا تقول الإحصاءات إن معظم الجرائم ترتكب على يد شخص من أفراد العائلة؟".

أومأ مارتن برأسه. "صحيح. لكننا نحتاج إلى جمع المعلومات للتحقيق، وسيكون مفيداً أن يتم استبعادك كمشتبه به".

"طبعاً. سأحضر روزنامتي".

غاب أكسيل لبضع دقائق، وعاد بعد ذلك وهو يحمل دفتر يوميات سميكاً. "فلنر الآن..." جلس مجدداً وبدأ يتصفح الدفتر. "غادرت السويد وذهبت مباشرة إلى باريس في الثالث من يونيو، ولم أعد إلى هنا إلا عندما... ذهبتما لإحضاري من المطار. لكن بين الخامس عشر والسابع عشر... آه، ها نحن: كان لديّ اجتماع في بروكسيل في الخامس عشر، ثم ذهبت إلى فرانكفورت في السادس عشر، وعدت إلى المكتب الرئيس في فرانكفورت في السابع عشر. أستطيع منحكم نسخاً عن تذاكر سفري إذا شئتم". وقدّم دفتر اليوميات إلى باولا.

تأملته عن كثب، قبل أن توجه نظرة استفسار إلى مارتن الذي هزّ رأسه، فدفعت الدفتر مجدداً عبر الطاولة باتجاه أكسيل.

"لا، لا أظن أن هذا ضروري. هل تذكر أي شيء عن هذه التواريخ قد تكون له علاقة بإيريك؟ أي شيء محدد؟ محادثة هاتفية ربما، أو شيء ذكره لك؟".

هـزّ أكسيل رأسه ثـم أجـاب: "لا، أنا آسـف. مثلما قلت، لم نكـن أنا وأخي معتادين على الاتصال ببعضنا غالباً حين أكون مسافراً. وما كان إيريك ليتصل بي إلا إذا كان المنزل يحترق". ضحك، ثم صمت فجأة وفرك عينيه. "إذاً، هل هذا كل شيء؟ هل من شيء آخر أستطيع مساعدتكما به" سأل فيما أغلق دفتر اليوميات بعناية.

قال مارتن وهو يثبت نظره على أكسيل: "في الواقع، ثمة أمر آخر... قابلنا شاباً يدعى بير رينغهولم له علاقة بقضية اعتداء حصلت اليوم. وأخبرنا أنه اقتحم منزلكما قبل بضعة أشهر، فرآه إيريك، واحتجزه في الغرفة، واتصل بوالده كجيل رينغهولم".

قال أكسيل: "أهو ابن فرانس؟".

أومأ مارتن برأسه. "بالضبط. وسمع بير إيريك وكجيل وهما يتفقان على اللقاء لاحقاً. يبدو أن إيريك كان يمتلك معلومات رأى أنها قد تهمّ كجيل. هل يذكرك هذا بأمر ما؟".

قال أكسيل وهو يهزّ يده بشدة: "لا، لا شيء".

"ماذا عن المعلومات التي أراد إيريك نقلها؟ هل لديك فكرة عما يمكن أن تكون؟".

صمت أكسيل هنيهة كما لو أنه يفكر في السؤال، ثم هزّ رأسه مجدداً. "لا، لا أستطيع توقع ما يمكن أن تكون. فقد أمضى إيريك الكثير من الوقت وهو يدرس الحقبة التي أدت إلى الحرب العالمية الثانية، بالإضافة إلى ما عرفه شخصياً عن النازية خلال تلك الحقبة. ومن جهة أخرى، كرّس كجيل نفسه للكتابة عن انبعاث النازية في السويد اليوم. لذا، ربما وجد إيريك نوعاً من الصلة بينهما؛ فربما كان يعرف شيئاً ذا أهمية تاريخية وبإمكانه إفادة كجيل ومنحه معلومات مهمة. لكن، لمَ لا تسأل كجيل؟".

"نحن الآن في طريقنا إلى أوديفالا لرؤيته. لكن، سأعطيك رقم هاتفي الخلوي في حال تذكرت أمراً ما". دوّن مارتن رقم الهاتف على قطعة من الورق وقدّمها إلى أكسيل الذي وضعها داخل دفتر يومياته.

عاد مارتن وباولا إلى السيارة، وتابعا رحلتهما بصمت. لكنهما كليهما كانا

يفكران في الشيء نفسه: ما هو الشيء الذي لا يرونه؟

"لا يمكننا تأجيل الأمر أكثر. لا يمكنها البقاء هنا في المنزل لوقت أطول". نظر هيرمان إلى بناته بتعاسة كبيرة، حيث عجزن عن النظر إليه.

"نعرف ذلك بابا. أنت تفعل الشيء الصحيح؛ إذ لا يوجد خيار آخر. لقد اعتنيت بماما لأطول فترة ممكنة، لكن لا بد أن يتدخل الآخرون الآن. سوف نعثر لها على مكان رائع فعلاً". وذهبت آنا غريتا للوقوف خلف كرسي والدها، وطوّقته بذراعيها، وارتعدت لدى إدراكها مدى نحول جسمه تحت قميصه. لقد ألقى مرض أمهنّ بثقله الكبير عليه؛ أكثر مما يتصورن ربما، أو يرغبن في رؤيته. انحنت إلى الأمام، ووضعت وجنتها على وجنة هيرمان.

"نحن هنا لمساعدتك بابا. بريجيتا وماغان وأنا وعائلاتنا. أنت تعرف أننا هنا من أجلك، ولن ندعك تشعر بالوحدة أبداً، أليس كذلك؟".

قال هيرمان بفتور: "أنا أشعر بالوحدة من دون أمك. لكن، لا يسعنا فعل أي شيء حيال ذلك". ومسح بسرعة بكمّ قميصه دمعة سالت على وجهه. "رغم ذلك، أعرف أن هذا الخيار هو الأمثل لبريتا. أعرف ذلك".

تبادلت بناته النظرات من فوق رأس والدهن. كان هيرمان وبريتا محور كل حياتهن، كانا بمثابة الصخرة الصلبة التي يمكنهنّ الاعتماد عليها. إلا أن ركيزة حياتهن تتصدع الآن، وهن يحاولن التواصل لدعم بعضهن. من المخيف رؤيتهن أمهن وهي تنكمش وتتضاءل شيئاً فشيئاً؛ إلى أن تبدو أصغر حجماً منهنّ. من الضروري أن يتدخلن الآن ويكشفن عن نضجهن، ويتحملن عبء الشخصين اللذين لطالما اعتبرنهما، طوال فترة الطفولة والمراهقة، بمثابة شخصين لا يقهران ولا يدمران. لا شك في أنهن توقفن منذ زمن بعيد عن اعتبار والديهن بمثابة شخصين مميزين يملكان جميع الإجابات. لكن، من المؤلم رؤية بريتا وهيرمان وهما يضعفان بهذه الطريقة.

عانقت آنا غريتا جسم والدها النحيل بضع مرات إضافية، ثم جلست إلى طاولة المطبخ مجدداً.

سألته ماغان وقد بدت قلقة: "هل ستكون بخير فيما أنت هنا؟ هل يجدر بي الذهاب للاطمئنان على حالها؟".

قال هيرمان: "لقد نامت مباشرة قبل أن أغادر. لكنها لا تنام عادة لأكثر من ساعة واحدة، ولذلك من الأفضل أن أعود إلى المنزل". ونهض وهو يشعر بالإنهاك.

قالت بريجيتا: "لماذا لا نذهب برفقتك إلى هناك ونبقى معها لبضع ساعات؟ وهكذا، يمكنك الاستراحة قليلاً". ثم سألت ماغان: "يستطيع بابا الاستلقاء في غرفة الضيوف عندك، أليس كذلك؟". إذ كانوا قد اجتمعوا في منزلها للكلام عن حالة أمها.

قالت ماغان وهي تومئ برأسها بحماسة وتنظر إلى والدها: "هذه فكرة ممتازة. هيا ادخل واسترح قليلاً، ونحن سنذهب للاهتمام بماما".

قال هيرمان وهو متوجه صوب الردهة: "شكراً يا بنات. لكننا أنا وأمكنَ اهتممنا ببعضنا لأكثر من خمسين عاماً، وأريد الاستمرار في الاهتمام بها خلال الوقت القصير الذي بقي أمامنا. فحين تصبح في دار الرعاية...". ولم يستطع إكمال جملته، ولذلك أسرع صوب الباب قبل أن ترى بناته دموعه.

ابتسمت بريتا في نومها. اللحظات الصافية التي ينكرها دماغها حين تكون مستيقظة تصبح أكثر تواتراً أثناء نومها. رأت كل شيء بوضوح؛ بعض الذكريات ليست محط ترحيب لديها، وإنما فرضت نفسها عليها. مثل صوت حزام والدها وهو يضرب ظهر طفل عار، أو رؤيتها وجنتَي أمها الملطختين بالدموع، أو المساحة الضيقة للمنزل الصغير فوق الهضبة، حيث الصراخ الحاد للطفل يتردد في المكان؛ جاعلاً إياها ترغب في وضع يديها فوق أذنيها والصراخ أيضاً. لكن، ثمة أمور أخرى أكثر حلاوة لتذكرها؛ مثل فصول الصيف حين لعبت بمرح وهي تركض فوق الصخور تحت أشعة الشمس الدافئة، وإلسي التي ترتدي أحد فساتينها المطبعة بالأزهار التي خاطتها لها أمها بيديها، وإيريك بسرواله القصير ووجهه الرزين، وفرانس بشعره الأشقر المجعد. لطالما رغبت في تمرير أصابعها بين تموجات شعره؛ حتى عندما كانوا صغاراً جداً ولم يكن هناك أي فرق بين الصبيان والبنات.

إلا أن صوتاً شق طريقه عبر الذكريات وهي نائمة؛ صوتاً مألوفاً جداً. كان يتحدث إليها أكثر فأكثر في الآونة الأخيرة، ولا يسمح لها بأن تبقى بسلام، سواء أكانت مستيقظة أو نائمة أو شاردة. إنه الصوت الذي تغلغل في كل شيء، وأراد كل شيء، وأصرّ على أخذ مكان في عالمها؛ الصوت الذي أنكر فترة راحتها، ورفض السماح لها بالنسيان، الصوت الذي ظنت أنها لن تسمعه أبداً مجدداً. لكن، ها هو الآن. إنه غريب جداً، ومخيف جداً.

أدارت رأسها من جانب إلى آخر أثناء نومها، محاولةً إبعاد الصوت وطرد الذكريات التي تقلق راحتها. ونجحت في ذلك أخيراً؛ إذ عادت الذكريات السعيدة إلى الواجهة. أول مرة رأت فيها هيرمان، ولحظة عرفت أنهما سيقضيان بقية حياتهما معاً، وزفافهما، وسيرها في رواق دار العبادة في فستانها الأبيض وهي تطير فرحاً، وآلام المخاض، ومن ثم مشاعر الحب التي شعرت بها حين ولدت آنا غريتا، وبريجيتا وماغان أيضاً. هيرمان يهتم بالفتيات بدافع الحب وليس بدافع الواجب. ابتسمت، ورفرف جفناها. إنها تريد أن تبقى هنا؛ هنا مع هذه الذكريات. ولو توجب عليها اختيار ذكرى واحدة لملء عقلها بها لبقية حياتها لاختارت صورة هيرمان وهو يحمّم ابنتهما الصغيرة في المغطس الصغير. كان يدندن وهو يمسك رأسها الصغير بيده بعناية وبرقة بالغة، ويفرك جسمها الممتلئ بفوطة ناعمة، وينظر إلى عينَي ابنته اللتين تلاحقان كل حركة من حركاته. وجدت بريتا نفسها تقف عند الباب، وتراقب من دون لفت انتباه زوجها. حتى لو نسيت كل شيء آخر، فستكافح للتشبث بهذه الذكرى؛ هيرمان وآنا غريتا، ويده تحت رأسها، وكل الرقة والحب.

غير أن صوتاً ما أجبرها على الابتعاد عن أحلامها. أرادت العودة إليها؛ العودة إلى صوت رذاذ الماء فيما هيرمان يضع الفوطة الناعمة في المغطس، وصوت الهذر المرح لآنا غريتا فيما الماء الفاتر يتدفق حولها. إلا أن صوتاً جديداً أجبر بريتا على الاقتراب أكثر من السطح؛ الاقتراب أكثر من الضباب الذي أرادت تفاديه بأي ثمن. فالاستيقاظ يعني المجازفة بأن تكون محاطة بالتشويش الرمادي والمربك الذي يسيطر على عقلها وبدأ يتغلب عليها أكثر فأكثر مع مرور الوقت.

أخيراً، فتحت عينيها على مضض. ثمة شخص منحنٍ فوقها، وينظر إليها.

ابتسمت بريتا. لم تكن واعية تماماً ربما. لا يزال بوسعها ربما طرد التشويش بالذكريات التي تأتي إليها أثناء نومها.

سألت: "هل هذا أنت؟". وهي تحدق إلى الشخص المنحني فوقها. كان جسمها مرتخياً وثقيلاً نتيجة النعاس الذي لم يغادرها تماماً بعد. ولم تكن تملك القوة للتحرك. لهنيهة، لم يتكلم أي منهما؛ إذ ليس هناك الكثير لقوله. فثمة نوع من الثقة شق طريقه إلى دماغ بريتا. وعادت الذكريات إلى السطح؛ الأحاسيس التي تم نسيانها عادت إلى الحياة الآن، وأحسّت بالذعر يسيطر عليها؛ الذعر الذي تحررت منه بسبب فقدانها التدريجي للذاكرة. الآن، رأت "الموت" يقف قرب سريرها، واعترض كل كيانها على مغادرة هذه الحياة وترك كل شيء كان لها. أمسكت بالشرشف بين يديها، لكن شفتيها الجافتين نجحتا فقط في تمتمة بعض الأصوات. انتشر الذعر في كل جسمها، وجعلها تدير رأسها بسرعة من جانب إلى آخر. عبثاً حاولت إرسال أفكارها إلى هيرمان؛ كما لو أنه يستطيع قراءتها بواسطة الموجات التخاطرية. لكنها عرفت أن هذا لن يجدي. لقد جاء الموت ليأخذها، وسوف يقع المنجل عليها، من دون وجود أحد لمساعدتها. سوف تموت وحدها في سريرها؛ من دون هيرمان، ومن دون الفتيات، ومن دون القول وداعاً. في تلك اللحظة، اختفى الارتباك، وأصبح عقلها أكثر صفاء مما كان عليه منذ زمن طويل، وتسارع الخوف في صدرها مثل حيوان بري. وأخيراً، نجحت في أخذ نفس عميق وإطلاق صرخة عالية. لكن الموت لم يتحرك، بل بقي يحدق إليها وهي مستلقية على السرير؛ يحدق إليها ويبتسم. ليست ابتسامة غير ودودة، ولكنها جعلت الأمر كله أكثر رعباً.

ثم انحنى الموت نحوها ورفع الوسادة من جهة هيرمان في السرير. رأت بريتا المذعورة الشكل الأبيض وهو يقترب منها أكثر؛ الضباب الأخير.

احتج جسمها، وخافت من قلة الهواء. حاولت أخذ نفس عميق، وإدخال الأوكسيجين إلى رئتيها، وأفلتت يداها الشرشف، وتخبطتا في الهواء. مقاومة عقيمة، محاولة عقيمة. تخبطت وتململت محاولة العيش لثانية أخرى.

ثم أصبح كل شيء أسود.

غريني، خارج أوسلو، 1944

"حان وقت النهوض   تردد صدى صوت الحارس في الثكنة. "خمس دقائق وسيبدأ التفتيش

فتح أكسيل عينيه بصعوبة، وأحسّ بالارتباك لفترة من الزمن. فالمكان معتم في الثكنة. وفي هذه الساعة المبكرة، لا يدخل أي ضوء تقريباً من الخارج. لكن المكان أفضل من الزنزانة التي مكث فيها معزولاً خلال الأشهر القليلة الأولى. وهو يفضّل المكان المزدحم والرائحة الكريهة في الثكنة على أيام العزلة الطويلة. سمع أنه يوجد 3500 سجين في غريني، ولم يفاجئه الأمر. وأينما التفت، رأى رجالاً يكشفون جميعاً عن تعابير الاستسلام التي افترض أنها مماثلة لتعابيره.

جلس على سريره، وفرك عينيه لطرد النوم منهما. يتم إصدار الأوامر بالوقوف في الصف مرات عدة في اليوم؛ كلما رغب الحراس في ذلك، ومسكين من لا يتحرك بسرعة كافية. لكنه اليوم يواجه صعوبة في النهوض من السرير. كان يحلم بفجالباكا، وحلم بالجلوس على فيدييبرجيت، والنظر إلى الماء، ومراقبة طيور النورس وهي تطلق صرخات عالية فيما تحوم فوق صواري القوارب. في الواقع، الصوت بشع، لكنه أصبح جزءاً من روح القرية. حلم بالطريقة التي يلفحه فيها النسيم الدافئ والخفيف في فصل الصيف، وبرائحة طحالب البحر التي تحملها الريح صعوداً إلى أعلى الهضبة، حيث يستنشقها بجشع.

إلا أن الحقيقة فظة وباردة جداً بالنسبة إليه، ولن يتمكن من التشبث بحلمه. وبدلاً من ذلك، أحس بالقماش الخشن للبطانية يحتك ببشرته حين أبعدها عنه، وأنزل ساقيه إلى جانب السرير المترنح. كان الجوع يمزقه. لا شك في أنهم يحصلون على الطعام، ولكن ليس بكميات كافية، وليس في أوقات متواترة.

قال الحارس الشاب فيما مشى بين السجناء: "حان الوقت لتنهضوا". وتوقف

أمام أكسيل، ثم قال بنبرة ودودة: "الجو بارد اليوم".

تفادى أكسيل النظر إليه. إنه الشاب نفسه الذي كان مسؤولاً عنه يوم وصل؛ الشاب الذي وجده ودوداً أكثر من الآخرين. وتبيّن له أن هذا صحيح. فهو لم يرَ مطلقاً هذا الشاب وهو يسيء معاملة أي شخص بالطريقة نفسها التي يعتمدها معظم الحراس الآخرين. لكن الأشهر التي أمضاها أكسيل في السجن فرضت حدوداً واضحة بينهما. الحارس والسجين؛ إنهما هويتان مختلفتان تماماً. وقد عاشا حياتين مختلفتين جداً، حيث لا يستطيع النظر إلى الحراس عندما يصبحون على مرأى منه. إذ إن بذلة الحرس النروجي التي ارتداها أكسيل جعلته ينتمي إلى فئة أدنى من البشرية. وعلم من السجناء الآخرين أنه تم فرض البذلة عليهم بعد فرار سجين عام 1941. وتساءل عن كيفية إيجاد ذلك الرجل القوة للهرب. فهو شخصياً يشعر أنه خائر القوى، وفاقد كل طاقته نتيجة الجهد الكبير والطعام القليل والنوم القليل والقلق الكثير بشأن الموجودين في المنزل؛ والكثير من التعاسة في الإجمال.

قال الحارس الشاب وهو يدفعه قليلاً: "من الأفضل أن تتحرك".

نفذ أكسيل ما طلب منه، وأسرع خارج الثكنة. فالعواقب وخيمة بالنسبة إلى أي شخص يصل إلى التفتيش الصباحي متأخراً.

وفيما كان ينزل السلالم المؤدية إلى الفناء، تعثر فجأة، وأحس بقدمه تنزلق على الدرجة، فاندفع إلى الأمام، ووقع على الحارس الذي كان مباشرة أمامه. مدّ ذراعيه لاستعادة توازنه، ولكنه أحسّ بيديه تلمسان بذلة الحارس وجسمه؛ ووقع على ظهر الرجل بضربة مكتومة الصوت. وأدى ارتطام الاثنين إلى خروج الهواء من رئتَي أكسيل. في البداية، ساد الصمت، ثم أحسّ بيديه تجذبان صوب قدميه.

"لقد هاجمك". قال الحارس الذي أمسكه بإحكام. اسمه جنسن، وكان أحد الحراس الأشد قساوة.

"لا أظن ذلك". أجاب الحارس الشاب بتردد وهو ينهض، نافضاً الغبار عن بذلته.

"قلت إنه هاجمك". أصبح وجه جنسن أحمر اللون من شدة الغضب؛ فهو ينتهز كل فرصة لإساءة معاملة الرجال الخاضعين لسلطته. وكلما مشى في

المعسكر، تفرّقت الحشود تماماً من أمامه.

"لا..."

فصرخ الحارس الأكبر سناً فيما تقدم خطوة إلى الأمام: "رأيته بنفسي! هل ستلقنه درساً أم ألقنه إياه بنفسي؟".

"لكنه... ووجّه الحارس الذي لم يكن أكثر من فتى يافع نظرة يائسة إلى أكسيل، قبل أن يدير ظهره لزميله.

راقب أكسيل المشهد بعدم مبالاة. فقد توقف قبل زمن بعيد عن الشعور بالانفعال، وتوقف عن الإحساس؛ فسوف يحصل كل ما هو مقدّر له أن يحصل. وكل الذين يكافحون ضد قدرهم يحكم عليهم بالهلاك.

"حسناً إذاً. سوف... وتحرك الحارس الأكبر سناً صوب أكسيل، رافعاً بندقيته.

فقال الحارس الشاب وقد أصبح وجهه شاحباً فيما وقف بينهما: "لا! سأفعل ذلك بنفسي. هذه مهمتي ونظر إلى عينَي أكسيل مباشرة، وبدا وكأنه يتوسل إليه ليسامحه، ثم رفع يده وصفعه.

صرخ جنسن بصوت خشن: "هل يفترض بهذه الصفعة أن تكون عقابه فقط!؟". واحتشدت الآن مجموعة من المتفرجين، فيما ضحك عدد من الحراس وهم ينتظرون ما سيحصل. فأي شيء يكسر رتابة الروتين اليومي للسجن مرحب به.

صرخ جنسن وقد أصبح وجهه أحمر أكثر ممّا كان عليه سابقاص: "اضربه بقوة أكبر!".

نظر الحارس الشاب مجدداً إلى أكسيل الذي رفض النظر إلى عينيه، ثم أرجع قبضة يده إلى الوراء، وضرب فك أكسيل بقوة، فارتدّ رأسه إلى الخلف لكنه بقي واقفاً على قدميه.

"أقوى!". انضم الآن المزيد من الحراس إلى المحتشدين حولهم، وبدأ العرق يتصبب من جبين الحارس الشاب. لم يعد يحاول النظر إلى أكسيل، وكشفت عيناه عن لمعان زجاجي، فيما انحنى ورفع بندقيته عن الأرض وحملها عالياً ليضربه بها.

استدار أكسيل بعيداً بردة فعل غير إرادية، فأصابت الضربة أذنه اليسرى. أحسّ وكأن شيئاً ما قد انكسر داخله، وكان الألم شديداً جداً. وعندما تلقى الضربة التالية،

أصابته على وجهه مباشرة. وبعد ذلك، لم يعد يذكر إلا القليل، إذ لم يشعر إلا بالألم.

* * *

لا توجد لافتة على الباب تشير إلى أنه مقرّ جمعية أصدقاء السويد، بل مجرد قطعة ورقية على صندوق البريد كتب عليها "ممنوع الاستعطاء"، واسم "سفنسون". حصل مارتن وباولا على العنوان من زملائهما في أوديفالا الذين يراقبون عن كثب نشاطات الجمعية.

لم يتصلا مسبقاً، وافترضا بدلاً من ذلك أنه لا بد أن يكون هناك شخص ما خلال ساعات الدوام الرسمي. ضغط مارتن على جرس الباب، فسُمع صوت ثاقب يصدر من الداخل، لكن لم يحصل أي شيء في البداية. وكان على وشك الضغط على الجرس مجدداً عندما فتح الباب.

"نعم؟". ظهر رجل في العقد الثالث من عمره، ووجه إليهما نظرة استفسار، ثم قطّب وجهه عندما رأى بذلتيهما، وازداد العبوس على وجهه عندما رأى باولا. وطوال ثوانٍ عدة، نظر إليها من الأعلى إلى الأسفل بطريقة جعلتها ترغب في ركله مباشرة على عضوه التناسلي.

سأل باحتقار: "إذاً، ما الذي أستطيع فعله لمساعدة الدولة اليوم؟".

"نودّ الحصول على بعض المعلومات من شخص من جمعية أصدقاء السويد. هل جئنا إلى المكان الصحيح؟".

"طبعاً، ادخلا". وتراجع الرجل الذي كان طويلاً وأشقر وضخماً وذا جسد مليء بالعضلات للسماح لهما بالدخول.

"أنا مارتن مولن، وهذه باولا موراليس. نحن من شرطة تانومشيد".

قال الرجل وهو يرشدهما إلى مكتب صغير: "حقاً! لقد قطعتما مسافة طويلة. اسمي بيتر ليندغرين وجلس خلف المكتب، وأشار إلى الكرسيين الخاصين بالزوار.

دوّن مارتن الاسم على دفتره للتحقق من ليندغرين في قاعدة البيانات ما إن يعودا إلى المركز. إذ ثمة شيء أنبأه أن الرجل الجالس أمامهما يملك عدداً من

مذكرات التوقيف الصادرة بحقه.

اتكأ بيتر إلى الخلف، وشبك يديه في حضنه وقال: "إذاً، ماذا تريدان؟".

"نحن نحقّق في جريمة قتل رجل يدعى إيريك فرانكل. هل الاسم مألوف لديك؟" أجبرت باولا نفسها على التكلم بهدوء؛ إذ ثمة شيء يروّعها في هذا النوع من الرجال. ولا شك في أن بيتر ليندغرين أحسّ بالشيء نفسه تجاه الأشخاص أمثالها.

فقال وهو ينظر إلى مارتن بدلاً من باولا: "وهل يفترض به أن يكون كذلك؟".

قال مارتن: "نعم، يفترض به أن يكون. فجمعيتكم تملك نوعاً... من التواصل معه؛ نوعاً من التهديد. لكنني لا أفترض أنك تعرف شيئاً بخصوص ذلك؟" أضاف مارتن بنبرة ساخرة.

هزّ بيتر ليندغرين رأسه مجيباً وهو يبتسم: "لا، لا يعني الاسم لي شيئاً. هل لديكما أي دليل على هذه... التهديدات؟".

أحسّ مارتن أن الرجل يفحصهما من الداخل والخارج. وبعد هنيهة، أجاب: "في الوقت الحاضر، ليس المهم ما نملكه وما لا نملكه. فنحن نعرف أن جمعيتكم قد هددت إيريك فرانكل، ونعرف أيضاً أن أحد أفراد جمعيتكم، فرانس رينغهولم، عرف الضحية وحذره بشأن هذه التهديدات".

قال بيتر فيما لمعان خطير يبدو في عينيه: "لا آخذ فرانس على محمل الجد كثيراً. صحيح أنه يحظى باحترام كبير ضمن... جمعيتنا، لكنه تقدم في العمر، و... حسناً، نحن نعيش في أوقات مختلفة، حيث تبدلت الأمور، ولم يعد الرجال أمثال فرانس يفهمون القواعد الجديدة للعبة".

قال مارتن: "لكن شخصاً مثلك يفهمها، أليس كذلك؟".

رفع بيتر يديه عالياً وأجاب: "من المهم معرفة متى يجدر بنا الالتزام بالقواعد ومتى يجب تخطيها. المهم هو القيام بما يخدم قضيتنا على المدى الطويل

"وما هي قضيتكم في هذه الحالة؟". وأدركت باولا فوراً كم بدت عدائية، وجاءت نظرة مارتن التحذيرية لتؤكد ذلك.

قال بيتر بهدوء: "مجتمع أفضل. فالأشخاص الذين يديرون هذا البلد لم

ينجحوا في أداء مهمتهم. وقد سمحوا... للقوى الأجنبية بأن تأخذ حيزاً كبيراً، كما سمحوا بطرد ما هو سويدي ونقي ووجّه نظرة عدائية إلى باولا التي ابتلعت لعابها عدّة مرات كي لا تنفعل. ليس هذا هو المكان أو الوقت الملائم للانفعال، وهي تدرك تماماً أنه يحاول تحطيمها. "لكن كل هذا سيتغير. فالشعب السويدي أصبح أكثر إدراكاً بأنه متوجه إلى الهاوية إذا استمررنا بهذه الطريقة، وإذا سمحنا لأولئك المستلمين زمام السلطة بأن يستمروا في تدمير ما بناه أجدادنا. تستطيع منظمتنا تقديم مجتمع أفضل

"من الناحية النظرية، كيف يمكن لأستاذ تاريخ عجوز ومتقاعد أن يشكل تهديداً للمجتمع الأفضل؟".

"من الناحية النظرية..." وشبك بيتر يديه مجدداً في حضنه ثم تابع: "من الناحية النظرية طبعاً، لا يشكل أي تهديد حقيقي، لكنه ساهم في نشر صورة خاطئة؛ صورة عمل منتصرو الحرب بقوة على الترويج لها. وبالطبع، لا يمكن تحمل ذلك... من الناحية النظرية".

كان مارتن على وشك التعليق، لكن يبدو أن بيتر لم ينه كلامه بعد، إذ تابع قائلاً:

"كل الصور، وكل الروايات عن معسكرات الاعتقال وما شابه ذلك من نسج الخيال، وأكاذيب مبالغ فيها تم تحويلها إلى حقائق. وهل تعرفون لماذا؟ لقمع الرسالة الأصلية؛ الرسالة الحقيقية. منتصرو الحرب هم الذين يكتبون كتب التاريخ، وقد قرروا أن يلطخوا الحقيقة بالدم، ويشوّهوا الصورة التي سيراها العالم، حيث لا يجرؤ أحد على السؤال عما إذا فازت الجهة الصحيحة أم لا. وقد كان إيريك فرانكل جزءاً من ذلك التعتيم، من ذلك الفكر التبشيري. ولهذا السبب- من الناحية النظرية- وقف إيريك فرانكل في طريق المجتمع الذي نريد إنشاءه".

"لكن، حسب معلوماتك، لم توجِّه جمعيتكم أي تهديدات له، أليس كذلك؟".

وتأمل مارتن الرجل ملياً، وهو يعرف مسبقاً ما سيكون عليه الجواب.

"لا، لم نهدده. فنحن نعمل ضمن قوانين الديمقراطية، والاقتراعات، والبيانات الانتخابية الرسمية، واكتساب القوة عبر الأصوات. ونعتبر أي شيء آخر غير مجدٍ".

ونظر إلى باولا التي شبكت يديها بإحكام فوق حضنها، وهي تتذكر الجنود الذين أتوا وأخذوا والدها بعيداً، والذين كشفوا عن النظرة نفسها في عيونهم.

قال مارتن وهو ينهض: "حسناً، لن نزعجك لوقت أطول. أعطتنا شرطة أوديفالا أسماء الأعضاء الآخرين في الجمعية، وسوف نتكلم معهم طبعاً بخصوص هذه المسألة أيضاً".

وقف بيتر وأومأ برأسه: "طبعاً. لكن، لن يخبرك أحد بشيء مختلف. وبالنسبة إلى فرانس... حسناً، لا أكترث كثيراً لرجل عجوز يعيش في الماضي

كانت إيريكا تواجه صعوبة في التركيز على تأليف كتابها؛ فالأفكار المتعلقة بأمها تعترض الطريق. أخرجت كدسة المقالات، ووضعت المقالة المشتملة على الصورة في أعلاها. الأمر محبط جداً؛ أي التحديق إلى تلك الوجوه، من دون التمكن من الحصول على أي إجابات. انحنت حيث صار وجهها قرب الصورة، وتأملت الأشخاص الخمسة بالتفصيل؛ الواحد تلو الآخر.

أولاً، إيريك فرانكل الذي بدت تعابيره جدية فيما كان ينظر إلى الكاميرا وهو يقف متصلباً. ثمة شيء حزين فيه، ومن دون أن تعرف ما إذا كانت محقة أم لا، استنتجت أن سجن أخيه ترك أثراً في نفسه. لكنه كشف عن الرزانة والحزن نفسيهما اللذين لاحظتهما لديه عندما التقته في شهر يونيو لسؤاله عن الميدالية.

نقلت نظرها إلى الشخص الواقف قرب إيريك؛ فرانس رينغهولم. كان وسيماً، وسيماً جداً. شعر أشقر مجعد وطويل يغطي ياقته أكثر مما رغب فيه والداه ربما، وابتسامة كبيرة وساحرة فيما كان ينظر إلى الكاميرا. وقد وضع ذراعيه بعفوية فوق أكتاف الشخصين الواقفين إلى جانبيه. لكن، يبدو أن أياً منهما لم يكن مسروراً بذلك.

تأملت إيريكا الشخص الواقف إلى يمين فرانس؛ أمها إلسي موستروم. كان تعبيرها من دون شك أكثر لطافة من ذلك الذي تذكره إيريكا. لكن، ثمة توتر في ابتسامتها الدقيقة؛ مما يشير إلى أنها غير مبالية بذراع فرانس التي تحيط بكتفيها. لم تكف إيريكا عن تأمل جمال أمها في الصورة. فإلسي التي عرفتها باردة ولا يمكن

التحدث إليها، ولكن لا أثر لهذا الجانب من طبيعتها في الصورة. لمست إيريكا برفق وجه أمها في الصورة. كم كان كل شيء سيختلف لو ظلت أمها مثل الفتاة الشابة الظاهرة في الصورة. ما الذي حصل لها؟ ما الذي سلب منها كل تلك الرقة؟ ما الذي جعل اللامبالاة تحلّ مكان اللطف؟ لماذا لم تتمكن مطلقاً من وضع هاتين الذراعين الناعمتين الظاهرتين من تحت الكمين القصيرين لفستانها المطبع بالأزهار حول ابنتيها؛ لمعانقتهما عن كثب؟

نقلت إيريكا انتباهها إلى الشخص التالي في الصورة. لم تكن بريتا تنظر إلى الكاميرا، بل كانت تنظر عوضاً عن ذلك إلى إلسي، أو فرانس. يستحيل معرفة ذلك بيقين. تمددت إيريكا لأخذ العدسة المكبّرة عن المكتب، ووضعتها فوق وجه بريتا، وطرفت عينيها لجعل الصورة واضحة قدر الإمكان، لكنها لم تستطع التأكد. كانت بريتا عابسة، وثمة شيء قاسٍ وحازم في فكها وعينيها. إيريكا واثقة من هذا تقريباً. بريتا تنظر إلى أحدهما- إلسي أو فرانس- أو ربما إليهما معاً.

ثم نظرت إلى الشخص الأخير الظاهر في الصورة. إنه بعمر الآخرين تقريباً. وهو أشقر أيضاً مثل فرانس، لكن شعره المجعد أقصر. كما أنه طويل ونحيل جداً، وهناك تعبير تأملي على وجهه. ليس سعيداً، لكنه ليس حزيناً أيضاً. التأمل هي الكلمة الأكثر دقة التي استطاعت إيريكا اختيارها لوصف مظهره.

قرأت المقالة مجدداً. هانس أولافسن مقاتل نروجي معارض، هرب من النروج على متن مركب الصيد "إلفريدا" واستقر في فجالباكا. حصل على مأوى عند قبطان المركب إيلوف موستروم. وحسب ما ذكره الصحافي الذي كتب المقالة، إن هانس يحتفل الآن بنهاية الحرب مع أصدقائه في فجالباكا.

أعادت إيريكا المقالة إلى أعلى كدسة الأوراق. أحسّت في قرارة نفسها أنه يوجد شيء في دينامية هذه المجموعة من الشباب، شيء... لا تستطيع تحديده بالضبط. لكن الشيء الوحيد الأكيد الذي عرفته هو أنها كي تتمكن من فهم أمها، فالسرّ يكمن في فهم العلاقات التي تجمع بين هؤلاء الأصدقاء، وربما المعارض النروجي هانس أولافسن وثمة شخصان فقط تستطيع سؤالهما عن ذلك: أكسيل فرانكل، وبريتا جوهانسون.

إنها لا تريد العودة إلى هناك وإزعاج المرأة العجوز المريضة. لكن، كيف لها أن تعرف سرّ تلك النظرة الغاضبة في عينيها؟ ربما إذا استطاعت أن تشرح لزوج بريتا عن سبب حاجتها إلى التكلم مع زوجته، فقد يتفهم ذلك. وقررت إيريكا أن تفعل ذلك غداً؛ غداً سوف تستجمع شجاعتها وتذهب إلى هناك.

إذا استطاعت مقابلة بريتا في واحدة من لحظات صفائها، فإنها مقتنعة بأنها ستجد الأجوبة التي تحتاج إليها.

فجالباكا 1944

ألقت الحرب بثقلها على إيلوف موستروم، ولم تعد كل تلك الرحلات في البحر الذي كان صديقه مريحة له؛ فقد أصبح البحر عدوه. لطالما أحب بحر بوهوسلان؛ أحب حركته، ورائحته، وصوته عندما ترتطم الأمواج بمركبه. ولكن، منذ اندلاع الحرب، لم يعد هناك النوع نفسه من الصداقة بينه وبين البحر. فقد أصبح البحر عدائياً، وأخفى مخاطر كثيرة تحت سطحه، وألغاماً يمكن أن تنفجر في أية لحظة، فتقذفه مع كل الطاقم عالياً في الهواء. والألمان الذين يجوبون المنطقة ليسوا أفضل حالاً؛ فهو لا يعرف مطلقاً ما يمكن أن يفعلوه. فقد أصبح البحر غير موثوق بطريقة مغايرة تماماً لما كان عليه سابقاً. فالعواصف والمياه الضحلة أمور تعلموا السيطرة عليها والتكيف معها بعد أجيال من الخبرة. وإذا تغلبت عليهم الطبيعة أحياناً، فإنهم يتقبلون المسألة باتزان ورباطة جأش. غير أن هذا الوضع الجديد أسوأ بكثير. فإذا نجوا أثناء العبور، فثمة مخاطر أخرى تنتظرهم عندما يفرغون حمولتهم.

كلما توقف في المرفأ، تذكر كيف أخذ الألمان أكسيل فرانكل. حدّق إلى الأفق، سامحاً لنفسه بالتفكير في الشاب لدقائق قليلة. كان شجاعاً جداً، لا، بل كان لا يقهر ربما. لكن، لا أحد يعرف أين هو الآن. سمع إشاعات تقول إنه تم نقل الشاب إلى غريني؛ لكنه لا يعرف إذا كان هذا صحيحاً أم لا. وحتى لو كان الأمر صحيحاً، فلا مجال أبداً لمعرفة ما إذا كان لا يزال هناك. وقد سمع أنهم بدأوا بنقل السجناء إلى ألمانيا. قد يكون الصبي هناك الآن، أو ربما لم يعد على قيد الحياة. مرّت ستة أشهر منذ أن أخذه الألمان، ولم يُعرَف أي شيء عنه طوال ذلك الوقت. لذا، من الصعب عدم التفكير في الأسوأ. تنهد إيلوف بقوة. بين الحين والآخر، كان يصادف والدَي الصبي، الدكتور والسيدة فرانكل، لكنه لا يجرؤ أبداً

علـى النظـر إليهمـا، بل ينتقل إلى الجهة الأخرى من الشـارع، ويسـرع في خطواته مبعداً نظره عنهما. أحسّ أنه كان يجدر به فعل شيء ما. لكن، ماذا كان بوسعه أن يفعل؟ كان يجب عليه رفض اصطحاب الصبي معه أساساً.

تألـم قلبـه كلمـا نظر إلى شـقيق أكسـيل؛ ذلك الصبي الصغيـر والجدي الذي يدعى إيريك. لم يكن يوماً كثير الكلام، ولكن منذ اختفاء أخيه أصبح أكثر هدوءاً. فكر إيلوف في التكلم مع إلسي؛ إذ لم يعجبه قضاؤها الكثير من الوقت مع إيريك والصبي الآخر... فرانس. إنه لا يملك شـيئاً ضد إيريك، أما فرانس فقصة أخرى. سـفاح، هـذه هـي الكلمـة التي خطـرت في باله عندما حـاول وصف ذلك الصبي. لكن، لم يكن أي منهما رفيقاً ملائماً لإلسي. فآل موستروم ليسوا من الطبقة نفسها مثل آل فرانكل وآل رينغهولم. وكان من الممكن أن يولدوا على كوكب مختلف، من دون أن ينتج شـيء جيد من لقاء عالميهما. لم تكن هناك مشـكلة ربما عندما كانوا صغاراً ويلعبون الغميضة، ولكنهم الآن أصبحوا أكبر سناً، ولن ينتج أي شيء جيد عن تلك الصداقة.

لفتت هيلما انتباهه إلى هذه المسألة في مناسبات عدة، وطلبت منه التحدث إلـى الفتـاة. لكنـه لـم يجـرؤ لغاية الآن على فعل ذلك. فالحرب جعلت كل شـيء أكثر صعوبة. والأصدقاء هم الترف الوحيد الذي بقي للشباب، فلماذا يحرم إلسي من أصدقائها؟ لكنه سـيجبر على فعل ذلك عاجلاً أم آجلاً. فالأولاد سـيصبحون شباناً ناضجين في النهاية، وسوف تتحول ألعاب الغميضة قريباً إلى معانقات سرية. عرف ذلك من تجربته الشخصية. فقد كان شاباً ذات يوم؛ رغم أن وقتاً طويلاً جداً مرّ على ذلك. لقد حان الوقت لينفصل العالمان عن بعضهما مجدداً. هكذا كانت الأمور، وهكذا يفترض أن تكون دوماً. يستحيل تغيير التسلسل الطبيعي للأمور.

"أيها القبطان! من الأفضل أن تأتي وتلقي نظرة".

جفل إيلوف واستفاق من أحلامه، واستدار صوب مصدر الصوت. كان أحد أفراد طاقمه يشـير إليه بإلحاح ليقترب منه، فقطّب إيلوف جبينه متفاجئاً، ثم ذهب للانضمام إليه. إنهم في عرض البحر، ولا تزال أمامهم ساعات قليلة قبل الوصول إلى مرفأ فجالباكا.

قال كالي إينغفارسون وهو يشير إلى الحمولة: "ثمة شخص مختبئ هنا". نظر إيلوف إلى حيث يشير كالي، فرأى فتى يافعاً مختبئاً وراء صناديق الحمولة. وزحف الفتى الآن خارج مخبئه.

قال كالي: "اكتشفت وجوده عندما سمعت صوتاً آتياً من الداخل. كان يسعل بشدة. غريب أننا لم نسمعه وهو يصعد على متن المركب". وأقحم رشة من البودرة في فمه ثم كشّر. البودرة المتوافرة خلال سنوات الحرب بديل سيئ للمخدرات الحقيقية.

سأله إيلوف بفظاظة: "من أنت؟ وماذا تفعل على متن مركبي؟". وفكر في طلب المساعدة من أفراد طاقمه في الأعلى.

فقال الشاب بلغة نروجية سريعة: "اسمي هانس أولافسن، وصعدت على متن المركب في كريستيانساند". ثم وقف ومدّ يده. وبعد قليل من التردد، صافحه إيلوف. نظر الفتى إلى عينيه مباشرة وقال: "كنت آمل أن أتمكن من الذهاب إلى السويد معكم. فالألمان... حسناً، فلنقل فقط إنني إذا كنت أقدّر حياتي، فأنا لا أستطيع البقاء أبداً على الأرض النروجية".

صمت إيلوف لوقت طويل وهو يفكر في ما قاله الصبي؛ فهو لا يحب أن يتم الاحتيال عليه بهذه الطريقة. ولكن، من جهة أخرى، ما الذي كان بإمكان الصبي فعله؟ إذ لم يكن بوسعه الصعود على متن المركب علناً أمام الألمان الذين يراقبون المرفأ، وطلب نقله إلى السويد.

سأل أخيراً وهو يتأمل الصبي من الأعلى إلى الأسفل: "من أين أنت؟".

"من أوسلو".

"وماذا فعلت كي يصبح بقاؤك في النروج أمراً مستحيلاً؟".

قال هانس وقد اكفهرّ وجهه قليلاً: "لا يتكلم الناس عما أجبروا على فعله خلال الحرب. فلنقل فقط إن الحركة السرية لم تعد بحاجة إلي

قال إيلوف لنفسه إنه ربما كان يهرّب الأشخاص عبر الحدود. إنها مهمة خطيرة، وإذا اكتشف الألمان ذلك، فمن الأفضل الهروب فيما ذلك لا يزال ممكناً. أحسّ إيلوف بأنه بدأ يلين، وفكّر في أكسيل الذي قام بالرحلة إلى النروج مراتٍ

عدة من دون أن يفكر حتى في سلامته؛ وقد دفع الثمن أخيراً. فهل يمكنه أن يفعل أقل مما فعله ابن الطبيب البالغ من العمر تسعة عشر عاماً؟ وحسم أمره.

"حسناً، سوف نأخذك معنا. نحن ذاهبون إلى فجالباكا. هل لديك أي شيء لتأكله؟".

فهزّ هانس رأسه وابتلع بصعوبة. "لا. لم آكل أي شيء منذ ما قبل البارحة. فالرحلة من أوسلو كانت... صعبة، ولم أستطع أخذ طريق مباشر ونظر إلى الأسفل.

"كالي، أحضر بعض الطعام للصبي. أحتاج إلى العودة إلى ظهر المركب، فمهمتي تقضي بأن نعود إلى الوطن سالمين؛ مما يعني التنقل بين تلك الألغام اللعينة التي يصرّ الألمان على زرعها في كل البحر شرح فيما بدأ يصعد إلى الأعلى. وعندما التفت إلى الخلف، التقت عيناه عينَي الصبي، وفاجأه التعاطف الذي أحسّ به فجأة. واستطاع إيلوف أن يقرأ في عينيه أكثر بكثير مما يفترض به قراءته؛ الشباب الضائع والبراءة التائهة. لا شك في أن الحرب تولّد الكثير من الضحايا؛ وليس فقط الذين ماتوا.

* * *

أحسّ غوستا ببعض اللوم. فلو أنجز مهمته كما ينبغي، لما انتهى الأمر بماتياس في المستشفى ربما. ما كان ليحصل أي فرق ربما، لكنه عرف أن بير قد اقتحم منزل فرانكل قبل بضعة أسابيع من اقتحام الصبيَين له، وكان من الممكن لذلك أن يغير مجرى الأحداث. فعندما ذهب غوستا إلى منزل آدم لأخذ بصماته، ذكر الصبي فعلاً أن هناك فتى في المدرسة تحدث عن الأشياء الرائعة التي يملكها الأخوان فرانكل. وهذا ما أقلق غوستا، وعذبه، وضلله، وجعله يشعر بتأنيب الضمير. لو انتبه أكثر، ولو توخى المزيد من الحذر... باختصار، لو أنجز مهمته كما يجب لما تعرض الفتى للأذى ربما. تنهد، وكانت تنهيدة خاصة برع غوستا فيها بعد سنوات طويلة من التمرن. لقد حان الوقت الآن كي يضع الأمور في نصابها الصحيح.

ذهب إلى المرأب، وأخرج سيارة الشرطة الوحيدة الباقية هناك. فقد أخذ مارتن وباولا السيارة الأخرى وذهبا إلى أوديفالا. وبعد أربعين دقيقة، ركن السيارة

خارج مستشفى سترومستاد. أخبرته عاملة الاستقبال أن ماتياس في وضع مستقر، ثم شرحت له كيف يعثر على غرفة المريض.

أخذ غوستا نفساً عميقاً قبل دخوله الغرفة؛ فلا شك في أن أفراداً من العائلة سيكونون مع الصبي، ولم يكن غوستا يحب مقابلة الأقارب؛ فالأجواء تكون دوماً عاطفية جداً، مما يصعّب عليه الالتزام بالمهمة التي جاء من أجلها. ولكن في بعض الأحيان، كان يفاجئ زملاءه ونفسه بالكشف عن بعض الحساسية عند التحدث إلى أشخاص مصدومين. لو امتلك الطاقة والإرادة، فلربما استطاع استعمال تلك الموهبة في مهنته وتحويلها إلى مصدر قوة. لكن هذه الموهبة نادراً ما تظهر هذه الأيام. وبالنسبة إليه، ليست ضيفاً مرحباً به.

"هل ألقيتم القبض عليه؟". كان ثمة رجل طويل يرتدي بذلة ويضع ربطة عنق وقف عندما دخل غوستا الغرفة. وكان يضع ذراعيه حول امرأة تبكي بشدة، فافترض غوستا أنها الوالدة؛ نظراً إلى الشبه بينها وبين الصبي الراقد على سرير المستشفى، أو بالأحرى، الشبه بينها وبين الصبي الذي قابله غوستا خارج منزل آل فرانكل. فماتياس الذي ينظر إليه الآن لا يمكن التعرف إليه. إذ كان وجهه مثل جرح ملتهب ومتورم، ومليء برضوض ظاهرة. وبدت شفتاه بضعف الحجم الاعتيادي، وبدا قادراً على استعمال عين واحدة فقط. أما العين الأخرى فكانت مغمضة ومتورمة.

قال والد ماتياس وهو يطبق قبضتيه: "عندما أمسك بذلك الحقير...". وتلألأت الدموع في عينيه. ولكن، رغم ارتياب غوستا من التعاطي مع أفراد العائلة، أصرّ على المضي قدماً في الموضوع وإنجاز مهمته؛ خصوصاً وأن إحساسه بالذنب تضاعف لدى رؤيته وجه ماتياس المتورم.

قال غوستا: "دع الشرطة تهتم بالمسألة". وجلس على كرسي قربهما، وعرّف عن نفسه، ثم وجّه نظرة صارمة إلى والدَي ماتياس للتأكد من أنهما يصغيان إليه.

"أخذنا بير رينغهولم إلى مركز الشرطة لاستجوابه، واعترف بضربه ابنكما، وسوف يتحمل العواقب من دون شك. لا أعرف ما العواقب المترتبة على ذلك في الوقت الحاضر؛ إذ يعود إلى القاضي أن يقرر ذلك".

قالت والدة ماتياس بشفتين مرتجفتين: "ولكن، تم توقيفه، أليس كذلك؟".

"ليس في الوقت الحاضر. ففي الحالات الاستثنائية فقط، يأمر قاضي التحقيق بوضع قاصر في الحجز القضائي. لذا، تم إرساله إلى المنزل مع أمه ريثما نجري التحقيق. ووضعنا أيضاً مركز الخدمات الاجتماعية في الصورة".

قال والد ماتياس بصوت محطم: "إذاً، تم السماح له بالعودة إلى منزله مع أمه، فيما ابني لا يزال هنا...". ونظر إلى ابنه وهو غير مصدق لما يسمعه.

"في الوقت الراهن، نعم. مثلما قلت، ستكون هناك عواقب. أؤكد لك ذلك. لكنني أحتاج إلى التكلم قليلاً مع ابنك إذا كان هذا ممكناً؛ لتغطية المسألة من كل الجوانب".

نظر والدا ماتياس إلى بعضهما، ثم أومآ برأسيهما موافقين. "حسناً، ولكن إذا كان قادراً على ذلك. فهو ليس بكامل وعيه طوال الوقت؛ إذ يعطونه مسكنات للألم".

قال غوستا بهدوء، فيما جعل كرسيه بالقرب من السرير: "سنجعله يقرر لكم من الوقت يرغب في الكلام". واجه مشكلة في فهم الكلمات غير الواضحة للصبي. ولكن في النهاية، جرى توكيد القصة كاملة. فقد تطابق كلامه مع ما أخبرهم به بير.

وعندما انتهى من استجواب ماتياس، استدار نحو والدَي الصبي.

"هل من مشكلة إذا أخذتُ بصماته؟".

ومجدداً، تبادل الوالدان نظرات سريعة. ومرة أخرى، كان والد ماتياس من تكلّم. "حسناً، هيا، إذا كان هذا ضرورياً لـ...". ولم يكمل جملته، وإنما نظر إلى ابنه فقط والدموع تتلألأ في عينيه.

قال غوستا وهو يخرج عدّة أخذ البصمات: "سيستغرق الأمر دقيقة واحدة فقط".

وبعد وقت قصير، عاد إلى سيارته، ونظر إلى الورقة التي ظهرت عليها بصمات ماتياس. قد لا تكون لها أية أهمية في القضية، ولكنه أنجز مهمته؛ أخيراً. وفي هذا بعض العزاء له على الأقل.

قال مارتن: "إنها المحطة الأخيرة لليوم، اتفقنا؟". فيما أوقف سيارة الشرطة

أمام مكاتب تحرير صحيفة بوهوسلانينجن.

قالت باولا وهي تنظر إلى ساعتها: "يبدو هذا جيداً. فقد حان وقت العودة إلى المنزل". ولم تكن قد تفوهت بكلمة واحدة بعد زيارتهما مكاتب جمعية أصدقاء السويد، وتركها مارتن تفكر بسلام. فقد فهم كم يصعب عليها أن تواجه هذا النوع من الأشخاص؛ النوع الذي يحكم عليها قبل أن تتاح لها حتى فرصة إلقاء التحية، وذلك إذا رأى الآخر لون بشرتها فقط من دون أي شيء آخر. وجد الأمر كريهاً أيضاً، لكن بشرته البيضاء مثل الطبشور وشعره الأحمر الساطع لم يعرّضاه مطلقاً لهذا النوع من النظرات التي توجب على باولا تحملها. لقد عانى من بعض المضايقات في المدرسة بسبب شعره، ولكن هذا حصل قبل زمن طويل جداً، ولم يكن الأمر هو نفسه البتة.

قالت باولا وهي تنحني فوق مكتب الاستقبال: "نبحث عن كجيل رينغهولم".

"دقيقة واحدة وسأخبره أنكما هنا" ورفعت عاملة الهاتف سماعة الهاتف لإبلاغ رينغهولم بأن لديه زائرين.

"اجلسا من فضلكما، سيأتي على الفور"

"شكراً". وجلسا على كرسيين بالقرب من منضدة صغيرة. وبعد دقائق قليلة، جاء رجل قصير وسمين، بشعر داكن ولحية داكنة وتوجّه نحوهما. رأت باولا أنه يشبه بجورن من فريق "آبا" أو بيني. إذ لم تستطع يوماً التمييز بين الاثنين.

قال: "كجيل رينغهولم". وصافحهما. كانت مصافحته قوية، لا بل مؤلمة ربما، ولم يستطع مارتن منع نفسه من التكشير.

أرشدهما إلى مكتبه ودعاهما للجلوس، ثم قال: "اعتقدت أنني أعرف كل رجال الشرطة في أوديفالا، لكن عليّ القول إن وجهيكما جديدان عليّ. لصالح من تعملان؟". وجلس كجيل وراء مكتبه الذي كان مليئاً بالأوراق.

"نحن من مركز تانومشيد. وليس أوديفالا"

قال كجيل: "حقاً!؟". وبدا متفاجئاً. وظنت باولا أنها لمحت تعبيراً مؤقتاً لشيء آخر ظهر على وجهه، لكنه اختفى سريعاً. "حسناً، ماذا يدور في بالكما؟". واتكأ إلى الخلف، وشبك يديه فوق معدته.

قال مارتن: "علينا أولاً أن نخبرك أننا أحضرنا ابنك اليوم إلى مركز الشرطة بعد اعتدائه على أحد رفاقه".

فانتصب الرجل الجالس خلف المكتب وقال: "ماذا! هل تخبرني أنكم اعتقلتم بير؟ من كان الذي...؟ كيف...؟". وتلعثم في نطق الكلمات، فانتظرت باولا حتى يتوقف كي يتمكنا من الإجابة عن أسئلته.

"ضرب تلميذاً اسمه ماتياس لارسون. وقد تم نقل الصبي إلى المستشفى، ويقول آخر تقرير طبي إن حالته مستقرة، لكنه تعرض لإصابات وخيمة".

"ماذا؟!". وبدا وكأن كجيل يواجه صعوبة في استيعاب ما يقولانه له. "لماذا لم تتصلوا بي سابقاً؟ يبدو أن الأمر حصل قبل ساعات عدة".

"اتصلت إدارة المدرسة بوالدة بير، فجاءت إلى مركز الشرطة، وكانت حاضرة أثناء استجوابه. ثم سُمح له بالذهاب إلى المنزل معها".

قال كجيل وهو ينظر إلى باولا ومارتن: "ليس الوضع في المنزل مثالياً، مثلما رأيتما بالتأكيد".

تردد مارتن ثم قال: "فهمنا من الاستجواب أن هناك بعض... المشاكل. لذا، طلبنا من مركز الخدمات الاجتماعية النظر في الوضع".

تنهد كجيل، ثم قال: "كان يجدر بي معالجة المسألة منذ زمن. لكن أموراً عديدة حصلت. لا أعرف...". وحدّق إلى صورة فوتوغرافية موضوعة على مكتبه، تظهر فيها امرأة شقراء وولدان عمرهما تسعة أعوام تقريباً. لم يتفوه أحد بكلمة لفترة، ثم سأل كجيل: "ما الذي سيحصل الآن؟".

"سينظر القاضي في القضية ثم يقرر ما العمل. لكن المسألة جدية".

لوّح كجيل بيده وقال: "أفهم. صدقني حين أقول لك إنني لا أستخف بالمسألة؛ فأنا أعرف مدى خطورة الوضع. ولكن، أنت تملك خبرة في هذه القضايا، وبرأيك ما...". ونظر إلى الصورة مجدداً، ثم حوّل نظره إلى الشرطيين.

أجابت باولا: "تصعب معرفة ما سيحصل. أعتقد أنه سيتم إرساله إلى مركز لإصلاح الأحداث".

أومأ كجيل برأسه بتعب. "قد يكون هذا للأفضل. فلطالما كان بير صعباً...

وقد يجبره هذا على فهم مدى خطورة المسألة. لكن الوضع لم يكن سهلاً عليه. وأنا لم أساعده كثيراً، وأمه... حسناً، تعرفان ما هو الوضع. لكنها لم تكن هكذا دوماً. فالطلاق هو الذي...". واختفى صوته، ونظر مجدداً إلى الصورة الموضوعة على مكتبه قبل أن يتابع: "كان الأمر صعباً جداً عليها".

"ثمة شيء آخر نريد التحدث معك بشأنه". وانحنى مارتن إلى الأمام لتأمل كجيل.

"ما هو؟".

"خلال الاستجواب، تبيّن لنا أن بير سبق له أن اقتحم منزلاً في بداية شهر يونيو، وأن مالك المنزل إيريك فرانكل عثر عليه. وحسبما فهمنا، عرفت أنت بشأن هذه الحادثة. هل أنا محق؟".

لم يتفوه كجيل بأية كلمة لبضع لحظات، ثم أومأ برأسه.

"هذا صحيح. اتصل بي إيريك فرانكل بعد حجزه بير في غرفة المكتبة، وذهبتُ إلى هناك". وابتسم بحزن، ثم تابع: "في الواقع، كانت رؤية بير محتجزاً مع كل تلك الكتب أمراً مضحكاً. فهي المرة الوحيدة ربما التي دخل فيها غرفة مكتبة".

قالت باولا بطريقة جافة: "لكن، ما من شيء مضحك في اقتحام منزل شخص آخر. كان من الممكن أن تنتهي المسألة بشكل سيئ جداً".

قال كجيل: "طبعاً، أعرف ذلك. أعتذر، كانت نكتة غير ملائمة. لكننا اتفقنا أنا وإيريك على عدم تعظيم المسألة. فقد رأى إيريك حينها أن ما حصل سيكون درساً جيداً للصبي، وظن أن بير سيفكر مرتين قبل أن يفعل شيئاً كهذا مجدداً. هذا كل شيء. ذهبت إلى البيت، وأحضرت بير، وأطلعته على قانون الشغب و..." هزّ كتفه.

"لكن، يبدو أنكما تحدثتما أنت وإيريك عن أمور أخرى غير اقتحام بير للمنزل. فقد سمع بير إيريك وهو يقول لك إنه يملك معلومات قد تهمك في منصبك كصحافي، ثم اتفقتما أنتما الاثنان على اللقاء في موعد لاحق. هل يعني هذا لك شيئاً؟".

جوبه السؤال بالصمت لفترة، ثم هزّ كجيل رأسه وقال: "لا، عليّ القول إنني لا أذكر أي شيء كهذا. إما أن يكون بير قد اخترع المسألة، أو أساء فهم ما سمعه.

فقد قال إيريك ببساطة إنني أستطيع الاتصال به إذا احتجتُ إلى أية مساعدة في المواد المتعلقة بالنازية".

نظر إليه مارتن وباولا بطريقة متشككة، ولم يصدق أي منهما كلمة مما قاله، لكنهما لا يستطيعان إثبات أنه يكذب.

وأخيراً سأل مارتن: "هل تعرف ما إذا كان والدك وإيريك على تواصل في ما بينهما؟".

استرخت كتفا كجيل قليلاً؛ كما لو أنه ارتاح لتغيير الموضوع، ثم أجاب: "ليس حسب علمي. ومن جهة أخرى، لست مهتماً أبداً بنشاطات والدي؛ إلا حين تصبح موضوع إحدى مقالاتي

قالت باولا: "ألا يبدو هذا غريباً قليلاً؟ أعني أن تنتقد والدك علناً هكذا!".

قال كجيل: "عليكم جميعاً أن تفهموا أهمية محاربة الإحساس المناهض للغريب. الأمر أشبه بورم سرطاني في المجتمع، وعلينا محاربته بأية وسيلة ممكنة. وإذا اختار والدي أن يكون جزءاً من ذلك السرطان... حسناً... فإن هذا قراره". ورفع يديه في الهواء، ثم تابع: "بالمناسبة، لا نملك أنا ووالدي أي روابط حقيقية تجمعنا؛ سوى أنه صودف أن تزوّج أمي. وأثناء فترة نموي، لم أره إلا في غرف الزيارة في السجن. وما إن أصبحت كبيراً كفاية للتفكير واتخاذ قراراتي بمفردي، حتى أدركت أنه ليس شخصاً أريده في حياتي

سأل مارتن بدافع الفضول وليس لأن الأمر على علاقة بالتحقيق: "إذاً، ألا يوجد أي تواصل بينكما؟ وهل بير على تواصل معه؟".

"لا، لا أملك أي تواصل معه. إلا أن والدي نجح لسوء الحظ في ملء رأس ابني بالكثير من الأفكار الغبية. عندما كان بير أصغر سناً، حرصنا على ألا يريا بعضهما. لكنه أصبح الآن مراهقاً، وحسناً... لم نتمكن من منع لقائهما؛ رغم محاولاتنا الكثيرة".

قال مارتن وهو ينهض: "حسناً. لا أعتقد أن هناك المزيد من الأسئلة. على الأقل في الوقت الراهن". ونهضت باولا أيضاً. وفي طريقهما إلى الباب، توقف مارتن واستدار، ثم سأله:

"هل أنت واثق من أنك لا تملك أية معلومات عن أو من إيريك فرانكل قد تكون مفيدة لنا؟".

التقت عيونهما، وللحظات تردد كجيل، ثم هزّ رأسه وقال بصرامة: "لا، لا شيء. لا شيء على الإطلاق".

لم يصدقاه هذه المرة أيضاً.

كانت آنا غريتا قلقة؛ إذ لم يجب أحد على الهاتف في منزل أهلها منذ أن جاء هيرمان لزيارتها البارحة. هذا غريب ومقلق؛ فهما يخبرانها عادة إذا أرادا الذهاب إلى أي مكان، لكنهما نادراً ما يغادران المنزل في الفترة الأخيرة. وقد اعتادت على الاتصال بوالديها كل ليلة للتحدث إليهما. إنه طقس اعتمدوه منذ أعوام، وهي لا تذكر مرة واحدة لم يجب فيها والداها على الهاتف. لكنْ هذه المرة، رنّ الهاتف مراراً وتكراراً، وتردد صوته في الفراغ، من دون أن يرفع أحد السماعة في الطرف الآخر. أرادت الذهاب بنفسها للاطمئنان عليهما في الليلة الماضية، لكن زوجها أوي أقنعها بالانتظار حتى الصباح، قائلاً إنهما ربما خلدا إلى النوم باكراً. لكن، هذا الصباح لم يجب أحد على الهاتف أيضاً.

تأكدت آنا غريتا أن شيئاً ما قد حصل لهما، فانتعلت حذاءها، وارتدت سترتها وانطلقت إلى منزل أهلها. المسافة تبعد عشر دقائق سيراً على القدمين، وطوال الطريق كانت تلعن نفسها لأنها سمحت لأوي بإقناعها بعدم الذهاب إلى منزلهما سابقاً. وعرفت أن شيئاً ما قد حصل.

وعندما أصبحت على مسافة مئات الأمتار، رأت شخصاً يقف أمام الباب الأمامي لمنزل أهلها. طرفت بعينيها لترى من هو، ولكن قبل أن تقترب أكثر أدركت أنها الكاتبة إيريكا فالك.

سألتها آنا غريتا: "هل أستطيع مساعدتك في أي شيء؟". وحاولت أن تبدو ودودة، لكنها سمعت بنفسها القلق البادي في صوتها.

"أوه... نعم، أبحث عن بريتا. لكن، يبدو أنه ما من أحد في المنزل". وبدت المرأة الشقراء غير مرتاحة فيما وقفت هناك على المصطبة.

قالت آنا غريتا: "أنا ابنتهما، وأحاول الاتصال بهما منذ البارحة، لكنهما لا يجيبان على الهاتف. لذا، جئت للتأكد من أن كل شيء على ما يرام. يمكنك الدخول معي والانتظار في الردهة". ومدت يدها إلى الأعلى صوب العارضة الخشبية الصغيرة فوق الباب وأخذت مفتاحاً. وكانت يدها ترتجف حين فتحت الباب.

قالت: "ادخلي. سأذهب وألقي نظرة". وشعرت فجأة بالامتنان لوجودها بصحبة شخص آخر. كان يجدر بها الاتصال بإحدى أختيها أو كلتيهما قبل المجيء إلى هنا، لكنها اعترفت بعد ذلك كم وجدت الوضع خطيراً، وكم أحست بالقلق.

تجولت في غرف الطابق الأرضي، ونظرت حولها. كل شيء مرتب، وبدا كما هو دوماً.

نادت: "ماما؟ بابا؟". لكنها لم تلقَ جواباً. أحست الآن بالقليل من الخوف، وواجهت صعوبة في التنفس. كان يجدر بها الاتصال بأختيها. كان يجدر بها فعل ذلك.

قالت لإيريكا: "ابقي هنا. سأصعد إلى الأعلى لإلقاء نظرة". لم تسرع في صعود السلالم، وإنما تحركت بدل ذلك ببطء، وكانت ترتجف كلها. بدا كل شيء هادئاً على نحو غير طبيعي. لكنها عندما وصلت إلى الدرجة العلوية، سمعت صوتاً خفيفاً؛ مثل صوت شخص يبكي مثل ولد صغير. وقفت جامدة للحظات محاولة تحديد مصدر الصوت، ثم أدركت أنه آتٍ من غرفة نوم والدَيها. فخفق قلبها بقوة فيما أسرعت صوب الغرفة وفتحت الباب. احتاجت إلى بضع ثوانٍ لتفهم ما رأته، ثم سمعت صوتها يصرخ عالياً طلباً للمساعدة.

فتح بير الباب عندما رنّ فرانس الجرس.

قال بير: "جدي" وبدا مثل جرو صغير يحتاج إلى التربيت على رأسه.

فقال فرانس بفظاظة: "بماذا ورّطت نفسك؟" ودخل.

"لكن... أنا... كان ينطق بالكثير من الهراء. هل كان يفترض بي تحمله أم ماذا؟". بدا بير متألماً؛ فقد ظن أنه إذا كان هناك شخص سيفهمه فهو جده. ثم

أضاف بتحدٍ: "بالإضافة إلى ذلك، ليس هذا شيئاً مقارنة مع ما فعلته أنت". لكنه لم يجرؤ على النظر إلى عينَي فرانس.

"لهذا السبب بالضبط أعرف تماماً ما أتكلم عنه!". أمسك فرانس كتفَي الصبي وهزّه، وأجبر حفيده على النظر إليه.

"فلندخل ونجلس ونتكلم. فقد أتمكن حينها من إدخال بعض المنطق إلى رأسك العنيد. بالمناسبة، أين أمك؟". ونظر فرانس حوله باحثاً عن كارينا، وبدا مستعداً للدفاع عن حقه في التكلم مع حفيده.

فأجاب بير وهو يدخل المطبخ: "إنها نائمة ربما. بدأت تحتسي الشراب ما إن عدنا إلى المنزل البارحة، وكانت لا تزال تشرب عندما خلدت إلى السرير في الليلة الماضية. لكنني لم أسمع أية حركة منها".

قال فرانس: "سأذهب وألقي عليها التحية. في غضون ذلك، حضّر لنا بعض القهوة".

"لكنني لا أعرف كيف أحضر...". بدأ بير بالكلام بصوت منتحب، فقاطعه فرانس قائلاً: "إذاً، لقد حان الوقت لتتعلم". وتوجه صوب غرفة نوم كارينا.

قال بصوت عالٍ حين دخل غرفتها: "كارينا". لكن الصوت الوحيد المسموع كان شخيراً عالياً. فقد كانت مستلقية بشكل جزئي على السرير، وذراعها تلامس الأرض، وقد فاحت رائحة الشراب والقيء في الغرفة.

أخذ فرانس نفساً عميقاً ثم توجه إليها، ووضع يده على كتفها وهزّها.

"كارينا، حان الوقت لتنهضي ما من ردة فعل. نظر حوله. كان الباب المؤدي إلى الحمام موجوداً مباشرة إلى يمين غرفة نومها، فذهب إلى هناك، وفتح الحنفية ليملأ لها حوض الاستحمام. وما إن امتلأ الحوض بالماء، حتى بدأ ينزع عنها ملابسها عاجزاً عن إخفاء قرفه. ولم يحتج إلى وقت طويل؛ لأنها كانت ترتدي فقط ملابسها الداخلية. ثم لفها ببطانية، وحملها إلى الحمام. ومن دون مقدمات إضافية، وضعها في الحوض.

صرخت كنّته السابقة بذهول: "يا إلهي! ماذا تفعل هنا؟".

لم يجب فرانس. وبدلاً من ذلك، توجه إلى خزانة ملابسها، وفتح الباب،

واختار لها بعض الملابس النظيفة، ووضعها على الكرسي، ثم قال:
"بير يحضّر القهوة. جففي نفسك، وارتدي ملابسك، وانضمي إلينا في المطبخ".
لوهلة، بدت وكأنها على وشك الرفض، ثم أومأت برأسها بإذعان.
سأل فرانس بير الذي كان جالساً إلى طاولة المطبخ متأملاً أصابعه: "إذاً، هل عرفت كيف تستعمل آلة تحضير القهوة؟".
تمتم بير: "قد يكون طعمها مقرفاً، لكنني حاولت على الأقل".
تأمل فرانس السائل الأسود الذي بدأ يغلي في الإبريق الزجاجي ثم قال: "على الأقل، تبدو قوية النكهة".
لوقت طويل، جلس وحفيده إلى الطاولة قبالة بعضهما من دون أن يتبادلا الكلام. إنه لإحساس غريب أن يرى تاريخه الخاص في شخص آخر. لمح آثاراً من والده في الصبي؛ آثار الوالد الذي لا يزال نادماً لأنه لم يقتله؛ إذ كان كل شيء سيختلف ربما لو فعل ذلك. كان ينبغي له جمع كل الغضب الذي يغلي داخله وتوجيهه إلى الشخص الوحيد الذي يستحقه فعلاً. ولكن، بدلاً من ذلك، انتشر غضبه في اتجاه مختلف تماماً من دون أي هدف، ولا يزال هناك. عرف ذلك. إلا أنه الآن لا يسمح له بإحداث شغب مثلما فعل عندما كان أصغر سناً. فهو الآن يسيطر على غضبه، ولا يسمح له بالسيطرة عليه. هذا ما يحاول تفسيره لحفيده. فليس هناك خطب في أن يشعر بالغضب، ولكن عليه التأكد من أنه من يقرر متى يطلق العنان لذلك الغضب. فالغضب سهم مخصص للرمي بطريقة مضبوطة، وليس فأساً للتحطيم بطريقة عشوائية. لقد جرّب فرانس تلك الطريقة، وأمضى نتيجة لذلك معظم حياته في السجن، ولم يستطع ابنه الوحيد التواجد في الغرفة نفسها معه. وهو لا يملك أحداً آخر؛ فالرجال في الجمعية ليسوا أصدقائه. ولم يرتكب قطّ خطأ اعتبارهم هكذا، كما أنه لم يحاول جعلهم أصدقاءه. فقد كانوا جميعاً منشغلين بغضبهم الخاص لإقامة ذلك النوع من العلاقات مع بعضهم بعضاً. إنهم يتشاركون هدفاً؛ وهذا كل شيء.
نظر إلى بير ورأى والده، ولكنه رأى نفسه أيضاً، كما رأى كجيل. لقد بذل كل ما بوسعه للتعرف إلى ابنه خلال الزيارات العائلية الوجيزة إلى السجن، وفي

تلك الفترات القصيرة التي تواجد خلالها في المنزل. لكن الإخفاق كان مصير تلك المحاولات. وليكون صريحاً مع نفسه، إنه لا يعرف حتى ما إذا كان قد أحبّ ابنه فعلاً. لقد فعل ذلك ربما سابقاً؛ فقد خفق قلبه ربما ذات مرة عندما أحضرت راكيل ابنهما لرؤيته في السجن. لكنه لم يعد يذكر.

الشيء الغريب هو أنه فيما يجلس هنا إلى طاولة المطبخ مع حفيده، فإن الحب الوحيد الذي يذكر أنه أحسّ به كان ذاك الذي شعر به تجاه إلسي. حبٌّ عمره ستون عاماً، لكنه لا يزال حياً في ذاكرته. إلسي وحفيده. إنهما الشخصان الوحيدان اللذان شعر بأية عاطفة تجاههما. لقد نجحا في استخراج نوع من العاطفة منه. لم يفكر فرانس في الأمر منذ وقت طويل؛ لم يفكر في والده، أو كل الآخرين. لكن الأحداث الأخيرة جعلت الماضي يعود إليه، وحان الوقت الآن للتفكير فيه مجدداً.

"سيغضب كجيل كثيراً إذا عرف أنك جئت إلى هنا" وقفت كارينا عند الباب، وتمايلت قليلاً، لكنها كانت نظيفة ومرتدية ملابسها. كان شعرها يتقطر منه الماء، وقد وضعت منشفة فوق كتفيها كي لا يبتل قميصها.

قال فرانس بجفاف: "لا أهتم برأي كجيل ثم نهض ليسكب بعض القهوة لكارينا ولنفسه.

قالت: "لا تبدو هذه القهوة صالحة للشرب" فيما جلست وحدّقت إلى كوبها المليء إلى حافته العلوية بذلك السائل الأسود.

قال فرانس: "اشربيها". وفتح الخزانات والأدراج.

سألته كارينا فيما ارتشفت القليل من القهوة: "عم تبحث؟". ثم كشّرت وتابعت قائلة: "اترك خزاناتي وشأنها!".

لم يجب فرانس فيما أخرج قنينة تلو الأخرى وأفرغ محتوياتها في المجلى.

فصرخت في وجهه: "أنت لا تملك الحق للتدخل!" فنهض بير وأوشك على المغادرة.

عندها، قال فرانس وهو يشير إلى حفيده: "اجلس. سوف نضع حداً لهذه المسألة".

أطاع بير جده على الفور، وغاص في كرسيه.

بعد ساعة، وبعد التخلص من كل الكحول، لم تبقَ سوى الحقيقة.

حدّق كجيل إلى شاشة الكمبيوتر. فالإحساس بالذنب يطغى عليه منذ أن جاءت الشرطة لمقابلته البارحة. عرف أنه يجدر به الذهاب لرؤية بير وكارينا، لكنه لم يستطع حمل نفسه على فعل ذلك. فهو لا يعرف من أين يبدأ. وما أخافه هو إدراكه أنه بدأ يستسلم. فهو يستطيع محاربة الأعداء الخارجيين، ويستطيع توجيه كل طاقته لمحاربة تجار السلطة والنازيين الجدد ومعارك الأجور؛ مهما كان الخصم قوياً. ولكن، حين يتعلق الأمر بعائلته السابقة، وحين يتعلق الأمر ببير وكارينا، يبدو الأمر وكأنه لم يعد يملك أية قوة؛ إذ تم استنزافها بسبب الشعور بالذنب وتأنيب الضمير.

نظر إلى صورة بياتا والولدين. لا شك في أنه يحب ماغدا ولوك ولا يريد العيش من دونهما، ولكن في الوقت نفسه، حصل كل شيء بسرعة كبيرة، وسلك مساراً خاطئاً. فقد وجد نفسه في وضع جرفه بعيداً، ولا يزال أحياناً يتساءل عمّا إذا كان ذلك الوضع قد سبب له الأذى أكثر من الخير. لم يكن التوقيت ملائماً ربما؛ فقد كان يعيش نوعاً من أزمة خريف العمر، وجاءت بياتا في الوقت غير المناسب. في البداية، لم يصدق الأمر: فتاة جذابة مثلها مهتمة بشخص مثله. ولكن، تبيّن له أن ذلك صحيح، فلم يستطع مقاومة رغبته في التقرب منها، ولمس جسدها، ورؤية الإعجاب في تينك العينين. كان الأمر أشبه بالتسمم. لم يستطع التفكير بوضوح، أو التراجع خطوة إلى الوراء واتخاذ أي قرار عقلاني. لكن الأمر المثير للسخرية هو أنه بدأ يكشف عن أولى علامات العودة إلى رشده عندما فقد كل السيطرة على الوضع. إذ بدأ يستوعب أنها لا تجادله أبداً في مناقشاتهما، ولا تعرف أي شيء عن مسألة الهبوط على سطح القمر، أو الثورة في هنغاريا. وبدأ يسأم أيضاً من ملمس بشرتها تحت أصابعه.

لا يزال يذكر اللحظة التي انهار فيها كل شيء. يبدو الأمر وكأنه حصل البارحة؛ عندما نظرت إليه بتينك العينين الزرقاوين الكبيرتين وأخبرته أنه سيصبح

أباً، وأنه يستطيع الآن إخبار كارينا أخيراً مثلما وعدها سابقاً.

في تلك اللحظة، أدرك الخطأ الكبير الذي ارتكبه. ولثانية، فكر في النهوض وتركها هناك في المقهى، والعودة إلى المنزل والاستلقاء على الأريكة قرب كارينا وسماع نشرة الأخبار على التلفزيون فيما بير- البالغ من العمر خمسة أعوام- نائم في سريره. لكنه أدرك في الوقت نفسه أنه لا مجال أبداً للعودة. إذ ثمة حبيبات لا يحلمن بإخبار الزوجة، وأخريات يفرحن بالكشف عن كل تفصيل في العلاقة. وهو لا يشك أبداً في الفئة التي تنتمي إليها بياتا. فهي لن تبالي بمن أو بما سيتحطم إذا تجرأ على تحطيمها أولاً. إذ ستدمر حياته، وستقضي على وجوده من دون النظر إلى الخلف. وحينها سيبقى وحده محطماً.

وهكذا، توجب عليه انتقاء الخيار الجبان. إذ خاف من أن ينتهي به الأمر بمفرده في شقة عازب، وهو يحدق إلى الجدران ويتساءل عما سيفعله في حياته. لذا، اختار الطريق الوحيد الباقي أمامه؛ طريق بياتا. لقد ربحت. وتخلى عن كارينا وبير. رماهما مثلما ترمى النفايات على جانب الطريق؛ رغم إدراكه فظاعة ذلك. وهكذا، دمّر كارينا وخسر بير. هذا هو الثمن الذي دفعه مقابل لمسه تلك البشرة الشابة بأصابعه.

كان بوسعه الحفاظ على بير ربما لو استطاع تجاهل الشعور بالذنب الذي استقرّ مثل صخرة كبيرة في صدره كلما فكّر في الشخصين اللذين تركهما خلفه. إلا أنه لم يكن قادراً على ذلك. قام ببعض المحاولات المتفرقة، وأدى الدور السلطوي الذي مارسه، ودور الوالد في مناسبات نادرة، إلى نتائج كارثية.

وها قد أصبح ابنه الآن غريباً بالنسبة إليه. ولا يملك كجيل الطاقة للمحاولة مجدداً. فبعد عمر أمضاه في كره والده الذي تخلى عنه وعن أمه لأجل حياة ليسا جزءاً منها، ها قد فعل الشيء نفسه مع ابنه. لقد تحوّل إلى والده، وهذه هي الحقيقة المرّة.

ضرب قبضة يده على الطاولة، محاولاً جعل الألم الذي في قلبه ألماً جسدياً. لكن هذا لم ينفع. ثم فتح الدرج السفلي في مكتبه للنظر إلى الشي الوحيد الذي يمكن أن يصرف انتباهه عن عذابه.

مرّت لحظة فكّر خلالها في أن يسلّم المواد إلى الشرطة، غير أن الصحافي الذي في داخله منعه في اللحظة الأخيرة. لم يعطه إيريك الكثير. فحين جاء إلى مكتب كجيل، أمضى وقتاً طويلاً وهو يتحدث في العموميات، وبدا جلياً أنه غير واثق من كمية المعلومات التي يريد الإفصاح عنها. وفي مرحلة ما، بدا أنه على وشك المغادرة من دون الكشف عن أي شيء أبداً.

فتح كجيل الملف، وتمنى لو أنه نجح في طرح المزيد من الأسئلة على إيريك للحصول على بعض المؤشرات في ما يتعلق بالمواضيع التي يجدر به البحث عنها. فكل ما يملكه هو بضع مقالات صحافية أعطاه إيريك إياها من دون تعليق أو شرح.

سأله كجيل: "ماذا تتوقع مني أن أفعل بهذه؟". ورفع يديه في الهواء.

أجاب إيريك: "هذه مهمتك. أعرف أن الأمر قد يبدو غريباً، لكنني لا أستطيع منحك الجواب كاملاً. لا أجرؤ. لذا، ها أنا أعطيك الأدوات، وأنت قم بما تبقى".

ثم ذهب، تاركاً كجيل جالساً أمام مكتبه مع مجلّد يحتوي على ثلاث مقالات.

حكّ كجيل لحيته وفتح الملف. لقد قرأ المواد سابقاً مرات عديدة. ولكن، ثمة أشياء أخرى تظهر باستمرار وتمنعه من تركيز كل انتباهه على المهمة. ولو كان صريحاً مع نفسه تماماً، لشكك أيضاً في الجدوى من تخصيص أي وقت لذلك. قد يكون الرجل العجوز مصاباً بالخرف بكل بساطة. وإذا كان يمتلك فعلاً مواد بالغة الأهمية مثلما قال، فلماذا لم يشرح الأمور بشكل أفضل؟ لكن، بعد جريمة قتل إيريك فرانكل، بدأ ينظر إلى الملف من منظور مختلف، وبات مستعداً الآن لمنحه كل ذاته. وعرف تماماً أين يجدر به أن يبدأ: مع المؤشر المشترك في المقالات الثالث. مقاوم نروجي اسمه هانس أولافاسن.

فجالباكا 1944

"هيلما!". كان ثمة شيء في نبرة إيلوف جعل زوجته وابنته تخشيان لقاءه.

تعجبت هيلما: "لماذا تصرخ بالله عليك؟ ما الذي يجري؟". لكن صوتها اختفى عندما رأت أن إيلوف ليس بمفرده، فسألته: "هل لدينا ضيوف؟". ومسحت يديها بعصبية بمئزرها قائلة: "كنت أغسل الأطباق".

فطمأنها إيلوف: "لا تقلقي. لن يهتم الفتى بمظهر المنزل. لقد جاء معنا اليوم على متن المركب. كان يهرب من الألمان".

مدّ الفتى يده صوب هيلما، وانحنى أمامها عندما صافحته.

وقال بلكنته النروجية: "هانس أولافاسن". ثم مدّ يده صوب آلسي التي صافحته بطريقة غريبة، مع انحناءة احترام بسيطة.

قال إيلوف: "لقد واجه أوقاتاً صعبة في طريقه إلى هنا، ولذلك نستطيع ربما أن نقدم له بعض المشروبات". ثم علّق قبعته، وأعطى إلسي معطفه، فأمسكته بين ذراعيها من دون أن تتحرك.

قال بصرامة: "لا تقفي هنا أيتها الفتاة. اذهبي وعلّقي معطف والدك". ولكنه لم يستطع مقاومة لمس وجنة ابنته. فنظراً إلى المخاطر التي ترافق الآن كل رحلة يقوم بها، إنه يشعر دوماً أنه محظوظ حين يستطيع العودة إلى المنزل ورؤية إلسي وهيلما مجدداً. تنحنح محرجاً من الكشف عن مثل هذه العاطفة أمام شخص غريب، ثم حرّك يده وقال: "تعال، تعال. أنا واثق من أن هيلما ستجد لنا شيئاً جيداً". وجلس على أحد كراسي المطبخ.

فقالت زوجته بخجل: "لا نملك الكثير لتقديمه. ولكننا سنفرح طبعاً بمشاركتك القليل الذي نملكه".

قال الصبي: "أنا ممتن فعلاً". فيما جلس قبالة إيلوف ونظر بنهم شديد إلى

طبق الشطائر الذي وضعته هيلما على الطاولة.

قالت هيلما: "حسناً، تفضلا". ثم ذهبت لتسكب القليل من الشراب لهما.

تناولا الطعام بصمت. وعندما بقيت شطيرة واحدة فقط، دفع إيلوف الطبق باتجاه الفتى النروجي، وألح عليه بعينيه ليأخذها. راقبتهما إلسي خلسة فيما وقفت قرب المجلى تساعد أمها. هذا كله مثير فعلاً. هنا، في مطبخهم يوجد شخص هرب من الألمان، واجتاز كل المسافة من النروج للوصول إلى هنا. كانت تتحرق شوقاً لإخبار الآخرين. ثم خطرت لها فكرة، وكادت تعجز عن منع الكلمات من الخروج من فمها. لكن يبدو أن الفكرة نفسها خطرت لوالدها أيضاً؛ لأنه طرح السؤال نفسه الذي خطر في بالها.

"ثمى فتى من هذه البلدة أخذه الألمان. حصل ذلك قبل أكثر من عام، لكنك ربما...". رفع إيلوف يديه في الهواء، مثبتاً عينيه على الفتى الجالس قبالته أمام الطاولة.

"حسناً، ليس من المستبعد أن أعرف أي شيء عنه. فهناك الكثير من الأشخاص الذين يأتون ويذهبون. ما اسمه؟".

فقال إيلوف: "أكسيل فرانكل لكن الأمل في عينيه تحول إلى خيبة عندما هزّ الصبي رأسه بعد التفكير هنيهة.

"لا. أخشى أنني لم أقابله. لا أظن ذلك. ألم تسمعوا أي شيء عما حلّ به؟ أما من شيء يعطي القليل من المعلومات الإضافية؟".

قال إيلوف وهو يهز رأسه: "لسوء الحظ، لا. أخذه الألمان في كريستيانساند، ولم نسمع عنه أي شيء منذ ذلك الحين. لكن كل ما نعرفه هو أنه ربما...".

"لا بابا. لا أصدق ذلك". وامتلأت عينا إلسي بالدموع، وأحسّت بالإحراج، فركضت بسرعة إلى الأعلى إلى غرفتها، وهي لا تصدق أنها أذلت نفسها ووالديها بهذه الطريقة؛ فقد بكت مثل طفلة أمام شخص غريب.

سأل النروجي: "هل تعرف ابنتك أكسيل هذا؟". وبدا قلقاً.

فقال إيلوف متنهداً: "إنها صديقة أخيه الأصغر. وكان الأمر صعباً على إيريك، وعلى كل عائلة أكسيل

مرّت سحابة أمام عينَي هانس، ثم قال:"تأثر العديد من الأشخاص بشكل مؤلم

بهذه الحرب".

فأحس إيلوف أن هذا الصبي رأى أشياء لا يفترض بشخص في مثل عمره أن يراها.

لذا، سأله بحذر: "ماذا عن عائلتك؟". كانت هيلما واقفة أمام المجلى تجفف طبقاً، لكنها توقفت عما تقوم به عند سماعها سؤال زوجها.

أجاب هانس أخيراً مثبتاً عينيه على الطاولة: "لا أعرف أين هم. عندما تنتهي الحرب، إذا انتهت يوماً، فسأعود للبحث عنهم. وحتى ذلك الحين، لا أستطيع العودة إلى النروج".

نظرت هيلما إلى إيلوف من فوق رأس الفتى الأشقر. وبعد إجرائهما محادثة صامتة، مرتكزة حصراً على تبادل النظرات، توصلا إلى اتفاق، فتنحنح إيلوف قائلاً:

"حسناً، نحن نؤجر منزلنا عادة لزوار الصيف، ونعيش في غرفة في الطابق الأرضي أثناء وجودهم هنا. لكن هذه الغرفة تبقى شاغرة بقية السنة. يمكنك ربما... البقاء هنا لبعض الوقت والاستراحة قبل أن تقرر ما الذي تريد فعله لاحقاً. أستطيع ربما العثور لك على عمل أيضاً. قد لا يكون عملاً بدوام كامل، ولكنه سيكون كافياً على الأقل لتأمين المال في جيبك. عليّ أولاً إبلاغ شرطة المنطقة بأنني أحضرتك إلى البلد، لكنني إذا وعدتهم بالاهتمام بك، فلا يفترض أن تكون هناك أية مشكلة".

قال هانس: "شرط أن تسمح لي بدفع الإيجار من المال الذي أجنيه". ونظر إلى إيلوف بمزيج من الامتنان والذنب.

فنظر إيلوف إلى هيلما مجدداً وأومأ برأسه.

"لا مشكلة في ذلك. فنحن نرحب بأي إسهام مادي في أوقات الحرب هذه".

قالت هيلما وهي ترتدي معطفها: "سأنزل إلى الأسفل وأرتب لك الأشياء".

فقال الصبي بلكنته النروجية: "لا أستطيع شكركما بما يكفي. فعلاً، لا أستطيع". وأخفض رأسه، وإنما ليس بسرعة كبيرة، فلمح إيلوف الدموع تتلألأ في عينيه.

فقال محرجاً: "ليس هذا شيئاً مهماً. ليس مهماً".

* * *

"النجدة!".

ذهلت إيريكا عندما سمعت الصراخ الصادر من الأعلى، فأسرعت باتجاه مصدر الصوت، وصعدت بضع درجات دفعة واحدة.

وصرخت: "ما المشكلة؟". لكنها تجمدت في مكانها عندما لمحت وجه آنا غريتا التي وقفت قرب باب إحدى الغرف. اقتربت إيريكا أكثر، ثم شهقت بصوت عالٍ عندما رأت السرير المزدوج أمامها.

قال آنا غريتا منتحبة: "بابا"، ثم دخلت الغرفة. وبقيت إيريكا عند الباب، غير واثقة مما تنظر إليه أو مما يجدر بها فعله.

كررت آنا غريتا: "بابا".

استلقى هيرمان على السرير محدقاً إلى السقف، ولم يتفاعل مع صراخ ابنته. وكانت بريتا مدّدة قربه على السرير، وقد بدا وجهها شاحباً ومتصلباً، ولا شك في أنها ميتة. استلقى هيرمان بالقرب منها، وطوّق جثتها بذراعيه بقوة.

قال بصوت منخفض: "لقد قتلتها".

شهقت آنا غريتا قائلة: "ما الذي تقوله بابا؟ طبعاً لم تقتلها!".

فكرر: "قتلتها". وعانق زوجته الميتة بقوة أكبر.

توجّهت ابنته صوب السرير وجلست قربه، وحاولت إفلات قبضته عن جسد أمها بحذر، ونجحت بعد محاولات عدة. وربّتت على جبينه فيما تحدثت إليه.

"بابا، ليست غلطتك. لم تكن ماما بصحة جيدة. لا بد أن قلبها استسلم. ليست غلطتك. عليك أن تفهم ذلك".

كرر: "أنا من قتلها". وحدّق إلى بقعة في السقف.

استدارت آنا غريتا صوب إيريكا قائلة: "هل يمكنك الاتصال بسيارة إسعاف من فضلك؟".

فترددت إيريكا ثم سألتها: "هل يجدر بي الاتصال بالشرطة أيضاً؟".

فأجابتها آنا غريتا بحدّة: "بابا في حالة صدمة، وهو لا يعرف ما يقوله. لا نحتاج إلى الشرطة". ثم استدارت نحو والدها وأمسكت يده.

"سأهتم بكل شيء بابا. سأتصل بماغان وبريجيتا، وسوف نساعدك جميعاً.

نحن هنا من أجلك".

لم يجب هيرمان، وإنما بقي هناك من دون حراك، سامحاً لها بالإمساك بيده، ولكن من دون الضغط عليها في المقابل.

نزلت إيريكا إلى الأسفل، وأخذت هاتفها الخلوي. توقفت هنيهة قبل أن تطلب رقم هاتف.

"مرحبا مارتن، أنا إيريكا. زوجة باتريك. حسناً، أعتقد أننا نحتاج إلى مساعدتك هنا. أنا في منزل بريتا جوهانسون، وهي ميتة. يقول زوجها إنه قتلها. يبدو أن الوفاة ناجمة عن أسباب طبيعية، لكن... أوه، حسناً. سأنتظر هنا. هل ستتصل بسيارة إسعاف، أم يجدر بي أنا فعل ذلك؟ حسناً".

أنهت إيريكا المحادثة على أمل ألا تكون قد ارتكبت خطأ غبياً. يبدو طبعاً أن آنا غريتا محقة، وأن بريتا ماتت ببساطة خلال نومها. لكن، لماذا يستمر هيرمان بالقول إنه قتلها؟ وبالإضافة إلى ذلك، إنها مصادفة غريبة أن يموت فجأة شخص جديد من أصدقاء طفولة أمها؛ بعد أشهر قليلة فقط على موت إيريك. لا، لقد فعلت الشيء الصحيح.

صعدت إيريكا إلى الأعلى.

قالت: "اتصلت طلباً للمساعدة. هل من شيء آخر أستطيع فعله؟".

"هل يمكنك تحضير بعض القهوة؟ سأرى إذا كان بوسعي إقناع بابا بالنزول إلى الأسفل

سحبت آنا غريتا هيرمان برفق لجعله في وضعية الجلوس.

"حسناً بابا، هيا بنا الآن. فلننزل إلى الأسفل ولننتظر سيارة الإسعاف".

ذهبت إيريكا إلى المطبخ، وفتشت في الخزانات عما كانت تحتاج إليه، ثم باشرت في تحضير إبريق كبير من القهوة. بعد دقائق قليلة، سمعت صوت خطوات على السلالم، ورأت بعدها آنا غريتا وهي ترافق هيرمان إلى الغرفة. قادته صوب كرسي في المطبخ، فأرخى نفسه عليه مثل كيس طحين.

قالت آنا غريتا بقلق: "أتمنى أن يملك رجال الإسعاف شيئاً لتهدئته. لا بدّ أنه مستلقٍ قربها منذ البارحة. لا أفهم لماذا لم يتصل بنا!".

ترددت إيريكا ثم قالت: "لقد... لقد أبلغت الشرطة أيضاً. أنا واثقة من أنك محقة، لكنني شعرت أنه يجدر بي فعل ذلك. لم أستطع..." وفشلت في إيجاد الكلمات الصحيحة، فحدّقت إليها آنا غريتا كما لو أنها فقدت صوابها.

"اتصلت بالشرطة؟! هل تظنين أن والدي كان جدياً؟! هل أنت مجنونة؟! إنه مصدوم بعدما وجد زوجته ميتة، وعليه الآن أن يجيب عن أسئلة الشرطة؟ كيف تجرؤين؟". وتقدمت آنا غريتا صوب إيريكا التي كانت تمسك بإبريق القهوة، لكن جرس الباب رنّ حينها.

قالت إيريكا: "لا بدّ أنهم وصلوا". وأبقت عينيها منخفضتين فيما وضعت إبريق القهوة جانباً قبل أن تتوجه إلى الردهة الأمامية.

وعندما فتحت الباب، كان مارتن أول شخص رأته.

أومأ برأسه برزانة وقال: "مرحباً إيريكا"

أجابت بهدوء: "مرحباً". ووقفت جانباً. ماذا لو كانت مخطئة؟ ماذا لو كانت تعرّض رجلاً حزيناً لعذاب غير ضروري. لكن الوقت فات على ذلك الآن.

قالت: "بريتا في الأعلى؛ في غرفة النوم". ثم أومأت في اتجاه المطبخ وتابعت: "زوجها موجود هنا، مع الابنة. هي التي اكتشفت... يبدو أنها ميتة منذ بعض الوقت".

قال مارتن: "حسناً، سوف نلقي نظرة" وأشار إلى باولا للدخول مع رجال الإسعاف. قام سريعاً بتعريف باولا على إيريكا، ثم دخل المطبخ حيث كانت آنا غريتا تضع ذراعها حول كتفَي والدها.

قالت وهي تحدق إلى مارتن: "هذا هراء. توفيت أمي في نومها، ووالدي في حالة صدمة. هل كل هذا ضروري فعلاً؟".

رفع مارتن يديه وقال: "أنا واثق من أن الأمر حصل مثلما تقولين. لكن، بعدما أصبحنا هنا الآن، سوف نلقي نظرة، ثم سننتهي من المسألة. وقد أقدّم واجب العزاء". ووجّه إليها نظرة صارمة، فأومأت برأسها على مضض.

"إنها في الأعلى. هل أستطيع الاتصال بأختيّ؟ وزوجي؟".

قال مارتن: "نعم، طبعاً". ثم توجه إلى الأعلى.

ترددت إيريكا، ثم لحقت به وبرجال الإسعاف. وقفت جانباً، وقالت لمارتن بصوت منخفض:

"جئت للتحدث إليها بشأن بعض الأمور، بمن في ذلك إيريك فرانكل. قد تكون مجرّد صدفة، لكن يبدو الأمر غريباً قليلاً، أليس كذلك؟".

نظر مارتن إلى إيريكا فيما سمح للطبيب بدخول الغرفة أولاً، ثم قال:"هل تظنين أنه يوجد رابط ما؟".

قالت إيريكا وهي تهزّ رأسها: "لا أعرف. لكنني كنت أبحث في تاريخ أمي. عندما كانت يافعة، كانت صديقة لإيريك فرانكل، وبريتا. وثمة شخص في مجموعتهم أيضاً يدعى فرانس رينغهولم".

قال مارتن وهو يبدو مذهولاً: "فرانس رينغهولم؟"

"نعم. هل تعرفه؟".

قال مارتن: "أوه، حسناً... قابلناه خلال تحقيقنا في مقتل إيريك". فيما دارت الأفكار بسرعة في رأسه.

أصرّت إيريكا: "إذاً، أليس موت بريتا فجأة أيضاً أمراً غريباً قليلاً؟ وبعد أقل من ثلاثة أشهر على مقتل إيريك فرانكل؟".

بقي مارتن متردداً وقال: "نحن لا نتحدث هنا عن شابين. أقصد، يمكن أن يحصل الكثير في مثل عمرهما؛ سكتة دماغية، نوبة قلبية، كل أنواع الأمور".

قال الطبيب من داخل الغرفة: "حسناً، أستطيع أن أؤكد لك الآن أن سبب الوفاة ليس نوبة قلبية أو سكتة دماغية". فنظر إليه مارتن وإيريكا بدهشة.

سأله مارتن: "ما هو إذاً؟". ثم دخل الغرفة، ووقف خلف الطبيب قرب بريتا، فيما فضّلت إيريكا البقاء عند الباب، لكنها مدّت عنقها لترى بصورة أفضل.

قال الطبيب: "تم خنق هذه المرأة". وأشار إلى عيني بريتا بإحدى يديه، فيما استعمل اليد الأخرى لرفع أحد جفنيها، ثم تابع: "انظر، هناك نفطات حمراء".

كرر مارتن: "نفطات حمراء؟!". من دون أن يفهم شيئاً.

"بقع حمراء في بياض العينين تظهر عندما تنفجر الأوعية الدموية الصغيرة نتيجة زيادة الضغط في الدورة الدموية. ويحصل هذا في حالات الاختناق، والخنق

وما شابه ذلك".

سألت إيريكا: "لكن، ألا يمكن أن تكون قد تعرضت إلى نوبة معينة زادت من صعوبة تنفسها؟ ألا يفضي ذلك إلى الأعراض نفسها؟"

قال الطبيب: "نعم، هذا ممكن من دون شك. لكن، بعد الفحص الأولي، لاحظت وجود ريشة في حنجرتها، ولذلك أراهن على أن هذه هي سلاح الجريمة". وأشار إلى وسادة بيضاء موضوعة قرب رأس بريتا. "قد تشير النفطات الحمراء أيضاً إلى أنه تم فرض الضغط على الحنجرة مباشرة؛ كما لو أن شخصاً ما قد استعمل يديه لخنقها. لكن تشريح الجثة سيعطينا جواباً نهائياً. غير أن ثمة شيئاً أكيداً. لن أكتب أن الوفاة حصلت نتيجة أسباب طبيعية إلا إذا أقنعني التشريح بأنني مخطئ. علينا اعتبار المكان بمثابة مسرح جريمة". ثم انتصب وغادر الغرفة بحذر.

فعل مارتن الشيء نفسه، ثم أخرج هاتفه الخلوي من جيبه للاتصال بالمحققين كي يأتوا ويجروا فحصاً شاملاً للغرفة.

وبعد أن نزل الجميع إلى الأسفل، ذهب مارتن إلى المطبخ وجلس قبالة هيرمان، فنظرت إليه آنا غريتا، وبدا العبوس على وجهها عندما رأت أن الأمور ليست مثلما يفترض بها أن تكون.

سأل مارتن: "ما اسم والدك؟".

أجابته: "هيرمان". وازداد قلقها.

فقال مارتن: "هيرمان، هل يمكنك أن تخبرني بما حصل هنا؟".

في البداية، لم يجب الرجل. وكان الصوت الوحيد المسموع في الغرفة هو صوت رجال الإسعاف الذين يتحدثون مع بعضهم بهدوء في غرفة الجلوس. ثم نظر هيرمان إلى الأعلى وقال بصوت واضح: "لقد قتلتها".

وصل يوم الجمعة ومعه طقس أواخر الصيف الرائع. فمدّد ميلبرغ ساقيه، وقام بخطوات كبيرة فيما جرّه إرنست بقوة. حتى الكلب بدا مستمتعاً بالطقس الدافئ.

قال ميلبرغ فيما كان ينتظر الكلب الذي رفع رجله فوق شجيرة: "هاي إرنست. اليوم سيذهب بابا للرقص مجدداً".

أمال إرنست رأسه، ووجّه إليه نظرة محتارة قليلاً، ثم عاد لإتمام واجباته.

وجد ميلبرغ نفسه يصفر فيما كان يفكّر في صف المساء، ويتذكر إحساسه بجسم ريتا بالقرب من جسمه. ثمة شيء أكيد، يستطيع الاعتياد على رقص السالسا هذا.

إلا أن تعابيره تجهمت عندما ابتعدت أفكاره عن الإيقاعات السريعة، لتحلّ محلّها أفكار لها علاقة بالتحقيق، أو بالأحرى، التحقيقات. لماذا لا ينعمون أبداً ببعض السلام والهدوء في هذه المدينة؟ لماذا يستمر الأشخاص في قتل بعضهم بعضاً؟ حسناً، على الأقل تبدو إحدى القضايا واضحة. فقد اعترف الزوج، وهم الآن ينتظرون نتائج التشريح للتأكد من أنها جريمة، وسيقفل حينها ملف القضية. كان مارتن مولن يقول إنه من الغريب فعلاً أن يقتل شخص لديه روابط مع إيريك فرانكل، لكن ميلبرغ لم يعلّق على الموضوع كثيراً. فحسبما فهم، كان الضحيتان مجرد صديقين في صغرهما. وكان ذلك قبل أكثر من ستين عاماً، أي قبل دهر كامل. ولذلك، لا يفترض أن تكون لذلك أي علاقة بالتحقيق في الجريمة. لا، إنها فكرة حمقاء. إلا أنه في كل الأحوال منح مولن الإذن للتحقق من الأمور، ومراجعة لوائح الاتصالات وما شابه؛ ليرى ما إذا كان بوسعه العثور على رابط. وعلى الأغلب، لن يعثر على أي شيء. لكن هذا سيسكته على الأقل.

فجأة، لاحظ ميلبرغ أن قدميه جرّتاه إلى المبنى حيث تسكن ريتا فيما كان تائهاً في أفكاره. كان إرنست يقف أمام الباب ملوّحاً بذيله بحيوية. نظر ميلبرغ إلى ساعته، فوجد أنها تشير إلى الحادية عشرة. إنه الوقت المثالي لتناول فنجان من القهوة سريعة التحضير؛ إذا كانت في المنزل. تردد هنيهة، ثم رنّ الجرس. لا جواب.

"مرحباً".

الصوت الصادر من خلفه جعله يقفز في مكانه. إنها جوهانا، وكانت تميل من جانب إلى آخر، واضعة إحدى يديها على الجهة السفلية من ظهرها.

قالت: "لا أصدّق كم هو أمر صعب الخروج في نزهة قصيرة". وبدت محبطة فيما مددت ظهرها مع تكشيرة. "سأصاب بالجنون لمجرد بقائي في المنزل منتظرة،

لكن جسمي لا يرغب أبداً في تنفيذ ما يريده عقلي ثم تنهدت، ومررت يدها فوق بطنها العملاق، وسألته وهي تبتسم ابتسامة خجولة: "أفترض أنك تبحث عن ريتا".

فقال ميلبرغ وهو يشعر بالإحراج فجأة: "أوه، حسناً، نعم... نحن... أقصد أنا وإرنست خرجنا في نزهة قصيرة، وجاء إرنست لرؤية... أوه... سينيوريتا.... حيث يمكننا..."

فقالت جوهانا والابتسامة لا تزال على شفتيها: "ريتا ليست في المنزل". يبدو أنها وجدت ارتباكه مضحكاً. "إنها تزور صديقتها هذا الصباح. لكن، إذا أردت الصعود لتناول بعض القهوة... أقصد، إذا أراد إرنست الصعود إلى الأعلى، فإن سينيوريتا في المنزل". وغمزته قبل أن تتابع: "ويمكنك البقاء معي، فأنا أشعر بالقليل من الإحباط".

قال ميلبرغ: "أوه، نعم. طبعاً" ولحق بها.

وعندما أصبحا في الشقة، جلست جوهانا على كرسي المطبخ لالتقاط أنفاسها.

فقال لها ميلبرغ: "لماذا لا تسترخين؟ أعرف أين تضع ريتا كل شيء، ولذلك سأحضر القهوة بنفسي. من الأفضل أن ترتاحي

نظرت إليه جوهانا بدهشة فيما بدأ بفتح الخزائن، وبقيت جالسة بامتنان.

قال ميلبرغ: "لا بدّ أنه ثقيل جداً" ونظر إلى بطنها فيما كان يصب الماء في إبريق القهوة.

"كلمة ثقيل لا تعبّر عنه بشكل وافٍ. أفضّل القول إن الحمل شيء صعب جداً. في البداية، شعرت بالكثير من الانزعاج لثلاثة أشهر أو أربعة، واضطررت إلى البقاء قرب الحمام في حال شعرت بالحاجة إلى التقيؤ. بعدها، مرّ شهران شعرت خلالهما أنني على ما يرام، لا بل شعرت أنني بخير بين الحين والآخر. لكن، بين ليلة وضحاها، تحوّلت إلى عملاق ضخم".

"وبعد ذلك؟".

قالت جوهانا بصرامة: "لا تذكرني وهزّت إصبعها أمامه. "لم أجرؤ على التفكير في ذلك بعد. فإذا بدأت بالتفكير في أن هناك مخرجاً واحداً فقط لهذا الطفل، فسأصاب بالذعر فعلاً. وإذا أخبرتني أن النساء أنجبن الأطفال منذ غابر

العصـور، وصمـدن ورغبـن دومـاً في إنجـاب المزيد، وبالتالـي أن الأمر ليس بهذا السوء، فقد أرغب في لكمك".

رفـع ميلبـرغ يديـه احتجاجاً وقال: "أنت تتحدثين مع شـخص لم يقترب يوماً من جناح التوليد في المستشفى

وقدّم لها القهوة ثم جلس إلى الطاولة، وقال مع ابتسامة عريضة: "من الجميل حتماً تناول الطعام الكافي لشخصين". فيما وضعت ثالث قطعة بسكويت في فمها.

فضحكـت جوهانـا وقالـت: "نعـم، هذه ميزة أسـتمتع بها كثيـراً". ثم تمددت للإمسـاك بقطعة بسـكويت أخرى، وأضافت ممازحة: "رغم أنك اعتمدت الفلسـفة نفسـها علـى مـا يبدو، مـن دون وجود الحمل كذريعة" وأشـارت إلى بطن ميلبرغ الكبير.

"سأتخلص من بطني هذا في وقت قصير بفضل الرقص وربّت على بطنه.

فقالت جوهانا وقد ابتسمت ابتسامة ودودة: "أودّ الذهاب يوماً ما لرؤيتك وأنت ترقص"

لهنيهة، ذهل ميلبرغ من وجود شخص يقدّر صحبته فعلاً، فهو غير معتاد على ذلك. لكنه بعد ذلك، أدرك بدهشـة كبيرة أنه يسـتمتع بقضاء الوقت مع كنّة ريتا. وبعدمـا أخـذ نفسـاً عميقـاً، تجرأ على طرح السـؤال الذي يؤرقـه منذ أن لبّى دعوة الغداء، حين استوعب كل الحقيقة.

"أيـن زوجـك؟ ألا يجـب أن يكون معك في هذا الوقت!؟". أحسّ أن الوقت قد لا يكون مثالياً لطرح السؤال، لكن جوهانا لم تواجه صعوبة في فهم ما يقصده. وجّهـت إليـه نظـرة حادة لبضـع ثوانٍ، وفكّرت في كيفية إجابتـه. وأخيراً، أصبحت تعابيرهـا أكثـر ليونـة بعدمـا قـررت أن الفضول هـو الدافع الوحيد لطرحه سـؤاله، فأجابته:

"إننا نواجه بعض المشاكل في زواجنا، وأرجو أن تحلّ قريباً". فقال لها: "آمل ذلك".

ثم نظر إلى ساعته. لقد حان الوقت ليعود إلى مركز الشرطة. فقد حان وقت الغـداء تقريبـاً، وهـو لا يريـد تفويتـه. نهض ورفـع الكوبين والصينيـة ووضعها في

المجلى، ثم توقف قليلاً في مكانه. وأخيراً، أخرج محفظة نقوده من جيبه الخلفي، وأخرج بطاقته المهنية وأعطاها إياها قائلاً:

"إذا احتجت إلى أية مساعدة أو... حسناً، أفترض أن باولا وريتا معك دوماً... لكن في حال..."

أخذت جوهانا البطاقة وهي تشعر بدهشة كبيرة، فيما توجّه ميلبرغ نحو الباب. لم يعرف فعلاً سبب إعطائه جوهانا بطاقته. قد تكون للأمر علاقة بالإحساس الذي انتابه عندما ركل الطفل يده حين وضعها على بطنها.

نادى فجأة: "إرنست، تعال إلى هنا". فسار الكلب أمامه. ثم أغلق الباب خلفهما، من دون أن يقول وداعاً.

كان مارتن يحدّق إلى لوائح الاتصالات. إذ لم تكشف عن أي شيء لتأكيد إحساسه الباطني، لكنها لم تناقضه. فمباشرة قبل مقتل إيريك فرانكل، اتصل أحدهم من منزل بريتا وهيرمان بمنزل فرانكل. ثمة اتصالان بالرقم على اللائحة. وهناك اتصال آخر قبل يومين فقط؛ مما يشير إلى أن بريتا أو هيرمان اتصل بأكسيل. وثمة اتصال أيضاً برقم فرانس رينغهولم.

حدّق مارتن إلى خارج النافذة، ثم أرجع كرسيه إلى الخلف ورفع قدميه على مكتبه. لقد خصّص كل الصباح لمراجعة المستندات والصور الفوتوغرافية وكل المواد الأخرى التي جمعوها أثناء التحقيق في موت إيريك. وقرر عدم الاستسلام قبل العثور على رابط بين الجريمتين. لكن، لغاية الآن، لا يوجد أي شيء. باستثناء هذه الاتصالات الهاتفية.

أحس مارتن بالإحباط، فرمى اللوائح على مكتبه. فقد شعر أنه وصل إلى طريق مسدود، وعرف أن ميلبرغ أعطاه الإذن للبحث في الظروف المحيطة بموت بريتا فقط لإسكاته. فكما هي حال الجميع، كان ميلبرغ مقتنعاً أن الزوج هو المذنب. لكنهم لم يتمكنوا لغاية الآن من استجواب هيرمان. فحسب الأطباء، لا يزال في حالة صدمة عميقة، وتم إدخاله إلى المستشفى. إذاً، عليهم الانتظار إلى أن يقول الأطباء إنه أصبح قوياً بما فيه الكفاية لتحمل الاستجواب.

المسألة كلها فوضوية، ولا يعرف مارتن أي اتجاه يجب عليه أن يسلك. حدّق إلى ملف القضية المشتمل على مستندات التحقيق كما لو أنه يتوسل إليها لتنطق بشيء، ثم خطرت له فكرة.

طبعاً، لماذا لم يفكر بها من قبل؟

بعد خمس وعشرين دقيقة، وصل إلى منزل باتريك وإيريكا. وكان قد اتصل مسبقاً ليخبر باتريك أنه قادم، وللتأكد من وجود زميله في المنزل. فتح باتريك الباب بعد أول رنّة، حاملاً ماجا بين ذراعيه. فبدأت فوراً تلوّح بيديها عندما رأت من يقف عند عتبة الباب.

قال مارتن: "مرحباً صغيرتي ولوّح لها بيديه، فاستجابت بتمديد ذراعيها نحوه. وبما أنها رفضت الابتعاد عنه، وجد نفسه جالساً على الأريكة وماجا على حضنه، فيما جلس باتريك على الكرسي الهزاز، وقد انكبّ على الأوراق والصور وهو يربّت على ذقنه شارداً.

سأل مارتن فيما كان ينظر حوله: "أين إيريكا؟"

قال باتريك: "مم؟ أوه، لقد ذهبت إلى المكتبة قبل بضع ساعات للقيام بالمزيد من الأبحاث بشأن كتابها الجديد".

أجاب مارتن: "فهمت". ثم عاد لتسلية ماجا كي يتمكن باتريك من قراءة كل شيء من دون أي إزعاج.

وأخيراً، سأله باتريك وهو ينظر إلى الأعلى: "إذاً، هل تظن أن إيريكا محقة؟ وهل توافق على وجود رابط بين الجريمتين؟".

صمت مارتن هنيهة قبل أن يومئ برأسه: "نعم. لا أملك أي دليل ملموس بعد، لكن إذا كنت تسألني عن رأيي، فإنني أقول إنني مقتنع بوجود رابط معين".

أومأ باتريك برأسه وقال: "حسناً، إنها بلا شك مصادفة غريبة" ثم مدد ساقيه. "هل سألت أكسيل فرانكل وفرانس رينغهولم عن الاتصالات الهاتفية التي تلقياها من منزل بريتا وهيرمان؟".

هزّ مارتن رأسه مجيباً: "لا، ليس بعد. أردت التحدث إليك أولاً؛ للتأكد من أنني لست مجنوناً لأنني أبحث عن أمر آخر فيما يوجد لدينا مشتبه به اعترف

بارتكابه الجريمة".

قال باتريك. "زوجها. حسناً... السؤال هو: لماذا يقول إنه قتلها إذا لم يكن قد فعل ذلك؟".

"لا أعرف. ربما لحماية شخص آخر؟" وهزّ مارتن كتفه.

"ممم... تابع باتريك تصفح المستندات الموجودة على الطاولة الصغيرة، ثم سأله:

"ماذا عن التحقيق في مقتل إيريك؟ هل أحرزتم أي تقدم؟".

قال مارتن: "حسناً، لا أسميه تقدماً فعلاً" وبدا محبطاً فيما جعل ماجا تقفز على ركبته. "تعمل باولا على معرفة المزيد بشأن جمعية أصدقاء السويد، وتحدثنا مع كل الجيران، لكن ما من أحد يذكر رؤيته أي شيء خارج عن المألوف. منزل الأخوين فرانكل يقع في منطقة معزولة جداً، حيث لا نملك أي أمل تقريباً في أن يكون أي شخص قد لاحظ أي شيء. وهذا ما حصل لسوء الحظ. هذا كل ما نملكه". وأشار إلى المستندات الموزعة مثل المروحة على الطاولة أمام باتريك.

"ماذا عن أموال إيريك؟" وتصفّح الأوراق، ثم سحب ورقة من القعر. "هل من أمر غريب؟".

"لا، ليس تماماً. مجرد فواتير عادية، وبعض السحوبات الصغيرة. هذا النوع من الأمور

"ألم يتم إدخال أو سحب مبالغ كبيرة؟" وتأمل باتريك عمود الأرقام.

"لا. الشيء الوحيد الذي لفت انتباهنا هو التحويل الشهري الذي كان إيريك يجريه. ويقول المصرف إنه يسدد هذا المبلغ منذ خمسين عاماً تقريباً".

ذهل باتريك، وحدّق إلى مارتن متسائلاً: "منذ خمسين عاماً؟! هل كان يحوّل المال إلى شخص أو شركة؟".

قال مارتن: "إلى شخص في غوتبورغ على ما يبدو. الاسم موجود على إحدى قصاصات الأوراق في الملف. نحن لا نتحدث عن مبالغ كبيرة من المال. ولا شك في أن المبالغ ازدادت على مرّ السنوات، لكن الدفعات الأخيرة بلغت قرابة ألفي كرونر، وليس هذا بالمبلغ الكبير. أقصد، لا يمكن أن يكون الأمر ابتزازاً أو

ما شابه، فمن الذي سيستمر في دفع مبلغ من المال طوال خمسين عاماً؟".

أحسّ مارتن كم بدت حجته ضعيفة، وأحسّ بنفسه يضرب جبينه بيده. كان يجدر به التحقق من هذه التحويلات. حسناً، لكن الوقت لم يفت بعد. قال: "أستطيع الاتصال به اليوم ومعرفة الحقيقة". ونقل ماجا إلى ركبته الأخرى.

بقي باتريك صامتاً هنيهة ثم قال: "هل تعرف أمراً؟ أحتاج إلى الخروج من المنزل". وفتح ملف القضية وأخرج قصاصة الورق. "ويلهيلم فريدن. يبدو أنه الشخص الذي كان يتلقى المال. أستطيع الذهاب إلى هناك غداً والتحدث معه شخصياً". ثم لوّح بقصاصة الورق وسأل: "هل هذا هو عنوانه الحالي؟".

قال مارتن: "نعم. حصلت على هذا العنوان من المصرف. لذا، يفترض أن يكون العنوان الحالي

"جيد. سأذهب إلى هناك غداً. قد تكون المسألة حساسة، ولذلك أعتقد أن الذهاب إلى هناك أفضل من الاتصال هاتفياً".

قال مارتن: "حسناً. إذا كنت ترغب في فعل ذلك، فأنا ممتن لك فعلاً. ماذا عن...؟". وأشار إلى ماجا.

فأجاب باتريك موجهاً ابتسامة كبيرة إلى ابنته: "أستطيع اصطحابها معي، ثم سنمرّ لزيارة العمة لوتا والأقارب أيضاً، أليس كذلك حبيبتي؟ ستكون رؤية الأقارب ممتعة".

صفقت ماجا بيديها دليل موافقة.

سأل باتريك وهو يشير إلى الملف: "هل أستطيع الاحتفاظ بهذا لبضعة أيام؟" توقف مارتن للتفكير في الأمر. إنه يملك نسخاً عن معظم المستندات، ولا مشكلة في ذلك.

"حسناً، احتفظ به. وأبلغني إذا اكتشفت أي شيء آخر تظن أنه يجدر بنا التحقق منه. وفيما أنت تتحقق من الأمور في غوتبورغ، سأتحدث مع فرانس وأكسيل لمعرفة سبب اتصال هيرمان أو بريتا بهما".

"لا تسأل أكسيل عن المدفوعات في الوقت الراهن. ليس قبل أن أحصل على بعض المعلومات".

"طبعاً".

قال باتريك: "لا تيأس فيما رافق وماجا ضيفهما مارتن إلى الباب لتوديعه. أنت تعرف من خبرتك كيف تجري الأمور. فسوف تظهر معلومة صغيرة عاجلاً أم آجلاً لتحلّ الأحجية كلها".

قال مارتن: "طبعاً، أعرف ذلك". لكنه لم يكن مقتنعاً. "أعتقد فقط أنه من المؤسف فعلاً أن تكون في إجازة في الوقت الحاضر؛ فقد كان بوسعنا الاستفادة من مساعدتك". وابتسم لحذف الانتقاد الذي قد يبدو في كلماته.

"صدقني، ستعيش التجربة نفسها يوماً ما. وفيما أنت تغيّر الحفاضات، سأكون في مركز الشرطة متخبطاً وسط العمل وغمز باتريك مارتن قبل إغلاق الباب خلفه.

ثم قال لماجا: "إذاً، سنذهب غداً أنا وأنت إلى غوتبورغ". وراح يراقص ابنته التي يحملها، قبل أن يتابع:

"لكن، علينا طرح الفكرة على أمك أولاً".

فأومأت ماجا برأسها دليل موافقة.

أحست باولا بالإرهاق، بالإرهاق والقرف. لقد تصفحت الإنترنت طوال ساعات عدة، بحثاً عن معلومات بشأن المنظمات السويدية المناهضة للنازية، وجمعية أصدقاء السويد تحديداً. لا يزال هناك احتمال بأن تكون لها علاقة بموت إيريك فرانكل، لكن المشكلة هي أن الشرطة لا تملك شيئاً ملموساً للارتكاز عليه. فهم لم يعثروا على أيِ رسائل تهديد، بل كل ما لديهم هو تلميحات في رسائل فرانس رينغهولم تقول إن جمعية أصدقاء السويد لا تقدّر نشاطات إيريك، وإنه لم يعد بوسع فرانس حمايته من تلك القوى. ولا يوجد أيضاً أي دليل مادي يربط أياً كان بمسرح الجريمة. فكل أفراد الجمعية وافقوا على إعطاء بصماتهم، ولكن من دون إخفاء احتقارهم؛ وذلك بالتعاون مع شرطة أوديفالا. لكن مختبر الجرائم الوطني استنتج أنه لا توجد أي تطابقات مع أي من البصمات الموجودة في مكتبة فرانكل. كما أن مسألة الأعذار المبررة لم توصلهم إلى أي شيء. لم يستطع أي

من أفراد الجمعية تقديم عذر مبرئ محكم، لكن معظمهم أعطوا أعذاراً لا تستحق المتابعة؛ إلا إذا وجدت الشرطة شيئاً ضدهم. وأكّد العديدون منهم أن فرانس كان يزور منظمة صديقة في الدانمارك خلال الأيام المحددة؛ مما أعطاه عذراً مبرئاً أيضاً. وثمة مشكلة أخرى تمثلت في أن الجمعية كبيرة جداً؛ أكبر مما تخيلتها باولا في بادئ الأمر. وبالتالي، لا يمكنهم التحقق جيداً من كل الأعذار المبرئة، وأخذ بصمات كل الأشخاص المرتبطين بجمعية أصدقاء السويد. ولهذا السبب، قرروا في الوقت الراهن تركيز انتباههم على أفراد الجمعية. ولكن، من دون التوصل إلى أي نتائج لغاية الآن.

تابعت باولا بحثها عبر الإنترنت بانزعاج. من أين جاء كل هؤلاء الأشخاص؟ ومن أين جاءت كراهيتهم؟ تستطيع أن تفهم الكراهية الموجهة ضد أشخاص محددين؛ ضد أشخاص أخطأوا بحقهم بطريقة ما. لكن، أن يكره المرء الآخرين ببساطة لأنهم من بلد مختلف، أو بسبب لون بشرتهم! هذا ما لا تستطيع استيعابه.

كرهت السفاحين الذين قتلوا والدها. كرهتهم كثيراً لدرجة أنها لن تتردد في قتلهم إذا أتيحت لها الفرصة؛ على افتراض أنهم لا يزالون على قيد الحياة. لكن كراهيتها توقفت هناك، رغم أنه كان بوسعها أن تتصاعد أكثر وأكثر. فقد رفضت الاستسلام لهذا القدر من الكراهية. وبدلاً من ذلك، حصرت حقدها على الرجال الذين حملوا الأسلحة وأطلقوا النار على جسم والدها. ولو لم تحصر كراهيتها، لكرهت في النهاية بلدها الأم. وكيف تستطيع فعل ذلك!؟ كيف تستطيع أن تكره البلد الذي ولدت فيه، وقامت فيه بخطواتها الأولى، ولعبت فيه مع الأصدقاء، وجلست على حضن جدتها، واستمعت إلى الأغاني في المساء، ورقصت على إيقاع الموسيقى أثناء الاحتفالات؟! كيف يمكنها أن تكره كل ذلك؟

لكن هؤلاء الأشخاص... تصفحت الأسماء، وقرأت عموداً تلو الآخر يزعم أنه يجب القضاء على أشخاص مثلها، أو على الأقل إرسالهم إلى موطنهم الأصلي. وهناك صور؛ معظمها من ألمانيا النازية طبعاً. صور بالأسود والأبيض رأتها مرات عديدة سابقاً.

قفزت من مكانها عندما قاطعها طرق على الباب.

"مرحباً. ماذا تفعلين؟". كان مارتن واقفاً عند الباب.

أجابت متنهدة: "أتحقق من كل المعلومات التي أستطيع إيجادها بشأن جمعية أصدقاء السويد. لكن، يوجد ما يكفي لبث الرعب في النفوس أثناء تصفح هذه المواد. هل كنت تعلم أنه توجد قرابة عشرين منظمة نازية جديدة في السويد؟ أو أن الحزب الديمقراطي السويدي فاز بإجمالي 28 مقعداً في 144 بلدية؟ إلى أين نذهب في هذا البلد!؟".

قال مارتن: "لا أعرف. لكن هذا يدعو إلى التساؤل فعلاً".

قالت باولا: "حسناً، هذا مريع جداً". ورمت قلمها، فانزلق عن المكتب وحطّ على الأرض.

قال مارتن: "يبدو أنك بحاجة إلى الحصول على استراحة من كل ذلك. كنت أفكر في التحدث مع أكسيل مجدداً، ما رأيك في مرافقتي؟".

سألت باولا: "أتريد التحدث معه حول شيء محدد؟". ونهضت للحاق بمارتن إلى المرأب.

"ليس تماماً. كنت أفكر أنه من الأفضل رؤيته مجدداً. ففي النهاية، كان الشخص الأقرب إلى إيريك، وقد عرفه أفضل من أي شخص آخر. لكن، ثمة أمر أريد سؤاله عنه أيضاً". وتوقف مارتن. "أعرف أنني الشخص الوحيد الذي يشك في وجود رابط معين مع مقتل بريتا جوهانسون. لكنّ شخصاً ما أجرى مؤخراً اتصالاً هاتفياً من منزل بريتا وهيرمان بأكسيل، بالإضافة إلى اتصال آخر في شهر يونيو؛ رغم أنه يستحيل الجزم في ما إذا كان الاتصال موجهاً إلى إيريك أو أكسيل. تصفحت للتو سجلات الاتصالات الخاصة بالأخوين فرانكل، ووجدت أنه في شهر يونيو قام أحد ما من ذلك المنزل بالاتصال ببريتا أو هيرمان؛ مرتين. وذلك قبل أن يتصل بآل فرانكل

قالت باولا وهي تثبت حزام الأمان: "على أية حال، من الأفضل التحقق. فطالما أنني أستطيع التوقف عن قراءة كل تلك المعلومات عن النازيين لبعض الوقت، فإنني أتعاون مع أية نظرية؛ مهما استغرقت من وقت".

أومأ مارتن برأسه فيما خرجا من المرأب. فقد استطاع تفهم مشاعر باولا

بصدق. لكن شيئاً ما أنبأه أن المسألة لن تستغرق الكثير من الوقت.

شعرت آنا بالصدمة طوال الأسبوع. ويوم الجمعة، أحسّت بأنها بدأت تستوعب المعلومات. أما دان فقد استوعبها بصورة أفضل. فبعد اختفاء الصدمة الأولى، راح يدندن لنفسه، ورفض بشكل قاطع كل اعتراضاتها قائلاً: "أوه، سوف ينجح الأمر، وسيكون رائعاً. طفل منا نحن الاثنين؛ هذا رائع!".

لكن آنا لم توافقه تماماً على كلمة "رائع". ليس بعد. وجدت نفسها تلمس بطنها، محاولة تخيل الكتلة الصغيرة التي في داخله. لا يمكن تحديد نوع الجنين الآن؛ لأنه لا يزال مجهرياً، لكن ذلك سيصبح ممكناً بعد أشهر قليلة فقط. ورغم أنها عاشت هذه التجربة مرتين سابقاً، إلّا أنه لا يزال يتعذر عليها فهم المسألة. وربما أكثر هذه المرة؛ لأنها بالكاد تذكر فترة حملها في إيما وأدريان. فقد تحولت تلك الذكريات إلى ضباب، حيث طغى عليها الخوف من الضرب في كل ساعة، وحتى أثناء نومها. ففي ذلك الحين، وجهت كل طاقتها لحماية بطنها، لحماية حياتها هي والجنين، من لوكاس.

هذه المرة، لن يكون الأمر كذلك. لكنها شعرت بالخوف رغم إدراكها هذه الحقيقة. هذه المرة، يفترض بها أن تكون سعيدة، ويسمح لها بأن تكون سعيدة. يفترض بها أن تكون سعيدة. ففي النهاية، هي تحب دان، وتشعر بالأمان معه، وتعرف أنه لا يفكر أبداً في إيذائها أو إيذاء أي شخص آخر. إذاً، لمَ تشعر بالخوف؟ هذا هو السؤال الذي حاولت إيجاد جواب له خلال الأيام القليلة الماضية.

"ماذا تظنين أنه سيكون؟ هل سيكون صبياً أو بنتاً؟ هل لديك أي إحساس في ما يتعلق بهذا الأمر؟". وقف دان خلفها، وطوّقها بذراعيه، وربّت على بطنها الذي لا يزال مسطحاً.

فضحكت آنا، واستمرت في تحريك الطعام؛ رغم أن ذراعَي دان أعاقتا جهودها.

"أنا في الأسبوع السابع ربما. أليس الوقت مبكراً قليلاً لنعرف ما إذا كان صبياً أو بنتاً؟". واستدارت صوبه، وقد بدت قلقة، وتابعت: "أتمنى ألا يخيب أملك إذا

لم أنجب لك صبياً؛ لأنك تعرف أن الوالد هو الذي يحدد جنس الجنين، وبما أنه لديك ثلاث فتيات، فإن الاحتمال الأكبر هو..."

"ششششش ضحك دان فيما وضع إصبعه على شفتَي آنا وقال: "سأفرح مهما كان جنس الجنين. وإذا كان صبياً، فسيكون هذا رائعاً. وإذا كان فتاة، فإن الأمر رائع أيضاً. وبالإضافة إلى ذلك... وأصبحت تعابيره جدية وهو يتابع: "أعتبر أن لديّ ابناً أصلاً: أدريان. أتمنى أن تدركي ذلك. ظننتُ أنك تعرفين شعوري عندما طلبتُ منكم جميعاً الانتقال للعيش معي؛ فأنا لم أقصد فقط الانتقال إلى هذا المنزل، وإنما قصدت هنا أيضاً". ووضع قبضة يده على صدره، مباشرة فوق قلبه، فكافحت آنا لحبس دموعها، ولكن من دون أن تنجح في ذلك؛ إذ انهمرت دمعة على وجنتها، وبدأت شفتاها ترتجفان، الأمر الذي أزعجها كثيراً. مسح دان دمعتها، ثم أمسك وجهها بين يديه ونظر إلى عينيها، وأجبرها على النظر إليه.

"إذا كانت فتاة، فحينها سيتوجب علينا أنا وأدريان أن نجمع قوانا بينكنّ أيتها النساء. لكن، كوني واثقة دائماً في أنني أعتبركم أنت وإيما وأدريان بمثابة عائلة واحدة. وأنا أحبكم أنتم الثلاثة. وأحبك أنت أيضاً، أيها الموجود في الداخل. هل تسمعني؟". وصرخ متكلماً مع بطنها.

فضحكت آنا وأجابت: "لا أظن أن الأذنين تتكونان قبل الأسبوع العشرين".

فغمزها دان وقال: "حسناً، ينمو كل أولادي باكراً جداً جداً".

قالت آنا: "ممم... هكذا إذاً؟" لكنها لم تستطع كبت ضحكتها مجدداً. وقفا هناك وهما يتبادلان القبلات، ولكنهما ابتعدا عن بعضهما عند سماعهما الباب الأمامي يفتح ثم يغلق بقوة.

نادى دان: "مرحباً، من هذا؟"

قال صوت نكد: "أنا". ودخلت بليندا، ونظرت إليهما من تحت غرّتها.

سألها دان: "كيف وصلت إلى هنا؟". وحدّق إليها بغضب.

"بالله عليك، كيف تظن أنني وصلت إلى هنا؟ تماماً مثلما غادرت؛ على متن الحافلة".

قال دان بنبرة متوترة: "تحدثي معي بتهذيب، أو لا تتحدثي على الإطلاق".

"أوه، حسناً... إذاً، أنا أفضّل..." ووضعت إصبعها على وجنتها وزعمت أنها تفكر قليلاً ثم تابعت: "حسناً، الآن أعرف. سأختار عدم التحدث معك على الإطلاق". وصعدت السلالم بسرعة متجهة إلى غرفتها، وأغلقت الباب خلفها بقوة، ثم أدارت جهاز الستيريو بأعلى صوت ممكن؛ مما جعل المنزل كله يهتزّ.

جلس دان على الدرجة السفلية، وشدّ آنا نحوه حتى صارت قربه، ثم بدأ يتحدث إلى بطنها الذي كان تماماً على مستوى فمه.

"أتمنى أن تكون قد غطيت أذنيك؛ لأن والدك سيكون عجوزاً جداً لسماع هذا النوع من الموسيقى عندما تصبح في مثل عمرها".

ربتت آنا على شعره، مبدية تعاطفها معه. وفوقهما، صدحت الموسيقى بصوت عالٍ.

فجالباكا 1944

"هل يملك أي أخبار عن أكسيل؟" لم يستطع إيريك إخفاء حماسته. وكان الأربعة قد اجتمعوا في مكانهم الاعتيادي في رابيكولين؛ قبالة المدافن مباشرة. إذ أرادوا جميعاً أن يعرفوا ما تستطيع إلسي قوله لهم بشأن الخبر الذي انتشر بسرعة البرق في البلدة؛ وهو أن إيلوف أحضر معه مقاوماً نروجياً هرب من الألمان.

هزّت إلسي رأسها قائلة: "لا. سأله بابا، لكنه قال إنه لم يسمع أي شيء عن أكسيل

شعر إيريك بخيبة أمل، وحدّق إلى صخرة الغرانيت، وركل بقعة من العشب الأخضر بحذائه.

وبعد ذلك، قال وقد تجدد الأمل في عينيه: "إنه لا يعرفه بالاسم ربما، لكننا إذا أخبرناه المزيد عن أكسيل، فقد يتذكر شيئاً ما". ليت هناك دليل فقط على أن أخاه لا يزال على قيد الحياة. البارحة، قالت أمه للمرة الأولى ما كانوا يخشونه جميعاً. فقد بكت، وكان بكاؤها مريراً أكثر من أي وقت مضى، وقالت إنه ربما مات. عندها، غضب والده وشتمها، لكن إيريك رأى الاستسلام في عينيه. حتى والده لا يصدق أن أكسيل لا يزال حياً.

قالت بريتا بحماسة: "فلنذهب للتحدث إليه". ثم نهضت ونفضت فستانها، ورفعت يدها لتمليس الثنيات.

فقال فرانس غاضباً: "أوه حسناً، ألاحظ أن قلقك على إيريك هو الذي جعلك تقفين هنا وترتبين نفسك. لم أكن أعرف أنك تحبين النروجيين! ألا يوجد عدد كافٍ من الشباب السويديين لإرضائك؟"

صار وجه بريتا أحمر اللون من شدة الغضب وقالت: "اخرس فرانس. أنت أحمق. أنا أهتم طبعاً لأمر إيريك، ومعرفة أخبار أكسيل. لكن، لا ضير أبداً في أن

أبدو محترمة".

فأجابها فرانس بفظاظة فيما شدّ فستانها: "إذاً، عليك أن تبذلي جهداً حقيقياً إذا أردت أن تبدي محترمة". أصبح وجهها أحمر أكثر فأكثر، وبدت كما لو أنها على وشك الانفجار بالبكاء. في تلك اللحظة، قالت إلسي بصوت حاد:

"توقف فرانس. أنت أحياناً تقول أشياء تافهة. توقف!".

حدّق إليها بغضب، وأصبح وجهه شاحباً، ثم وقف فجأة وركض بعيداً.

ركل إيريك بعض الحجارة المتناثرة. ومن دون أن ينظر إلى إلسي، قال بصوت منخفض: "يجدر بك الانتباه إلى ما تقولينه لفرانس. إذ ثمة شيء فيه... شيء يغلي في الداخل. مثلما أعتقد".

نظرت إليه إلسي بدهشة، متسائلة عن سبب قوله مثل هذه الأمر الغريب. لكنها عرفت في قرارة نفسها أنه محق. فهي تعرف فرانس منذ أن كانا صغيرين، لكن شيئاً ما يكبر داخله؛ شيئاً تتعذر السيطرة عليه أو ترويضه.

قهقهت بريتا: "أوه، لا تكن سخيفاً. ما من خطب في فرانس. كنا فقط... نمازح بعضنا بعضاً".

فقال إيريك: "يعميك حبك له".

عندها، ضربته بريتا على كتفه.

فقال وهو يمسك بكتفه: "هاي! لماذا فعلت هذا؟".

"لأن ما تقوله هراء. إذاً، هل تريد أن نذهب ونسأل النروجي عن أخيك أم لا؟".

وانطلقت بريتا ماشية، فيما تبادل إيريك وإلسي النظرات.

قالت: "كان في المنزل عندما غادرت. أفترض أنه لن يضرنا التحدث معه".

بعد وقت قصير، طرقت إلسي على باب الطابق السفلي برفق. فبدا هانس محرجاً قليلاً عندما فتح الباب ورآهم هم الثلاثة يقفون في الخارج.

قال: "نعم؟".

نظرت إلسي إلى الآخرين قبل أن تتكلم، ولاحظت من زاوية عينها أن فرانس قد جاء نحوهم، وتعابير أكثر هدوءاً تبدو على وجهه الآن، ووضع يديه في جيبَي

سرواله بطريقة عفوية.

"حسناً، كنا نتساءل عمّا إذا كان بوسعنا الدخول والتكلم معك قليلاً".

قال النروجي وقد وقف جانباً: "طبعاً". وغمزته بريتا بغنج حين مرّت أمامه، فيما صافحه الشابان وعرّفا عن نفسيهما. كان هناك القليل من المفروشات في الغرفة الصغيرة. جلست بريتا وإلسي على الكرسيين الوحيدين، فيما جلس هانس على السرير، وجلس فرانس وإيريك على الأرض.

قال إيريك: "الأمر يتعلق بأخي". ولمع الأمل في عينيه. "كان أخي يساعد رجالكم طوال الحرب. وقد ذهب مع والد إلسي على متن مركبه؛ أي المركب نفسه الذي جئت أنت فيه، ونقل الأغراض من وإلى بلدكم. لكن الألمان ألقوا القبض عليه قبل عام واحد في مرفأ كريستيانساند و... وصمت قليلاً قبل أن يتابع: "لم نسمع عنه أي شيء منذ ذلك الحين".

قال هانس وهو ينظر إلى عينَي إيريك مباشرة: "سألني والد إلسي عنه، لكنني أخشى القول إنني لا أعرف الاسم. ولا أذكر سماعي أي شيء عن سويدي تم إلقاء القبض عليه في كريستيانساند. لكن هناك الكثيرين منا، وساعدنا عدد لا بأس به من السويديين أيضاً".

قال إيريك بحماسة: "أنت ربما لا تعرفه بالاسم، لكنك قد تتعرف إليه بالشكل". وشبك يديه في حضنه.

"الأمر مستبعد. لكن، هيّا صِفهُ لي

وصف إيريك أخاه بأفضل ما يمكن. لم يكن الأمر صعباً جداً؛ لأن إيريك استطاع تخيل أكسيل بوضوح تام، رغم مرور عام كامل على غيابه. وفي الوقت نفسه، هناك الكثير من الأشخاص الذين يبدون مثل أكسيل، ويصعب التوصل إلى قسمات تميّزه عن بقية الفتيان السويديين الذين في مثل عمره.

أصغى هانس إلى ما قاله إيريك، ثم هزّ رأسه قائلاً: "لا، لا يبدو الشكل مألوفاً. أنا آسف فعلاً".

خاب أمل إيريك، ولفترة من الزمن، لم يتفوه أحد بكلمة. ثم قال فرانس: "إذاً، أخبرنا عن مغامراتك في الحرب. لا بدّ أنك عشت بعض التجارب

المثيرة!". ولمعت عيناه.

قال هانس: "في الواقع، لا يوجد الكثير لقوله". وبدا رافضاً قول المزيد. لكن بريتا رفضت تصديقه، وثبتت عينيها عليه، وألحت عليه لقول شيء ما- أي شيء- عما عاشه. وبعد بضعة اعتراضات إضافية، أذعن النروجي أخيراً، وبدأ يخبرهم عن الأحوال في النروج. أخبرهم عن الاحتلال الألماني، وعن معاناة رجال بلاده، وعما فعله أبناء البلد للصمود. أصغى إليه الشبان الأربعة، وهم مفتوحو الأفواه؛ إذ بدا كل شيء مثيراً جداً. لاحظوا بلا شك الحزن في عينَي هانس، وأدركوا أنه شهد من دون شك الكثير من التعاسة. لكن، رغم ذلك... وجدوا كل شيء مثيراً.

قالت بريتا متوردة: "حسناً، أعتقد أنك كنت شجاعاً جداً. إذ لا يجرؤ معظم الفتيان على فعل أمور كهذه. وحدهم أشخاص مثل أكسيل- ومثلك- يتحلون بالشجاعة الكافية للمحاربة من أجل مبادئهم".

فصرخ فرانس: "إذاً، نحن لا نجرؤ على فعل ذلك! أهذا هو رأيك؟". وبدا أكثر انزعاجاً من حقيقة توجيه بريتا نظرات الإعجاب إلى النروجي، فيما كانت تلك النظرات سابقاً مخصصة له حصراً. "سنكون أنا وإيريك شجاعين أيضاً عندما نصبح بعمر أكسيل. و... بالمناسبة، كم عمرك؟".

أجاب هانس: "بلغت السابعة عشرة". وبدا منزعجاً من توجّه كل الأنظار إليه وإلى نشاطاته، فاستدار للنظر إلى إلسي. لم تكن قد تفوّهت بأية كلمة فيما كانت تصغي إلى الآخرين، لكنها التقطت إشاراته الآن.

لذا، قالت برفق: "أعتقد أنه يجدر بنا ترك هانس ليستريح، فقد عانى كثيراً". وأشارت إلى رفاقها للتحرك. نهضوا جميعاً على مضض، وشكروه قبل أن يغادروا الغرفة. وكانت إلسي آخر من غادر، واستدارت نحوه مباشرة قبل أن تغلق الباب.

قال هانس مبتسماً ابتسامة خفيفة:"شكراً. رفقتكم كانت جميلة. لذا، يمكنكم العودة جميعاً. إلا أنني في الوقت الحاضر...

ابتسمت له: "أفهم تماماً. سنعود في وقت آخر، وسنفرح بتعريفك على البلدة. لكن، استرح الآن".

أغلقت الباب. لكن الغريب في الأمر أنها استمرت في رؤية وجهه في عقلها؛

كما لو أنه يرفض الابتعاد.

* * *

لم تكن إيريكا في المكتبة مثلما ظنّ باتريك. إذ كانت في طريقها إلى هناك حين خطرت فكرة في بالها، فأوقفت السيارة. فثمة شخص آخر كان قريباً من أمها، وصديقاً لها، ولكن ليس منذ ستين عاماً. في الواقع، كانت هي الصديقة الوحيدة التي تذكر إيريكا أنها كانت مع أمها حين كبرت هي وآنا. غريب أنها لم تفكر فيها سابقاً. لكن كريستينا فرضت حضورها بشدة بصفتها حماتها، ولذلك نسيت إيريكا أنها كانت صديقة أمها أيضاً.

وبعد أن حسمت أمرها، أدارت محرك السيارة مجدداً وتوجهت صوب تانومشيد. إنها المرة الأولى التي تقرر فيها فجأة زيارة كريستينا في المنزل. نظرت إلى هاتفها الخلوي، وفكرت في ما إذا كان يجدر بها الاتصال أولاً. ثم قررت أنها لن تفعل ذلك. فإذا كان بوسع كريستينا زيارتهم من دون إنذار مسبق، فبإمكانها فعل الشيء نفسه معها.

كانت إيريكا لا تزال منزعجة عندما وصلت، وضغطت على جرس الباب مرة واحدة فقط قبل أن تفتح الباب وتدخل المنزل.

نادت: مرحباً؟".

"من الطارق؟" جاء صوت كريستينا من المطبخ، وبدت خائفة قليلاً. وبعد قليل، ظهرت في الردهة، وقالت بنبرة متفاجئة، وهي تحدق إلى كنّتها: "إيريكا! أنت هنا!؟ هل أحضرت ماجا معك؟". ونظرت خلف إيريكا لكنها لم ترَ حفيدتها في أي مكان.

أجابت إيريكا: "لا، إنها في المنزل مع باتريك". وخلعت حذاءها ووضعته بترتيب على رف الأحذية.

قالت كريستينا وهي تبدو مذهولة: "حسناً، ادخلي. سأحضر بعض القهوة".

لحقت بها إيريكا إلى المطبخ، ونظرت إلى حماتها بتعجب. بالكاد تعرفت إليها؛ فهي لم ترَ كريستينا يوماً إلا في غاية الترتيب، ومع الكثير من مستحضرات التجميل. وعندما تأتي إلى منزلهم تكون مفعمة بالطاقة، وتتحدث من دون توقف،

وتكـون فـي حركـة مسـتمرة. إلا أنها امـرأة مختلفة تماماً في الوقـت الحاضر. فقد ارتدت قميص نوم قديماً وبالياً؛ رغم أن الساعة أصبحت متقدمة من فترة قبل الظهر، كما أنهالم تكن متبرجة. وهذا ما جعلها تبدو أكبر سناً، وأظهر التجاعيد والخطوط الجلية على وجهها. وهي لم ترتب شعرها أيضاً، فبدا ملتصقاً برأسها نتيجة النوم.

قالت كريسـتينا كما لو أنها قرأت أفكار إيريكا: "لا بد أن شـكلي فوضوي". ومررت يدها في شعرها. "لكن الأمر لا يستحق أن أرتدي كل ملابسي إذا لم أكن أفعل شيئاً مميزاً ولم أكن أريد الذهاب إلى أي مكان".

فقالـت إيريـكا: "لكـن، يبدو لي دائماً أنك تملكيـن جداول مواعيد مزدحمة". وجلست إلى الطاولة.

في البداية، لم تقل كريستينا أي شيء، وإنما وضعت فقط كوبين على الطاولة بالإضافة إلى بعض البسكويت.

ثم قالت أخيراً حين سـكبت القهوة في الكوبين: "ليس التقاعد بعد أن يعمل المرء طوال حياته أمراً سهلاً. فالجميع مشغولون بحياتهم الخاصة. أعتقد أن هناك بعض الأمور التي أستطيع إنجازها، لكنني لم أشعر...". ومدت يدها لتناول قطعة بسكويت متفادية نظرات إيريكا.

"لكـن، لمـاذا تخبريننـا دومـاً أنـك تملكيـن الكثيـر مـن الأمور لفعلهـا طوال الوقت!؟".

""أوه، أنتم الشـباب لديكم حياتكم الخاصة، ولا أريد أن يشـعر أي منكم أنه عليـه الاهتمـام بـي. الله وحـده يعلم أننـي لا أريد أن أكون عبئاً عليكم. وأعرف أن زياراتـي لكـم ليسـت دومـاً محـط ترحيب، ولذلـك رأيت أنه من الأفضـل أن...". وصمتت، فيما حدّقت إليها إيريكا بذهول. نظرت كريستينا إلى الأعلى، ثم تابعت: "إذا أردت أن تعرفـي، فأنـا أعيـش لأجل السـاعات التي أقضيها معكما ومع ماجا. فلوتا تملك حياتها الخاصة في غوتبورغ، ولا يسـهل عليها دوماً أن تأتي إلى هنا، كما لا يسهل عليّ أن ذهب إلى هناك أنا أيضاً؛ إذ لا توجد مساحة كافية في منزلهم. ومثلما قلت لك، أعرف أن زياراتي لكم ليست دوماً محط ترحيب". ونظرت بعيداً مرة أخرى، فشعرت إيريكا بالخجل من نفسها، وقالت برفق: "عليّ الاعتراف بأنها

غلطتي. لكنك دوماً محط ترحيب. فأنت وماجا تستمتعان معاً كثيراً. لكن الشيء الوحيد الذي نطلبه هو أن تحترمي خصوصيتنا. فذاك منزلنا، ولكننا نرحب بك كزائرة. لذا، سنقدّر، أو بالأحرى، سأقدّر إذا اتصلت مسبقاً للتأكد من أن الوقت مناسب للزيارة قبل أن تأتي إلينا. أرجوك، لا تدخلي المنزل من دون إنذار. وبحق الله، لا تخبرينا كيف يجدر بنا إدارة المنزل أو الاهتمام بطفلتنا. إذا استطعت الالتزام بهذه القواعد، فبإمكانك المجيء متى أردت. وأنا واثقة من أن باتريك سيفرح كثيراً إذا ساعدته خلال إجازة الأبوّة".

قالت كريستينا: "نعم، أعتقد ذلك. كيف حاله؟". وضحكت وقد ظهر لمعان في عينيها.

قالت إيريكا: "واجه بعض الصعوبة في البداية". وأخبرت كريستينا كيف قام باتريك باصطحاب ماجا إلى مسرح جريمة وإلى مركز الشرطة، ثم تابعت: "لكنني أعتقد أننا اتفقنا الآن حول ما هو مهم".

قالت كريستينا: "آهٍ من الرجال! أذكر عندما أراد لارس البقاء في المنزل مع لوتا للمرة الأولى. كان عمرها سنة واحدة تقريباً، وأردت الخروج للتسوق بمفردي. مرّت عشرون دقيقة فقط قبل أن يأتي إليّ مدير المتجر ليقول إن لارس قد اتصل به، وقال له إنه واجه أزمة ما وعليّ العودة إلى المنزل. وهكذا، تركت كل أغراضي وأسرعت إلى المنزل. ولا شك في أنها كانت أزمة".

سألت إيريكا بعينين مفتوحتين على اتساعهما: "حقاً؟! ماذا حصل؟".

"حسناً، اسمعي، ظنّ خطأ أن فوطي الصحية هي حفاضات لوتا، ولم يجد طريقة منطقية لتثبيتها. وعندما عدت إلى المنزل وجدته يحاول تثبيتها بواسطة شريط لاصق".

قالت إيريكا متعجبة: "أنت تمزحين!". وضحكتا كلتاهما.

"تعلّم بعد فترة. كان لارس والداً جيداً لباتريك ولوتا عندما كبرا. لا أستطيع التذمر. لكن تلك الأوقات كانت مختلفة".

انتهزت إيريكا الفرصة لتحويل المحادثة إلى سبب زيارتها الأساسي وقالت: "بالحديث عن تلك الأوقات، كنت أجري بعض الأبحاث عن حياة أمي، وطفولتها،

وما شابه ذلك. فقد وجدت بعض الأغراض العتيقة الخاصة بها في العلية، بما في ذلك بعض دفاتر اليوميات؛ والتي دفعتني إلى التفكير في ماضيها".

سألت كريستينا وهي تحدق إلى إيريكا باستغراب: "دفاتر يوميات! ما الذي يوجد فيها؟". وكانت نبرة صوتها حادة، فنظرت إيريكا إلى حماتها بدهشة.

"لسوء الحظ، ما من شيء مهم. معظمها أخبار مراهقة. لكن المضحك في الأمر أن هناك الكثير من الأخبار عن أصدقائها في تلك الحقبة. إيريك فرانكل، وبريتا جوهانسون، وفرانس رينغهولم. والآن، قتل اثنان منهما؛ إيريك وبريتا، خلال فارق أشهر قليلة. قد تكون تلك مجرد صدفة، لكن الأمر غريب".

كانت كريستينا لا تزال تحدق إليها بدهشة، ثم سألت: "بريتا ماتت؟!". وبدا جلياً أنها تواجه صعوبة في استيعاب الخبر.

"نعم، ألم تسمعي بالخبر؟ ظننت أنك عرفت. وجدتها ابنتها ميتة قبل يومين، ويبدو أنها ماتت نتيجة الاختناق. ويقول زوجها إنه قتلها".

سألت كريستينا: "إذاً، هل مات إيريك وبريتا؟" وكانت الأفكار تدور في رأسها بسرعة.

فسألتها إيريكا: "هل عرفتهما؟".

هزّت كريستينا رأسها مجيبة: "لا. عرفتُ فقط ما أخبرتني إياه إلسي عنهما".

سألتها إيريكا وهي تنحني إلى الأمام: "ما الذي أخبرتك إياه؟ لهذا السبب بالضبط جئت إلى هنا. لأنك صديقة والدتي منذ أعوام طويلة. لذا، فكرت في أنك تعرفين أشياء عنها. ما الذي أخبرتك إياه عن تلك الأعوام؟ ولماذا توقفت فجأة عن كتابة مذكراتها عام 1944؟ أم إن هناك دفاتر يوميات أخرى في مكان ما؟ هل أخبرتك ماما عنها يوماً؟ في الدفتر الأخير، تحدثت عن نروجي جاء للإقامة معهم، واسمه هانس أولافسن. وجدت قصاصة جريدة تشير إلى أنهم- هم الأربعة- كانوا يقضون الكثير من الوقت معاً. ماذا حدث له؟". وتسارعت الأسئلة بوتيرة كبيرة؛ لدرجة أن إيريكا أيضاً واجهت صعوبة في استيعابها. جلست كريستينا قبالتها لفترة من الزمن من دون التفوه بكلمة، وهناك تعبير صدمة يبدو على وجهها.

وأخيراً، قالت: "لا أستطيع الإجابة عن أسئلتك، لا أستطيع. الشيء الوحيد

الذي أستطيع قوله لك هو ما حصل لهانس أولافسن. فقد أخبرتني إلسي أنه عاد إلى النروج مباشرة بعد انتهاء الحرب. وبعد ذلك، لم تره مجدداً قطّ".

ترددت إيريكا، وهي غير واثقة من كيفية طرح السؤال: "هل كانا... هل كانت تحبه؟".

لم تتحدث كريستينا لوقت طويل، ومررت إصبعها على شرشف الطاولة، وهي تفكر في ما يجدر بها قوله. وأخيراً، نظرت إلى إيريكا قائلة: "نعم، كانت تحبه".

كان يوماً رائعاً. لم يفكر أكسيل في مثل هذه الأشياء منذ زمن طويل جداً. بالفعل، ثمة أيام أفضل من أيام أخرى. وهذا اليوم واحد منها. في الحد الفاصل بين الصيف والخريف، مع نسمة رقيقة دافئة. لقد خسر الضوء وهج الصيف، وبدأ يتخذ طابع الخريف. إنه يوم رائع فعلاً.

ذهب إلى النافذة المطلة على الخليج، ونظر إلى الخارج شابكاً يديه خلف ظهره. لكنه لم يرَ الأشجار في الخارج، أو العشب الذي نما وبات طويلاً جداً وبدأ يذبل مع حلول الطقس الأكثر برودة. فبدلاً من ذلك رأى بريتا؛ بريتا الجميلة والحيوية التي لم يعتبرها يوماً سوى فتاة صغيرة جداً في ذلك الحين، خلال الحرب. كانت واحدة من أصدقاء إيريك، فتاة لطيفة وإنما تافهة. لم تلفت انتباهه يوماً. فقد كانت صغيرة جداً، وكان مشغولاً في كل ما يجب فعله، وكل ما يجدر به فعله. لذا، اتخذت مكاناً جانبياً في عالمه.

إلا أنه يفكر فيها الآن، ويتذكر كيف كانت عندما رآها في ذلك اليوم؛ بعد مرور ستين عاماً. فقد تحولت إلى شخص مختلف عما كانت عليه سابقاً. تساءل أكسيل عما إذا كان قد تغيّر هو أيضاً بهذا القدر. ربما، وربما لا. فالأعوام التي أمضاها مسجوناً عند الألمان بدّلت حياته كاملة ربما، ولذلك لم ينجح في التغيّر بعد ذلك. فكل الأشياء التي رآها، والفظاعات التي شهدها غيّرت ربما شيئاً عميقاً داخله، وسبّبت له جرحاً لا يمكن شفاؤه أو تعويضه أبداً.

استرجع أكسيل وجوهاً أخرى في عقله؛ وجوه الأشخاص الذين طاردهم ونجح في الإمسك بهم. لا يحصل الأمر مثلما يبدو في الأفلام؛ خلال مطاردة

حماسية سريعة، بل تطلّب ساعات من العمل الدؤوب، وهو جالس في مكتبه، ومتبعاً من دون كلل ملفّات ترجع إلى خمسة عقود ماضية، متسائلاً عن الهويات، والمدفوعات، ولوائح الركاب، ومدن اللجوء المحتملة. وبعد ذلك، يتم إحضارهم الواحد تلو الآخر، ويتم التأكد من معاقبتهم على خطاياهم التي ترجع إلى الزمن الماضي.

لن يتمكنوا أبداً من إلقاء القبض عليهم جميعاً. عرف ذلك. إذ لا يزال العديدون منهم فارين، والمزيد والمزيد منهم على فراش الموت الآن. لكن، بدلاً من الموت في السجن؛ في الذل، ها هم يموتون بطريقة هادئة نتيجة التقدم في العمر، من دون أن تتم محاسبتهم. هذا ما أغضبه، وهذا ما جعله يرفض الاستسلام. لذا، كان دوماً يبحث، ويفتش، وينتقل من اجتماع إلى آخر، ومن أرشيف إلى آخر. فقد رفض الاستراحة طالما أن أحدهم طليق، وبإمكانه أن يساعد في إلقاء القبض عليه.

حدّق أكسيل عبر النافذة من دون أن يرى شيئاً. عرف أن الأمر أصبح هوساً لديه؛ فقد أصبح حبل نجاة يستطيع التشبث به كلما شكك في نفسه أو في إنسانيته. فطالما أنه مشغول في البحث، فهو لا يحتاج إلى أن يسأل عن هويته. وطالما أنه يعمل لخدمة القضية، فبإمكانه محو كل ذنبه؛ ببطء وإنما بطريقة أكيدة. وفقط عندما يرفض الوقوف ساكناً، يستطيع طرد كل الأمور التي لا يريد التفكير فيها.

استدار حين رُنّ جرس الباب. لم يستطع إبعاد نفسه عن تلك الوجوه الظاهرة أمام عينيه بضع لحظات. ثم أبعدها عنه، وذهب لفتح الباب.

قال أكسيل عندما لمح باولا ومارتن: "أنتما!". لهنيهة، شعر أنه منهك من شدة التعب. يبدو أن هذه المسألة لن تنتهي أبداً.

سأل مارتن بنبرة صوت ودودة: "هل نستطيع الدخول والتحدث معك لبضع دقائق؟".

قال أكسيل: "طبعاً، ادخلا". وأرشدهما إلى المصطبة قائلاً: "هل من أخبار جديدة؟ بالمناسبة، سمعت بشأن بريتا. إنه خبر فظيع. لقد رأيتها وهيرمان قبل أيام قليلة فقط. يصعب عليّ تخيل أنه قد..." وهزّ أكسيل رأسه.

قالت باولا: "نعم، الأمر مأساوي فعلاً، لكننا لن نتوصل إلى استنتاجات سريعة".

"لكنني سمعت أن هيرمان قد اعترف. أليس هذا صحيحاً؟". سأل أكسيل.

فأجاب مارتن بتردد: "حسناً، نعم. لكن، قبل أن نتمكن من استجوابه... ورفع يديه في الهواء ثم تابع: "لهذا السبب جئنا للتحدث معك".

"حسناً، رغم أنني لا أعرف كيف أستطيع المساعدة".

"ألقينا نظرة على السجلات الهاتفية؛ أعني الأرقام التي تم الاتصال بها من منزل بريتا وهيرمان. وقد ظهر رقمك في ثلاث مناسبات".

"حسناً، أستطيع إخباركما عن واحدة منها على الأقل. فقد اتصل بي هيرمان قبل أيام قليلة، وطلب مني الذهاب لرؤية بريتا. لم نكن قد تواصلنا منذ أعوام وأعوام، ولذلك بدا الأمر مفاجئاً لي قليلاً. لكن، حسبما فهمت، كانت مصابة بداء ألزهايمر، وبدا أن هيرمان رغب في أن ترى شخصاً من المرحلة السابقة؛ فقد أمل في أن يساعدها ذلك".

سألت باولا وهي تتأمله عن كثب: "ألهذا السبب ذهبت إلى هناك؟ هل ذهبت كي تتمكن بريتا من رؤية شخص من الماضي؟".

"نعم. على الأقل، هذا هو السبب الذي قاله هيرمان. طبعاً، لم نكن قريبين من بعضنا جداً في الماضي. في الواقع، كانت صديقة أخي إيريك، لكنني وجدت أنه لا ضير في ذلك. ففي مثل عمري، من الجميل دوماً التحدث عن ذكريات الماضي

"ماذا حصل أثناء وجودك هناك؟". وانحنى مارتن إلى الأمام.

"كانت صافية الذهن لبعض الوقت، وتحدثنا قليلاً عن الأيام الغابرة. لكنها ارتبكت بعد ذلك، وحسناً، لم يعد بقائي منطقياً. لذا، استأذنت وغادرت. إنها مأساة حقيقية؛ داء ألزهايمر مرض مريع".

نظر مارتن إلى ملاحظاته وقال: "ماذا عن الاتصالات الهاتفية التي حصلت في بداية شهر يونيو؟ الاتصال الأول تمّ من هاتف منزلك في الثاني من يونيو، ومن ثم ورد اتصال من بريتا أو هيرمان في الثالث من يونيو، وأخيراً اتصال آخر من هاتفهما في الرابع من يونيو

هزّ أكسيل رأسه وقال: "لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر. لا بدّ أنهما تحدثا إلى إيريك. لكنني أعتقد أن الطلب كان نفسه. ومن الطبيعي أكثر أن ترغب بريتا في رؤية إيريك؛ إذا بدأت ذاكرتها تتقهقر، وعادت إلى الماضي. فقد كانا صديقين؛ مثلما قلت سابقاً".

أصرّ مارتن: "لكن الاتصال الأول أجري من منزلك. فهل تعرف سبب اتصال إيريك بهما؟"

"مثلما قلت سابقاً، عشت أنا وأخي تحت السقف نفسه، لكننا لم نتدخل كثيراً في شؤون بعضنا بعضاً. لا أعرف أبداً السبب الذي دفع إيريك إلى الاتصال ببريتا؛ فربما أراد تجديد صداقتهما. إذ يصبح الأشخاص غرباء قليلاً كلما تقدموا في العمر. وفجأة، تبدو أشياء من الماضي البعيد أقرب وأكثر أهمية".

أدرك أكسيل أن ما قاله صحيح ما إن تفوّه به؛ فهو يسترجع الآن صور أشخاص من الماضي يتراءون أمامه. شدّ بقوة على ذراعَي الكرسي؛ فليس الوقت مناسباً ليسمح لعاطفته بالسيطرة عليه.

سأل مارتن بنبرة مشكِّكة: "إذاً، هل تظن أن إيريك هو الذي أراد رؤيتهما من أجل الصداقة القديمة؟".

فأجاب أكسيل وقد أرخى قبضتيه عن ذراعَي الكرسي: "مثلما قلت، أنا لا أملك أي فكرة على الإطلاق. لكن، يبدو هذا التبرير أكثر منطقية".

تبادل مارتن نظرة مع باولا. يبدو أنهما لا يستطيعان إحراز أي تقدم إضافي. لكنه رغم ذلك أحس أنه يحصل فقط على فتات ضئيل من شيء أكبر بكثير.

وبعدما غادرا، عاد أكسيل للوقوف أمام النافذة، وعادت الوجوه نفسها لتراقص أمامه.

"كيف جرت الأمور في المكتبة؟". أشرق وجه باتريك عندما رأى إيريكا تدخل عبر الباب الرئيس.

فقالت إيريكا، وهناك تعبير غريب على وجهها: "أوه... في الواقع، لم أذهب إلى المكتبة".

سـألها باتريـك: "إذاً، إلـى أيـن ذهبت؟". كانت ماجا مسـتغرقة في قيلولة بعد الظهر، فيما هو ينظف المكان بعد الغداء.

قالت: "ذهبت لرؤية كريستينا" ودخلت المطبخ للانضمام إليه.

قال باتريك مذهولاً: "كريسـتينا من؟ أوه، أتقصدين أمي؟ لماذا فعلت ذلك؟ مـن الأفضـل أن أتحقـق مـن أن حرارتك غير مرتفعة". وتوجّـه نحو إيريكا ووضع يده على جبينها، لكنها أبعدته عنها.

"هـاي، ليـس الأمـر بهـذه الغرابة. ففـي النهاية، إنها حماتـي، فلماذا لا أذهب لزيارتها؟".

قال باتريك ضاحكاً: "حسناً، حسناً، موافق. لماذا أردت رؤية أمي؟".

أخبرته إيريكا عن الفكرة المفاجئة التي خطرت في بالها حين كانت في طريقها إلـى المكتبـة، بشـأن صداقـة كريسـتينا مع أمها. ثـم أخبرته عن ردة فعل كريسـتينا الغريبة، وكيف كشـفت لها أن إلسـي كانت على علاقة غرامية مع النروجي الذي هـرب مـن الألمـان. قالـت إيريكا بصوت محبط: "لكنها رفضت إخباري أي شـيء آخـر؛ أو إن هـذا كل مـا تعرفـه ربما. لسـت أكيدة. لكن، يبدو أن هانس أولافسـن قد تخلى عن أمي بطريقة ما. فقد غادر فجالباكا حسبما قالته كريستينا؛ إذ أخبرتها إلسي أنه عاد إلى النروج"

سألها باتريك: "ماذا ستفعلين الآن؟" فيما وضع ما تبقى من الغداء في البراد.

قالت إيريكا وهي تتجه إلى غرفة الجلوس: "سـأتعقب أثره طبعاً. بالمناسـبة، أعتقـد أنـه يجـدر بنا دعوة كريسـتينا للمجيء يوم الأحـد؛ كي تمضي بعض الوقت مع ماجا"

فضحك باتريك وقال: "أنا واثق الآن من أنك تعانين من ارتفاع في الحرارة. لكن حسناً، سأتصل بماما وأسألها إذا كانت تودّ المجيء لشرب القهوة يوم الأحد. لكنها قد لا تتمكن من ذلك؛ فأنت تعرفين كم هي مشغولة دوماً".

"ههه". سمع الصوت ذا النبرة الغريبة الذي أصدرته إيريكا من غرفة الجلوس، وهزّ رأسه. النساء! لن يفهمهنّ أبداً. لكن هذه هي المسألة كلها ربما.

نادت إيريكا: "ما هذا؟".

ذهب باتريك ليرى ما تتحدث عنه، فوجدها تشير إلى المجلد الموضوع على منضدة القهوة. ولهنيهة، رغب باتريك في ضرب نفسه لأنه لم يخبئه قبل أن تعود إلى المنزل. لكنه يعرفها بما يكفي ليدرك أن الوقت قد فات الآن ليخبئ المسألة عنها.

فقال رافعاً إصبعه تذكيراً لها: "إنها مواد التحقيق في جريمة قتل إيريك فرانكل. ولن تخبري أحداً بأنك قرأت هذا الملف. هل اتفقنا؟".

قالت إيريكا بسرور: "حسناً، حسناً". فيما أبعدته بيدها كما لو أنه ذبابة مزعجة، ثم جلست على الأريكة وبدأت تتصفح المستندات والصور الفوتوغرافية.

بعد ساعة واحدة، انتهت من الاطلاع على كل المواد الموجودة في الملف، وعاودت قراءتها مجدداً. حاول باتريك التكلم معها مرات عدة، لكنه استسلم في النهاية بعدما عجز عن لفت انتباهها. وهكذا، جلس عوضاً عن ذلك مع جريدة الصباح التي لم يتسنَّ له الوقت لقراءتها بعد.

بعد قليل، قالت إيريكا: "أنتم لا تملكون الكثير من الأدلة المادية للمضي قدماً". فيما مررت إصبعها فوق تقرير الخبراء.

قال باتريك وهو يضع الجريدة جانباً: "لا. تبدو الأدلة ضئيلة جداً. لا توجد في المكتبة أي بصمات غير تلك العائدة إلى باتريك وأكسيل والصبيين اللذين عثرا على الجثة. ما من شيء مفقود، وآثار الأقدام لا تخص أحداً آخر أيضاً. سلاح الجريمة موضوع تحت المكتب؛ وهو سلاح كان في المكان أصلاً، إذا صح القول".

قالت إيريكا: "بتعبير آخر، ليست جريمة حصلت عن سابق تصور وتصميم، بل تم ارتكابها على الأرجح بطريقة ارتجالية".

"صحيح. إلا إذا كان أحدهم طبعاً يعرف بشأن التمثال النصفي الحجري الموجود على عتبة النافذة". وصعق باتريك مجدداً بالفكرة التي خطرت له قبل أيام قليلة، فقال لها: "أخبريني مجدداً، متى ذهبت بالضبط لرؤية إيريك فرانكل وعرضت الميدالية عليه؟".

سألته إيريكا: "ما الذي تريد أن تعرفه؟". وبدت كما لو أنها لا تزال بعيدة جداً.

"لا أعرف. قد لا يكون الأمر مهماً أبداً. لكن، من الجيد أن أعرف".

قالت إيريكا وهي لا تزال تتصفح المستندات: "كان ذلك قبل يوم واحد من زيارتنا حديقة الحيوانات في نوردنز أرك مع ماجا. هل كان ذلك في الثالث من يونيو؟ في هذه الحالة، سأكون قد زرت إيريك في الثاني من يونيو

"هل حصلت على أي معلومات بشأن الميدالية؟ هل قال أي شيء أثناء وجودك هناك؟".

قالت إيريكا: "لو فعل ذلك لكنت قد أخبرتك فور عودتي إلى المنزل. لا، لقد اكتفى بالقول إنه يريد التحقق أكثر قبل أن يخبرني أي شيء".

"إذاً، ما زلت تجهلين نوع تلك الميدالية النازية؟".

قالت إيريكا وهي تنظر إلى باتريك بطريقة شاردة: "أجل. لكن، لا بد أن أعرف الحقيقة حتماً. سأحدد غداً أين يجدر بي أن أبدأ". ووجّهت انتباهها إلى الملف مجدداً، وتأملت صور مسرح الجريمة. رفعت الصورة الموضوعة في الأعلى ونظرت إليها بتمعن.

ثم تمتمت: "يستحيل..." وبعد ذلك، وقفت وصعدت إلى الأعلى.

سألها باتريك: "ما الأمر؟". لكنها لم تجب. وبعد قليل، عادت حاملة عدسة مكبّرة.

سألها: "ماذا تفعلين؟". ونظر إلى زوجته من فوق الجريدة.

"لست واثقة. قد لا يكون هذا شيئاً، لكن... يبدو لي كما لو أن شخصاً ما قد كتب شيئاً على الدفتر الموضوع على مكتب إيريك. لا أستطيع أن أرى تماماً..." وانحنت أكثر فوق الصورة، ووضعت العدسة المكبّرة فوق بقعة بيضاء صغيرة، هي الدفتر الظاهر في الصورة.

"أعتقد أنه كُتِب... ونظرت بتمعن مجدداً، ثم تابعت: "أعتقد أنه كُتِب "Ignoto Militi

قال باتريك: "حقاً؟! وما الذي يفترض أن يعنيه هذا؟"

قالت: "لا أعرف. إنه شيء على علاقة بالأمور العسكرية مثلما أعتقد. قد لا يكون هذا شيئاً مهماً، بل مجرد خربشات". وبدت خائبة الأمل.

وضع باتريك الجريدة جانباً، وأمال رأسه وقال: "إيريكا، لقد تحدثت قليلاً

مع مارتن عندما أحضر هذا الملف إلى هنا. وقد طلب مني أن أسدي له خدمة". حسناً، ليكون صادقاً، كان هو من عرض المساعدة، لكن لا داعي لأن يخبر إيريكا بذلك. تنحنح وتابع القول: "طلب مني التحقق من شخص في غوتبورغ كان يتلقى دفعات مصرفية منتظمة من إيريك فرانكل؛ كل شهر، على مدى خمسين عاماً".

سألت إيريكا رافعة حاجبيها: "خمسون عاماً؟! هل كان يدفع المال لشخص ما طوال خمسين عاماً؟ ما هذا؟ أهو ابتزاز؟". ولم تستطع إخفاء حقيقة أنها وجدت الفكرة مثيرة فعلاً.

"لا أحد يعرف. قد لا يكون الأمر مهماً، لكن... حسناً، تساءل مارتن عمّا إذا كان بوسعي الذهاب إلى غوتبورغ والتحقق من الأمر

فقالت إيريكا بحماسة: "طبعاً. وسأذهب معك".

حدّق إليها باتريك مستغرباً؛ إذ لم تكن هذه هي ردة الفعل التي توقعها بالضبط.

"أوه، في الواقع، ربما..." وتلعثم فيما كان يفكّر إذا كان هناك سبب يمنعه من اصطحاب زوجته معه. ففي النهاية، هذه مجرد مهمة روتينية للتحقق من بعض المدفوعات المصرفية، ولذلك لا يفترض أن تكون هناك مشكلة.

"حسناً، تعالي معي. ثم سنمرّ ونزور لوتا كي تتمكن ماجا من رؤية أقاربها"

قالت إيريكا: "رائع!". فقد كانت تحب أخت باتريك. "وأستطيع ربما إيجاد شخص في غوتبورغ يستطيع إخباري شيئاً عن الميدالية".

"يبدو هذا ممكناً. أجري بعض الاتصالات الهاتفية بعد ظهر اليوم لتعرفي ما إذا كان بإمكانك إيجاد شخص يفهم في هذا النوع من الأمور ثم رفع الجريدة وتابع القراءة. فمن الأفضل له أن يستفيد من وقته قبل أن تستيقظ ماجا.

رفعت إيريكا العدسة المكبّرة ونظرت مجدداً إلى الدفتر الموضوع على مكتب إيريك. Ignoto Militi. ثمة شيء يتحرك في لاوعيها.

هذه المرة ، احتاج إلى نصف ساعة فقط قبل أن يتعلم الخطوات.

قالت ريتا: "أحسنت يا برتيل وضغطت على يده أكثر قليلاً. "أشعر أنك تتماشى مع الإيقاع الآن".

فقال ميلبرغ بتواضع: "لست سيئاً، أليس كذلك؟ لطالما كانت عندي موهبة الرقص

فأجابت وهي تغمزه: "نعم، صحيح. سمعتُ أنك شربت القهوة مع جوهانا". وابتسمت فيما نظرت إليه؛ وهذا أمر آخر يجده جذاباً في ريتا. إنه ليس رجلاً طويلاً، لكن بما أنها امرأة قصيرة القامة، كان يشعر أنه عملاق.

قال محرجاً: "صودف أنني مررت أمام مبناكم... ثم رأيت جوهانا، وسألتني عمّا إذا كنت أرغب في الصعود لشرب القهوة".

"آه، فهمت. صودف أنك مررت من هناك" وضحكت ريتا، فيما تابعا التمايل على أنغام موسيقى السالسا. "من المؤسف أنني لم أكن في المنزل عندما صودف مرورك. لكن جوهانا قالت إنكما أمضيتما وقتاً ممتعاً جداً".

قال ميلبرغ: "نعم، حسناً، إنها شابة لطيفة". وتذكر مجدداً إحساسه بقدم الطفل وهي تركل بطن جوهانا تحت راحة يده. "إنها فعلاً شابة لطيفة"

تنهدت ريتا وقالت: "لم يكن الوضع سهلاً على ابني وزوجته في الفترة الماضية. ولقد واجهتُ صعوبة في الاعتياد على فكرة انفصالهما حالياً؛ لكنني أعرف أن الوضع سيتحسن لدى ولادة الطفل. فقد مضت الآن عشرة أعوام تقريباً على وجودهما معاً. وحسناً، أستطيع القول بصراحة إنني لا أتخيل جوهانا مع شخص آخر. إنهما مذهلان مع بعضهما"

قال ميلبرغ بحذر: "لكن، ما سبب الخلافات بينهما؟". ولعن نفسه عندما داس على قدم ريتا.

ضحكت ريتا وأجابت: "أوه، الأسباب سخيفة فعلاً؛ فقد كنا نحن الإناث نرغب في الانتقال إلى هنا، فيما رفض ابني ذلك بسبب ما حصل في الماضي. لكننا بالطبع كنا قلقات من فكرة الانتقال، وعليّ الاعتراف بأنني تفاجأت من حسن المعاملة الذي لقيناه. ولا أعتقد أن الفتاتين واجهتا أي مشاكل لغاية الآن. لكننا سنتجاوز معاً أي محنة عندما نواجهها؛ فالفتاتان صديقتان حميمتان، وأنا أعتبر جوهانا ابنة لي. وآمل أن يتصالح ابني وزوجته قريباً". وبدت فجأة حزينة؛ كما لو أنها تحدق إلى شيء أبعد من كتف ميلبرغ. وظنّ أنه عرف ما تفكر فيه.

سألها بحذر: "ما هو الأمر الصعب الذي واجهتموه سابقاً؟ أهو الهروب؟". كان عادة يبذل كل ما بوسعه لتفادي الأسئلة الحساسة، أو يطرحها فقط حين تكون متوقعة منه، ولم يكن يبالي بالجواب مطلقاً. لكنه أراد فعلاً أن يعرف الجواب هذه المرة.

أخبرته ريتا: "كان الأمر صعباً وسهلاً في الوقت نفسه". ولاحظ في عينيها الداكنتين أنها عاشت تجارب لا يستطيع حتى تخيلها. "كان ترك ما أصبحت عليه بلادي أمراً سهلاً، لكن كان من الصعب عليّ ترك بلادي لما كانت عليه سابقاً".

لهنيهة، أضاعت إيقاع الرقص وتوقفت، فيما بقيت يداها في يدَي ميلبرغ، ثم لمعت عيناها، وسحبت يديها بعيداً وصفقت عالياً.

"حسناً، حان الوقت الآن لتعلم الخطوة التالية؛ الدوران. برتيل، ساعدني على إظهار الخطوات". أمسكت يديه مجدداً، وأظهرت له ببطء الخطوات التي يحتاج إلى تنفيذها كي يجعلها تدور تحت ذراعه. لم يكن الأمر بسيطاً، وتشابكت يداه وقدماه. إلا أن ريتا لم تفقد صبرها، بل ثابرت على تعليمه مراراً وتكراراً، إلى أن استوعب برتيل والآخرون الخطوات.

ثم قالت وهي تنظر إلى ميلبرغ: "سيكون كل شيء على ما يرام". فتساءل عما إذا كانت تعني الرقص فقط، أو شيئاً آخر أيضاً، وأمل أن يكون ما تعنيه هو الشيء الآخر.

بدأ الظلام يهبط في الخارج، وكان الشرشف على سرير المستشفى يصدر صوت حفيف كلما تحرك؛ ولذلك حاول البقاء جامداً. فقد فضّل الصمت المطبق. فهو لا يستطيع فعل أي شيء للسيطرة على الأصوات في الخارج؛ أصوات الأشخاص الذين يتحركون، وأصوات الصواني التي تطقطق. لكن هنا، يستطيع التأكد من أن المكان هادئ قدر الإمكان، وأن الصمت لا يكسره حفيف الشراشف.

حدّق هيرمان خارج النافذة. مع هبوط الظلام أكثر فأكثر، استطاع تدريجياً رؤية صورته المنعكسة على زجاج النافذة، ولاحظ كم يبدو شكله مثيراً للشفقة على السرير. فهو يبدو رجلاً عجوزاً صغير الحجم وأشيب، ذا شعر رقيق وحاجبين

سميكين، يرتدي رداء المستشفى الأبيض. كما لو أن بريتا كانت الشخص الوحيد الذي أعطاه شيئاً من السلطة. فقد أعطته كرامة ملأته، وأعطت حياته معنى. والآن، ها قد رحلت بسببه.

جاءت بناته اليوم لزيارته. اهتممن به، وعانقنه، ونظرن إليه بعيون قلقة، وتحدثن إليه بأصوات قلقة. لكنه لم يملك الطاقة للنظر إليهن. فقد خاف من أن يرين الذنب في عينيه، ومن أن يرين ما فعله، وما تسبّب به.

لقد احتفظا بالسر لوقت طويل؛ هو وبريتا. تشاركاه، وأخفياه، وكفّرا عنه. على الأقل، هذا ما اعتقده. لكن، عندما مرضت وبدأت دفاعاتها تنهار، أدرك في لحظة صفاء أنه من غير المجدي محاولة التكفير عن أي شيء. فعاجلاً أم آجلاً، سيلحق الوقت والقدر بالشخص؛ إذ يستحيل الاختباء، ويستحيل الهروب. ظنّا خطأ أنه يكفيهما أن يعيشا حياة جيدة، وأن يكونا شخصين جيدين، وأن يحبا بناتهنّ ويربياهنّ تربية جيدة كي يصبحن بدورهن قادرات على منح الحب. وأخيراً، أقنعا نفسيهما أن الأمور الجيدة التي فعلاها تغلبت على ذلك الأمر السيئ.

لقد قتل بريتا. لماذا لا يفهمون ذلك؟ عرف أنهم سيتحدثون إليه، وسيطرحون عليه الأسئلة، ويستجوبونه. لماذا لا يتقبلون الوضع؟

لقد قتل بريتا. والآن، لم يبقَ لديه أي شيء.

* * *

سألت إيريكا فيما اقتربا من غوتبورغ: "هل لديك فكرة عن هوية هذا الشخص؟ أو لماذا دفع له إيريك المال طوال تلك السنوات؟". أحسنت ماجا التصرف، وجلست على المقعد الخلفي بصمت منذ أن غادروا المنزل قرابة الثامنة والنصف، وقد أصبحت الساعة العاشرة الآن؛ وها قد وصلوا إلى المدينة.

"لا. المعلومات الوحيدة المتوافرة لدينا هي تلك التي رأيتها". وأشار باتريك إلى المستند الموجود في الملف البلاستيكي الذي كانت إيريكا تضعه على حضنها.

قرأت إيريكا بصوت عالٍ: "ويلهيلم فريدن، فاساغاتان 38، غوتبورغ. ولد في الثالث من أكتوبر عام 1924".

"هذا كل ما نعرفه. تحدثت مع مارتن قليلاً في الليلة الماضية، ولكنه لم يعثر

على أي روابط بفجالباكا، أو أي سجل جرمي. لا شيء. إذاً، إنها محاولة تقديرية لا أكثر. بالمناسبة، متى موعدك لرؤية ذلك الرجل بشأن الميدالية؟".

قالت إيريكا: "عند الظهر، في متجره لبيع التحف العتيقة". ولمست الجيب الذي وضعت فيه الميدالية، ملفوفة في فوطة ناعمة.

سألها باتريك: "هل تريدين أن تبقي أنت وماجا في السيارة فيما أتحدث مع ويلهيلم فريدن، أم تفضلين القيام بنزهة؟". فيما ركن السيارة في مرأب في فاساغاتان.

فقالت إيريكا وهي تشعر بالإهانة: "ماذا تقصد؟ أريد الذهاب معك طبعاً"

"لكن، لا يمكنك فعل ذلك. ماذا عن ماجا؟". أجاب باتريك مستغرباً رغم معرفته مسبقاً إلى أين سيفضي هذا الحديث، وكيف سينتهي.

قالت: "إذا كنت قد أخذتها سابقاً إلى مسرح الجريمة وإلى مركز الشرطة، فبإمكانها إذاً المجيء معنا للتحدث إلى رجل عمره أكثر من ثمانين عاماً". وأوضحت نبرة صوتها أنه لا مجال أبداً للمناقشة.

فقال باتريك متنهداً: "حسناً" إذ كان يعرف متى يكون مهزوماً.

كانت الشقة تقع في الطابق الثالث من مبنى قديم جداً. وأجاب على جرس الباب رجل في العقد السادس من عمره. وجّه إليهما نظرة استفسار فيما فتح الباب. "نعم؟ هل أستطيع مساعدتكما؟".

رفع باتريك بطاقة الشرطة وقال: "اسمي باتريك هيدستورم، وأنا من شرطة تانومشيد. وأريد طرح بعض الأسئلة المتعلقة برجل اسمه ويلهيلم فريدن".

"من هذا؟". وسمعا صوتاً أنثوياً خفيفاً يصدر من داخل الشقة، فيما استدار الرجل وصرخ. "رجل مِنَ الشرطة، ويريد طرح بعض الأسئلة عن بابا!".

واستدار نحو باتريك وقال: "لا أتخيل أبداً سبب اهتمام الشرطة بأبي. لكن، هيا ادخلا"

وقف جانباً للسماح لهما بالدخول، ثم رفع حاجبيه بدهشة عندما رأى ماجا بين ذراعَي إيريكا.

وقال مازحاً: "تبدأ الشرطة بتمرين عناصرها في وقت مبكر هذه الأيام".

فابتسم باتريك محرجاً وقال: "هذه زوجتي، إيريكا فالك، وابنتنا ماجا. إنهما... أوه... لدى زوجتي اهتمام شخصي بالقضية التي نحقق فيها، و...". توقف عن الكلام؛ إذ لا توجد على ما يبدو طريقة جيدة لشرح سبب قيام رجل شرطة بإحضار زوجته وطفلته معه إلى استجواب.

"أنا آسف. كان يجدر بي التعريف عن نفسي. أنا غوران فريدن، وأنتما تسألان عن والدي".

تأمله باتريك بفضول. إنه متوسط القامة، ذو شعر أشيب ومجعد قليلاً، وعينين زرقاوين ودودتين.

سأل باتريك: "هل والدك في المنزل؟" فيما لحقا بغوران فريدن في رواق طويل.

"أخشى القول إنك تأخرت جداً إذا أردت أن تطرح على والدي أي أسئلة؛ فقد مات قبل أسبوعين".

قال باتريك متفاجئاً: "أوه!". لم يكن هذا الجواب الذي يتوقعه. فقد كان مقتنعاً أن الرجل، بالرغم من سنه، لا يزال على قيد الحياة، لأن اسمه ليس في لائحة الوفيات في سجل النفوس. لكن، لا شك في أن سبب ذلك هو أنه مات حديثاً. ومن المعروف أنه يمرّ بعض الوقت قبل إدخال المعلومات إلى سجل النفوس. شعر بخيبة أمل كبيرة. هل اختفى هذا الدليل، الذي أنبأه حدسه أنه كان مهماً؟

قال غوران: "لكنك تستطيع التكلم مع أمي، إذا أردت". وأشار إلى غرفة الجلوس. "لا أعرف ما هي المسألة، لكن بعد أن تخبرنا فقد تتمكن من المساعدة".

نهضت امرأة ضعيفة وصغيرة القامة، ذات شعر أبيض كالثلج عن الأريكة، وجاءت لمصافحتهما.

"مارتا فريدن". تأملتهما بحيرة، ثم رسمت ابتسامة كبيرة على وجهها عندما رأت ماجا. "مرحباً أنت! أوه! يا لك من فتاة رائعة! ما اسمها؟".

قالت إيريكا بفخر: "ماجا" واستلطفت مارتا فريدن فوراً.

قالت مارتا: "مرحباً ماجا". وربتت على وجنتها. فابتسمت ماجا سعيدة بكل

الانتباه الذي تحصل عليه، ثم بدأت تركل لإنزالها بعدما لمحت دمية قديمة على الأريكة.

فقالت إيريكا بصرامة: "لا ماجا". وحاولت كبح ابنتها.

عندها، قالت مارتا وهي تلوّح بيدها: "لا بأس. دعيها تنظر إليها. ما من شيء هنا لا تستطيع لمسه. فبعد موت ويلهيلم، أدركت أننا لا نستطيع أخذ أي شيء معنا حين نموت". وكشفت عيناها عن حزن، فاقترب منها ابنها ووضع ذراعه حولها قائلاً:

"اجلسي ماما. سأحضر لضيفينا بعض القهوة، فيما تتحدثين معهما بهدوء وسلام".

راقبته مارتا فيما غادر الغرفة متوجهاً صوب المطبخ، ثم قالت: "إنه ولد جيد. لا أريد أن أكون عبئاً عليه. يجب السماح للأولاد بأن يعيشوا حياتهم. لكنه أحياناً لطيف جداً بملء إرادته. كان ويلهيلم فخوراً به جداً". وبدت تائهة في ذكرياتها هنيهة، ثم استدارت صوب باتريك.

"لماذا تريد الشرطة التحدث إلى ويلهيلم؟".

تنحنح باتريك وقد أحسّ بأنه يدوس على جليد رقيق. فهو ربما على وشك إلقاء الضوء على العديد من الأمور التي تفضل هذه السيدة العجوز اللطيفة عدم معرفتها. لكنه لا يملك خياراً، لذا قال بتردد:

"حسناً، المسألة هي أننا نحقق في جريمة في فجالباكا. أنا من مركز شرطة تانومشيد، وترتبط فجالباكا بقسم شرطة تانوم".

قالت مارتا، مقطبة جبينها: "أوه، يا إلهي! جريمة!؟".

قال باتريك: "نعم. قتل رجل اسمه إيريك فرانكل وتوقف ليرى ما إذا كان الاسم سيحدث أية ردة فعل. لكن، حسبما لاحظ، لم تتعرف مارتا إلى الاسم.

"إيريك فرانكل؟! لا يبدو هذا الاسم مألوفاً. ما الذي قادكم إلى ويلهيلم؟". وانحنت إلى الأمام وهي تبدو مهتمة.

تردد باتريك ثم قال: "أوه... مثلما ترين... المسألة هي أنه طوال خمسين عاماً تقريباً، كان إيريك فرانكل يحوّل دفعات شهرية إلى ويلهيلم فريدن؛ زوجك.

ونحن نتساءل طبعاً عن سبب قيامه بذلك، وعن نوع الرابط الموجود بين الرجلين".

"حصل ويلهيلم على المال من رجل في فجالباكا اسمه إيريك فرانكل!".

وبدت مارتا متفاجئة فعلاً. في تلك اللحظة، عاد غوران حاملاً صينية عليها فناجين قهوة، وسأل: "إذاً، ما الأمر؟". موجهاً إليهما نظرة استفسارية.

وكانت أمه من أجاب: "يقول هذان الشرطيان إن رجلاً اسمه إيريك فرانكل وجد مقتولاً، وكان يدفع المال لوالدك كل شهر طوال الأعوام الخمسين الماضية".

قال غوران متعجباً: "ماذا؟ إلى بابا؟ لماذا؟". فيما جلس على الأريكة قرب أمه.

فأجاب باتريك: "حسناً، هذا ما نودّ معرفته. كنا نأمل أن يستطيع ويلهيلم الإجابة عن السؤال بنفسه".

قالت ماجا بسرور: "دمية". فيما رفعت الدمية القديمة في اتجاه مارتا.

فقالت مارتا مبتسمة: "نعم، إنها دمية. كانت لي عندما كنت صغيرة".

عانقت ماجا الدمية بحنان، وبالكاد استطاعت مارتا إبعاد عينيها عن الفتاة.

وقالت: "يا لها من فتاة ساحرة!". فأومأت إيريكا برأسها بحماسة.

سأل غوران محدقاً إلى باتريك: "ما نوع المبالغ التي نتحدث عنها؟".

"ليست مبالغ مالية كبيرة. ألفا كرونور في الشهر خلال الأعوام القليلة الماضية. لكن المبلغ ازداد تدريجياً مع مرور الوقت، للحاق على ما يبدو بالتضخم المالي الحاصل. لكن، رغم تغير المبلغ، إلّا أن قيمته الحقيقية هي نفسها تقريباً".

سأل غوران أمه: "لماذا لم يخبرنا بابا عن ذلك مطلقاً؟". فهزّت رأسها.

"لا أعرف. لكننا أنا وويلهيلم لم نناقش المسائل المالية على الإطلاق. فقد اهتم بكل هذه الأنواع من الأمور، فيما اهتممتُ أنا بالمنزل. هكذا كانت العادة في جيلنا. وهكذا، قسّمنا العمل. ولولاك أنت يا غوران، لتهت تماماً وأنا أحاول الاهتمام بالحسابات المصرفية والقروض وكل تلك الأمور". وشدّت على يد ابنها.

"أفرح لمساعدتك ماما. تعرفين ذلك".

سأل باتريك وقد بدا محبطاً قليلاً: "هل تملكان أية بيانات مالية يمكننا النظر إليها؟ كان يأمل في الحصول على أجوبة لكل أسئلته حول هذه المدفوعات الشهرية

الغريبة، لكن يبدو أنه وصل إلى طريق مسدود"

قال غوران بنبرة معتذرة: "لا نملك أي مستندات هنا في المنزل، فكل شيء عند محامينا. لكنني أستطيع الطلب منهم إعداد نسخ عنها وإرسالها إليك".

فقال باتريك: "سنقدّر ذلك فعلاً". وشعر بالمزيد من التفاؤل؛ فما زال بوسعهم ربما معرفة الحقيقة.

قال غوران وهو ينهض عن الأريكة: "أوه، عفواً، نسيت أمر القهوة تماماً".

فقال باتريك: "نحتاج إلى الذهاب على أية حال" ونظر إلى ساعته، ثم تابع: "لذا، لا تزعج نفسك من أجلنا".

"آسفة لأننا لم نستطع تقديم المزيد من المساعدة". أمالت مارتا رأسها وابتسمت لباتريك.

فقال باتريك: "لا تقلقي. هكذا تحصل الأمور أحياناً. ومجدداً، أقدم لك تعازيّ الحارة، وأتمنى ألا نكون قد سببنا لك الكثير من الإزعاج بمجيئنا إلى هنا لطرح أسئلة مباشرة بعد... حسناً، لم نكن نعرف..."

أجابت: "لا بأس يا عزيزي. كنت أعرف ويلهيلم جيداً من الداخل والخارج. ومهما كان غرض تلك المدفوعات، فأنا أضمن لك أنه ما من شيء جرمي أو غير أخلاقي فيها. لذا، اطرح كل الأسئلة التي تريدها. ومثلما قال لك غوران، سنحرص على إرسال المستندات إليك. أنا آسفة لأنني لم أستطع مساعدتكما"

نهض الجميع وتوجهوا إلى الردهة، وكانت ماجا لا تزال تمسك بالدمية، وتضمها إلى صدرها.

"ماجا حبيبتي، عليك ترك الدمية هنا". وحضّرت إيريكا نفسها لنوبة غضب محتمة.

فقالت مارتا فيما ربّتت على رأس ماجا حين مرّت أمامها: "دعي الطفلة تحتفظ بالدمية. فمثلما قلت لك، لا أستطيع أن آخذ أي شيء معي حين أذهب، وأنا كبيرة جداً على اللعب بالدمى

فسألتها إيريكا: "هل أنت متأكدة؟ فالدمية قديمة جداً، وأنا واثقة من أنك تملكين الكثير من الذكريات..."

قالت مارتا وهي تربّت على جبينها: "الذكريات مخزنة هنا، وليست في الأشياء الملموسة. وما من شيء يسعدني أكثر من معرفتي أن فتاة صغيرة ستلعب بغريتا مجدداً. أنا واثقة من أن الدمية المسكينة قد ضجرت كثيراً من الجلوس على الأريكة قرب سيدة عجوز".

قالت إيريكا: "حسناً، شكراً لك. شكراً جزيلاً لك". وشعرت بالإحراج لأنها تأثرت كثيراً؛ حيث توجب عليها كبح دموعها.

"أهلاً بكم". ربتت مارتا على رأس ماجا مجدداً، ثم رافقتهم مع ابنها إلى الباب.

آخر شيء رآه باتريك وإيريكا قبل إغلاق الباب خلفهم كان غوران الذي وضع ذراعه حول كتف أمه وهو يقبّلها على أعلى رأسها.

كان مارتن في المنزل يتجول بعصبية. فبيا في العمل، وبما أنه بمفرده في الشقة لم يستطع أن يكف عن التفكير في القضية. وبدا له وكأن إحساسه بالمسؤولية قد ازداد عشرة أضعاف لأن باتريك في إجازة؛ إذلم يكن واثقاً تماماً من قدرته على تحمّل المسؤولية بمفرده. واعتبر حاجته إلى طلب المساعدة من باتريك ضعفاً من جانبه. إلا أنه يعتمد كثيراً على حكم زميله، أكثر مما يعتمد على حكمه ربما. وهو يتساءل أحياناً عمّا إذا كان سيشعر يوماً بالثقة في عمله. فهناك دوماً إحساس بالشك يخيّم في الخلفية، وقلة الثقة رافقته منذ أن تخرّج من كلية الشرطة. هل هو ملائم للوظيفة فعلاً؟ هل يستطيع أداء ما هو متوقع منه؟

تجول بين غرفة وأخرى وهو يفكر ملياً. وأدرك أن قلة ثقته بنفسه قد تفاقمت نتيجة اضطراره إلى مواجهة التحدي الأكبر في حياته، وهو ليس مقتنعاً بأنه يستطيع تحمل تلك المسؤولية أيضاً. ماذا لو لم يكن على المستوى المطلوب؟ ماذا لو لم يقدم لبيا الدعم الذي تحتاج إليه؟ ماذا لو لم يستطع تنفيذ ما هو متوقع منه كأب؟ ماذا لو، ماذا لو... وتسارعت الأفكار في عقله أكثر فأكثر، وأدرك أخيراً أن عليه الخروج من المنزل وفعل شيء ما وإلا فسيصاب بالجنون. أمسك بسترته، وركب في السيارة، وتوجه جنوباً.

في البداية، لم يعرف إلى أين سيذهب، لكنه عندما اقترب من غريبيستاد اتضحت له المسألة. فالاتصال الهاتفي الذي أجري من منزل بريتا وهيرمان إلى منزل فرانس رينغهولم يقلقه كثيراً. فهم يدورون حول المجموعة نفسها من الأشخاص في كلا التحقيقين. ورغم سير القضيتين في اتجاهين متوازيين، أحس مارتن في قرارة نفسه أنهما تتقاطعان في نقطة ما. لماذا اتصل هيرمان أو بريتا بفرانس في شهر يونيو قبل موت إيريك؟ ثمة اتصال واحد فقط منهما على اللائحة، في الرابع من يونيو. لم يدم الاتصال لوقت طويل، دقيقتان وثلاث وثلاثون ثانية. حفظ مارتن المعلومات من سجلات الاتصالات. لكن، لماذا اتصلا بفرانس؟ وهل الأمر بسيط مثلما قال أكسيل؟! هل صحيح أن مرض بريتا جعلها ترغب في تجديد صداقاتها من الماضي؟ ومعاودة الاتصال بأشخاص لم تتحدث إليهم منذ ستين عاماً؟ لا شك في أن الدماغ قادر على خداع الشخص أحياناً، لكن... لا، ثمة شي آخر؛ ثمة شيء يضلله، ولن يستسلم قبل أن يعرف ما هو.

كان فرانس يهمّ في الخروج عندما التقاه مارتن أمام باب شقته.

فسأله بتهذيب: "كيف يمكنني مساعدتك اليوم؟".

"فقط بالإجابة على بعض الأسئلة الإضافية".

"كنت خارجاً لأقوم بنزهتي اليومية. وإذا أردت التحدث معي، فبإمكانك مرافقتي؛ فأنا لا أغيّر موعد نزهتي اليومية لأجل أي كان. هكذا أحافظ على لياقتي البدنية" وانطلق ماشياً، فلحق به مارتن.

سأله مارتن: "إذاً، أليست لديك أية مشكلة في أن يراك أحد مع شرطي؟". ووجه له ابتسامة حزينة.

فأجاب فرانس وقد ظهر لمعان فرح في عينيه: "هل تعرف شيئاً؟ أمضيت معظم حياتي مع المساجين، ولذلك أنا معتاد على هذا النوع من الصحبة. حسناً، ماذا تريد أن تسألني؟". واختفى حينها أي أثر للفرح الذي ظهر على وجهه، وتوجّب على مارتن الركض للحاق به؛ فالرجل العجوز يمشي بسرعة كبيرة.

"لا أعرف إن كنت قد سمعت بالخبر. لكن، حصلت جريمة أخرى في فجالباكا".

أبطأ فرانس سرعته قليلاً، ثم عاد إلى السرعة نفسها مجدداً وقال: "لا، لم أعرف بذلك. من الضحية؟".

"بريتا جوهانسون". وتأمل مارتن فرانس بإمعان.

قال فرانس وقد أدار رأسه صوب مارتن. "بريتا! كيف؟ من؟".

"يقول زوجها إنه قتلها، لكنني أشك في ذلك".

ذهل فرانس: "هيرمان! لكن، لماذا؟ لا أصدق ذلك".

سأله مارتن: "هل تعرف هيرمان؟" وحاول ألا يظهر كم يبدو جوابه مهماً.

أجاب فرانس وهو يهزّ رأسه: "لا، ليس تماماً. في الواقع، التقيته مرة واحدة فقط. فقد اتصل بي في شهر يونيو ليقول لي إن بريتا مريضة، وإنها ترغب في رؤيتي".

"ألا تظن أن هذا غريب قليلاً لأنكما لم تريا بعضكما منذ ستين عاماً؟". ولم يحاول مارتن مطلقاً إخفاء شكوكه.

"حسناً، نعم، طبعاً، وجدت الأمر غريباً. لكن هيرمان شرح لي أنها تعاني من داء ألزهايمر. ويبدو أنه ليس غريباً بالنسبة إلى المصابين بذلك المرض أن يعودوا إلى ذكريات الماضي، ويفكروا في أشخاص كانوا مهمين بالنسبة إليهم. والواقع أن مجموعتنا الصغيرة كبرت مع بعضها مثلما تعلم، فقد أمضينا الكثير من الوقت معاً".

"وتلك المجموعة الصغيرة كانت...

"أنا وبريتا وإيريك وإلسي موستروم"

قال مارتن: "وقتل اثنان منهم في غضون أشهر فيما لهث وهو يركض بالقرب من فرانس. "ألا تظن أن هذه مصادفة غريبة؟".

حدّق فرانس إلى الأفق ثم أجاب: "حين تصبح في مثل عمري، ستكون قد شهدت على ما يكفي من المصادفات الغريبة لتصدق أنها تحصل فعلاً. وبالإضافة إلى ذلك، قلت إن زوجها اعترف بالجريمة. هل تظن أنه من قتل إيريك أيضاً؟".

ونظر فرانس إلى مارتن.

"لم نفكر في أي شيء في الوقت الحاضر. لكنني أتوقف عند المسألة قليلاً

حين أفكر أن اثنين من بين أربعة أشخاص في مجموعة واحدة قتلا خلال هذه الفترة القصيرة".

"مثلما قلت لك، ما من شيء غريب في المصادفات الغريبة. ربما هي مجرد صدفة لعب فيها القدر دوره".

"يبدو هذا فلسفياً جداً، وتحديداً لأن الكلام صادر عن رجل أمضى الكثير من حياته في السجن. هل كانت هذه مجرد صدفة؟". وتسللت نبرة ساخرة إلى صوت مارتن، فتوجّب عليه تذكير نفسه بضرورة إبقاء مشاعره الشخصية بعيدة عن القضية. لكن، خلال الأسبوع الماضي، لاحظ كيف تأثرت باولا بالأشياء التي دافع عنها فرانس رينغهولم، لذا بات يواجه صعوبة كبيرة في إخفاء اشمئزازه.

"لا علاقة أبداً للصدفة بذلك. فقد كنت راشداً وقادراً على اتخاذ قراراتي الخاصة عندما اخترت ذلك المسار المحدد. وأستطيع القول طبعاً إنه لم يكن يجدر بي فعل هذا الشيء أو ذاك... أو اختيار مسار آخر وصمت فرانس قليلاً، واستدار لمواجهة مارتن قائلاً: "لكننا لا نملك هذه الفرصة فيما نحن نعيش حياتنا، أليس كذلك؟". ثم تابع المشي مجدداً. "فرصة رؤية الأشياء مسبقاً. لا، لقد اتخذت شخصياً قراراتي، وعشتُ الحياة التي اخترتها، ودفعتُ ثمن ذلك".

"وماذا عن آرائك؟ هل اخترتها أيضاً؟" ووجد مارتن نفسه تواقاً فعلاً إلى معرفة الجواب. فهو لم يفهم أولئك الأشخاص المستعدين لمحاكمة مجموعات كاملة من البشر، ولا يفهم كيف يستطيعون تبرير مثل هذه الآراء لأنفسهم. وفيما ملأته تلك الأفكار بالقرف، كان أيضاً تواقاً لمعرفة أسبابها.

بدا أن فرانس قد شعر برغبته الصادقة في معرفة الإجابة عن السؤال، فأمضى بعض اللحظات مفكراً في كيفية الإجابة عنه.

وقال أخيراً: "أنا أثق بآرائي. فأنا أرى أن هناك خطباً ما في مجتمعنا، وأرى أنه من واجبي الإسهام في إيجاد الحل

"لكن إلقاء اللوم على مجموعات عرقية كاملة..." وهزّ مارتن رأسه عاجزاً عن متابعة كلامه؛ فهو لا يفهم ببساطة هذه الطريقة في التفكير.

فقال فرانس بنبرة جافة: "أنت تخطئ في اعتبار الأشخاص أفراداً. فنحن لسنا

هكـذا، بـل إن كلاً منـا جـزء من مجموعة؛ جزء من هوية جماعية. ولطالما حاربت هذه المجموعات بعضها بعضاً، حاربت لإيجاد مكان لها في التسلسل الهرمي، وفي ترتيب العالم. قد تتمنى لو كانت الأمور مختلفة، لكن هذه هي الحال. ورغم أنني لا أستـعمل العنف لتثبيت مكاني في العالم، إلّا أنني صامد. فأنا شـخص سـيكون في النهاية منتصراً في ترتيب العالم. والمنتصرون هم دوماً من يكتبون التاريخ".

وصمت، ثم استدار للنظر إلى مارتن الذي ارتعد بالرغم من تعرقه نتيجة مشيه بوتيرة سريعة. ثمة شيء مرعب جداً في مواجهة مثل هذا التعصب العقائدي. فما من منطق في العالم يمكنه أن يقنع فرانس ورفاقه بأن منطقهم رؤية مشوهة للحقيقة. إنها فقط مسألة إبقائهم مكبوتين ومهمشين، وتقليص أعدادهم. لطالما اعتقد مارتن أنه إذا استطاع التكلم بمنطق مع شخص ما، فسيتمكن في النهاية من التوصل إلى نواة يمكن تغييرها. لكنه رأى في عينَي فرانس نواة محمية بشدة بغضب وكراهية؛ حيث يستحيل الوصول إليها.

فجالباكا 1944

قال فيلغوت فيما تناول حصة أخرى من سمك الاسقمري المقلي: "هذا لذيذ. هذا لذيذ فعلاً بوديل".

لم تجب، وإنما أحنت رأسها ارتياحاً. فهي تشعر دوماً بالامتنان حين يكون زوجها في مزاج جيد ويبدو راضياً عنها.

"تذكر هذا أيها الصبي". وأشار بشوكته إلى فرانس قائلاً: "عندما تقرر الزواج، تأكد من أن الفتاة جيدة في المطبخ وفي السرير!". وضحك فيلغوت بصوت عالٍ جداً لدرجة أن كل لسانه كان مرئياً.

قالت بوديل مستنكرة وهي تنظر إليه: "فيلغوت!". رغم أنها لم تجرؤ على تقديم أكثر من اعتراض خنوع.

قال: "هيا، من الأفضل أن يتعلم الصبي مثل هذه الأمور". وسكب لنفسه حصة كبيرة من البطاطا المهروسة. "بالمناسبة، يمكنك أن تفخر بوالدك اليوم فرانس. فقد تلقيت للتو اتصالاً من غوتبورغ، وعرفت أن الشركة التي تخص روزنبرغ ذاك قد أفلست؛ لأنني سرقت الكثير من صفقات الأعمال منه خلال العام الماضي. ما رأيك في ذلك؟ هذا خبر يستحق الاحتفال! فهكذا يجب أن نتعامل معهم؛ يجب أن نجبرهم على الركوع، الواحد تلو الآخر، مادياً وبالسوط على حد سواء!". وضحك بشدة لدرجة أن معدته اهتزت، وتطاير فتات الطعام من فمه.

قالت بوديل عاجزة عن كبت نفسها: "لن يكون من السهل عليه جني المال؛ خصوصاً في هذه الأيام". لكنها أدركت الخطأ الذي ارتكبته ما إن تكلمت.

قال فيلغوت: "بماذا كنت تفكرين بالضبط عندما قلت ذلك يا عزيزتي؟" وبدا مهذباً جداً فيما وضع السكين والشوكة جانباً. "فبما أنك متعاطفة مع شخص كهذا، أريد أن أعرف كيف توصلت إلى وجهة النظر هذه".

قالت: "لا شيء. لم أقصد أي شيء بقولي ذاك". فيما نظرت إلى حضنها على أمل أن يكون هذا الإذعان كافياً، لكن البريق ظهر في عينَي فيلغوت.

"لا، لا، أنا مهتم بما ستقولينه. هيا، أخبريني".

حوّل فرانس نظره بين أمه وأبيه، فيما بدأت معدته تنقبض بشدة. إذ لاحظ كيف بدأت أمه ترتجف فيما ثبّت فيلغوت نظره عليها، وكيف كشف والده عن تلك النظرة الجليدية في عينيه؛ نظرة رآها فرانس مرات عدة من قبل. فكّر في الاعتذار والانسحاب، لكنه أدرك أن الوقت قد فات.

ارتعش صوت بوديل، وتوجّب عليها ابتلاع لعابها بصعوبة مرات عدة قبل أن تقول بتوتر: "كنت أفكر فقط في عائلته. لا بدّ أنه يصعب العثور على وسيلة جديدة لجني الرزق هذه الأيام".

"نحن نتحدث عن شخص سافل يا بوديل وكانت نبرة فيلغوت تحذيرية، وتحدث ببطء كما لو أنه يتكلم مع طفلة. إلا أن نبرة الصوت تلك أشعلت شيئاً في زوجته. فقد رفعت رأسها وقالت بشيء من التحدي: "ولكنه إنسان أيضاً، وعليه تأمين الطعام لعائلته؛ تماماً مثلنا".

أراد فرانس الصراخ على أمه لتسكت ولا تتكلم مع والده بهذه الطريقة. ما مشكلتها؟! كيف استطاعت قول ذلك له؟! كيف تدافع عن ذلك الرجل!؟ كم يمكن أن يكون الثمن الذي عرف أنها ستدفعه؟ فجأة، أحس بكراهية غير منطقية تجاه أمه. كيف يمكنها أن تكون بهذا الغباء؟ ألا تعرف أنه لا يجدي أبداً تحدي فيلغوت؟ كان من الأفضل لو أنها أحنت رأسها وفعلت مثلما قال، ولم تعترض مطلقاً. لكن تلك المرأة الغبية أظهرت للتو الشيء الوحيد الذي لا يجدر بأي كان أن يظهره أمام فيلغوت رينغهولم: التحدي. وارتعد فرانس لدى تفكيره في الانفجار الكبير الذي على وشك أن تسببه هذه الشرارة الصغيرة.

في البداية، ساد الصمت المطبق في الغرفة. فقد حدّق فيلغوت إلى زوجته، وبدا عاجزاً عن استيعاب ما سمعه. ثم انتفض وريد في عنقه، ورآه فرانس وهو يطبق يديه في قبضتين. أراد فرانس القفز والابتعاد عن الطاولة، والركض إلى أن يعجز عن الركض، إلا أنه شعر بدلاً من ذلك أنه ملتصق بكرسيه، وعاجز عن التحرك.

ثم جاء الانفجار. إذ ارتفعت قبضة فيلغوت وأصابت بوديل على فكها؛ مما جعلها ترتدّ إلى الخلف. وتطاير شعرها حين وقعت على الأرض مع صوت ارتطام قوي، وشهقت ألماً بصوت مألوف جداً لدى فرانس، حيث استطاع الإحساس به في نخاع عظامه. لكنه بدلاً من أن يشعر بالتعاطف معها، أحس بالمزيد من الغضب. لماذا لم تبق هادئة؟ لماذا أجبرته على رؤية هذا؟

قال فيلغوت، وقد نهض: "إذاً، أنت عاشقة لذلك الرجل. أليس هذا صحيحاً؟ أجيبيني. ألست هكذا؟".

نجحت بوديل في الاستدارة، حيث باتت الآن راكعة على يديها ورجليها وهي تكافح لالتقاط أنفاسها.

صوّب فيلغوت على هدفه، ثم ركلها على بطنها صارخاً: "ألست هكذا؟ أجيبيني! هل أملك عاشقة في منزلي؟ في منزلي أنا؟".

لم تجب بوديل فيما حاولت بجهد كبير الزحف بعيداً. غير أن فيلغوت لحق بها، ثم ركلها مجدداً على المكان نفسه، فجفلت ووقعت على الأرض مجدداً، ثم نجحت في النهوض والارتكاز على يديها ورجليها، وحاولت الزحف بعيداً مرة أخرى.

"أنت فاسقة! أهذا ما أنت عليه؟ هل أنت فاسقة عاشقة لذلك الرجل؟!". وبصق فيلغوت الكلمات. وعندما نظر فرانس إلى وجه والده، رأى نظرة سرور. صوّب فيلغوت على هدفه مجدداً، وركل بوديل، فيما ألقى سيلاً من الشتائم عليها. ثم نظر إلى فرانس، ولمعت الحماسة على وجهه؛ وهذا تعبير يعرفه فرانس جيداً.

"حسناً، أيها الصبي، الآن سأعلّمك كيف تتعاطى مع الفاسقات. فهذه هي اللغة الوحيدة التي يفهمنها. راقب وتعلم". كان يتنفس بسرعة وصعوبة فيما فك والده حزامه مثبتاً عينيه على فرانس. ثم تقدم بضع خطوات من بوديل التي نجحت في الزحف بعيداً بضعة أمتار، وأمسك شعرها بإحدى يديه، فيما رفع حزامه عالياً.

فتوسلت إليه بوديل قائلة: "لا، لا... لا... أرجوك فرانس

وبالكاد ضحك فيلغوت فيما انهال عليها ضرباً بالحزام.

تحولت العقدة في معدة فرانس إلى كتلة كراهية كبيرة وباردة. وعندما أدارت

أمه رأسها ونظرت إليه باكية عرف فرانس أن الشيء الوحيد الذي يستطيع فعله للصمود هو التشبث بتلك الكراهية.

* * *

أمضى كجيل صباح يوم السبت في مكتبه. فقد أخذت بياتا الولدين وذهبت لزيارة أهلها، ولذلك بدت الفرصة مثالية لإجراء بعض الأبحاث حول هانس أولافسن. لغاية الآن، لم يتوصل إلى أي شيء. فهناك العديد من النروجيين الذين يحملون الاسم نفسه في تلك الحقبة، وإذا لم يجد شيئاً يتيح له حذف بعض الأسماء فستكون المهمة مستحيلة.

قرأ المقالات التي أعطاه إياها إيريك مراراً وتكراراً، لكنه لم يعرف بعد ماذا يفترض به أن يفعل في هذه القصاصات من المعلومات. وهذا أكثر ما فاجأه. فلو أراد إيريك فرانكل تسليمه قصة، فلماذا لم يأتِ ويخبره بها ببساطة!؟ لمَ هذه الطريقة السرية؟ وتنهّد كجيل. الشيء الوحيد الذي ذكرته المقالات هو أن هانس أولافسن كان مقاتلاً معارضاً خلال الحرب العالمية الثانية. فكر كجيل للحظات في سؤال والده عمّا إذا كان يعرف أي شيء عن النروجي، لكنه تخلى فوراً عن تلك الفكرة. فهو يفضّل قضاء مئة ساعة في الأرشيف بدلاً من طلب مساعدة والده.

الأرشيف؛ هذه فكرة. هل يوجد في النروج نوع من قاعدة البيانات التي تذكر الأشخاص الذين كانوا جزءاً من المقاومة؟ لا بدّ أنه كتب الكثير عن الموضوع، ولا بد أن شخصاً ما أجرى الأبحاث حول الموضوع وحاول تدوين تاريخ المعارضة. فثمة شخص ما يفعل ذلك دوماً.

فتح برنامج تصفح الإنترنت، وأجرى سلسلة من الأبحاث باستعمال مجموعات مختلفة من الكلمات إلى أن عثر أخيراً على ما كان يبحث عنه. ثمة رجل اسمه إسكيل هالفورسن كتب عدداً من الكتب عن النروج خلال الحرب العالمية الثانية، وتحديداً عن حركة المقاومة. عليه أن يتحدث إلى هذا الرجل. وجد كجيل على الإنترنت دليلاً لأرقام الهواتف النروجية، وحدد رقم هاتف هالفورسن. ثم أمسك بهاتفه فوراً وطلب الأرقام، غير أنه توجّب عليه إعادة طلب الأرقام مجدداً لأنه نسي في غمرة حماسته أن يبدأ بالرمز الهاتفي الخاص بالنروج. لا يهمه إذا كان سيزعج

الرجل صباح يوم السبت؛ فالصحافي لا يكترث بمثل هذه التفاهات.

بعد الانتظار لبضع ثوانٍ، سمع أخيراً صوتاً في الطرف الآخر. عرّف كجيل عن نفسه، وشرح سبب اتصاله، وقال إنه يحاول العثور على رجل يدعى هانس أولافسن كان جزءاً من المقاومة خلال الحرب، ويبدو أنه هرب إلى السويد.

إذاً، هذا ليس اسماً صادفته في أبحاثك، أليس كذلك؟". خاب أمل كجيل، وراح يرسم دوائر على دفتره قبل أن يجيب: نعم، أدرك أننا نتحدث عن آلاف الأشخاص الذين نشطوا في حركة المقاومة. لكن، هل يوجد أي احتمال؟".

تابع الرسم على دفتره فيما استمع إلى خطاب طويل عن الهيكلية التنظيمية للمقاومة النروجية. لا شك في أنه موضوع مذهل؛ خصوصاً وأن النازية الجديدة هي اختصاصه، لكن كجيل لم يشأ أن يحيد عن مسار بحثه.

"هل من أرشيف تُذكَر فيه أسماء كل المقاومين المعارضين؟ حسناً، إذاً يوجد نوع من الوثائق. هل يمكنك مساعدتي وذلك بالتحقق من أي ذكر لاسم هانس أولافسن، وتحديداً أين يمكن أن يكون متواجداً الآن؟ شكراً، سأكون ممتناً. وبالمناسبة، جاء إلى السويد عام 1944، إلى فجالباكا تحديداً، إذا كان هذا يساعدك".

وضع كجيل الهاتف جانباً، راضياً عن نفسه. إنه لم يتوصل ربما إلى الدليل المهم الذي كان يأمل الوصول إليه، لكنه مقتنع تماماً بأنه إذا كان هناك شخص قادر على إيجاد معلومات بشأن هانس أولافسن، فهو بلا شك الرجل الذي تحدث إليه.

وفي غضون ذلك، ثمة شيء يستطيع فعله بنفسه. فقد تحتوي مكتبة فجالباكا على المزيد من المعلومات بشأن النروجي. وعلى الأقل، يستحق الأمر عناء التجربة. ألقى نظرة على ساعته. إذا غادر الآن فباستطاعته الوصول إلى هناك قبل أن تغلق المكتبة. أمسك سترته، وأطفأ جهاز الكمبيوتر، ثم غادر المكتب.

على مسافة بعيدة، بدأ إسكيل هالفورسن البحث عن معلومات حول المقاتل المعارض هانس أولافسن.

كانت ماجا لا تزال تمسك بالدمية عندما وضعاها في السيارة. تأثرت إيريكا كثيراً بهدية المرأة العجوز، وكانت رؤية كيفية وقوع ماجا في غرام الدمية فوراً

أمراً رائعاً.

قالت: "يا لها من امرأة عجوز طيبة!". فيما اكتفى باتريك بالإيماء برأسه، وركز على التحرك في زحمة سير غوتبورغ؛ بوجود كل الشوارع أحادية الاتجاه وقطارات الترامواي التي بدت وكأنها تظهر في كل مكان.

سأل وهو ينظر حوله: "أين يجدر بنا ركن السيارة؟".

"هناك مكان فارغ". وأشارت إيريكا إلى المكان، فتوجّه باتريك إليه وأوقف السيارة.

قالت وهي تخرج عربة الطفلة من صندوق السيارة: "من الأفضل ربما ألا تدخل أنت وماجا معي إلى المتجر. فأنا لا أعتقد أن متجراً لبيع التحف القديمة سيكون المكان الملائم للآنسة الصغيرة هنا. فأنت تعرف كم تحب التشبث بالأشياء".

قال باتريك فيما وضع ماجا في العربة: "أنت محقة ربما. سنقوم بنزهة. لكن، عليك أن تخبريني بكل شيء بعد ذلك".

"سأفعل. أعدك". ولوّحت إيريكا لماجا، ثم توجّهت نحو العنوان الذي حصلت عليه عبر الهاتف. متجر التحف القديمة موجود في غولدهدين، وقد عثرت عليه بسهولة. رنّ جرس حين دخلت، فخرج رجل قصير ونحيل ذو لحية طويلة من خلف ستارة.

وسألها بتهذيب: "هل أستطيع مساعدتك؟".

"مرحباً، أنا إيريكا فالك. تحدثنا سابقاً عبر الهاتف". وتوجّهت نحوه ومدّت يدها.

فقال: "تشرفنا". وقبّل يد إيريكا مما أثار دهشتها. فهي لا تذكر متى قام أحدهم بتقبيل يدها آخر مرة؛ إذا كان ذلك قد حصل أساساً. إذاً، أفهم أنك تملكين ميدالية ترغبين في معرفة المزيد عنها. هل هذا صحيح؟ ادخلي لنجلس قليلاً فيما ألقي نظرة عليها". وأزاح الستارة لها، فتوجب عليها الانحناء قليلاً للمرور تحت الباب المنخفض على نحو غير اعتيادي. ثم توقفت في مكانها؛ إذ ثمة أيقونات روسية غطت كل الجدران في الركن الصغير المعتم الذي اتسع فقط لطاولة صغيرة وكرسيين.

قال الرجل الذي عرّف عن نفسه عبر الهاتف بأنه أكي غروندن فيما جلسا: "إنها شغفي. فأنا أملك إحدى أرقى مجموعات الأيقونات الروسية في السويد".

قالت إيريكا وهي تنظر إليها: "إنها جميلة".

فقال بفخر كبير فيما تأمّل مجموعته: "إنها أكثر من ذلك يا عزيزتي، أكثر من ذلك بكثير. إنها تحمل التاريخ والتقاليد... المذهلة" ثم صمت ووضع نظارته على عينيه، وتابع: "لكنني أميل إلى التكلم بعاطفة وحماسة عندما أتطرق إلى هذا الموضوع. لذا، من الأفضل أن نحوّل انتباهنا إلى ما جئت من أجله. لا بد لي من القول إن الأمر يبدو مهماً".

"حسناً، فهمت أنك تملك اختصاصاً آخر؛ الميداليات التي ترجع إلى الحرب العالمية الثانية".

نظر إليها من فوق إطار نظارته وقال: "يسهل الانعزال عندما يختار المرء تفضيل التذكارات القديمة بدلاً من إحاطته نفسه بالأشخاص. لست واثقاً من أنني اتخذت الخيار الصحيح، لكن يسهل التحلي بالحكمة عند إدراك طبيعة الأحداث بعد وقوعها". وابتسم، فبادلته إيريكا الابتسامة. كان يملك نوعاً هادئاً وساخراً من حس المرح الذي راق لها.

وضعت يدها في جيبها، وأخرجت بعناية الميدالية الملفوفة بفوطة قماشية، فيما أنار أكي مصباحاً قوياً موضوعاً على الطاولة، وراقب باحترام بينما كانت تفتح الفوطة وتخرج الميدالية منها.

قال: "آه!". فيما وضع الميدالية في راحة يده، وتأملها عن كثب، وبرمها وقلبها تحت ضوء المصباح القوي، وحدّق إليها بعناية كي لا يفوته أي تفصيل صغير.

سألها أخيراً: "من أين حصلت عليها؟". فيما نظر إليها مجدداً من فوق إطار نظارته.

فأخبرته إيريكا عن الصندوق الذي كان يخصّ أمها، وكيف عثرت على الميدالية داخله.

"هل تملك أمك أي رابط بألمانيا حسب علمك؟".

هزّت إيريكا رأسها نافية وأجابت: "على الأقل، لم أسمع بذلك مطلقاً. لكن

فجالباكا، حيث عاشت أمي وترعرعت، قريبة من الحدود النروجية. وحسب بعض الأبحاث التي أجريتها، إن العديد من الأشخاص المحليين قاموا حينها بمساعدة المقاومة النروجية خلال الحرب. وقد سمح جدي لأمي لبعض الأشخاص بأن يقوموا بتهريب البضاعة إلى النروج على متن مركبه. وقرابة نهاية الحرب، أحضر معه مقاوماً نروجياً معارضاً وأعطاه مسكناً".

"نعم، لا شك في أن الكثير من التواصل حصل بين البلدات الساحلية في البلدين خلال الاحتلال الألماني للنروج...". وبدا وكأنه يفكر بصوت عالٍ فيما تابع تأمّل الميدالية. "حسناً، لا أعرف كيف وصلت هذه الميدالية إلى أمك، لكنني أستطيع أن أقول لك أمراً: ما تملكينه هنا هو صليب حديدي، وهذه الميدالية تعطى تقديراً لجهود جبارة مبذولة لأجل ألمانيا".

سألت إيريكا بتفاؤل: "هل توجد لائحة بأسماء الأشخاص الذين حصلوا على هذه الميدالية؟ فمهما قلنا عن الألمان، إلّا أنهم كانوا يحسنون التنظيم خلال الحرب، ولا بد أنهم امتلكوا نوعاً من الأرشيف".

هزّ أكي رأسه نافياً: "لا، لا توجد لائحة حسب علمي. وهناك درجات عدة من ميداليات الصليب الحديدي. وهذه هي ما يعرف بالصليب الحديدي من الدرجة الأولى، وهي ليست نادرة جداً. يمكن القول إنه جرى تسليم قرابة أربعمئة وخمسين ألفاً منها خلال الحرب في هذه المنطقة، ولذلك يستحيل تعقب أثر الشخص الذي حصل عليها".

بعد كل العقبات الأخيرة، كانت إيريكا تعلّق آمالاً كبيرة على الميدالية. ومن المؤسف جداً التوصل إلى نهاية مسدودة مجدداً. ثم نهضت وشكرت آكي، ومدّت يدها لمصافحته، إلا أنه طبع قبلة أخرى على يدها وقال: "أنا آسف. أتمنى لو كان بوسعي مساعدتك أكثر

فقالت وهي تفتح الباب: "لا بأس، سأتابع البحث. فأنا أتوق إلى معرفة السبب الذي جعل أمي تحتفظ بهذه الميدالية بين مقتنياتها"

لكن، عندما أغلقت إيريكا الباب وراءها شعرت بإحباط كبير. ولم تكن تعتقد أنها ستحل يوماً لغز الميدالية.

ساشيسنهاوسن 1945

شعر بالدوار نتيجة كثرة التنقل. أكثر ما يذكره هو كيف التهبت أذنه وآلمته. جلس في القطار المتجه إلى ألمانيا مع الكثير من السجناء الآخرين من غريني، عاجزاً عن التفكير في أي شيء آخر غير رأسه الذي أحس بأنه على وشك الانفجار. وحتى عندما عرف أنه سيتم نقلهم إلى ألمانيا، تفاعل مع الخبر ببساطة كبيرة. فمن جهة، كان الخبر مريحاً له؛ فقد عرف أن ألمانيا تعني الموت. وما من أحد يعرف بالضبط ما يمكن توقعه. لكن، سرت أخبار وشائعات عن القدر الذي ينتظرهم هناك. فقد تمت تسميتهم بسجناء الليل والضباب (بالألمانية Nacht und Nebel). وهكذا، لن يتلقوا محاكمة قضائية، ولن يتم إصدار أي حكم بحقهم، ولن يعرف أقرباؤهم بمصيرهم أبداً؛ بل سيختفون ببساطة في الليل والضباب.

ظن أكسيل أنه مستعد لما يمكن أن ينتظره عندما ينزل من القطار في ألمانيا. لكن، ما من شيء أبداً حضّره للحقيقة. فقد أوصلهم القطار إلى جهنم؛ جهنم من دون نار تشتعل تحت أقدامهم، وإنما الجحيم نفسه.

مضى على وجوده هنا بضعة أسابيع الآن، وما رآه خلال تلك الفترة طارده في أحلامه؛ حيث صار يواجه صعوبة في النوم كل ليلة، وملأه بالقلق كل صباح؛ كلما أجبروا على الاستيقاظ عند الثالثة فجراً والعمل من دون انقطاع حتى التاسعة ليلاً.

سجناء الليل والضباب عانوا أوضاعاً أسوأ من الآخرين؛ فقد تم اعتبارهم موتى، وبالتالي كانوا في أسفل التسلسل الهرمي. وكي لا يخطئ أحد في تمييزهم، حملوا جميعاً حرف N أحمر اللون على ظهورهم. أشار اللون الأحمر إلى أنهم سجناء سياسيون، أما المجرمون فحملوا رموزاً خضراء. وكانت هناك معركة مستمرة بين السجناء ذوي الرموز الحمراء وأولئك الذين يحملون رموزاً خضراء حول من يتولى المسؤولية. والعزاء الوحيد ربما هو أن سجناء أوروبا الشمالية تحالفوا مع

بعضهم. إذ كانوا منتشرين في كل المعتقل، لكن في كل ليلة بعد الانتهاء من العمل، كانوا يجتمعون للتحدث عما يجري. وكل من كان بوسعه فعل ذلك، كان يقتطع جزءاً صغيراً من حصته اليومية من الخبز، ويتم بعدها جمع الحصص ومنحها لسجناء أوروبا الشمالية المرضى في المشفى. كانوا جميعاً مصممين على ضرورة عودة أكبر قدر ممكن من الاسكاندينافيين إلى منازلهم. لكن الكثيرين منهم كانوا في حالة صعبة؛ حيث يتعذر إنقاذهم. أضاع أكسيل بسرعة أثر كل السجناء الذين ماتوا.

نظر إلى يده التي حملت المعول، لم يبقَ فيها أي شيء سوى العظم. ما من لحم حقيقي، وإنما مجرد جلد ممتد فوق البراجم. أحسّ بالضعف، فاتكأ على المعول هنيهة عندما صودف أن الحارس الأقرب إليه كان ينظر بعيداً، لكنه عاود الحفر بسرعة ما إن استدار الحارس نحوه. كل ضربة معول جعلته يلهث بقوة نتيجة الجهد الذي يبذله. أجبر أكسيل نفسه على عدم النظر إلى كل الحفر التي أنجزها مع زملائه؛ فقد ارتكب هذا الخطأ مرة واحدة فقط، في اليوم الأول. وما زال بوسعه رؤية المشهد كلما أغمض عينيه؛ الكومة الكبيرة من الجثث. هياكل عظمية هزيلة تم تكويمها مثل النفايات، ويتم الآن رميها في قبر جماعي؛ كلها معاً. من الأفضل عدم النظر. لمح فقط شيئاً بسيطاً من زاوية عينه، فيما كافح لجرف ما يكفي من الرمل لعدم إثارة استياء الحارس.

فجأة، وقع السجين الواقف قربه أرضاً. كان هزيلاً ويعاني من سوء التغذية؛ تماماً مثل أكسيل، فانهار بكل بساطة عاجزاً عن الوقوف على قدميه مجدداً. فكّر أكسيل في مساعدة الرجل، لكنه طرد الفكرة من رأسه كما هي الحال دوماً. ففي الوقت الحاضر، عليه تخصيص كل ما تبقى من طاقته لكي يتمكن من الصمود. هذا هو واقع الحال في معسكرات الاعتقال؛ إذ يتوجب على كل شخص أن يدافع عن نفسه ويحاول الصمود بأفضل ما يمكن. السجناء السياسيون الألمان قديمو العهد هنا، وقد أخذ بنصيحتهم: لا تلفت الانتباه إليك، ولا تحاول الهرب. الأساس هو أن تموضع نفسك في الوسط بحذر، وتبقي رأسك منخفضاً كلما حصلت أية مشكلة. وهكذا، راقب أكسيل بعدم مبالاة فيما جاء الحارس صوب السجين الواقع أرضاً،

وأمسكه من ذراعه، وجرّه إلى وسط الحفرة؛ إلى الجزء الأكثر عمقاً، حيث انتهوا أصلاً من الحفر. بعد ذلك، عاود الحارس الصعود بهدوء تاركاً السجين خلفه. لن يبدد أية رصاصة على الرجل. الأوقات عصيبة، فلمَ سيبدد رصاصة على شخص ميت على أية حال؟ سيتم رمي الجثث الموجودة في الكومة الكبيرة فوقه؛ الواحدة تلو الأخرى. وإذا لم يكن قد مات بعد، فسيموت سريعاً نتيجة الاختناق.

أبعد أكسيل نظره عن السجين في الحفرة، وتابع الحفر في زاويته، ولم يعد يفكر في عودة الجميع إلى ديارهم. لا مجال أبداً لهذه الأفكار إذا أراد الصمود.

* * *

بعد مرور يومين، لا تزال إيريكا تشعر بالإحباط. وعرفت أن باتريك محبط أيضاً بعدما فشل في معرفة سبب المدفوعات الشهرية الصادرة عن إيريك فرانكل. لكن أياً منهما لم يكن مستعداً للاستسلام. فقد أمل باتريك في أن يظهر شيء في المستندات التي تركها ويلهيلم فريدن، فيما بقيت إيريكا مصممة على متابعة أبحاثها، ومحاولة القيام بكل شيء ممكن إلى حين التوصل إلى أمر ما.

صعدت إلى مكتبها للكتابة قليلاً، لكنها لم تستطع التركيز على الكتاب. فالكثير من الأفكار تدور في رأسها. أمسكت بعلبة الكولا، واستمتعت بطعمها فيما ذابت الشوكولا في فمها. عليها التوقف عن هذه العادة في القريب العاجل. لكن الكثير من الأمور حصلت في الآونة الأخيرة، لذا لم تستطع حرمان نفسها من تناول بعض الحلويات بين الحين والآخر. سوف تقلق بشأن هذا الأمر لاحقاً. فقد نجحت سابقاً في خسارة الوزن الزائد قبل الزفاف في فصل الربيع مرتكزة على إرادتها. لذا، كانت مقتنعة بأنها تستطيع فعل ذلك مجدداً. ولكن، ليس اليوم.

"إيريكا!". ناداها باتريك من الأسفل، فذهبت إلى منبسط الدرج لمعرفة ما يريده.

"اتصلت كارين. سوف نذهب أنا وماجا للتنزه معها ومع لود"

فقالت إيريكا: "حسناً". ودمدمت قليلاً لأنها كانت تمصّ قطعة من الشوكولا، ثم عادت إلى مكتبها وجلست أمام الكمبيوتر. لم تكن قد حسمت رأيها بعد في ما يتعلق بنزهات باتريك مع كارين. فقد بدت لها المرأة لطيفة جداً، ومضى وقت

طويل جداً على طلاقها من باتريك. وكانت إيريكا مقتنعة بأن العلاقة باتت من الماضي؛ على الأقل بالنسبة إلى باتريك. ورغم ذلك... من الغريب فعلاً رؤيته وهو يمضي الوقت مع زوجته السابقة. ففي النهاية، لقد تشاركا السرير نفسه ذات مرة. هزّت إيريكا رأسها للتخلص من الصورة التي خطرت في بالها، ثم واست نفسها بقطعة حلوى أخرى. إنها تحتاج فعلاً إلى التماسك؛ فهي لم تكن يوماً من النوع الغيور.

وللتخلص من الأفكار التي تدور في رأسها، فتحت برنامج تصفح الإنترنت. خطرت لها فكرة، فكتبت عبارة Ignoto militi في محرّك البحث، وسرعان ما ظهر أمامها الكثير من النتائج. فاختارت النتيجة الأولى، وقرأت المحتوى باهتمام. وتذكرت الآن السبب الذي جعل هذه العبارة تبدو لها مألوفة. فقبل زمن طويل، في رحلة مدرسية قامت بها إلى باريس، تم اصطحابها لزيارة قوس النصر وقبر الجندي المجهول. وعبارة Ignoto militi تعني ببساطة الجندي المجهول.

قطبت إيريكا جبينها فيما كانت تقرأ، وظهر المزيد من الأسئلة في رأسها. هل هي مجرد صدفة أن يكون إيريك فرانكل قد كتب هذه العبارة على الدفتر الموجود على مكتبه؟ أم إنها تحمل معنى خاصاً بالنسبة إليه؟ وإذا كان الجواب نعم، فما هو المعنى؟ قرأت المزيد مما هو مكتوب أمامها على الشاشة، لكنها لم تجد أي شيء مهم، ولذلك تصفحت المزيد من الوصلات. وبعد أن وضعت ثالث حبة من الشوكولا في فمها، رفعت قدميها على المكتب، متسائلة عما يجدر بها فعله. ثم خطر لها أن هناك شخصاً يمكنه أن يخبرها بالمزيد. المسافة طويلة، وإنما... نزلت إلى الأسفل، وأمسكت بمفاتيح سيارتها الموجودة على الطاولة في الردهة، وانطلقت إلى أوديفالا.

بعد خمس وأربعين دقيقة، كانت جالسة في سيارتها في مرأب السيارات في المستشفى مترددة؛ لأنها أدركت أنها لا تملك خطة. كانت معرفة الجناح الذي يتواجد فيه هيرمان أمراً سهلاً نسبياً، وذلك بالاتصال عبر الهاتف، ولكنها لا تعرف ما إذا كان يسمح لها برؤيته. حسناً، لقد اجتازت كل هذه المسافة، لذا عليها المحاولة على الأقل. إنها تحتاج فقط إلى الارتجال.

توقفت أولاً قرب المتجر في ردهة الاستقبال واشترت باقة أزهار كبيرة، ثم استقلت المصعد، وصعدت إلى الطابق الملائم، وتوجهت بثقة نحو الغرفة، وقد بدا لها أن أحداً لم ينتبه إليها. نظرت إيريكا إلى أرقام الغرف. خمسة وثلاثون؛ هذه هي غرفته. أملت فقط في أن تجده بمفرده؛ فإذا كانت بناته معه، فستواجه أزمة كبيرة.

أخذت إيريكا نفساً عميقاً ودفعت الباب، ثم شعرت بالراحة؛ فما من زوار. دخلت الغرفة، وأغلقت الباب خلفها بعناية. ثمة سريران في الغرفة، وكان هيرمان مستلقياً على أحدهما، فيما بدا الرجل الآخر نائماً. أما هيرمان فكان مستيقظاً، ويحدق إلى الفضاء، فيما وضع ذراعيه فوق الشرشف.

قالت إيريكا بهدوء فيما سحبت كرسياً ووضعته قرب سريره: "مرحباً هيرمان. لا أعرف إن كنت تذكرني. جئت لزيارة بريتا سابقاً، وغضبت مني".

في البداية، ظنت أن هيرمان لا يستطيع أو لا يريد سماعها، غير أنه استدار ببطء للنظر إليها، وقال: "أعرف من تكونين. أنت ابنة إلسي

ابتسمت إيريكا وقالت: "صحيح. ابنة إلسي

قال: "جئت إلى منزلنا... قبل بضعة أيام أيضاً". وحدّق إليها من دون أن تطرف عيناه؛ فأحسّت إيريكا بحنان غريب تجاهه. وتذكرت كيف وجدته مستلقياً بالقرب من زوجته الميتة، وهو يعانقها بشدة. إنه يبدو الآن صغيراً جداً في سرير المستشفى، صغيراً وضعيفاً، ولم يعد الرجل نفسه الذي صرخ في وجهها لأنها أزعجت بريتا مطلقاً.

قالت إيريكا: "نعم، كنت في منزلك؛ مع آنا غريتا".

أومأ هيرمان برأسه قليلاً، ولم يتحدث أي منهما لبضع لحظات.

أخيراً، قالت إيريكا: "كنت أجري بعض الأبحاث عن حياة أمي. وهكذا، صادفتُ اسم بريتا. وعندما تحدثت إلى بريتا، أحسستُ أنها تعرف أكثر مما أرادت إخباري به، أو كانت قادرة على إخباري به".

فابتسم هيرمان بغرابة، لكنه لم يجب.

تابعت إيريكا: "أعتقد أيضاً أنها مصادفة غريبة أن يموت اثنان من الأشخاص الثلاثة الذين كانوا أصدقاء أمي حين كانت شابة خلال فاصل زمني قصير". وصمتت

قليلاً بانتظار جوابه.

عندهـا، انهمـرت دمعـة علـى وجنـة هيرمان، فرفع يده ومســحها قائـلاً: "لقد قتلتها... قتلتها". وحدّق مجدداً إلى الفضاء.

سـمعت إيريكا ما قاله، وحسـب باتريك، لا يوجد أي شـيء يناقض إفادته. لكنهـا عرفـت أيضـاً أن مارتن مشـكك في الأمر؛ تمامـاً مثلها هي. وثمة نبرة غريبة أيضاً في صوت هيرمان لم تستطع تفسيرها.

"هل تعرف ما هو الأمر الذي لـم تشـأ بريتا إخباري به؟ هل هو شـيء حصل خـلال الحـرب؟ هـل هـو شـيء يتعلق بأمي؟ أعتقد أن لـديّ الحق في أن أعرف" أملت ألا تكون قد ضغطت عليه بشدة؛ إذ بدا لها جلياً أنه في وضع هش، لكنها أرادت بشـدة معرفة ما حصل في ماضي أمها وأحدث فيها ذلك التغيير الجذري. وحين لم تتلقَ أي جواب، تابعت قائلة: "عندما بدأت بريتا ترتبك أثناء زيارتي لها، قالـت شـيئاً عـن جنـدي مجهول يهمس. هل تعرف ما الـذي كانت تقصده بذلك؟ ظنّت أنني إلسي عندما قالت ذلك، ولم تدرك أنني ابنة إلسي. جندي مجهول؛ هل تعرف أي شيء عن ذلك؟".

في البداية، لم تفهم الصوت الذي أصدره هيرمان. ثم أدركت أنه كان يضحك؛ بـل كان ذلـك الصـوت محـاكاة حزينـة جداً للضحك. ولـم تفهـم ما المضحك في الأمر.

"اسألي بول هيكل، وفريدريك هوك. فهما يستطيعان الإجابة عن أسئلتك". ثم عاود الضحك مجدداً، بصوت أعلى وأعلى؛ إلى أن بدأ السرير كله يهتز.

إلا أن ضحكته أخافت إيريكا أكثر من دموعه. ورغم ذلك، سألته: "من هما؟ أيـن أسـتطيع إيجادهمـا؟ مـا علاقتهمـا بكل ذلـك؟". أرادت أن تهزّ هيرمان بشـدة لتجعله يجيب عن أسئلتها، أو تحصل على تفسير منه. لكن في تلك اللحظة، فتح الباب.

"ما الذي يجري هنا؟". كان هناك طبيب يقف عند الباب وقد شـبك ذراعيه، وظهر تعبير صارم على وجهه.

"أنا آسفة. أنا في الغرفة الخاطئة. لكن الرجل العجوز هنا قال إنه يريد التحدث.

ثم..." ونهضت بسرعة وخرجت من الباب موجهة إلى الطبيب نظرة اعتذار.

كان قلب إيريكا يخفق بقوة عندما عادت إلى سيارتها. أعطاها هيرمان اسمين؛ اسمين ألمانيين لم تسمع بهما من قبل قط. وهما اسمان لا يعنيان لها أي شيء. ما علاقة الألمانيين بهذا؟ هل هما على علاقة بهانس أولافسن؟ فقد حارب ضد الألمان قبل أن يهرب إلى السويد.

طوال طريق العودة إلى فجالبكا، استمر الاسمان في الدوران في رأسها: بول هيكل وفريدريك هوك. إنها واثقة تماماً من أنها لم تسمع بهذين الاسمين من قبل. لكن، لماذا يبدوان مألوفين قليلاً؟

"مارتن مولن". أجاب على الهاتف بعد أول رنين، ثم أصغى باهتمام لبضع دقائق، مقاطعاً فقط لطرح بعض الأسئلة. ثم رفع دفتره الذي دوّن عليه بعض الملاحظات خلال المحادثة الهاتفية، وذهب لرؤية ميلبرغ في مكتبه. وجده جالساً على الأرض في الوسط، ممدداً ساقيه، ومتمدداً إلى الأمام في محاولة للمس أصابع قدميه، ولكن من دون أن ينجح في ذلك.

سأل مارتن بعد أن توقف فجأة عند الباب: "أوه، عفواً. هل أقاطع شيئاً؟".

بدا إرنست مسروراً لرؤيته، فقد جاء ملوحاً بذيله، وبدأ يلعق يد مارتن. لم يجب ميلبرغ، وإنما قطّب جبينه فيما كافح للنهوض عن الأرض. توجب عليه أخيراً الاعتراف بهزيمته على مضض، ومدّ يده صوب مارتن الذي رفعه ليقف على قدميه.

تمتم ميلبرغ: "كنت فقط أنجز بعض تمارين التمدد". وتحرك نحو كرسيه بصعوبة. وحين لمح الابتسامة على وجه مارتن صرخ: "هل تريد أي شيء محدّد، أم أردت فقط مقاطعتي من دون سبب؟".

فتح ميلبرغ الدرج السفلي في مكتبه، وأخرج كيساً من "المارشمالو" بنكهة جوز الهند. شمّ إرنست الهواء، وتوجه بسرعة صوب الرائحة اللذيذة التي باتت الآن مألوفة جداً، ونظر إلى صاحبه بعينين دامعتين متوسلتين. حاول ميلبرغ توجيه نظرة صارمة إلى الكلب، إلّا أنه لان وأخرج حبة ثانية ورماها إلى إرنست، فاختفت الحبة خلال ثانيتين.

قال مارتن: "بات كلبك منتفخاً قليلاً في الوسط". موجهاً نظرة قلقة إلى إرنست الذي بدأت كرشه تشبه كرش صاحبه.

قـال ميلبـرغ برضـى: "أوه، إنـه بخير. فالقليل من الوزن الزائد جيد للجسـم". وربّت على بطنه.

أهمـل مارتـن الموضـوع، وجلـس قبالة ميلبرغ قائلاً: "تلقيـت للتو اتصالاً من بيدرسـن. كما تلقيت أيضاً تقريراً من توربجورن هذا الصباح. تم توكيد الافتراض الأساسي؛ وهو أن بريتا جوهانسون قتلت بالفعل مخنوقة بالوسادة الموضوعة قربها على السرير

قال ميلبرغ: "وكيف...

قاطعـه مارتـن وهـو ينظر إلى دفتره: "دعني أرى. اسـتعمل بيدرسـن لغة طبية قليلاً كالمعتاد، لكن ما قاله مفاده أنه تم العثور على ريشة من الوسادة في حنجرتها. ويفترض أن الريشـة قد وصلت إلى هناك فيما كانت تشـهق للتنفس أثناء الضغط بالوسـادة علـى وجههـا. كمـا بحث بيدرسـن أيضاً عن آثار للأليـاف في حنجرتها، ووجـد أليافـاً قطنيـة متطابقة مع تلك الموجودة في الوسـادة. وبالإضافة إلى ذلك، تعرضـت العظـام فـي عنقهـا للصدمـة، مما يظهـر أن أحدهـم فرض ضغطاً مباشـراً على عنقها؛ باستعمال يده على الأرجح. وقد تحققوا من البصمات الموجودة على وجهها، لكنهم لم يجدوا أي شيء لسوء الحظ".

قال ميلبرغ: "حسناً، يبدو هذا واضحاً كفاية. فحسب ما سمعته، كانت مريضة؛ مجنونة قليلاً". وأشار بإصبعه إلى صدغه.

فأجاب مارتن بحدة: "عانت من داء ألزهايمر

عندهـا، قـال ميلبـرغ متجاهـلاً انزعاج مارتن: "نعم، حسـناً، أعـرف. لكن، لا تخبرني أنك تظن أن شخصاً آخر غير الرجل العجوز هو من فعل ذلك. كان على الأرجح نوعاً من القتل الرحيم مسـروراً باسـتنتاجه المنطقي الخاص، كافأ نفسـه بحبة "مارشمالو أخرى.

قال مارتن على مضض: "أوه... حسـناً، ربما" فيما قلّب الصفحة في دفتره. "لكن، حسب توربجورن، عثروا على بصمة على الوسادة. في الواقع، يصعب كثيراً

رفع البصمات عن القماش، ولكن في هذه الحالة كانت الوسادة مثبتة ببعض الأزرار اللامعة، فظهرت بصمة واضحة على أحدها. وهذه البصمة لا تخص هيرمان". أضاف مارتن بصرامة.

قطّب ميلبرغ جبينه، ووجه إليه نظرة قلقة لهنيهة، ثم أشرق وجهه قائلاً: "إنها ربما لإحدى البنات. تحققوا للتأكد من ذلك وحسم الموضوع، ثم اتصل بالطبيب في المستشفى واطلب منه أن يعطي زوج بريتا أي دواء أو علاج بالصدمة الكهربائية لإيقاظه؛ لأننا نحتاج إلى التكلم مع الرجل قبل نهاية الأسبوع. هل هذا مفهوم؟".

تنهّد مارتن وأومأ برأسه. لم يعجبه ذلك على الإطلاق. لكن ميلبرغ محق. فما من دليل يشير إلى دخول أي شخص غريب، بل مجرد بصمة واحدة. وإذا كان حظه سيئاً، فسيتبين أن ميلبرغ محق في هذا الأمر أيضاً.

كان مارتن في منتصف طريقه إلى الباب عندما ضرب يده على جبينه واستدار قائلاً: "أوه، نسيت أمراً. اللعنة، كم أنا غبي! عثر بيدرسن على مقدار كبير من الذي أن أيه تحت أظفارها، من بشرة مكشوطة ودم. لقد خدشت على الأرجح الشخص الذي كان يخنقها. وحسب بيدرسن، كانت تملك أظفاراً حادة جداً، ولذلك خدشت على الأرجح وجه المجرم أو ذراعيه" واتكأ مارتن على عضادة الباب.

فسأل ميلبرغ: "وهل ظهرت أي خدوش على زوجها؟". فيما اتكأ إلى الأمام واضعاً مرفقيه على المكتب.

فأجاب مارتن: "لا أعرف. لكن، لا شك في أننا نحتاج إلى زيارة هيرمان بأسرع ما يمكن".

فقال ميلبرغ: "طبعاً. خذ باولاً معك". لكن مارتن كان قد غادر المكتب.

كان بير يتجول في أرجاء المنزل طوال الأيام القليلة الماضية، غير مصدق أن الأمر استمر طيلة هذا الوقت. فأمه لم تنجح قطّ في البقاء رزينة ليوم واحد منذ أن غادر والده. وبالكاد يتذكر بير كيف كانت الأمور قبل ذلك، لكن الذكريات القليلة لديه جميلة فعلاً.

ورغم أنه حاول الكشف عن بعض المقاومة، إلّا أنه بدأ يشعر بالأمل؛ المزيد

والمزيد من الأمل مع مرور كل ساعة، وحتى في كل دقيقة. بدت كارينا مضطربة، واستمرت في توجيه نظرات خجلة إليه كلما صادفا بعضهما، لكنها كانت رزينة. تحقق من كل الأماكن فلم يعثر على قنينة واحدة تم شراؤها حديثاً؛ ولا واحدة. إنه يعرف كل مخابئها. وفي الواقع، لم يفهم قط سبب إزعاجها نفسها في إخفاء القناني. إذ كان بوسعها تركها على رف المجلى.

سألت كارينا بهدوء: "هل أحضّر بعض العشاء لنا؟". فيما وجهت إليه نظرة حذرة. وبدا الأمر كما لو أنهما يتعاملان مع بعضهما كشخصين التقيا للمرة الأولى، ولا يعرفان بالضبط كيف ستسير الأمور. إنه وصف دقيق ربما؛ فقد مضى زمن طويل على رؤيته إياها رزينة. ولم يعد يعرف بالضبط من تكون من دون أن تكون ثملة. وهي لم تعرفه أيضاً. كيف كان بوسعها تعقب ما يجري فيما مشت دوماً وسط ضبابة من الشراب عتّمت كل شيء رأته، وكل شيء فعلته؟ أصبحا الآن غريبين على بعضهما، لكنهما غريبان فضوليان ومهتمان ومتفائلان.

سألته: "هل سمعت أي شيء عن فرانس؟". فيما أخرجت أغراضاً من البراد لإعداد المعكرونة مع اللحم.

لم يعرف بير ماذا يقول. فطوال حياته، قيل له إنه يُمنع عليه منعاً باتاً التواصل بأي شكل من الأشكال مع جده لأبيه، لكن فرانس هو الذي تدخل وأنقذ الوضع، أو على الأقل أعطاهما بصيص أمل إلى أنه من الممكن إنقاذه.

لاحظت كارينا ارتباك ابنها ورفضه الإجابة فقالت: "لا بأس. يستطيع كجيل قول ما يريده. لكن، برأيي الخاص، يمكنك التحدث مع فرانس. شرط أن..." وترددت، خشية أن تقول أمراً خاطئاً، شيئاً قد يوقع الخلل في التوازن الدقيق الذي أمضيا الأيام القليلة الماضية في تأسيسه. لكنها استجمعت شجاعتها وقالت: "لا مشكلة لديّ إذا اتصلت بجدك. إنه... حسناً، قال فرانس أشياء لا بد من قولها. أشياء جعلتني أدرك...". ووضعت السكين الذي كانت تستعمله لفرم البصل، ولاحظ بير أنها تكافح لحبس دموعها فيما استدارت لمواجهته. "لقد جعلني أرى أهمية تغيير الأمور، وأنا ممتنة له على ذلك. لكنني أريدك أن تعدني بألا تتجول مع... أولئك الأشخاص الذين يرتبط بهم". ووجهت إليه نظرة متوسلة، وقد بدأت

شـفتها السـفلية ترتجف. "في المقابل، لا أسـتطيع أن أعدك بأي شـيء... أتمنى أن تفهمني. فالأمر صعب جداً. كل يوم، كل دقيقة صعبة. أعدك فقط أنني سأحاول. اتفقنا؟". ومجدداً، نظرت إليه بتلك النظرة التوسلية الخجلة.

أحسّ بير أن الانقباض في صدره بدأ يرتخي قليلاً. فخلال كل تلك الأعوام، الشـيء الوحـيد الـذي أراده- خصوصــاً بعدما تركهما والـده- هو الإذن لكي يكون ولـداً. لكنـه عوضــاً عـن ذلـك، أجبر على تنظيف القيء، والتأكـد من عدم إحراقها المنزل حين كانت تدخّن في السـرير، والخروج لإنجاز كل التسـوق. كما توجب عليه القيام بأمور لا يفترض بصبي صغير القيام بها. عادت كل تلك الذكريات إلى عقله. لكن، لا يهمّ. لأن الشيء الوحيد الذي سمعه كان صوتها، صوت الأم الناعم والمتوسل. ثم تقدّم خطوة إلى الأمام، ووضع ذراعيه حولها. وضمّ نفسه إليها رغم أنه أطول منها. وللمرة الأولى منذ عشرة أعوام، سمح لنفسه بأن يشعر مثل طفل.

فجالباكا 1945

قالت بريتا وهي تربّت على ذراع هانس: "ألا يبدو رائعاً أن تأخذ إجازة من العمل؟". بالكاد ضحك وأبعد يدها عن ذراعه. فبعدما تعرّف إليهم جميعاً خلال الأشهر الستة الماضية، بات يدرك تماماً متى يتم استخدامه لجعل فرانس غيوراً. وتلك النظرة المسرورة التي تلقاها من فرانس، أخبرته أنه هو أيضاً يعرف بالضبط نية بريتا. لكن هانس أعجب بعناد بريتا فعلاً. فهي لا تتوقف تقريباً عن تعليق الآمال على فرانس.

لا شك في أن فرانس نفسه مسؤول جزئياً عن ذلك؛ لأنه يشجع مشاعرها تجاهه بين الحين والآخر، ويعاملها بعد ذلك ببرودته الاعتيادية. رأى هانس أن اللعبة التي يلعبها فرانس وحشية ومؤلمة، ولكنه لم يشأ التدخل. فما أزعجه هو اكتشافه من يهتم بها فرانس فعلاً. نظر إليها فيما جلست على مسافة قصيرة منه، وأحسّ بانقباض في صدره؛ ففي تلك اللحظة بالذات، قالت شيئاً ما لفرانس ثم ابتسمت. تملك إلسي ابتسامة جميلة. وليست ابتسامتها هي الجميلة فقط. فعيناها، وروحها، وذراعاها اللتان تظهران في الفستان قصير الكمين الذي ترتديه، والغمازة الصغيرة التي تظهر إلى يسار فمها حين تبتسم كلها جميلة. كل شيء فيها جميل، كل تفصيل.

كانت إلسي وعائلتها لطفاء معه. دفع مبلغاً صغيراً ورمزياً بدل الإيجار، ودبّر له إيلوف عملاً في أحد المراكب. وغالباً ما تمت دعوته للانضمام إلى العائلة أثناء تناول وجبات الطعام- كل مساء تقريباً- وثمة شيء في حنانهم ورفقتهم ملأ كل كيانه وروحه. والعواطف التي سلبتها الحرب منه بدأت تعود ببطء.

هناك إلسي أيضاً. حاول هانس كبح الأفكار والمشاعر التي سيطرت عليه كلما استلقى على السرير ليلاً وتصوّرها في عقله. لكنه أدرك أخيراً أنه مغرم بها.

وأصابته الغيرة في صميم قلبه كلما رأى فرانس ينظر إلى إلسي بالتعبير نفسه الذي افترض أنه مرسوم على وجهه.

لم تكن بريتا ذكية كفاية لاستيعاب ما يجري، لكنها فهمت في قرارة نفسها أنها ليست محط التركيز الأساسي عند فرانس وهانس، وعرف الأخير أن هذا الأمر أزعجها كثيراً. كانت فتاة سطحية وأنانية، ولم يفهم فعلاً لماذا أرادت فتاة مثل إلسي أن تمضي الوقت معها أساساً. لكن، طالما أن إلسي اختارت أن تكون بريتا صديقة لها فعليه تحمل هذا الأمر أيضاً.

كان إيريك أكثر شخص استلطفه هانس بين أصدقائه الأربعة الجدد، باستثناء إلسي. فثمة شيء ناضج ورزين فيه وجده هانس مطمئناً. وقد أحب الجلوس بعيداً عن الآخرين قليلاً والتحدث إلى إيريك. ناقشا الحرب والتاريخ والسياسة والاقتصاد، وفرح إيريك لدى اكتشافه أنه وجد في هانس الندّ الذي كان يتوق إليه. لا شك في أنه لم يكن مثقفاً مثل إيريك في ما يتعلق بالحقائق والأرقام، لكنه عرف الكثير عن العالم وعن التاريخ، وعن كيفية ارتباط مختلف الأشياء ببعضها بعضاً. تحدثا لساعات طويلة. واعتادت إلسي على المزاح معهما، والقول إنهما يبدوان مثل رجلين عجوزين يخبران بعضهما القصص الطويلة. لكن هانس لاحظ أنها كانت مسرورة لاستمتاعهما بصحبة بعضهما.

الشيء الوحيد الذي لم يتحدثا عنه كان شقيق إيريك. إذ لم يتطرق هانس إلى الموضوع مطلقاً، وبعد تلك المرة الأولى، لم يفعل إيريك ذلك أيضاً.

قالت إلسي: "أعتقد أن أمي ستحضر العشاء قريباً". فيما نهضت ورتبت فستانها. فأومأ هانس برأسه، ونهض أيضاً قائلاً: "من الأفضل أن أذهب معك، وإلا فستغضب أمك كثيراً". ونظر إلى إلسي التي ابتسمت ببراءة، وبدأت تنزل الهضبة الصخرية. لاحظ هانس أنها توردت خجلاً. كان في السابعة عشرة من عمره، أي أكبر منها بسنتين، ولكنها جعلته دوماً يشعر أنه صبي أحمق.

لوّح للآخرين الذين بقوا حيث هم، ونزل الهضبة خلف إلسي. نظرت إلى كلا الاتجاهين قبل أن تجتاز الطريق، ثم فتحت الباب المؤدي إلى المقبرة؛ إنها طريق مختصرة إلى المنزل.

قال: "الطقس جميل جداً الليلة". وسمع بنفسه كيف بدا صوته متوتراً. فشتم نفسه في سره، وطلب من نفسه التوقف عن التصرف مثل أحمق. كانت تمشي بسرعة في الممر المرصوف بالحصى، فلحق بها. وبعد بضع خطوات، وصل إليها ومشى بالقرب منها، واضعاً يديه في جيبَي سرواله. لم تجب على تعليقه بشأن الطقس؛ مما بعث الارتياح في نفسه لأن التعليق كان سخيفاً فعلاً.

فجأة، أحسّ بسعادة غامرة. إذ كان يمشي بالقرب من إلسي، وينظر إليها بين الحين والآخر. كان الهواء دافئاً بشكل مفاجئ، وأصدر الحصى صوت انسحاق جميل تحت أقدامهما. إنها المرة الأولى التي يشعر فيها هكذا منذ زمن طويل. في الواقع، لم يشعر هكذا من قبل قطّ. فقد كانت هناك العديد من العقبات؛ الكثير منها، مما جعل صدره يتألم بسبب الذل والكراهية والخوف. بذل ما بوسعه كي لا يفكر في الماضي؛ فلحظة تسلل إلى مركب والد إلسي، قرر ترك كل شيء خلفه، وعدم النظر إلى الوراء.

لكن الصور عادت الآن من تلقاء نفسها. مشى بهدوء بالقرب من إلسي، محاولاً إعادة تلك الأفكار إلى الأعماق حيث خبأها، لكنها شقت طريقها بقوة عبر الحواجز للوصول إلى وعيه. هذا هو ربما الثمن الذي يجدر به دفعه لقاء لحظة من السعادة الصرفة. هذه اللحظة الوجيزة الحلوة والمرة. وفي هذه الحالة، تستحق هذه اللحظة العناء ربما. لكن هذه الفكرة لم تساعده الآن فيما مشى بالقرب من إلسي وأحسّ بكل الوجوه، والمناظر، والروائح، والذكريات، والأصوات تتدفق عليه. أصابه الذعر، وأحسّ أن عليه فعل شيء ما. بدأت حنجرته تنقبض، وأصبح تنفسه سريعاً. لم يعد بوسعه حبس كل الذكريات، ولكنه لا يستطيع السماح لها بأن تسيطر عليه. عليه أن يفعل شيئاً.

في تلك اللحظة، لامست يد إلسي يده. إلا أن تلك اللمسة جعلته يقفز في مكانه. كانت ناعمة وكهربائية، وفي بساطتها، كانت كل ما يحتاج إليه لإبعاده عما لا يريد التفكير فيه. توقف فجأة على الهضبة فوق المقبرة. كانت إلسي فوقه بخطوة واحدة، وعندما استدارت، أدّى الفارق في الارتفاع إلى جعل وجهها بمستوى وجهه.

سألته وقد بدت قلقة: "ما المشكلة؟". في تلك اللحظة، لم يعرف ماذا حصل

له. إذ تقدم صوبها، وأمسك وجهها بين يديه، وقبّلها برفق على شفتيها. في البداية، تجمدت، فأحسّ بالذعر يتصاعد داخله. ثم استرخت فجأة، وأصبحت شفتاها طريتين تحت شفتيه، فشعر بالذعر والحماسة. أدرك أنها لم تقبّل أحداً من قبل، فأغمض عينيه، وأبعدها عنه، ثم نظر إلى الأعلى بعد ثوانٍ قليلة. أول ما رآه كان عينيها. وعكست تانك العينان صورة ما شعر به شخصياً.

فيما عادا معاً إلى المنزل، ببطء وصمت، اختفت كل صور الماضي. كما لو أنها لم تتواجد يوماً.

* * *

كان كريستيان غارقاً تماماً في تأمل ما هو موجود على شاشة كمبيوتره حين دخلت إيريكا. لقد جاءت إلى المكتبة مباشرة من أوديفالا، وكانت لا تزال مرتبكة منذ أن تركت هيرمان في المستشفى. إنها مقتنعة بوجود شيء مألوف في هذين الاسمين الألمانيين، ولذلك دوّنتهما على قصاصة ورقية قدّمتها الآن إلى موظف المكتبة وهي تقول: "مرحباً كريستيان. هل يمكنك أن ترى إذا كانت هناك أي معلومات بشأن هذين الشخصين: بول هيكل وفريديريك هوك".

وفيما ألقى نظرة على الاسمين، لاحظت كم بدا منهكاً. إنه يعاني ربما من زكام الخريف، أو يواجه مشاكل مع أولاده، لكنها قلقت فعلاً بشأنه.

قال: "اجلسي من فضلك وسأجري البحث"

جلست، وأملت خيراً في قرارة نفسها، لكن آمالها تبددت حين لم ترَ أية ردة فعل على وجه كريستيان عندما تأمل نتائج بحثه.

قال أخيراً: "أخشى أنني لم أستطع العثور على أي شيء" وهزّ رأسه معتذراً: "لا شيء في الأرشيف أو قاعدة البيانات لدينا. لكن، يمكنك البحث عبر الإنترنت. وأعتقد أن هذين الاسمين شائعان جداً في ألمانيا"

فأجابت إيريكا خائبة الأمل: "حسناً. إذاً، لا يوجد أي رابط بين الاسمين والمنطقة المحلية؟".

"لا"

تنهدت إيريكا وقالت: "أوه، حسناً. اعتقدت أن الأمر سهل جداً". ثم أشرق

وجهها. "هل يمكنك التحقق مما إذا كان هناك أي شيء في الأرشيف عن شخص تم ذكره في المقال الذي وجدته لي آخر مرة جئت فيها إلى هنا؟ فنحن لم نجرِ بحثاً عنه تحديداً، وإنما فقط عن أمي وأصدقائها. إنه مقاوم نروجي اسمه هانس أولافسن، وكان هنا في فجالباكا...

قال كريستيان باقتضاب: "قرابة نهاية الحرب. نعم، أعرف".

قالت إيريكا: "أتعرف بشأنه؟". وتضاءلت حماستها نوعاً ما.

"لا. لكنها المرة الثانية التي يسألني فيها أحد عنه خلال الأيام القليلة الماضية. يبدو أنه كان شعبياً".

فسألت إيريكا حابسة أنفاسها: "من الذي أراد أيضاً معرفة معلومات عنه؟".

فأجاب كريستيان: "عليّ التحقق". ثم برم كرسي مكتبه صوب صندوق ملفات صغير. "ترك بطاقته المهنية في حال وجدتُ شيئاً عن ذلك الفتى. فإذا وجدت أي معلومات، يفترض بي أن أتصل به". ودندن بهدوء فيما فتش في العلبة، إلى أن وجد أخيراً ما كان يبحث عنه.

"آه. ها هي. إنه كجيل رينغهولم".

قالت إيريكا مبتسمة: "شكراً كريستيان. أعرف الآن مع من يجدر بي التحدث قليلاً".

قهقه كريستيان: "يبدو الأمر جدياً". لكن الابتسامة لم تصل إلى عينيه.

"ليس تماماً. لكنني أشعر بالفضول حيال سبب اهتمامه بهانس أولافسن". كانت إيريكا تفكر بصوت عالٍ. "إذاً، هل وجدت أي شيء عنه أثناء وجود كجيل رينغهولم هنا؟".

"المواد نفسها التي أعطيتك إياها في المرة الماضية. أخشى أنه لا يوجد أي شيء إضافي".

قالت إيريكا متنهدة: "حسناً، حصاد اليوم قليل. هل تمانع إذا دوّنت الرقم من بطاقته المهنية؟".

قال كريستيان: "أهلاً بك". وأعطاها البطاقة.

فقالت: "شكراً". وغمزته، فردّ لها الغمزة، لكنه بدا متعباً.

قالـت: "هـل تتابـع التقـدم فـي كتابـك؟ هـل أنت واثـق من أنني لا أسـتطيع مساعدتك في أي شيء؟ الحورية؛ ذاك هو العنوان، أليس كذلك؟".

قال: "أوه طبعاً. كل شيء على ما يرام". رغم أن الحماسة في صوته لم تكن حقيقية. "ونعم، سيكون عنوانه الحورية. لكن، اعذريني الآن، فعليّ إنجاز أمر ما". وأدار لها ظهره، وبدأ يضغط على لوحة مفاتيح الكمبيوتر.

استغربت إيريكا تصرف كريستيان؛ فهي لم تعهده يتصرف بمثل هذه الطريقة من قبل. أوه حسـناً، اسـتجمعت قواها فيما خرجت من المكتبة، ثمة أمور أخرى عليها فعلها أيضاً. وعلى رأس اللائحة التكلم مع كجيل رينغهولم.

اتفقـا علـى اللقـاء فـي فيدو. ثمة احتمال ضئيل بـأن يراهما أي كان هناك في هذا الوقت من السـنة، وإذا حصل أن رآهما أحدهم، فسـيعتبرهما رجلين عجوزين يتنزهان.

قال أكسيل: "تخيل فقط لو أنه كان بوسع الشخص رؤية ما ينتظره مستقبلاً". فيمـا ركل حجـراً تدحـرج صوب الشـاطئ. في فصل الصيف، يتشـارك السـباحون الشاطئ مع مجموعة من الأبقار، ومن الشائع رؤية بقرة تبرّد نفسها في الماء فيما يذهب الأولاد للسـباحة. لكن الشـاطئ مقفر في الوقت الحاضر، وحملت الرياح معها قطعاً جافة من الطحالب البحرية.

مـن دون ذكـر الموضـوع بطريقـة فعليـة، اتفقا على عـدم التحدث عن إيريك أو بريتـا. لـم يفهـم أي منهمـا لماذا اتفقا على اللقاء؛ إذ لن يجدي الأمر نفعاً، ولن يغيّر أي شيء. لكنهما كليهما شعرا بالحاجة إلى أن يتقابلا. كان الأمر أشبه بعضّة البعوضة التي تسـتلزم الحك. ورغم معرفتهما بأن هذا سـيزيد الأمور سـوءاً- تماماً مثل عضة البعوضة- إلّا أنهما استسلما للتجربة.

قال فرانس وهو يحدّق إلى الماء: "أفترض أن المسألة كلها قائمة على أنه لا أحد يعرف مسبقاً ما ينتظره. ولو امتلك الشخص القدرة على معرفة كل ما سيعيشه خـلال جياتـه، لمـا نهض من السـرير أبداً. يجدر بالناس اسـتيعاب الحياة بجرعات صغيرة، ومصادفة الأحزان والمشاكل بأجزاء صغيرة بما فيه الكفاية لتحملها".

قال أكسيل: "تملك الحياة أحياناً طريقتها في تقديم حصص كبيرة جداً حيث يصعب تحملها". وركل حجراً آخر.

فقال فرانس فيما استدار للنظر إلى أكسيل: "قد ينطبق هذا الأمر على الآخرين، ولكن ليس عليك أو عليّ. قد نبدو مختلفين جداً في عيون الآخرين، لكننا نشبه بعضنا كثيراً. وأنت تعرف ذلك. فنحن لم نتراجع مطلقاً؛ مهما كانت الحصة الكبيرة المعطاة لنا".

بالكاد أومأ أكسيل برأسه، ثم نظر إلى فرانس مجدداً وقال: "هل أنت نادم على أي شيء؟".

فكّر فرانس في السؤال لوقت طويل جداً، ثم قال: "وما الذي سأندم عليه؟ فما حصل قد حصل. لقد اتخذنا جميعاً خياراتنا. أنت اتخذت خياراتك وأنا اتخذت خياراتي. هل أنا نادم؟ لا. فبِمَ سينفع الندم؟"

هزّ أكسيل كتفه وقال: "أفترض أن الندم تعبير للبشرية. ولولا الندم... ماذا كنا سنصبح؟".

"لكن السؤال يبقى: هل يغيّر الندم أي شيء؟ وينطبق الأمر نفسه على العمل الذي تنجزه؛ الثأر. لقد خصصت كل حياتك لمطاردة المجرمين، وكان الثأر هدفك الوحيد، وما من هدف آخر. هل غيّر ذلك أي شيء؟ لقد مات ستة ملايين شخص في معسكرات الاعتقال. هل تبدّل ذلك نتيجة تعقبك امرأة كانت آمرة سجن خلال الحرب لكنها أمضت حياتها بعد ذلك كمدبّرة منزل في الولايات المتحدة؟ إذا أحضرتها إلى هنا للمثول أمام المحكمة ومحاكمتها على الجرائم التي ارتكبتها قبل أكثر من ستين عاماً، فهل سيتبدل أي شيء؟".

ابتلع أكسيل لعابه، فهو يثق كثيراً في ضرورة العمل الذي ينجزه. لكن فرانس تطرق إلى نقطة حساسة. فقد طرح السؤال الذي طرحه أكسيل على نفسه أكثر من مرة خلال لحظات الضعف.

"إنه يجلب السلام لعائلات الضحايا؛ وهو دليل على أننا لن نعتبر تلك التصرفات بمثابة سلوك بشري مقبول".

فقال فرانس واضعاً يديه في جيبيه: "اللعنة! هل تظن فعلاً أن هذا الأمر

سيخيف أحدهم أو يعطي إشارة حين يكون الحاضر أقوى من الماضي بكثير؟ فمن طبيعة البشر عدم رؤية عواقب أفعالهم، وعدم التعلم من التاريخ. أما بالنسبة إلى السلام، إذا لم يجد أحدهم السلام بعد ستين عاماً، فلن يجده أبداً. وتقع على كل فرد مسؤولية إيجاد سلامه الخاص. إذ لا يمكنك توقع أي نوع من المكافأة، أو الاعتقاد أنك ستلقى الثواب يوماً ما"

قال أكسيل: "هذه كلمات ساخرة ومتشائمة". أصبحت الرياح أكثر برودة، فبدأ يرتجف.

"أريدك فقط أن تدرك أنه وراء كل المبادئ النبيلة التي تظن أنك كرّست حياتك لأجلها، ثمة عاطفة بشرية بدائية وأساسية؛ ألا وهي الرغبة في الثأر. أنا لا أفكر في الثأر؛ إذ إن الشيء الوحيد الذي يجب أن نركز عليه هو فعل ما بوسعنا لتبديل الحاضر

فقال له أكسيل بصوت متوتر: "وهل هذا ما تظن أنك تفعله؟".

أجاب فرانس بنبرة جافة: "نحن نقف على طرفين متناقضين من المتراس، أنا وأنت يا أكسيل. لكن، نعم، هذا ما أظن أنني أفعله. أنا أغيّر شيئاً، ولا أسعى وراء الثأر. ولست نادماً على أي شيء، بل أتطلع إلى الأمام، وأتصرف وفق معتقداتي. وهذا بالتأكيد مختلف تماماً عما تفعله أنت. لكننا لن نتفق أبداً. فقد اختلف مسارانا قبل ستين عاماً، ولن يلتقيا مجدداً أبداً".

سأل أكسيل بهدوء: "كيف أصبحت الأمور هكذا؟"

"هذا ما أتحدث عنه تحديداً. إذ لا يهم كيف حصلت الأمور، وإنما هذا ما حصل. والشيء الوحيد الذي يجب أن نحاول فعله هو التغيير والصمود وليس النظر إلى الخلف، بالإضافة إلى عدم الغرق في الندم أو التفكير في كيفية تغيّر الأمور". وصمت فرانس قليلاً، وأجبر أكسيل على النظر إليه، ثم تابع: "لا يمكنك النظر إلى الخلف. فما حصل قد حصل. الماضي قد مضى، وما من شيء لتندم عليه".

قال أكسيل مخفضاً رأسه: "أنت مخطئ في هذا فرانس. أنت مخطئ جداً في هذا".

على مضض شديد جداً، وافق طبيب هيرمان على السماح لهما بالتحدث مع مريضه لبضع دقائق، بعدما وافق مارتن وباولا على وجود اثنتين من بنات هيرمان أثناء المقابلة التي سمح بها الطبيب.

قال مارتن: "مرحباً هيرمان". وتحدث بهدوء ممسكاً بيد الرجل المستلقي على السرير. فهزّ هيرمان يده، لكن قبضته كانت ضعيفة. "التقينا في منزلك، لكنني لست متأكداً من أنك تذكرنا. هذه زميلتي باولا موراليس. ونحن نودّ أن نطرح عليك بعض الأسئلة، إذا أمكن".

وجلس هو وباولا قرب السرير.

قال هيرمان: "حسناً". وبدا أكثر إدراكاً لمحيطه الآن. فيما جلست ابنتاه في الجهة الأخرى من السرير، وكانت آنا غريتا تمسك بيد والدها.

قال مارتن: "أتقدم إليك بأحرّ التعازي. فقد عرفت أنك وبريتا متزوجان منذ زمن طويل، أليس كذلك؟",

أجاب هيرمان: "منذ خمسة وخمسين عاماً". وللمرة الأولى منذ وصولهما، رأى بريق حياة في عينيه. "تزوجنا أنا وبريتا لخمسة وخمسين عاماً

قالت باولا: "هل يمكنك إخبارنا بما حصل؟ متى ماتت؟". محاولة اعتماد النبرة اللطيفة نفسها التي اعتمدها مارتن.

حدّقت آنا غريتا وبريجيتا إليهما بعصبية، وكانتا على وشك الاحتجاج عندما لوّح هيرمان بيده.

مارتن الذي لاحظ سابقاً عدم وجود خدوش على وجه هيرمان، بذل ما بوسعه للنظر تحت كمَّي رداء المستشفى بحثاً عن علامات خدوش؛ غير أنه لم يستطع رؤية أي شيء. لكنه قرر الانتظار لتوكيد هذه الملاحظة بعد الانتهاء من المقابلة.

قال هيرمان: "ذهبت إلى منزل ابنتي لشرب القهوة. فبناتي لطيفات جداً معي، وخصوصاً بعدما أصبحت بريتا مريضة" وابتسم هيرمان لابنتيه. "كانت هناك الكثير من الأمور للتحدث بشأنها. فقد قررتُ أنه من الأفضل أن تعيش بريتا في مكان ما حيث يستطيع شخص آخر الاهتمام بها أكثر وواجه صعوبة في التكلم.

فربّتت آنا غريتا على يده قائلة: "كان هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن فعله

بابا. إذ لم يكن هناك أي خيار بديل، وأنت تعرف ذلك"

بدا وكأن هيرمان لم يسمعها، إذ تابع قائلاً: "شعرت بالقلق لأنني غبتُ عنها لوقت طويل؛ ساعتين تقريباً. فأنا لم أعتد على الابتعاد عنها لأكثر من ساعة واحدة فيما تأخذ قيلولة بعد الظهر، حيث لا تعلم أنني غير موجود. كنت خائفاً جداً... خائفاً جداً من أن تستيقظ وتضرم النار في المنزل وفي نفسها". كان يرتجف، لكنه أخذ نفساً عميقاً وتابع: "ناديتها بالاسم عندما وصلت إلى المنزل، لكنها لم تجب. عندها، قلت لنفسي: إنها لا تزال نائمة. الحمد لله. وهكذا، صعدت إلى غرفة نومنا. وهناك وجدتها مستلقية... وجدت الأمر غريباً نظراً إلى وجود وسادة فوق وجهها. فلماذا تستلقي على السرير هكذا؟! اقتربت منها ورفعت الوسادة، فأدركت فجأة أنها ميتة. عيناها... كانت عيناها تحدقان إلى السقف، وكانت جامدة جداً جداً". بدأت الدموع تنهمر على وجهه، فمسحتها آنا غريتا برفق.

وقالت متوسلة: "هل هذا ضروري فعلاً؟". فيما نظرت إلى مارتن وباولا، وتابعت: "لا يزال بابا في حالة صدمة، و...

قال هيرمان: "لا بأس آنا غريتا. لا بأس

"حسناً، وإنما لبضع دقائق إضافية فقط بابا. وبعد ذلك، سأرميهما بنفسي خارجاً؛ لأنه عليك أن ترتاح".

قال هيرمان: "لطالما كانت الأكثر وحشية بين بناتي؛ فهي متسلطة حقيقية" وظهرت ابتسامة خفيفة على وجهه.

فقالت آنا غريتا: "هسسسس. يكفي الآن. لا داعي لأن تكون وقحاً هكذا" لكنها بدت مسرورة لأنه امتلك الطاقة لممازحتها.

فقالت باولا متفاجئة: "إذاً، أنت تقول إنها كانت ميتة أصلاً عندما دخلت الغرفة، أليس كذلك؟ إذاً، لماذا قلتَ إنك قتلتها؟".

أجاب هيرمان وتعبير حزين يبدو على وجهه مجدداً: "لأنني قتلتها. لكنني لم أقل قط إنني خنقتها؛ رغم أنه كان بوسعي فعل ذلك أيضاً". ونظر إلى يديه عاجزاً عن النظر إلى عيون الشرطيين أو ابنتيه.

"بابا، ماذا تقصد؟". بدت آنا غريتا محتارة، لكن هيرمان رفض الإجابة.

سأل مارتن: "هل تعرف من قتلها؟". وقد استوعب فوراً أن هيرمان لن يشرح سبب إصراره بعناد على القول إنه قتل زوجته.

عندها، قالت آنا غريتا لمارتن فيما وقفت: "سمعتَ ما قاله والدي. لقد قال كل ما يريد قوله. الشيء المهم هو أنه ليس من قتل أمي. أما بالنسبة إلى ما تبقى... فإن حزنه هو الذي يتكلم".

نهض مارتن وباولا، ثم قال مارتن وقد استدار صوب هيرمان: "شكراً لك على السماح لنا بالتحدث إليك. لكن، ثمة شيء أخير نحتاج إلى طلبه منك؛ فللتأكيد على ما قلته للتو، نحن بحاجة إلى إلقاء نظرة على ذراعيك. إذ إننا نعلم أن بريتا قد خدشت الشخص الذي خنقها".

"هل هذا ضروري فعلاً؟ يقول إن... وأصبح صوت آنا غريتا أعلى، لكن هيرمان رفع ببطء كمّي رداء المستشفى ومدّ ذراعيه صوب مارتن الذي تأملهما بعناية. لا آثار للخدوش.

قالت آنا غريتا: "هل رأيت؟". وبدت وكأنها راغبة فعلاً في تنفيذ تهديدها ورمي مارتن وباولا خارج الباب.

قال مارتن: لقد أنهينا مهمتنا الآن. شكراً لك على وقتك هيرمان. ومجدداً، نقدم لك أحرّ التعازي". ثم أشار إلى آنا غريتا وبريجيتا بأنه يرغب في التحدث إليهما على انفراد.

وعندما أصبحوا في الرواق، شرح لهم الوضع المتعلق بالبصمة التي عثروا عليها على الزر، ووافقتا فوراً على تقديم بصماتهما لحذفهما من خانة الاتهام. وفيما كانتا على وشك الانتهاء، وصلت ماغان، ووافقت هي أيضاً على أن يتم إرسال بصمات الفتيات الثلاث إلى المختبر.

جلس مارتن وباولا في السيارة لفترة قبل الانطلاق. وسألت باولا فيما وضعت المفتاح في مكانه: "برأيك، من يحمي؟".

"لا أعرف. لكنني حصلت على الانطباع نفسه. فهو يعرف من قتل بريتا، لكنه يريد حماية ذلك الشخص. ولهذا السبب يشعر بالمسؤولية نوعاً ما"

قالت باولا وقد أدارت المحرك: "ليته يخبرنا فقط"

"نعـم، لا أسـتطيع..." وهـزّ مارتـن رأسـه منزعجاً، وطبع بصماتـه على لوحة أجهزة القياس في السيارة.

"لكن، هل تصدقه؟". وعرفت باولا مسبقاً ما سيكون عليه جوابه.

"نعم، أصدقه. وحقيقة عدم وجود خدوش على ذراعيه تثبت أنني محق. لكنني لا أفهم سبب رغبته في حماية قاتل زوجته، أو لماذا يشعر أنه المسؤول عن موتها شخصياً!".

قالت باولا فيما أخرجت السـيارة من المرأب: "حسـناً، قد لا نعرف الجواب عن هذا السؤال أبداً. لكننا على الأقل نملك بصمات الفتيات. وعلينا إرسالها إلى المختبـر بأسـرع مـا يمكن لحذفهن من خانة الشـبهات، والبـدء بمحاولة معرفة من ترك تلك البصمة".

قال مارتن: "أفترض أن هذا كل ما بوسعنا فعله في الوقت الحاضر ثم تنهد بقوة، ونظر إلى خارج نافذة السيارة.

ولم يلاحظ أي منهما إيريكا عندما التقياها شمال تورب.

فجالباكا 1945

لـم تكـن صدفـة أن فرانـس رأى ما حصل. فقد أبقى عينيه على إلسـي طوال الوقت من أعلى الهضبة، وأراد النظر إليها إلى أن تختفي عن نظره، ورأى القبلة. أحسّ أن دمه يغلي في جسـمه، لكن برودة جليدية انتشـرت في أطرافه. كان الأمر مؤلماً جداً؛ حيث أحسّ بأنه سيموت على الفور.

سـأل إيريك الذي لمح أيضاً ما حصل بين هانس وإلسـي: "هل رأيت هذا؟ يبدو وكأن..."، وضحك وهزّ رأسه. إلا أن ضحكة إيريك جعلت نوراً أبيض ينفجر داخل رأس فرانس، فاحتاج إلى طريقة ما للتخلص من كل الألم الذي يشـعر به، فانقضّ على إيريك وأمسكه من عنقه بقوة كبيرة.

"اخرس، اخرس، اخرس أيها الغبي اللعين... وأمسك بعنق إيريك بقوة أكبر، مما جعل الصبي يشهق محاولاً التنفس. وفرح لدى رؤيته الذعر في عينَي إيريك؛ كمـا لـو أن هـذا خفّـف نوعـاً ما العقـدة الموجودة دوماً في معدتـه، والتي بدا أنها ازدادت عشرة أضعاف عند رؤيته القبلة.

"ماذا تفعل؟!". صرخت بريتا، فيما حدّقت إلى الصبيين المطروحين أرضاً. كان إيريك على ظهره، فيما فرانس فوقه. ومن دون تفكير، أسرعت صوبهما، وأمسكت بقميص فرانس، لكنه ضربها بذراعه بقوة لدرجة أنها تدحرجت إلى الخلف.

صرخـت: "توقـف... فرانس! توقف!". فيمـا ابتعدت عنه والدموع تنهمر على وجنتيهـا. كان ثمـة شـيء فـي نبرتها أعاده إلى رشـده، فنظر إلـى إيريك الذي صار لون وجهه غريباً، وأفلت عنقه.

وتمتم فيما فرك عينيه: "أنا آسف... أنا آسف... أنا..."

جلس إيريك وحدّق إليه، فيما تحسسـت يداه حنجرته المتألمة. "ما كان كل ذلك؟ كنت على وشك خنقي! هل فقدت صوابك؟". كانت نظارة إيريك منحرفة،

فنزعها ثم وضعها مجدداً كما يجب.

حدّق فرانس مباشرة أمامه، وهناك نظرة فارغة تبدو في عينيه، ولكنه لم يجب.

فقالت بريتا بمرارة: "إنه مغرم بإلسي. هذا هو السبب" فيما مسحت الدموع عن وجهها بمتن يدها وتابعت: "وظن في الواقع أنه يملك فرصة معها. لكنك مغفل لأنك ظننت ذلك فرانس! فهي لم تنظر إليك يوماً. وها قد رمت نفسها الآن بين أحضان ذلك النروجي. أما أنا..." وانفجرت في البكاء، وبدأت تنزل الهضبة كثيرة الصخور.

راقبها فرانس وهي تذهب من دون قول أي شيء.

"اللعنة فرانس. لست... هل هذا صحيح؟". وحدّق إليه إيريك. "هل أنت مغرم بإلسي؟ أقصد، إذا كان الجواب نعم، فأنا الآن أفهم سبب جنونك. لكنك لا تستطيع...". وتوقف إيريك عن الكلام وهزّ رأسه.

لم يجب فرانس، فهو لا يستطيع الكلام. إذ كان رأسه مليئاً بصورة هانس وهو ينحني إلى الأمام لتقبيل إلسي، فيما هي تبادله قبلته.

* * *

في هذه الأيام، باتت إيريكا تنتبه أكثر فأكثر كلما رأت سيارة شرطة، وظنت أنها رأت مارتن في تلك السيارة التي مرّت أمامها للتو قبل تورب، فيما هي متوجهة إلى أوديفالا للمرة الثانية هذا اليوم. وتساءلت عن المكان الذي كان فيه مارتن.

لا داعي للعجلة أبداً في الأبحاث التي تجريها، لكنها عرفت أنها لن تتمكن من الكتابة بسلام إلا إذا تتبعت المعلومات الجديدة التي حصلت عليها. وأرادت أن تعرف سبب اهتمام كجيل، الصحافي في جريدة بوهوسلانينجن، بمقاوم نروجي.

لاحقاً، فيما كانت تنتظر في ردهة الاستقبال في جريدة بوهوسلانينجن، فكرت في الأسباب المحتملة لاهتمامه، لكنها قررت أخيراً التوقف عن التخمين إلى أن تتاح لها فرصة سؤاله شخصياً. وبعد دقائق قليلة، تمت مرافقتها إلى مكتبه. نظر إليها بتعبير يدل على الحيرة فيما دخلت وصافحته.

قال: "إيريكا فالك؟ الكاتبة؟ هل هذا صحيح؟". وأشار إليها للجلوس على كرسي.

وأضـاف بتهذيـب: "لسـوء الحـظ، لـم أقرأ أيـاً من كتبك، لكنني سـمعت أنها جيدة. هل أنت هنا من أجل أبحاث لكتابك الجديد؟ لست مراسل جرائم، ولذلك لا أعرف كيف أساعدك. فإذا لم أكن مخطئاً، أنت تؤلفين كتباً عن الجرائم الحقيقية".

أجابـت إيريـكا: "فـي الواقـع، لا علاقـة أبداً لكتبي بالأمر. المسـألة هي أنني، ولأسباب متنوعة، بدأت أبحث في ماضي أمي، وصودف أنها كانت صديقة مقربة من والدك".

قطّب كجيل جبينه، وسأل فيما هو ينحني إلى الأمام: "متى كان ذلك؟".

"حسبما فهمت، كانا صديقين في فترتي الطفولة والمراهقة. وأركز خصوصاً على آخر سنوات الحرب؛ حين كانا في الخامسة عشرة تقريباً".

أومأ كجيل برأسه، وانتظرها كي تتابع كلامها.

"كانا ينتميان إلى مجموعة تضم أربعة مراهقين. ويبدو أنهم كانوا مقربين من بعضهـم جـداً. وبالإضافـة إلى والدك، ضمّت المجموعة بريتا جوهانسـون وإيريك فرانكل. ومثلما تعلم من دون شك، لقد قتل الاثنان خلال الأشهر القليلة الماضية. إنها مصادفة غريبة، ألا تظن ذلك؟"

لـم يتكلـم كجيـل مطلقـاً، لكن إيريكا لاحظت كم بدا متوتـراً، ولمحت بريقاً في عينيه.

"و..." توقفت. "كان هناك شخص آخر أيضاً. في العام 1944، جاء إلى فجالباكا مقـاوم نروجـي؛ كان مجـرد فتـى هـرب على متن مركب جدي ثم سـكن في منزل جدي. كان اسـمه هانس أولافسـن. لكنك تعرف هذا، أليس كذلك؟ لأنني حسـبما عرفت، أنت أيضاً مهتم به، وأنا أتساءل عن السبب".

فأجاب كجيل بغموض: "أنا صحافي. لا أستطيع مناقشة هذا النوع من الأمور"

قالـت إيريـكا بهـدوء: "هـذا خطأ؛ إذ لا يمكنك الكشـف عـن مصادرك فقط. لكن، لا أفهم لماذا لا نوحد جهودنا معاً للعمل على هذه المسألة. فأنا بارعة جداً فـي استكشـاف الأمـور، وأعـرف أنك بارع في ذلك أيضاً، لأنـك صحافي. وكلانا مهتمان بهانس أولافسن. أفهم أنك لا تريد إخباري عن السبب، لكننا نستطيع على الأقـل تبـادل المعلومـات؛ أي مـا نعرفه أصلاً، وما قد نكتشـفه لاحقاً. ما رأيك؟".

وصمتت، وانتظرت بتوق كبير.

فكّر كجيل في ما قالته للتو، ونقر بأصابعه على المكتب، فيما قارن بين الإيجابيات والسلبيات.

وأخيراً قال: "حسناً". وتمدد لإخراج شيء من الدرج العلوي لمكتبه. "لا يوجد فعلاً أي سبب يمنعنا من مساعدة بعضنا. وبما أن مصدري ميت، فإنني لا أرى أي سبب يمنعني من عرض كل شيء عليك. إليك ما أعرفه. اتصلت بإيريك فرانكل بسبب... مسألة خاصة" وتنحنح، ثم دفع الملف صوبها متابعاً: "وقال إن هناك أمراً يريد إخباري به، أمراً قد أجده مفيداً ويفترض أن يظهر

"هل قال ذلك؟". وانحنت إلى الأمام وحملت الملف. "هل قال إنه يفترض أن يظهر أمر ما؟".

قال كجيل متكئاً إلى الخلف على كرسيه: "نعم، حسبما أذكر. لقد جاء لزيارتي هنا بعد أيام قليلة، وأحضر معه المقالات الموجودة في هذا الملف وأعطاني إياها، لكنه لم يخبرني عن السبب. طرحت عليه الكثير من الأسئلة طبعاً، لكنه رفض الإجابة عن أي منها. وقال فقط إنني إذا كنت بارعاً في نبش الأمور مثلما سمع، فالمعلومات الموجودة في هذا الملف يفترض بها أن تكون كافية".

تصفحت إيريكا الأوراق داخل الملف. إنها المقالات نفسها التي حصلت عليها من كريستيان، مقالات من الأرشيف تذكر هانس أولافسن والوقت الذي أمضاه في فجالباكا. سألت متنهدة: "هل هذا كل شيء؟".

"كانت هذه ردة فعلي أيضاً. فإذا عرف شيئاً، فلماذا لم يخبرني به ببساطة؟! لكنه لسبب ما رأى أنه من المهم أن أكتشف الأمر بنفسي. وهذا ما بدأت بفعله. وأكذب عليك إذا قلت إن اهتمامي بالأمر لم يصبح أكبر وأكبر بعدما قتل إيريك فرانكل. وقد تساءلت عمّا إذا كان لموته أي علاقة بهذا". وأشار إلى الملف الموضوع على حضن إيريكا وتابع: "وسمعت بلا شك عن المرأة العجوز التي قتلت في الأسبوع الماضي. لكنني لا أعرف إذا كان هناك رابط... رغم أن الأمر يطرح عدداً من الأسئلة"

سألت إيريكا بحماسة: "هل اكتشفت أي شيء إضافي عن النروجي؟ فأنا لم

أتوصل إلى أي شيء بعد في أبحاثي. الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أنه كان على علاقة حب مع أمي، ويبدو أنه تركها وحيدة في فجالباكا بصورة مفاجئة. لذا، وجدت أن خطوتي التالية تتمثل في محاولة تحديد موقعه، ومعرفة إلى أين ذهب؛ إذا عاد فعلاً إلى النروج أو ذهب إلى مكان آخر. فهل تعرف شيئاً إضافياً؟".

هزّ كجيل رأسه نافياً، وأخبر إيريكا عن حديثه مع إسكيل هالفورسن؛ الأكاديمي النروجي الذي لم يستطع تذكر اسم هانس أولافسن، ولكنه وعده بإجراء المزيد من الأبحاث.

قالت إيريكا وهي شاردة: "من المحتمل أيضاً أن هانس قد بقي في السويد. وفي هذه الحالة، يفترض بنا أن نتمكن من تعقب أثره عبر السلطات السويدية. أستطيع التحقق من ذلك ربما. لكن، إذا كان قد اختفى في مكان ما في الخارج، فإن هذه مشكلة".

استعاد كجيل الملف وقال: "هذه فكرة جيدة. ما من سبب يدعو إلى الافتراض بأنه عاد إلى النروج. فالعديد من الأشخاص بقوا في السويد بعد الحرب".

سألت إيريكا: "هل أرسلت صورة إلى إسكيل هالفورسن؟".

أجاب كجيل فيما كان يتصفّح المقالات: "لا، بطبيعة الحال لم أفعل. لكنك محقة. يجدر بي فعل ذلك بالتأكيد. فأصغر تفصيل قد يكون مفيداً. سأتصل به ما إن تغادري وسأرى إذا كان بوسعي أن أرسل له إحدى هذه الصور، أو ربما أستطيع إرسالها له عبر الفاكس. ما رأيك في هذه؟ إنها الأكثر وضوحاً. أليس كذلك؟". ودفع فوق المكتب المقالة المشتملة على الصورة الجماعية التي تأملتها إيريكا قبل أيام قليلة.

"موافقة. يفترض أن تكون هذه الصورة جيدة. كما أنها تظهر كل المجموعة. هذه أمي". وأشارت إلى إلسي.

"إذاً، أنت تقولين إنهم أمضوا الكثير من الوقت مع بعضهم في تلك الفترة، أليس كذلك؟". ولعن كجيل نفسه لعدم ربطه بين بريتا الظاهرة في الصورة وبريتا التي قتلت. لكنه فكر أن معظم الأشخاص قد فوّتوا هذا الرابط ربما. إذ تصعب رؤية أي شبه بين الفتاة البالغة من العمر خمسة عشر عاماً والمرأة العجوز البالغة

من العمر خمسة وسبعين عاماً والتي ظهرت صورها في الصحف.

"نعم. حسبما فهمت، كانوا مجموعة مقربة جداً؛ رغم أن صداقتهم لم تكن مقبولة كثيراً في ذلك الحين. فقد كان هناك فرق كبير بين الطبقات في فجالباكا، وانتمت بريتا وأمي إلى الفئة الاجتماعية الفقيرة، فيما الصبيان، إيريك فرانكل و... والدك، انتميا إلى الفئة الأرقى واستخدمت إيريكا أصابعها لرسم علامات المزدوجين في الهواء.

تمتم كجيل: "أوه، صحيح، طبقة راقية جداً". وأحسّت إيريكا أن هناك الكثير من العدائية المخفية تحت سطح كلماته.

غير أنها قالت بحماسة: "هل تعرف أمراً؟ لم أفكر في التحدث إلى أكسيل فرانكل. قد يعرف شيئاً عن هانس أولافسن. فرغم أنه أكبر سناً منه بقليل، لكن لا بد أنه كان يجلس معهم، وربما..." شردت أفكارها وتوقعاتها، لكن كجيل رفع يده لإيقافها.

"لا أعلّق الكثير من الآمال على هذا الأمر. خطرت لي الفكرة نفسها، لكنني لحسن الحظ أجريت بعض الأبحاث حول أكسيل فرانكل أولاً. وأفترض أنك تعلمين أن الألمان ألقوا القبض عليه خلال رحلة قام بها إلى النروج؟".

قالت إيريكا: "نعم، لكنني لا أعرف الكثير عن الموضوع". ثم نظرت إلى كجيل باهتمام وتابعت: "إذا وجدت أي شيء... ورفعت يديها في الهواء وانتظرت.

"حسناً، مثلما قلت لك، أسر الألمان أكسيل فيما كان يستلم بعض المستندات من المقاومة، وتم أخذه إلى سجن غريني خارج أوسلو، وبقي هناك حتى بداية العام 1945. ثم نقله الألمان مع العديد من السجناء الآخرين إلى ألمانيا. تم نقل أكسيل أولاً إلى ساشنسهاوسن، حيث تم وضع العديد من السجناء الاسكانديناقيين، ثم تم نقله إلى نيونغام قرابة نهاية الحرب".

شهقت إيريكا. "لم أكن أعرف هذا. إذاً، كان أكسيل فرانكل في معسكرات الاعتقال في ألمانيا؟! لم أكن أعرف أن النروجيين أو السويديين نقلوا إلى هناك".

أومأ كجيل برأسه وقال: "كان معظمهم سجناء نروجيين، وبعضهم من دول أخرى عارضوا قراراً أصدره هيتلر عام 1941 حدّد فيه أن المدنيين في الأراضي

المحتلة الذين يلقى القبض عليهم وهم يشاركون في نشاطات معارضة للألمان لا يمكن محاكمتهم في محكمة في بلدهم، وعوضاً عن ذلك، يتم إرسالهم إلى ألمانيا، حيث يختفون في الليل والضباب. وهكذا، أطلق عليهم اسم سجناء الليل والضباب. تم إعدام بعضهم، أما الباقون فحكم عليهم بالأشغال الشاقة وعملوا في المعسكرات حتى الموت. في كل الأحوال، كان أكسيل فرانكل في ألمانيا وليس في فجالباكا خلال فترة وجود هانس أولافسن هناك".

قالت إيريكا، مقطبة جبينها: "لكننا لا نعرف بالضبط التاريخ الذي غادر فيه النروجي فجالباكا. على الأقل، لم نجد أي معلومات في هذا الخصوص. فأنا لا أعرف أبداً متى ترك أمي

قال كجيل بنبرة منتصرة: "آه، لكنني أعرف متى غادر هانس أولافسن المدينة". وتصفّح الأوراق على مكتبه ثم أضاف: "بصورة تقريبية على الأقل وسحب مقالة ووضعها أمام إيريكا مشيراً إلى مقطع في وسط الصفحة.

فانحنت إيريكا إلى الأمام وقرأت بصوت عالٍ: "هذا العام، نظمت جمعية فجالباكا بنجاح كبير...

قال كجيل: "لا، لا، العمود الثاني وأشار إلى الورقة مجدداً.

"أوه حسناً". وبدأت إيريكا تقرأ مجدداً: "من المفاجئ فعلاً معرفة أن المقاوم النروجي الذي لجأ إلى فجالباكا قد غادرنا فجأة. يشعر العديد من سكان فجالباكا بالأسف لأنهم لم يتمكنوا من توديعه وشكره على جهوده خلال الحرب التي أفضت الآن إلى نتيجة". نظرت إلى التاريخ في أعلى الصفحة، ثم نظرت إلى كجيل وقالت: "التاسع عشر من يونيو عام 1945"

قال كجيل: "إذاً، لقد اختفى مباشرة بعد انتهاء الحرب؛ إذا كان ما فهمته صحيحاً". واستعاد المقالة ووضعها فوق الكومة.

"لكن، لماذا؟". وأمالت إيريكا رأسها فيما فكرت في ما قرأته. "ما زلت أظن أنه من الجيد التكلم مع أكسيل. لا بد أن أخاه قد أخبره شيئاً. سأحاول. هل ترغب في التحدث إلى والدك في هذا الموضوع؟".

صمت كجيل هنيهة، ثم قال: "طبعاً. وسأبلغك إذا عرفت أي شيء من

هالفورسن. تأكدي من الاتصال بي إذا وجدت أي شيء، اتفقنا؟". ورفع إصبعه بطريقة تحذيرية. لم يكن معتاداً على التعاون في العمل، لكن يبدو أنه رأى في هذه الحالة ميزة في الحصول على مساعدة إيريكا.

قالت إيريكا: "سأتحقق من الأمر مع السلطات السويدية أيضاً. وأعدك بإبلاغك لحظة سماعي أي شيء". ثم نهضت وبدأت ترتدي سترتها، لكنها توقفت فجأة.

"بالمناسبة كجيل، ثمة أمر آخر. لا أعرف إذا كان مهماً، لكن..."

فقال وهو ينظر إليها: "أخبريني. فأي شيء يمكن أن يكون مفيداً في هذه المرحلة".

"حسناً. تحدثت إلى هيرمان زوج بريتا. ويبدو أنه يعرف شيئاً عن كل هذا الموضوع. أو على الأقل، لست متفائلة، لكن ذلك الإحساس تملّكني. على أية حال، عندما سألته عن هانس أولافسن، تفاعل مع الأمر بطريقة غريبة، وأخبرني أنه يجدر بي سؤال بول هيكل وفريدريك هوك. حاولت التحقق من الاسمين، لكنني لم أجد أي شيء. لكن...".

قال كجيل: "نعم؟".

"أوه، لا أعرف. أقسم إنني لم ألتقِ أياً منهما سابقاً، لكن ثمة شيء مألوف في اسميهما".

نقر كجيل بقلمه على المكتب وقال: "بول هيكل وفريديريك هوك؟". وعندما أومأت إيريكا برأسها، دوّن الاسمين. "حسناً، سأتحقق منهما أيضاً. لكن الاسمين لا يعنيان لي أي شيء".

قالت إيريكا: "يبدو لي الآن وكأننا كلينا نملك شيئاً للعمل عليه. وأشعر بالارتياح لمعرفة أننا نعمل معاً على هذه القضية". وابتسمت فيما توقفت عند الباب.

قال كجيل: "هذا جيد" وبدا شارد الذهن.

فقالت إيريكا: "سأبقى على اتصال بك".

أجاب كجيل: "حسناً". ورفع الهاتف من دون أن ينظر إليها فيما غادرت مكتبه. كان تواقاً لمعرفة الحقيقة في هذه المسألة، فأنفه الصحافي شمّ رائحة غريبة.

"هل نجلس ونراجع كل شيء؟" إنه بعد ظهر الاثنين، وكان الهدوء قد خيّم على مركز الشرطة.

قال غوستا: "طبعاً. وباولا أيضاً؟". ونهض على مضض.

فأجاب مارتن: "طبعاً". ثم ذهب لمناداتها. وكان ميلبرغ قد خرج للقيام بنزهة مع إرنست، فيما بدت آنيكا مشغولة في قاعة الاستقبال. لذا، جلسوا هم الثلاثة إلى طاولة المطبخ، ووضعوا كل مواد التحقيق المتوفرة لديهم أمامهم.

قال مارتن: "إيريك فرانكل فيما وضع طرف قلمه على ورقة بيضاء في دفتره.

قالت باولا: "تم قتله في منزله، بشيء تم العثور عليه في مسرح الجريمة". وراح مارتن يدوّن الملاحظات بسرعة.

قال غوستا: "يشير ذلك إلى أن الجريمة لم تكن عن سابق تصور وتصميم". وأومأ مارتن برأسه.

قالت باولا: "لا توجد بصمات على التمثال الحجري الذي تم استعماله كسلاح للجريمة، لكن لا يبدو أنه تم مسح البصمات، الأمر الذي يعني أن القاتل كان يضع قفازين؛ ومما يناقض الفكرة القائلة إن القتل لم يكن متعمداً". ونظرت إلى الكلمات التي دوّنها مارتن على الدفتر.

وسألت بنبرة مشكِّكة: "هل يمكنك فعلاً قراءة ما كتبته؟". لأن كتابته بدت أشبه بالهيروغليفية، أو بالاختصارات.

فقال مارتن مبتسماً فيما تابع الكتابة: "فقط إذا طبعتها فوراً على الكمبيوتر. وإلا، فسأكون في ورطة".

قال غوستا: "مات إيريك فرانكل نتيجة ضربة عنيفة على الصدغ". ثم أخرج الصور الخاصة بمسرح الجريمة. "بعدها، ترك القاتل سلاح الجريمة في مكانه".

قالت باولا: "هذا أيضاً يدل على أن الجريمة ليست متعمدة أو مدروسة" ثم نهضت لتسكب القهوة لنفسها ولزميليها.

"التهديد الوحيد المحتمل الذي تمكنا من تحديده جاء من جمعية أصدقاء السويد النازية التي هددت فرانكل لأنه كان خبيراً في النازية". أخرج مارتن الرسائل الخمس الموضوعة في ملفات وبسطها على الطاولة. "وبالإضافة إلى ذلك، كان

لديه ارتباط شخصي بالمنظمة عن طريق صديق طفولته فرانس رينغهولم".

"هل نملك أي شيء يمكن أن يربط فرانس بالجريمة؟ أي شيء على الإطلاق؟". حدّقت باولا إلى الرسائل كما لو أنها أرادت منها أن تتكلم.

"حسناً، زعم ثلاثة من أصدقائه النازيين أنه كان معهم في الدانمارك يوم الجريمة. ليس هذا عذراً مبرئاً تماماً، في حال وجوده هناك أصلاً، لكننا لا نملك الكثير من الأدلة المادية للمضي قدماً في هذا المجال. أما آثار الأقدام التي تم العثور عليها في مسرح الجريمة فتخص الصبيين اللذين اكتشفا الجثة. ولا توجد أي بصمات أو آثار أقدام أو أي شيء آخر باستثناء ما يفترض توقعه هناك".

قال غوستا لباولا: "هل ستسكبين القهوة؟ أم تنوين الوقوف هناك فقط وإبريق القهوة في يدك؟".

فمازحته باولا بالقول: "قل لي أرجوكِ، فأسكب لك بعض القهوة فوراً". فقال غوستا أرجوك على مضض.

قال مارتن: "هناك أيضاً تاريخ الجريمة. فقد تمكنّا من تحديد أن إيريك فرانكل قد توفي بين الخامس عشر والسابع عشر من يونيو. وهذا ما يجعلنا أمام ثلاثة احتمالات؛ ثلاثة أيام. بعد ذلك، بقيت الجثة هناك، من دون أن يكتشفها أحد؛ لأن أخاه كان مسافراً ولم يتوقع أحد سماع أي خبر من إيريك؛ باستثناء فيولا ربما. لكنها قالت إنه فسخ علاقتهما، وحصل ذلك مباشرة قبل قتله" ثم أومأ لباولا في إشارة شكر على ملئها كوبه بالقهوة.

نظر مارتن إلى زميله وقال: "ألم يرَ أحد أي شيء؟ غوستا، هل تحدثت إلى كل الجيران؟ هل رأى أحدهم سيارات غريبة أو أشخاص مشبوهين؟".

تمتم غوستا قائلاً: "لا يوجد الكثير من الجيران للتحدث إليهم هناك"

"هل أعتبر قولك هذا بمثابة نفي؟".

"تحدثت إلى كل الجيران، ولم يرَ أحد منهم أي شيء".

"حسناً، سنهمل هذه المسألة في الوقت الحاضر وتنهد مارتن، وارتشف القليل من قهوته.

"ماذا عن بريتا جوهانسون؟ إنها مصادفة غريبة أن تملك ارتباطاً بإيريك

فرانكل، وبفرانس رينغهولم أيضاً. لا شك في أن هذا الارتباط كان قبل زمن بعيد، لكننا نملك سجلات هاتفية تظهر أنه حصل اتصال بينهما في شهر يونيو، وذهب فرانس وإيريك لرؤية بريتا في ذلك الوقت". ومجدداً، نظر مارتن إلى زميليه بحثاً عن جواب. "لماذا تم اختيار هذه اللحظة بالتحديد لاستئناف التواصل بعد ستين عاماً؟ هل يجدر بنا تصديق زوج بريتا الذي قال إن الأمر يعزى إلى تدهور حالتها العقلية، وإنها أرادت تذكر الأيام الماضية؟".

قالت باولا: "شخصياً، أعتبر ما قاله هراء". وتمددت للإمساك بعلبة بسكويت غير مفتوحة. نزعت الشريط عن طرف العلبة، وأمسكت بثلاث قطع بسكويت قبل أن تقدم بعضها للآخرين. "أعتقد أننا إذا استطعنا تحديد السبب الحقيقي للقائهم فقد نفتح باباً واسعاً في القضية. لكن فرانس صامت مثل القبر، وأكسيل ملتزم بالنظرية نفسها التي أعطانا إياها هيرمان".

قال غوستا: "ولا تنسيا أمر المدفوعات الشهرية". ثم صمت للحظات فيما أزال بعناية طبقة الفانيلا العلوية عن البسكويت ولعق حشوة الشوكولا، وتابع بعدها القول: "ما علاقتها بمقتل فرانكل؟".

نظر مارتن إلى غوستا مذهولاً؛ فهو لم يعرف أن غوستا على وشك تسريع هذا الجزء من التحقيق، لأن استراتيجيته عادة تقضي بالجلوس وانتظار المعلومات لتصل إليه.

قال مارتن: "حسناً، حاول هيدستروم التحقق من هذه المسألة يوم السبت". وحاول إخراج الملاحظات التي دوّنها عندما اتصل به باتريك لإبلاغه بما حصل لدى زيارته منزل ويلهيلم فريدن.

"وإلام توصّل؟". تناول غوستا قطعة بسكويت أخرى، وراقبه الآخران مسمّرَيْن، فيما كرر عملية لعق البسكويت. فقد أزال أولاً طبقة الفانيلا، ثم لعق حشوة الشوكولا بلسانه. وبعدها، رمى طبقتَي البسكويت.

قالت باولا بسخط: "هاي غوستا، لا يمكنك فقط لعق الشوكولا وترك ما تبقى".

أجاب غوستا: "من أنت؟ هل أنت شرطية البسكويت؟". وحاول الإمساك

بقطعة بسكويت أخرى، فكادت باولا تزمجر، ثم رفعت علبة البسكويت ووضعتها على رف المجلى بعيداً عن متناول غوستا.

قال مارتن: "لسوء الحظ، لم يجد الكثير. فقد مات ويلهيلم فريدن قبل أسابيع قليلة، ولا تعرف أرملته أو ابنه أي شيء عن المدفوعات. ومن الصعب طبعاً معرفة ما إذا كانا يقولان الحقيقة، لكن باتريك يظن أنهما صادقان. على أية حال، وعد الابن بالطلب من محامي العائلة أن يرسل نسخاً عن كل أوراق والده. وإذا كنا محظوظين فقد نجد شيئاً فيها".

"ماذا عن شقيق إيريك؟ هل يعرف أي شيء بشأن المدفوعات؟" ألقى غوستا نظرة على قطع البسكويت الموجودة على رف المجلى، وبدا أنه يفكر في النهوض لإحضارها.

فقالت باولا فيما وجّهت نظرة تحذيرية إلى غوستا: "اتصلنا بأكسيل لسؤاله بشأن المدفوعات، لكنه قال إنه لا يعرف أي شيء عن الأمر

"وهل صدّقناه؟". كان غوستا يقيس المسافة الفاصلة بين كرسيه ورف المجلى. قفزة سريعة قد تمكنه من الوصول إلى هناك.

قال مارتن: "لا أعرف فعلاً. يصعب فهمه. ما رأيك باولا؟". واستدار صوبها.

وفيما كانت تفكّر في السؤال، انتهز غوستا الفرصة، وقفز ورمى نفسه على العلبة، لكن يد باولا اليسرى تحركت بسرعة البرق وأبعدت عنه العلبة.

"أوه، لا مجال..." ووجّهت إليه نظرة تحذيرية، فابتسم لها؛ إذ بدأ يستلطف مزاحهما.

وضعت باولا علبة البسكويت في حضنها، واستدارت صوب مارتن. "لا، أوافقك الرأي. لا أستطيع فهمه. إذاً، لا، لست واثقة"

قال مارتن: "فلنعد إلى بريتا". ودوّن اسم بريتا بحروف كبيرة على دفتره، ثم وضع خطوطاً عدة تحت الاسم.

"ما أعتبره أفضل دليل لدينا هو اكتشاف الدي أن أيه الخاص بالمجرم تحت أظفارها، وحقيقة أنها نجحت حتماً في ترك خدوش عميقة على وجه أو ذراعَي الشخص الذي خنقها. استطعنا مقابلة هيرمان لوقت قصير هذا الصباح، ولم يكشف

عن أي خدوش. كما قال أيضاً إن بريتا كانت ميتة عندما عاد إلى المنزل. إذ كانت مستلقية على السرير، وهناك وسادة فوق وجهها".

قاطعته باولا: "لكنه ما زال يزعم أن موتها بسببه".

قطّب غوستا جبينه وسأل: "ما الذي يقصده بذلك؟ هل يحمي شخصاً ما؟".

"نعم، هذا ما نظنه أيضاً" لانت باولا، ووضعت علبة البسكويت على الطاولة، ودفعتها صوب غوستا. وقالت بالإنكليزية: "خذ، دلل نفسك".

قال غوستا: "ماذا؟". لأن معرفته بتلك اللغة تقتصر على التعابير المرتبطة بالغولف، رغم أن لفظه لتلك الكلمات ليس صحيحاً البتة.

قالت باولا: "لا تهتم. هيا، خذ والعق الشوكولا"

قال مارتن: "كما أننا نملك البصمة". فيما أصغى بسرور إلى الحديث الودود بين غوستا وباولا. ولو كان لا يعرف صديقه جيداً، لقال إن زميله القديم مستمتع فعلاً بالعمل.

قال غوستا بكآبة: "بصمة واحدة على زر واحد. ليس هناك الكثير للتعويل عليه".

"لا، لكن تلك البصمة تخص الشخص نفسه الذي ترك الدي أن أيه تحت أظفار بريتا. ولذلك، أعتقد أن هناك سبباً للتفاؤل". ووضع مارتن خطوطاً تحت الدي أن أيه على دفتره.

سألت باولا: "متى سيكون تقرير الدي أن أيه جاهزاً؟".

أجاب مارتن: "يقول المختبر إنه يفترض بنا الحصول على النتيجة يوم الخميس

"حسناً، سنأخذ بعدها عدداً من عينات الدي أن أيه". ومددت باولا ساقيها وهي تتساءل عما إذا كانت أعراض حمل جوهانا معدية. فهي تشعر بآلام شديدة في ساقيها، وبعض المغص الغريب، وبشهية قوية.

"هل نملك أي مرشحين لعينات الدي أن أيه؟". وكان غوستا يلتهم قطعة البسكويت الثالثة.

فأجابت باولا: "كنت أفكر في أكسيل وفرانس

قال غوستا:"هل سننتظر حتى يوم الثلاثاء؟! سيستغرق صدور النتائج بعض الوقت، وستشفى الخدوش بسرعة نسبياً، لذلك يجب علينا أخذ العينات بأسرع ما يمكن".

قال مارتن متفاجئاً: "هذا تفكير جيد غوستا. سننجز المسألة غداً. هل من شيء آخر؟ هل نسينا أو أهملنا أي شيء؟".

قال صوت من عند الباب: "ما الذي تقصده بكلمة أهملنا؟" ودخل ميلبرغ مع إرنست اللاهث بقوة. شمّ الكلب فوراً رائحة فضلات البسكويت التي تركها غوستا، فاندفع إلى الأمام للجلوس عند قدميه. ونال توسله النتيجة المطلوبة، والتهم قطع البسكويت بلمح البصر.

شرح مارتن فيما أشار إلى المستندات الموضوعة على الطاولة أمامهم: "كنا نراجع بعض الأمور، ونتأكد من أننا لم نغفل عن أي شيء. وكنا نقول إننا نحتاج إلى أخذ عينات من أكسيل وفرانس غداً"

قال ميلبرغ بتململ: "أوه، صحيح، افعلوا ذلك" وخشي أن يتم توريطه في العمل الواجب إنجازه، فتابع قائلاً: "تابعوا ما كنتم تفعلونه. يبدو هذا جيداً". ثم نادى إرنست الذي هزّ ذيله ولحق به إلى مكتبه، حيث استلقى في مكانه الاعتيادي عند قدمَي سيده تحت المكتب.

قالت باولا بسرور: "أرى أنه تم تجميد فكرة العثور على شخص للاهتمام بذلك الكلب"

"أعتقد أنه يمكننا اعتبار إرنست محجوزاً. لكن، اللعنة عليّ إذا كنت أعرف من يهتم بمن. ثمة شائعات أيضاً تقول إن ميلبرغ أصبح ملك رقصة السالسا في سنّه". وقهقه غوستا.

فأخفض مارتن صوته وهمس: "سمعت ذلك أنا أيضاً... وهذا الصباح عندما ذهبت إلى مكتبه، كان منبطحاً على الأرض ويمارس تمارين التمدد".

قال غوستا بعينين مذهولتين: "لا بدّ أنك تمزح! كيف كان ذلك؟".

ضحك مارتن وأجاب: "لم ينجح في ذلك. فقد حاول لمس أصابع قدميه، لكن بطنه عرقله. وهذا أحد الأسباب فقط"

وبختهما باولا قائلة: "حسناً، اصمتا. أمي هي التي تعلم صف الرقص الذي يشارك فيه ميلبرغ". فحدّق إليها غوستا ومارتن بذهول.

أخبرتهما: "دعته ماما لتناول الغداء قبل بضعة أيام، وكان... لطيفاً فعلاً".

حدّق إليها مارتن وغوستا بذهول.

"ميلبرغ يأخذ صفوف السالسا مع أمك؟! وذهب إلى منزلك لتناول الغداء؟! بعد فترة وجيزة، سوف تنادينه بابا!" وضحك مارتن بصوت عالٍ، فانضم إليه غوستا.

قالت باولا بحزم فيما وقفت: "توقّفا. أنهينا عملنا هنا، أليس كذلك؟". وخرجت من الغرفة مسرعة، فيما تبادل مارتن وغوستا نظرات قلقة، لكنهما عجزا عن كبت ضحكتهما مجدداً. فالأمر لا يصدق فعلاً.

كانت عطلة نهاية الأسبوع أشبه بساحة حرب. فدان وبليندا تبادلا الصراخ من دون توقف، إلى أن ظنّت آنا أن رأسها سينفجر نتيجة المشاحنات. حاولت توقيفهما مرات عدة، وطلبت منهما إظهار بعض الاحترام أمام أدريان وإيما، ويبدو لحسن الحظ أن قولها هذا قد أثر فيهما. فرغم أن بليندا لم تعترف مطلقاً بالأمر صراحة، لكن آنا أحست أنها تحب ولديها. ولهذا السبب، كانت آنا مستعدة للتغاضي عن بعض تصرفات المراهقة المزعجة. وفكّرت أيضاً أن دان لا يفهم فعلاً حقيقة الأمور مع ابنته الكبرى، أو سبب تفاعلها بهذه الطريقة. وبدا لها وكأنهما كليهما قد وصلا إلى حائط مسدود وصارا في مأزق، ولا يعرف أي منهما كيفية الخروج منه. تنهدت آنا فيما خرجت من غرفة الجلوس، وراحت تجمع الألعاب التي رماها ولداها في كل زاوية على الأرض.

خلال الأيام القليلة الماضية، كانت تحاول استيعاب حقيقة اكتشافها أنها سترزق ودان بطفل جديد. لا يزال عقلها في دوّامة، لكنها نجحت في كبح مخاوفها، وبدأت تشعر بالغثيان؛ تماماً كما حصل في حمليها السابقين. لم تتقيأ كثيراً، لكنها أحست بالغثيان دوماً، وبانقباض في معدتها؛ كما لو أنها مصابة دوماً بدوار البحر. لاحظ دان أنها فقدت شهيتها المعتادة، وحاول إغراءها بكل أنواع الطعام؛ تماماً مثل الأم القلقة على ابنتها.

جلست على الأريكة، ووضعت رأسها بين ركبتيها، وركزت على تنفسها في محاولة للسيطرة على شعورها بالغثيان. في المرة الأخيرة، حين كانت حاملاً بأدريان، استمر الغثيان حتى الشهر السادس، وبدا ذلك كما لو أنه دهر كامل. سمعت في الأعلى أصواتاً مضطربة ترتفع وتنخفض حسب إيقاع موسيقى بليندا. إنها لا تستطيع التكيف مع كل ذلك، لا تستطيع التكيف. أصبح الغثيان أسوأ، وشعرت بأنها على وشك التقيؤ. وقفت بسرعة وركضت إلى الحمام، وركعت أمام كرسي المرحاض، وحاولت إخراج ما كان عالقاً في حنجرتها. لكن، لم يخرج أي شيء.

بعد دقائق عادة من نوبات التقيؤ الجافة التي لم تمنحها أية راحة البتة، استسلمت، ووقفت على قدميها لمسح فمها بمنشفة. وعندما فعلت ذلك، لمحت نفسها في مرآة الحمام، لكن ما رأته أخافها. فقد كانت شاحبة مثل المنشفة البيضاء التي تمسك بها، وكانت عيناها كبيرتين وخائفتين؛ تماماً مثلما بدت أثناء عيشها مع لوكاس. لكن كل شيء مختلف الآن؛ فالأمر أفضل بكثير. مررت يدها فوق بطنها الذي لا يزال مسطحاً. الكثير من الأمل، والكثير من الخوف مجتمعان في نقطة صغيرة داخل رحمها؛ نقطة صغيرة وضعيفة.

لا شك في أنها فكرت في إنجاب طفل من دان. ولكن ليس الآن، ليس بعد، بل في وقت ما في المستقبل البعيد؛ بعد أن تهدأ الأمور وتستقر. لكن، بما أن الأمر قد حصل الآن، لم يخطر في بالها مطلقاً أن تنهي الحمل. فالرابط بات موجوداً؛ ذلك الرابط غير المنظور والهش، وإنما القوي بينها وبين ما هو غير مرئي بعد للعين المجردة. أخذت نفساً عميقاً وخرجت من الحمام، وكانت الأصوات العالية قد انتقلت الآن إلى الأسفل؛ إلى ردهة المنزل.

"سأذهب إلى منزل ليندا، لماذا لا تفهم ذلك؟ لديّ أصدقائي مثلما تعلم، فهل ستمنعني من رؤية أصدقائي أيضاً؟".

أحسّت آنا أن دان على وشك إطلاق تصريح ناري، وفي تلك اللحظة نفد صبرها، وسيطر عليها الغضب الشديد، فتوجهت إلى الردهة وصرخت: "حان الوقت لتخرسا كلاكما. هل تفهمان؟ أنتما تتصرفان مثل ولدين، وعليكما التوقف! الآن!". ورفعت إصبعها، وتابعت الكلام قبل أن يقاطعها أحدهما. "أنت يا دان عليك أن

توقف عن الصراخ في وجه بليندا؛ فأنت تعرف أنه لا يمكنك حبسها هنا ورمي المفتاح بعيداً. إنها في السابعة عشرة، وتحتاج إلى رؤية أصدقائها".

أشرق وجه بليندا بابتسامة مسرورة، لكن آنا لم تكن قد أنهت كلامها بعد.

"وأنت أيتها الشابة، توقفي عن التصرف مثل طفلة، وابدئي بالتصرف مثل إنسانة ناضجة إذا أردت أن تتم معاملتك على هذا النحو! ولا أريد سماع المزيد من التفاهات بشأن عيشي هنا مع الولدين؛ لأننا سنبقى هنا سواء أردت ذلك أم لا، ونرغب في التعرف إليك إذا أعطيتنا فرصة"

توقفت آنا لالتقاط أنفاسها، ثم تابعت الكلام بنبرة جعلت دان وبليندا ينتصبان مثل جنديين حديديين، بسبب الخوف. "وأودّ إبلاغك أمراً. لن نذهب إلى أي مكان إذا كانت هذه خطتك؛ لأننا- أنا ووالدك-سنرزق بطفل، ولذلك سيصبح ولداي وأنت وأختاك مرتبطين بأخ أو أخت. وأرغب فعلاً في أن نكون جميعاً أصدقاء، لكنني لا أستطيع فعل ذلك بمفردي. فنحن نحتاج إلى مساعدة بعضنا بعضاً! على أية حال، سيولد الطفل في الربيع، سواء أخترت قبولي أم لا، واللعنة عليّ إذا كنت سأتحمل كل هذا الهراء حتى ذلك الحين!". وانفجرت آنا في البكاء، فيما تجمّد الآخران في مكانيهما. ثم أجهشت بليندا بالبكاء، وحدّقت إلى دان وآنا بضع لحظات قبل أن تخرج من الباب الرئيس، وتغلقه وراءها بقوة كبيرة.

قال دان منهكاً: "آنا، حبيبتي، هل كان هذا ضرورياً فعلاً؟". وشاهد كل من إيما وأدريان المواجهة، ووقفا في الردهة وهما يحدقان إليهما بذهول.

قالت آنا فيما أمسكت بسترتها: "أوه، اذهب إلى الجحيم". وللمرة الثانية، أغلق الباب الرئيس بقوة كبيرة.

"مرحباً، أين كنت؟". التقى باتريك إيريكا أمام الباب، وقبّلها على شفتيها. أرادت ماجا الحصول على قبلة من والدتها أيضاً، فركضت نحوها فاتحة ذراعيها.

قالت إيريكا: "أجريت مقابلتين مهمتين جداً. هذا ما أستطيع قوله لك" فيما علّقت سترتها ودخلت مع باتريك إلى غرفة الجلوس.

سألها: "أوه حقاً؟! بشأن ماذا؟". وجلس على الأرض، وتابع ما كان يفعله

مع ماجا قبل سماعهما وصول إيريكا. كانا يشيدان أطول برج في العالم بواسطة المكعبات البلاستيكية.

ضحكت إيريكا فيما جلست قربهما وقالت: "اعتقدت أن ماجا هي التي تتعلم كيفية استعمال المكعبات". وراقبتهما بسرور فيما حاول زوجها بتركيز كبير وضع مكعب أحمر فوق أعلى البرج الذي بات الآن أطول من ماجا.

قال باتريك: "ششششش فيما مدّ لسانه، وثبّت يده لوضع المكعب فوق البرج غير المستقر نسبياً.

"ماجا، أعطي ماما المكعب الأصفر همست إيريكا لابنتها، وأشارت إلى مكعب في أسفل البرج. فأشرق وجه ماجا لفكرة أن تسدي أمها خدمة، وانحنت إلى الأمام، وسحبت المكعب بسرعة، فانهار البرج الذي شيّده باتريك بعناية.

جلس باتريك هناك حاملاً المكعب الأحمر بيده عالياً في الهواء، وقال وهو يحدق إلى إيريكا غاضباً: "شكراً جزيلاً. هل تعرفين المهارة التي يستلزمها بناء برج بهذا الطول؟ وهل تعرفين مقدار ثبات اليد الضروري لتحقيق ذلك؟".

ضحكت إيريكا وقالت: "أرى أخيراً أن شخصاً ما بدأ يفهم ما كنت أقوله طوال العام الماضي بشأن انعدام الحوافز" وانحنت إلى الأمام لتقبيل زوجها.

قال: "هممم، حسناً، نعم. فهمت". وقبّلها بدوره، فردّت له إيريكا القبلة. وما بدأ بقبلة، تحوّل إلى مداعبة خفيفة لم تتوقف إلا عندما رمت ماجا مكعباً على رأس والدها.

"أووو!". ووضع يده على رأسه، ثم رفع إصبعه لتحذير ماجا. "ماذا تظنين أنك تفعلين؟! أترمين المكعبات على بابا عندما أتيحت له الفرصة لمداعبة ماما؟".

"باتريك!". وضربته إيريكا على كتفه وتابعت: "هل من الضروري فعلاً أن نعلّم ابنتنا كلمة مداعبة في هذا العمر؟".

قال: "إذا أرادت الحصول على أخ أو أخت فعليها أن تعتاد على فكرة رؤيتها المداعبة بين أمها وأبيها". ولاحظت إيريكا ظهور بريق في عينيه.

عندها، وقفت إيريكا وقالت: "أعتقد أنه علينا الانتظار قليلاً في مسألة الأخ أو الأخت. لكنني أعتقد أننا نستطيع التمرن الليلة..." وغمزته وذهبت إلى المطبخ.

لقد نجحا أخيراً في استئناف هذا الجزء من حياتهما معاً. من المذهل فعلاً مقدار التأثير السلبي الذي تتركه ولادة الطفل على الحياة الجنسية للزوجين. لكن، بعد قرابة العام من الامتناع في هذا السياق، بدأت الأمور تتحسن. إلا أنها بعد قضائها عاماً كاملاً في المنزل، لا تتخيل أبداً فكرة إنجاب أخ أو أخت لماجا. وشعرت أنها بحاجة إلى الإحساس بالنضوج مجدداً قبل أن تفكر في العودة إلى عالم الأطفال.

سألها باتريك فيما لحق بها إلى المطبخ: "إذاً، ما كانت تلك المحادثات التي أجريتها اليوم؟".

أخبرته إيريكا عن رحلتيها إلى أوديفالا، وعما وجدته هناك.

سألها باتريك: "لكنك لا تعرفين هذين الاسمين، أليس كذلك؟". وقطّب جبينه بعدما أخبرته إيريكا بما قاله هيرمان.

"حسناً، هذا هو الشيء الغريب. لا أذكر أنني سمعت بهذين الاسمين من قبل، لكن هناك شيئاً ما... لا أعرف. بول هيكل وفريدريك هوك، يبدو الاسمان مألوفين نوعاً ما".

"إذاً، ستتعاونين مع كجيل رينغهولم لتعقب أثر... هانس أولافسن؟". بدا باتريك مشكّكاً، وفهمت إيريكا ما يقصده.

"حسناً، أعرف أن الطريق طويلة. وأنا لا أعرف أبداً الدور الذي أدّاه هانس، لكن إحساسي يخبرني أنه مهم. وحتى لو لم تكن للأمر علاقة بالجريمتين، إلّا أنه على ما يبدو كان مهماً بالنسبة إلى أمي، وهكذا بدأ بحثي أصلاً في هذا الموضوع؛ فقد أردت معرفة المزيد عنها"

"حسناً، توخي الحذر". ووضع باتريك إبريقاً مليئاً بالماء على الموقد. "بالمناسبة، هل ترغبين في بعض الشاي؟"

"نعم، من فضلك". وجلست إيريكا إلى طاولة المطبخ ثم سألته: "ماذا تقصد بعبارة توخي الحذر؟"

"حسب ما سمعته، إن كجيل صحافي بارع جداً، ولذلك احذري كي لا يستغلك"

"لا أرى كيف يمكنه فعل ذلك. فأسوأ ما قد يحصل هو أن يأخذ المعلومات

التي أحصل عليها ولا يعطيني أي شيء في المقابل. وأنا مستعدة للمجازفة بذلك. لكنني في الواقع لا أظن أنه سيفعل شيئاً كهذا. وقد اتفقنا على أن أتكلم مع أكسيل فرانكل بشأن النروجي، وأن أتحقق مما إذا كان مسجلاً في السجلات السويدية الرسمية. وسوف يتحدث كجيل إلى والده. رغم أنه لم يتحمس للفكرة كثيراً".

قال باتريك: "لا. يبدو أن هذين الرجلين لا يتفقان مع بعضهما كثيراً". وسكب الماء المغلي في كوبين، بعد أن وضع في كل منهما كيس شاي. "قرأت عدداً من المقالات التي كتبها كجيل وانتقد فيها والده علناً".

قالت إيريكا: "إذاً، يبدو أن المحادثة بينهما ستكون شيّقة". وأخذت الكوب الذي أعطاها باتريك إياه. نظرت إليه فيما ارتشفت الشاي الساخن. واستطاعا سماع ماجا وهي تثرثر مع رفيق خيالي في غرفة الجلوس. إنها على الأرجح تتحدث إلى الدمية التي رفضت إبعادها عن نظرها خلال الأيام القليلة الماضية.

سألته: "ما هو إحساسك لعدم كونك جزءاً من العمل الذي ينجزونه الآن في مركز الشرطة؟".

"أكذب عليك إذا قلت لك إن الأمر ليس صعباً. لكنني أعي تماماً أهمية البقاء مع ماجا، وأن هذه فرصة مهمة لن تتكرر؛ في حين أن وظيفتي ستبقى موجودة عندما أعود. لا يعني ذلك أنني أتمنى حصول المزيد من الجرائم لأحقق فيها، لكن حسناً... تفهمين قصدي".

سألت إيريكا: "كيف حال كارين؟". محاولة إبقاء صوتها حيادياً قدر الإمكان.

صمت باتريك هنيهة قبل أن يجيب: "لا أعرف... تبدو حزينة جداً. ولا أظن أن الأمور حصلت بالطريقة التي تصورتها، وهي الآن عالقة في وضع... لا، لا أعرف فعلاً. أشعر بالقليل من الأسف عليها".

سألته إيريكا: "هل هي نادمة لأنها تركتك؟". وانتظرت جوابه بتوتر. فهما لم يتحدثا مطلقاً عن زواجه من كارين. وفي المرات القليلة التي سألته فيها عن ذلك، أعطاها أجوبة قصيرة ومقتضبة.

"لا، لا أظن ذلك. أو بالأحرى... لا أعرف. أعتقد أنها نادمة على ما فعلته، ولأنني ألقيت القبض عليهما بالجرم المشهود" وضحك بمرارة فيما تذكر المشهد

الذي حاول إبعاده عن رأسه لوقت طويل. "لكن، لا أعرف... أدرك الآن أنها فعلت ما فعلته لأننا لم نكن متفقين جيداً".

سألت إيريكا: "لكن، هل تعتقد أنها نسيت ذلك؟ فنحن نميل أحياناً إلى تذكر الأشياء الجيدة فقط".

أجاب باتريك: "صحيح. لكن، أعتقد أنها تذكر جيداً كيف كانت الأمور. لا شك في أنها تذكر رغم أنه بدا مشكّكاً قليلاً. أراد تبديل الموضوع، فسأل: "ماذا يوجد على جدول أعمال الغد؟".

عرفت إيريكا تماماً هدفه، لكنها تجاهلت المسألة وأجابت: "كنت أفكر في التحدث قليلاً مع أكسيل. وسأجري بعض الاتصالات بسجل الأحوال الشخصية وسلطات الضرائب لأرى إذا كان بوسعي معرفة أي شيء عن هانس

"انتظري دقيقة. ألا تملكين كتاباً يجدر بك تأليفه؟!". وضحك باتريك رغم أنه بدا متوتراً.

"هناك الكثير من الوقت للقيام بذلك؛ وتحديداً بعد أن أنجزت معظم الأبحاث. وسأواجه صعوبة في التركيز على كتابي قبل أن أحلّ هذه المسألة. لذلك، دعني..."

فقاطعها باتريك رافعاً يديه: "حسناً، حسناً. أنت فتاة كبيرة، وتعرفين كيف تنظمين وقتك. سنهتم أنا وماجا بجدول أعمالنا، ويمكنك الاهتمام بجدول أعمالك". ثم نهض، وقبّل إيريكا في أعلى رأسها قبل أن يغادر.

"عليّ الذهاب لتشييد تحفة فنية جديدة. كنت أفكر في تشييد نموذج لتاج محل

فهزّت إيريكا رأسها وضحكت. إنها تتساءل أحياناً عمّا إذا كان الرجل الذي تزوجته عاقلاً تماماً. فقد لا يكون كذلك.

لمحتها آنا من بعيد. فقد رأت شكلاً قصيراً ووحيداً في الطرف البعيد للأرصفة العائمة. لم تكن تنوي البحث عنها، لكنها ما إن نزلت منحدر غالارباكن ورأت بليندا حتى عرفت أنه عليها الذهاب للتحدث إليها.

لم تسمعها بليندا وهي تقترب، إذ كانت جالسة على الرصيف تدخن، وهناك

علبة سجائر وعلبة كبريت قربها.

قالت آنا: "مرحباً".

جفلت بليندا ونظرت إلى السيجارة في يدها. ولثانية، فكرت في إخفائها بطريقة ما، لكنها وضعتها بعد ذلك في فمها بطريقة استفزازية ومجّتها بقوة.

سألت آنا: "هل يمكنني الحصول على واحدة؟". فيما جلست قرب بليندا.

سألتها بليندا بدهشة: "هل تدخنين؟!" لكنها أعطتها العلبة.

"كنت أدخن. لخمسة أعوام. لكن زوجي السابق... لم يحب الأمر كان هذا تعبيراً ملطفاً للحقيقة. فذات يوم، عندما وجدها لوكاس تدخن سيجارة سراً، وضع السيجارة المشتعلة على ذراعها. وهي لا تزال تملك ندبة خفيفة تذكرها بتلك الحادثة.

قالت بليندا بحزن: "لن تخبري بابا، أليس كذلك؟". ولوّحت بسيجارتها، ثم أضافت بنبرة لطيفة: "أرجوك".

فقالت آنا: "إذا لم تشي بي، فلن أشي بك". وأغمضت عينيها فيما مجّت السيجارة.

سألت بليندا: "هل يمكنك التدخين؟ أقصد بسبب... الطفل؟". وبدت فجأة مثل سيدة متقدمة في العمر.

فضحكت آنا وقالت: "ستكون هذه أول وآخر سيجارة أدخنها أثناء حملي. أعدك".

جلستا بصمت لبعض الوقت وهما تنفثان الدخان فوق الماء. لقد اختفى حرّ الصيف بالكامل، وحلّ مكانه برد سبتمبر. لكنْ على الأقل لا توجد أي ريح، وتمدد سطح الماء الهادئ واللامع أمامهما. بدا المرفأ مهجوراً، بوجود بعض القوارب فقط؛ على خلاف فصل الصيف حين تكون المراكب مصطفة قرب بعضها بعضاً في صفوف عدة.

قالت آنا وهي تنظر إلى الماء: "ليس هذا سهلاً، أليس كذلك؟".

سألت بليندا: "ماذا؟". وبدت حزينة وغير واثقة من الموقف الواجب اعتماده.

"أعني أن تكوني طفلة؛ رغم أنك أصبحت ناضجة الآن"

أجابت بليندا: "أنت لا تعرفين أي شيء عن الموضوع". فيما رمت حصاة صغيرة في الماء.

فضحكت آنا وقالت: "لا، أنت محقة. فقد ولدت بالعمر الذي أنا عليه الآن" ونكزت بليندا على خصرها برفق لتظهر لها أنها تمازحها، فحصلت في المقابل على ابتسامة صغيرة سرعان ما اختفت. لم تقل آنا أي شيء آخر، إذ أرادت السماح لبليندا بأن تقرر بنفسها وتيرة محادثتهما. لم تتحدث أي منهما لبضع دقائق، إلى أن لاحظت آنا بزاوية عينها أن بليندا تحدق إليها بحذر.

"هل تشعرين فعلاً بالدوار؟".

أومأت آنا برأسها وقالت: "مثل فأر مصاب بدوار البحر

سألت بليندا: "ولماذا يصاب الفأر بدوار البحر؟" وقهقهت.

"لمَ لا؟ هل يمكنك إثبات أن الفأر لا يصاب أبداً بدوار البحر؟ إذا كان الجواب نعم، فأنا أرغب في رؤية الدليل، لأن هذا ما أشعر به بالضبط؛ مثل فأر مصاب بدوار البحر

فقالت بليندا: "أوه، أنت تمازحينني لكنها لم تستطع كبت ضحكتها.

"إذا وضعنا المزاح جانباً، أشعر أنني بدينة فعلاً".

"انزعجت ماما كثيراً عندما كانت حاملاً بليزن. كنت كبيرة كفاية لأذكر ذلك. كانت... أوه، عفواً، لا يجدر بي ربما الحديث عن المرحلة التي كان فيها بابا وماما...". وصمتت وهي شعرت بالإحراج. ثم تمددت لإخراج سيجارة أخرى، وطوّقتها بيديها لإشعالها.

"هل تعرفين شيئاً؟ يمكنك الحديث عن أمك متى شئت، وكلما أردت. ليست لديّ مشكلة في أن دان امتلك حياة قبل أن يلتقيني. ففي النهاية، كنتن أنتن الثلاث في حياته، بالإضافة إلى أمك. بصراحة، لا داعي للإحساس بأنك تخونين والدك لمجرد أنك تحبين أمك. وأعدك بأنني لن أشعر بالإهانة إذا تحدثت عن برنيلا، على الإطلاق". وضعت آنا يدها فوق يد بليندا الموجودة على الرصيف. في البداية، بدت بليندا كما لو أنها على وشك سحب يدها، ثم تركت يدها حيث هي. بعد ثوانٍ قليلة، سحبت آنا يدها، وأخذت بدورها سيجارة أخرى. سوف تدخن سيجارتين

خلال هذا الحمل ثم ستتوقف، وهذا وعد شرف.

قالت بليندا فيما نظرت إلى آنا: "أنا بارعة فعلاً في الاهتمام بالأطفال. فقد ساعدت أمي كثيراً عندما كانت ليزن صغيرة".

"أخبرني دان عن ذلك. فقد أخبرني كيف كان وأمك يجبرانك على الخروج للعب مع أصدقائك بدلاً من الاهتمام بالطفلة، وقال إنك كنت بارعة في ذلك فعلاً. لذا، آمل الحصول على بعض المساعدة في الربيع. يمكنك الاهتمام بكل الحفاضات". ومجدداً، نكزت بليندا على خصرها، وهذه المرة نكزتها الفتاة بدورها وقالت مبتسمة: "سأهتم فقط بالحفاضات المشتملة على البول. اتفقنا؟". ومدّت بليندا يدها، فصافحتها آنا.

"اتفقنا. حفاضات البول من اختصاصك. ويستطيع والدك الاهتمام بالحفاضات المشتملة على البراز".

وتردد صدى ضحكتيهما في المرفأ المهجور.

ستذكر آنا دوماً هذه اللحظة كواحدة من أجمل اللحظات في حياتها؛ اللحظة التي ذاب فيها الجليد.

كان أكسيل في خضم توضيب أغراضه عندما وصلت. التقاها عند الباب، فيما حمل في كل يد قميصاً على علاقة. لاحظت خلفه حقيبة ملابس موضوعة على الأرض في الردهة.

سألت إيريكا: "هل أنت ذاهب إلى مكان ما؟"

أومأ أكسيل برأسه فيما علّق القميصين بعناية كي لا يتجعدا.

"نعم، عليّ العودة إلى العمل قريباً. سأغادر إلى باريس يوم الجمعة".

"هل يمكنك فعلاً المغادرة من دون معرفة من... وتركت الكلمات معلقة في الهواء.

فأجاب أكسيل بحزن: "لا أملك خياراً. سأعود طبعاً على متن أول طائرة إذا احتاجت الشرطة إلى مساعدتي بأية طريقة. لكن، عليّ فعلاً العودة إلى العمل، إذ لا يجدي بقائي هنا نفعاً". وفرك عينيه بطريقة دلت على تعبه، فلاحظت إيريكا كم

بدا عجوزاً. بدا لها وكأن عمره قد ازداد عدة سنوات منذ أن رأته آخر مرة.

قالت برفق: "سيجديك نفعاً ربما الابتعاد قليلاً". ثم ترددت. "لديّ بعض الأسئلة، بعض الأمور التي أود التحدث معك بشأنها. هل يمكنني أخذ بضع دقائق من وقتك؟ هل يمكنك؟".

أومأ أكسيل برأسه، وبدا منهكاً وحزيناً، ثم أشار إليها للدخول. توقفت أمام الأريكة على المصطبة حيث جلسا سابقاً، لكنه تابع طريقه هذه المرة وصولاً إلى الغرفة التالية.

قالت فيما نظرت حولها: "يا لها من غرفة جميلة!". كان الأمر أشبه بالدخول إلى متحف يرجع إلى حقبة قديمة. فكل شيء في الغرفة يعود إلى حقبة الأربعينيات. ورغم أن الغرفة كانت نظيفة ومرتبة، إلّا أن رائحة القدم فاحت منها.

"نعم، حسناً، لم يهتم والداي ولا إيريك ولا أنا بالأشياء الجديدة. لم يحدث أبي وأمي أي تغييرات جذرية في المنزل، ولا أنا وإيريك أيضاً. بالإضافة إلى ذلك، كانت تلك الحقبة مليئة بالعديد من الأشياء الجميلة. ولذلك، لا أرى سبباً لاستبدال المفروشات بأخرى أكثر عصرية، لأنني أظن أن الأخيرة أقبح". ثم مرر يده فوق خزانة أنيقة.

جلسا على أريكة منجدة بقماش بني. لم تكن مريحة كثيراً، وأجبرتهما على الجلوس في وضعية منتصبة.

سأل أكسيل بلطف: "هل أردت أن تسأليني عن شيء ما؟". ولكنه في الوقت نفسه بدا نافد الصبر.

قالت إيريكا: "نعم، هذا صحيح". وشعرت بالإحراج. فهذه هي المرة الثانية التي تأتي فيها إلى هنا وتزعج أكسيل بأسئلتها، فيما لديه الكثير من الأمور الأخرى للقلق بشأنها. لكن، كما حصل سابقاً، ونظراً إلى وجودها هنا، قررت أن تعرف ما تريد معرفته.

"كنت أجري بعض الأبحاث عن حياة أمي وأصدقائها؛ عن أخيك، وفرانس رينغهولم، وبريتا جوهانسون"

أومأ أكسيل برأسه، وانتظرها لتكمل ما تريد قوله.

"ثمة شخص آخر كان جزءاً من هذه المجموعة"

لم يتفوه أكسيل بأي كلمة.

"قرابة نهاية الحرب، جاء إلى هنا مقاتل نروجي على متن مركب جدي... المركب نفسه الذي أعرف أنك سافرت على متنه"

فنظر إليها من دون أن تطرف عيناه، لكنها رأت توتره عندما ذكرت الرحلات التي قام بها حين عبر الحدود النروجية.

بعد قليل، قال أكسيل بهدوء: "كان جدك رجلاً طيباً". ووضع الآن يديه على حضنه، ثم تابع: "كان أحد أفضل الرجال الذين عرفتهم".

لم تلتقِ إيريكا قطّ جدها لوالدتها، وفرح قلبها لدى سماعها أكسيل وهو يصفه بهذه الإيجابية.

"حسبما فهمت، كنت في السجن عندما جاء هانس أولافسن على متن قارب جدي. فقد وصل إلى هنا عام 1944، وحسب ما توصلنا إليه لغاية الآن، بقي هنا إلى حين انتهاء الحرب مباشرة"

قاطعها أكسيل: "تتحدثين بصيغة الجمع، فمن تقصدين؟". وبدا صوته متوتراً.

ترددت إيريكا قليلاً ثم قالت: "أقصد أنني طلبت المساعدة من كريستيان في المكتبة هنا في فجالباكا. هذا كل شيء" إذ لم تشأ ذكر كجيل، وبدا أكسيل متقبلاً شرحها.

وقال بصوت متوتر مجدداً: "نعم، كنت في السجن حينها" وبدا وكأن كل عضلات جسمه تذكرت فجأة ما عاناه وتفاعلت مع تلك الذكريات بانقباضها.

"إذاً، لم تلتقه مطلقاً".

هزّ أكسيل رأسه. "لا، كان قد غادر عندما عدت"

"متى عدت إلى فجالباكا؟"

"في شهر يونيو عام 1945، مع الباصات البيضاء"

سألت إيريكا: "الباصات البيضاء!؟" ثم تذكرت سماعها شيئاً عنها في دروس التاريخ.

أجاب أكسيل: "إنها خطة استهلها فولكي بيرنادوت. فقد نظم وسائل النقل

لإعادة السجناء الاسكاندينافيين الذين كانوا في معسكرات الاعتقال الألمانية. كانت الباصات بيضاء، مع إشارات حمراء مطلية على السقف والجانبين، كي لا يتم الاعتقاد خطأ أنها أهداف عسكرية"

سألت إيريكا: "لكن، لماذا قد يُعتقد خطأ أنها أهداف عسكرية إذا كانت تنقل السجناء بعد انتهاء الحرب؟".

ابتسم أكسيل لجهلها وقال شارحاً: "ذهبت الباصات الأولى لإعادة السجناء في بداية شهرَي مارس وأبريل من العام 1945؛ بعد التفاوض مع الألمان. أعادت الباصات قرابة خمسة عشر ألف سجين في ذلك الوقت. وبعدها، عند انتهاء الحرب، أعادت الباصات قرابة عشرة آلاف سجين في شهرَي مايو ويونيو. جئتُ في أحد آخر الباصات في شهر يونيو 1945". بدا الأمر كله بديهياً فيما شرح ما حصل، ولكنْ وراء الصوت المتحفظ، استطاعت إيريكا سماع ترددات الذعر التي عاشها.

سألت: "واختفى هانس أولافسن من هنا في يونيو 1945. مما يعني أنه غادر قبل فترة وجيزة من وصولك. أليس كذلك؟".

أجاب أكسيل فيما أومأ برأسه: "الفارق لا يتعدى بضعة أيام ربما. لكن، عليك مسامحتي إذا خانتني ذاكرتي قليلاً في هذا المجال. فقد كنت... مرهقاً جداً عندما عدت".

قالت إيريكا: "طبعاً، أفهم ونظرت إلى الأسفل. إنه شعور غريب أن تتحدث إلى شخص رأى معسكرات الاعتقال الألمانية من الداخل.

"هل أخبرك أخوك أي شيء عن هانس؟ أي شيء تذكره؟ أي شيء على الإطلاق؟ أشعر أن إيريك وأصدقاءه أمضوا الكثير من الوقت مع هانس أولافسن خلال العام الذي مكثه هنا في فجالباكا".

حدّق أكسيل خارج النافذة، كما لو أنه يفتش في ذاكرته، وأمال رأسه إلى جانب واحد وقطّب جبينه.

"أذكر أنه كان هناك شيء ما بين النروجي وأمك؛ إذا كنت لا تنزعجين من قولي هذا".

لوّحت إيريكا بيدها قائلة: "لا، على الإطلاق. فقد حصل ذلك قبل زمن بعيد

جداً، واكتشفت بنفسي الشيء نفسه أيضاً"

"أعتقد أن ذاكرتي ليست سيئة بقدر ما أظنها أحياناً". وابتسم وعاود النظر إليها. "نعم، أنا واثق من أن إيريك قد أخبرني عن وجود علاقة عاطفية بين إلسي وهانس

"كيف كانت ردة فعلها عندما غادر؟ هل تذكر أي شيء عنها في ذلك الوقت؟".

"ليس كثيراً. فبالطبع، لم تعد هي نفسها بعد ما حصل مع جدك. وغادرت بعد فترة وجيزة لدراسة... الاقتصاد إذا كنت أذكر جيداً. ثم فقدنا الاتصال ببعضنا. وعندما عادت إلى فجالباكا بعد عدة سنوات، كنت قد بدأت بالعمل في الخارج، ولم أتواجد هنا كثيراً. لم يكن هناك تواصل بينها وبين إيريك أيضاً، حسبما أذكر. ليس هذا غريباً. فقد يكون الأشخاص أصدقاء جيدين في الطفولة والمراهقة، ولكن لاحقاً، عندما تلقي الحياة بمسؤولياتها، يميلون إلى فقدان الاتصال ببعضهم". واستدار للنظر إلى خارج النافذة مجدداً.

قالت إيريكا: "أفهم قصدك". وخاب أملها لأن أكسيل أيضاً لا يملك أي معلومات عن هانس أولافسن. "ألم يذكر أي كان المكان الذي ذهب إليه هانس؟ ألم يخبر إيريك بذلك؟".

هزّ أكسيل رأسه بطريقة اعتذارية وأجاب: "أنا آسف جداً. أتمنى لو كان بوسعي مساعدتك، لكنني لم أكن مرتاحاً فعلاً عندما عدت. وبعد ذلك، كانت هناك أمور أخرى تشغل بالي. لكن، لا شك في أنه يمكن تعقب أثره بواسطة السلطات". أضاف عبارته الأخيرة بنبرة تشجيعية، ووقف.

فهمت إيريكا التلميح فوقفت هي أيضاً. "نعم، هذه خطوتي التالية. وإذا كنت محظوظة، فقد تحلّ هذه المسألة كل شيء. فحسبما أعلم، لم يبتعد كثيراً".

قال أكسيل وهو يصافحها: "حسناً، أتمنى لك التوفيق. أعرف كم هو مهم اكتشاف الماضي لنتمكن من عيش الحاضر. صدقيني، أعرف ذلك تماماً". وربّت على يدها، فابتسمت إيريكا لمحاولته مواساتها.

سألها فيما كانت على وشك فتح الباب الأمامي: "بالمناسبة، هل توصلت إلى أي شيء في ما يتعلق بالميدالية؟".

أجابته: "لا. تحدثت إلى خبير في الميداليات النازية في غوتبورغ، لكن هذه الميدالية شائعة جداً لسوء الحظ ولا يمكن تعقب أثرها" وشعرت بالمزيد من الإحباط مع مرور كل دقيقة.

"أنا آسف فعلاً لأنني لم أستطع تقديم المزيد من المساعدة".

قالت: "لا بأس. الطريق طويلة" ولوّحت له مودعة.

شاهدت أكسيل واقفاً عند الباب مراقباً إياها فيما كانت تغادر، وشعرت بالكثير من الأسف عليه. لكن شيئاً ما قاله أعطاها فكرة، فأحست بأنها مليئة بالعزم، وعادت مجدداً إلى فجالباكا.

تردد كجيل قبل أن يطرق على الباب. وفيما وقف هناك أمام باب منزل والده، أحسّ فجأة مثل صبي خائف مجدداً. ونقلته الذاكرة إلى تلك الأوقات التي وقف فيها أمام بوابات السجون ممسكاً بيد أمه، فيما معدته منقبضة بسبب الخوف والحماسة لفكرة رؤيته والده. في البداية، كان يتطلع إلى تلك الزيارات. فقد اشتاق إلى فرانس وأراد رؤيته مجدداً؛ لتذكر الأوقات الجميلة فقط. تلك الفترات الوجيزة التي لم يكن فيها والده في السجن، حيث يستطيع رفع كجيل في الهواء، أو أخذه في نزهة في الغابة، والإمساك بيده وإخباره كل شيء عن الفطر والأشجار والأجمات. ظن كجيل أن والده يعرف كل شيء في العالم. غير أنه في الليل توجّب عليه وضع الوسادة فوق أذنيه لقمع أصوات الشجار، وتلك النزاعات الكريهة التي لا تعرف أية بداية أو نهاية على ما يبدو. فقد كان والده ووالدته ببساطة يبدآن شجارهما من حيث توقفا آخر مرة قبل دخول فرانس إلى السجن، ويستمران على هذا المنوال- الجدالات نفسها، والإساءة الجسدية نفسها؛ مراراً وتكراراً- إلى أن جاءت الشرطة آخر مرة وأخذت والده بعيداً.

لهذا السبب، تضاءلت حماسة كجيل مع مرور كل عام؛ إلى أن بات يشعر فقط بالخوف عند وقوفه في قاعة الزوار ورؤيته وجه والده. لاحقاً، تحول الخوف إلى كراهية. وبطريقة ما، كان الأمر سيكون أسهل بالنسبة إليه لو لم يكن يملك ذكريات عن تلك النزهات في الغابات. لأن ما أشعل كراهيته وأوقدها باستمرار

كان السؤال الذي لطالما طرحه على نفسه عندما كان ولداً. كيف يمكن لوالده أن يتخذ الخيار نفسه، مرة تلو أخرى، بإلغاء كل شيء؟! بإلغائه أيضاً؟ وبالتخلي عنه من أجل عالم رمادي وبارد سلب من عينيه شيئاً كلما توجب عليه العودة إليه.

طرق كجيل على الباب منزعجاً من نفسه بسبب استرجاعه تلك الذكريات.

صرخ: "أعرف أنك هنا! افتح". ثم أصغى بتوتر، وسمع أخيراً السلسلة المعدنية وهي ترفع، والقفل يفتح.

صرخ كجيل: "إنها وسائل تحمي بها نفسك من زملائك مثلما أفترض وشق طريقه إلى داخل الردهة متجاهلاً فرانس.

فسأله فرانس: "ما الذي تريده الآن؟"

صعق كجيل بحقيقة أن والده بدا فجأة عجوزاً جداً، وضعيفاً. ثم طرد تلك الفكرة من عقله. فهذا الرجل أقوى من معظم الرجال، وسيعيش أكثر منهم جميعاً على الأرجح.

"أريد منك بعض المعلومات". ودخل وجلس على الأريكة من دون انتظار دعوة.

فجلس فرانس على الكرسي الهزاز قبالته، لكنه لم يتفوه بكلمة، بل انتظر فقط.

"ماذا تعرف عن رجل اسمه هانس أولافسن؟".

ذهل فرانس، لكنه استعاد بسرعة السيطرة على نفسه، واتكأ إلى الخلف على كرسيه، ووضع يديه على ذراعَي الكرسي، ثم سأله: "لماذا تريد أن تعرف؟". فيما نظر إلى عينَي ابنه مباشرة.

"ليس هذا من شأنك".

"لمَ يجدر بي مساعدتك إذا كنت ستتخذ هذا الموقف؟".

انحنى كجيل إلى الأمام، فأصبح وجهه على مسافة سنتيمترات قليلة فقط من وجه والده. وحدّق إليه لوقت طويل قبل أن يقول ببرودة: "لأنك تدين لي بهذا. فأنت تدين لي، وعليك انتهاز كل فرصة لمساعدتي إذا كنت لا تريد المجازفة بأن أرقص على قبرك حين تموت".

للحظات، لمع شيء في عينَي فرانس؛ شيء كان تائهاً. ربما كان ذكرى

النزهات في الغابات والذراعين القويتين اللتين رفعتا الصبي الصغير عالياً في السماء، ثم اختفى ذلك الشيء، ونظر إلى ابنه وقال بهدوء:

"هانس أولافسن مقاوم نروجي. كان عمره سبعة عشر عاماً عندما جاء إلى فجالباكا. وأعتقد أن هذا كان عام 1944. ثم غادر بعد عام واحد. هذا كل ما أعرفه".

قال كجيل متكئاً إلى الخلف: "هراء. أعرف أنكم أمضيتم الكثير من الوقت معاً: أنت، وإلسي موستروم، وبريتا جوهانسون، وإيريك فرانكل. والآن، تم قتل بريتا وإيريك في فاصل أشهر قليلة. ألا تظن أن هذا غريب قليلاً؟".

تجاهل فرانس السؤال، وقال بدلاً من ذلك: "ما علاقة النروجي بذلك؟".

صرخ كجيل: "لا أعرف. لكنني أنوي المعرفة." وأطبق قبضتَي يده في محاولة للسيطرة على غضبه. "ماذا تعرف عنه أيضاً؟ أخبرني عن الوقت الذي أمضيتموه معاً. أخبرني عن سبب مغادرته، وكل تفصيل يمكنك تذكره".

تنهد فرانس، وبدا كما لو أنه يعود بالذاكرة إلى الوراء، ثم قال: "إذاً، أنت تريد التفاصيل... لنرَ إذا كان بوسعي تذكر أي شيء. حسناً، عاش في منزل والدَي إلسي، وجاء إلى هنا مختبئاً على متن مركب والدها".

قال كجيل: "أعرف هذا. ماذا أيضاً؟".

"حصل على عمل في المراكب التي تنزل حمولتها على الشاطئ، لكنه أمضى أوقات فراغه معنا. في الواقع، كنا أصغر منه بسنتين، لكنّ ذلك الأمر لم يزعجه على ما يبدو. وقد استمتعنا بصحبة بعضنا بعضاً. البعض أكثر من الآخرين". وبدا أن الأعوام الستين لم تمحُ المرارة التي شعر بها في ذلك الحين.

قال كجيل بنبرة جافة: "هانس وإلسي

فسأله فرانس: "كيف عرفت هذا؟". وبدا متفاجئاً لأنه لا يزال يشعر بغصة عند تفكيره فيهما معاً. لا شك في أن قلبه يملك ذاكرة أقوى من عقله.

"أعرف. هيا تابع"

"حسناً، مثلما قلت، انسجم هانس وإلسي مع بعضهما. وأنا واثق من أنك تعلم أيضاً أنني لم أكن سعيداً بذلك".

"لم أكن أعلم ذلك".

"حسناً، هذا صحيح. كنت أحب إلسي، لكنها اختارته. والمثير للسخرية هو أن بريتا كانت مفتونة بي، لكنني لم أكن مهتماً بها على الإطلاق. فكرت أحياناً في النوم معها، لكن شيئاً ما أنبأني دوماً بأن الأمر سيجلب لي المشاكل، ولذلك لم أتجرأ على القيام بذلك مطلقاً".

قال كجيل بنبرة ساخرة: "يا لك من شهم!". وبالكاد رفع فرانس حاجباً.

"ماذا حصل بعدها؟ إذا كان هانس وإلسي مقربين من بعضهما كثيراً فلماذا غادر؟".

"حسناً، إنها أقدم حكاية في التاريخ. وعدها بالقمر، وعندما انتهت الحرب، قال إن عليه العودة إلى النروج لإيجاد عائلته، ثم سيعود. لكن..." وهزّ فرانس كتفه وصمت.

"هل تظن أنه كان يخدعها؟".

"لا أعرف كجيل. بصراحة، لا أعرف. كان هذا قبل ستين عاماً، وكنا صغاراً جداً. كان جدياً ربما في ما قاله لإلسي، لكنه ربما جوبه بالالتزامات عند عودته إلى وطنه، أو كان ينوي الهروب ما إن تتاح له الفرصة". وهزّ فرانس كتفه، ثم تابع: "الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أنه ودعنا، وأخبرنا أنه سيعود ما إن يسوّي الأمور مع عائلته، ثم غادر. ولكي أكون صريحاً، لم أفكر فيه كثيراً منذ ذلك الحين. أعرف أن إلسي قد انزعجت لبعض الوقت، لكن أمها رأت أن الوقت قد حان لتبدأ دراستها الجامعية، ولا أعرف ماذا حصل بعد ذلك. ثم غادرت فجالباكا و... حسناً، تعرف ماذا حصل

قال كجيل بتجهم: "نعم أعرف". وتخيل مجدداً بوابات السجن الرمادية الكبيرة.

قال فرانس: "إذاً، لا أفهم لماذا يبدو الأمر مهماً بالنسبة إليك. فقد جاء إلى هنا ثم اختفى. ولا أظن أن أياً منا عاود الاتصال به مجدداً. فلمَ كل هذا الاهتمام به؟". حدّق فرانس إلى كجيل.

أجاب الابن باقتضاب: "لا أستطيع إخبارك بالسبب. لكن، إذا كان هناك غموض يكتنف رحيله، فإنني سأعود إلى جذور الحكاية، صدقني ووجّه نظرة تحدٍّ إلى والده.

فأجاب فرانس متعباً: "أصدّقك كجيل. أصدّقك".

نظر كجيل إلى يد والده الموضوعة فوق ذراع الكرسي. إنها يد رجل عجوز مجعدة ومليئة بالأوردة، مع بقع بنية على البشرة؛ يد مختلفة كثيراً عن تلك التي أمسكت بيده عندما ذهبا في نزهات في الغابة. فتلك اليد كانت قوية وناعمة، ودافئة جداً فيما طوّقت يده الصغيرة، ومنحته الإحساس بالأمان.

سمع نفسه يقول: "يبدو أن هذا العام سيكون جيداً للفطر

فحدّق إليه فرانس بذهول، ثم أصبحت تعابيره أكثر ليونة وأجاب بهدوء: "نعم، هكذا يبدو الأمر يا كجيل. نعم، صحيح"

وضع أكسيل أغراضه في الحقيبة بدقة عسكرية. فأعوام السفر الطويلة علّمته فعل ذلك. ما من شيء يترك للصدفة. فالسروال غير المطوي بعناية قد يعني الحاجة إلى كيّه جيداً على لوحة الكي في الفندق. والغطاء غير المحكم لأنبوب معجون الأسنان قد يعني كارثة أسوأ: الكثير من الغسيل. لذا، وضع كل شيء في الحقيبة الكبيرة بعناية فائقة.

جلس على السرير. كانت هذه غرفته أثناء فترة نموه، لكنه اختار تبديل المفروشات في السنوات اللاحقة. فنماذج الطائرات والرسوم الهزلية لا تناسب فعلاً غرفة نوم رجل ناضج. تساءل عما إذا كان سيعود إلى هنا يوماً. إذ كان المكوث في المنزل صعباً جداً خلال الأسابيع الماضية. وفي الوقت نفسه، بدا ضرورياً.

نهض وتوجه إلى غرفة نوم إيريك البعيدة بضعة أبواب في الرواق الطويل. ابتسم أكسيل عندما دخلها وجلس على سرير أخيه. كانت الغرفة مليئة بالكتب. فالرفوف مزدحمة بالمجلدات الجلدية، وثمة كومات منها على الأرض، مع لصاقات ملاحظات صفراء على العديد منها. لم يسأم إيريك من كتبه، وحقائقه، وتواريخه، والحقيقة الصلبة التي وفرتها له مطلقاً. وفي هذا السياق، كانت الأمور أسهل بالنسبة إلى إيريك. إذ يمكن العثور على الحقيقة بالأسود والأبيض. فما من مساحات رمادية، أو خدع سياسية أو غموض معنوي؛ فتلك الأمور موجودة يومياً في عالم أكسيل. أما لدى إيريك فلم تكن هناك سوى الحقائق الصلبة. معركة

الهاستينغ حصلت عام 1066. ونابوليون مات عام 1821. وألمانيا استسلمت في 5 مايو 1945...

تمدد أكسيل للإمساك بكتاب موضوع على سرير إيريك؛ مجلّد سميك عن إعادة إعمار ألمانيا بعد الحرب. ثم وضعه أكسيل مجدداً على السرير. فهو يعرف كل شيء عن هذا الموضوع. إذ إن حياته خلال الأعوام الستين الماضية تمحورت حول الحرب وتداعياتها. لكن الأهم من ذلك كله أنها تمحورت حوله هو نفسه؛ وأدرك إيريك ذلك. لقد حدد نقاط الضعف في حياة إيريك وفي حياته الخاصة، واعتبرها مجرد حقائق. ظاهرياً، ومن دون أية عاطفة. لكن أكسيل عرف أخاه جيداً، وكان يدرك تماماً أنه توجد وراء كل تلك الحقائق عاطفة أكبر من تلك الموجودة عند معظم الأشخاص الذين التقاهم.

مسح الدمعة التي انهمرت على وجنته. فهنا، في غرفة إيريك، لم تعد الأمور واضحة تماماً مثلما أرادها. لقد جعل أكسيل كل حياته مرتكزة على غياب الغموض، وجعلها متمحورة حول الصح والخطأ. قدّم نفسه على أنه الشخص الذي يستطيع التحديد والقول إلى أي معسكرات ينتمي الأشخاص. لكن إيريك- في العالم الهادئ لكتبه- هو الذي عرف كل شيء عن الصح والخطأ. وفي مكان ما في أعماقه، لطالما فهم أكسيل ذلك. فقد فهم أن المعركة التي دارت ليزيل نفسه من المساحة الرمادية الفاصلة بين الخير والشرّ قد ألقت بثقلها على أخيه أكثر منه.

لكن إيريك كافح بشدة. وطوال ستين عاماً، راقب أكسيل وهو يأتي ويذهب، وسمعه يتكلم عن الجهود التي بذلها في خدمة الخير، وسمح له ببناء صورة عن نفسه؛ بأنه الرجل الذي يمنح العدالة للجميع. راقب إيريك وأصغى بصمت، ونظر إليه بتينك العينين الرقيقتين من وراء النظارة التي يضعها، وجعله يبقى في أوهامه. لكن، في مكان ما في أعماقه، لطالما عرف أكسيل أنه يخدع نفسه وليس إيريك.

والآن، عليه متابعة عيش الكذبة والعودة إلى العمل؛ العودة إلى المطاردة الحثيثة التي يتوجب عليه متابعتها. فهو لا يستطيع تخفيف وتيرتها؛ لأن الوقت سيصبح متأخراً بعد فترة وجيزة، ولن يبقى هناك أحد بإمكانه التذكر، ولن يبقى أحد لتتم معاقبته. وقريباً، ستبقى فقط كتب التاريخ لتشهد على ما حصل.

نهض أكسيل ونظر في أرجاء الغرفة للمرّة الأخيرة قبل أن يعود إلى غرفة نومه. لا يزال هناك الكثير من التوضيب الواجب إنجازه.

مضى وقت طويل على زيارة إيريكا قبر جديها لأمها. والحديث مع أكسيل ذكّرها بهما، وفي طريق عودتها إلى المنزل، قررت المرور بالمقبرة وزيارة قبرهما. فتحت البوابة، وسمعت طقطقة الحصى تحت قدميها فيما مشت.

مرّت أولاً أمام مدفن والديها. كان أمامها مباشرة؛ إلى الجهة اليسرى من الممشى. جلست القرفصاء قربه، ونزعت بعض الأعشاب الضارّة عن الحجر كي يبدو مرتباً، وذكّرت نفسها بضرورة إحضار الأزهار في المرة التالية. حدّقت إلى اسم والدتها المحفور على الحجر؛ إلسي فالك. هناك الكثير من الأمور التي تتمنى إيريكا سؤالها عنها. ولو لم يحصل حادث السيارة ذاك قبل أربعة أعوام، لاستطاعت التحدث إلى أمها شخصياً بدلاً من البحث بشكل عشوائي؛ في محاولة لمعرفة المزيد عن سبب تصرفات إلسي.

حين كانت طفلة، لطالما لامت إيريكا نفسها، وحين كبرت أيضاً. وقد ظنّت أن هناك مشكلة فيها، وأنها أخفقت نوعاً ما في تلبية طموحات أمها. وإلّا، فلماذا لم تعانقها أمها يوماً، ولم تتحدث إليها فعلاً؟ لماذا لم تقل لها أمها مطلقاً إنها تحبها، أو حتى تستلطفها؟ ولوقت طويل، أحسّت إيريكا بأنها ليست جيدة بما فيه الكفاية، ولم تكن يوماً جيدة. لا شك في أن والدها تور بذل كل ما بوسعه لتعويضها عن حنان أمها الذي افتقدته. فقد منحها وأختها آنا الكثير من الوقت والحب، ولطالما كان مستعداً للإصغاء، ومستعداً دوماً للنفخ على الركبة المكشوطة. ولطالما كان عناقه الحنون مصدر أمان بالنسبة إليها. لكن هذا لم يكن كافياً مطلقاً. ليس حين بدت أمهما عاجزة حتى عن تحمل رؤيتها ابنتيها، أو معانقتهما.

لهذا السبب، ذهلت إيريكا من صورة أمها التي تظهر الآن. إذ كيف يمكن لتلك الفتاة الرقيقة والحنونة- مثلما وصفها الجميع- أن تتحول إلى إنسانة باردة وبعيدة جداً؛ حيث تعامل ابنتيها كما لو أنهما غريبتان؟!

مدت إيريكا يدها للمس اسم أمها على حجر القبر.

وهمست: "ماذا حصل لك ماما؟". وأحست بانقباض في حنجرتها. وعندما نهضت بعد دقائق قليلة، كانت أكثر عزماً من أي وقت مضى على كشف أكثر ما يمكن من قصة أمها. لا شك في أنه يوجد شيء ما، شيء لا يزال يضللها؛ ولا بد لها من اكتشافه.

ومهما كلّفها الأمر، ستجده.

ألقت إيريكا نظرة أخيرة على قبر والديها، ثم تحركت بضعة أمتار للوصول إلى المكان الذي دفن فيه جداها لأمها؛ إيلوف وهيلما موستروم. لم تلتقِهما مطلقاً. فالمأساة التي أودت بحياة جدها حصلت قبل زمن طويل من ولادتها، وماتت جدتها بعد عشرة أعوام من وفاته. لم تتحدث إلسي عنهما قطّ. لكنّ إيريكا فرحت حين أظهرت لها الأبحاث التي أجرتها لغاية الآن أنهما كانا لطيفين وحنونين. جلست القرفصاء مجدداً، وحدّقت إلى حجر القبر كما لو أنها تحاول أن تجعله يتحدث إليها. لكن الحجر ظل صامتاً. لا تستطيع معرفة أي شيء هنا. وإذا أرادت معرفة الحقيقة، فعليها أن تبحث في مكان آخر.

مشت صوب الهضبة صعوداً على منحدر دار العبادة الذي يؤدي إلى طريق مختصر إلى المنزل. وعند أسفل الهضبة، نظرت بصورة تلقائية إلى يمينها؛ إلى حجر قبر كبير رمادي مغطى بالطحالب، وموجود بمفرده عند قاعدة المنحدر الذي يشكل حافة جهة واحدة من المدفن. تقدمت خطوة إلى الأمام، ثم توقفت في مكانها، وتراجعت إلى أن أصبحت واقفة مباشرة أمام الحجر الرمادي الكبير، وراح قلبها يخفق بقوة في صدرها. حقائق غير مترابطة، وملاحظات غير مترابطة بدأت تدور في رأسها. طرفت عينيها للتأكد من أنها ترى بشكل صحيح، ثم تقدمت خطوة إلى الأمام، حيث وقفت مباشرة أمام الحجر. مررت إصبعها فوق النص للتأكد من أن دماغها لا يخدعها.

ثم اجتمعت كل الحقائق في عقلها بدوي هائل. طبعاً. إنها تعرف الآن ما حصل؛ أو على الأقل جزءاً منه. أخرجت هاتفها الخلوي، وطلبت رقم باتريك بأصابع مرتجفة؛ فقد حان الوقت كي يتدخل.

غادرت بنات هيرمان للتو. فهن يأتين لزيارته كل يوم، بناته الحنونات. يفرح قلبه حين يراهن جالسات قرب بعضهن على حافة سريره. إنهن يشبهن بعضهن، ويختلفن عن بعضهن في الوقت نفسه. ورأى بريتا فيهنّ جميعاً. آنا غريتا تملك أنفها، وبريجيتا تملك عينيها، أما ماغان أصغرهن فقد ورثت تينك الغمازتين الصغيرتين اللتين كشفت عنهما بريتا كلما ابتسمت.

أغمض هيرمان عينيه ليمنع نفسه من البكاء؛ فهو لم يعد يملك القوة للبكاء أكثر. لم تبقَ لديه دموع. لكنه أُجبِر على فتح عينيه مجدداً؛ لأنه كلما أغلقهما، تصوّر بريتا مثلما بدت عندما رفع الوسادة عن وجهها. لم يكن بحاجة إلى رفع الوسادة ليعرف. لكنه فعل ذلك رغم تأكده مما جرى؛ إذ أراد توكيد شكوكه، وأراد أن يرى ما فعله بسبب تصرفه المتهور. لأنه فهم ما حصل طبعاً؛ فقد فهم ذلك لحظة دخوله غرفة النوم ورؤيته إياها مستلقية هناك من دون حراك، والوسادة على وجهها.

وعندما رفع الوسادة وشاهد تعابيرها الجامدة شعر بأنه مات. في تلك اللحظة، مات هو أيضاً. استطاع فقط الاستلقاء قربها، وأخذها بين ذراعيه وشدّها إليه. ولو عادت الأمور إليه، لبقي مستلقياً هناك، ولاستمر في الإمساك بها فيما أصبح جسمها بارداً أكثر فأكثر؛ تاركاً الذكريات تتدفق في عقله.

حدّق هيرمان إلى السقف فيما فكّر في الماضي. تذكّر أيام الصيف عندما كانوا يستقلون القارب إلى الشاطئ في فالو، فتجلس الفتيات في الحجرة تحت السطح، فيما تجلس بريتا على سطح المركب، ووجهها مرفوع صوب الشمس، وساقاها الطويلتان ممددتان أمامها، وشعرها الأشقر الحريري منسدل على ظهرها. رآها تفتح عينيها، وتدير وجهها نحوه، وتبتسم بسعادة. ولوّح لها فيما جلس قرب الدفة، وأدرك في صميم قلبه أنه محظوظ جداً.

ثم مرّ طيف أمام وجهه حين تذكر المرة الأولى التي أخبرته فيها عن الموضوع غير القابل للذكر. حصل ذلك بعد ظهر يوم شتوي ممطر، فيما الفتيات في المدرسة. فقد طلبت منه الجلوس لأنها تريد إخباره شيئاً. حينها، كاد قلبه يتوقف في مكانه، وشعر بالخجل من نفسه الآن لدى تذكره أن أول فكرة خطرت في باله حينها هي أنها تريد تركه، وأنها التقت شخصاً آخر. لذا، شعر بالارتياح عند سماعه

ما أخبرته إياه. أصغى إليها، فيما تكلمت لوقت طويل. وعندما حان الوقت لإحضار الفتيات من المدرسة، اتفقا على عدم التطرق إلى الموضوع مجدداً على الإطلاق. فما حصل قد حصل. ولم ينظر إليها بطريقة مختلفة بعد ذلك، كما أنه لم يشعر تجاهها بطريقة مختلفة، ولم يتحدث إليها بطريقة مختلفة. كيف يمكنه فعل ذلك؟! كيف يمكن لذلك الأمر الذي أخبرته إياه أن يطرد من عقله صور الأيام التي عاشوا فيها معاً حياة هادئة وسعيدة، وتشاركوا ليالي رائعة؟ ما أخبرته به لا يمكنه أبداً أن يتغلب على كل ذلك. لذا، اتفقا على عدم التطرق إلى الموضوع مجدداً.

لكن مرضها بدّل ذلك؛ بدّل كل شيء. فقد خرّب حياتهما مثل تسونامي، واقتلع كل شيء من الجذور. وحينها، سمح لنفسه بالانجراف مع التيار، فارتكب خطأ؛ خطأ واحداً مميتاً. لقد أجرى اتصالاً هاتفياً واحداً لم يكن يجدر به القيام به. لكنه كان ساذجاً، وصدّق أن الوقت مناسب للإفراج عما هو متعفن. فكّر أنه إذا استطاع أن يظهر كم عانت بريتا بسبب ما خبأته في عقلها لوقت طويل جداً، فقد يتضح حينها أن الوقت قد حان أخيراً. فمن الخطأ المكافحة أكثر. فما حصل في الماضي يجب أن يخرج إلى العلن كي ينعموا براحة البال، وكي تنعم بريتا براحة البال. يا الله، كم كان ساذجاً! كان بوسعه أن يضع الوسادة على وجهها بنفسه. عرف ذلك. والآن، لا يستطيع تحمل الألم من جراء ذلك.

أغمض هيرمان عينيه في محاولة لإسدال ستارة على كل شيء. وهذه المرة، لم يرَ وجه بريتا الميتة، بل رآها بدلاً من ذلك على سرير مستشفى شاحبة ومتعبة، وإنما سعيدة، وهي تحمل آنا غريتا بين ذراعيها. رفعت يدها ولوّحت له، وأشارت له للاقتراب منها أكثر.

بتنهيدة أخيرة، تخلى عن كل ما هو مؤلم، وابتسم واتجه صوبهما.

كان باتريك يحدّق أمامه مباشرة. هل إيريكا محقة؟! يبدو الأمر جنوناً، ولكنه... منطقي. تنهد مدركاً صعوبة المهمة التي أمامه.

قال: "تعالي يا حبيبتي. سنذهب في رحلة قصيرة، وسنحضر ماما معنا". فيما رفع ماجا وحملها إلى الردهة.

بعد وقت قصير، وصل إلى بوابة المدافن حيث كانت إيريكا تنتظره بقلة صبر واضحة؛ لدرجة أنها كانت تقفز صعوداً ونزولاً. بدأ باتريك يشعر بقلة الصبر هو أيضاً، وذكّر نفسه بضرورة تخفيف سرعة السيارة فيما توجها صوب تانومشيد. فهو يستطيع أحياناً أن يكون سائقاً متهوراً. لكن، إذا كانت ماجا في السيارة، فإنه يقود دوماً بحذر شديد.

قال باتريك فيما توقفا أمام مركز الشرطة: "أنا سأتحدث. اتفقنا؟ ستأتين معي فقط لأنني لا أريد مناقشتك في هذا الموضوع، وسوف تفوزين في النهاية في كل الأحوال. لكنه مديري، وأنا الشرطي الذي فعل ذلك سابقاً. اتفقنا؟".

أومأت إيريكا برأسها على مضض، فيما رفعت ماجا من السيارة.

قال باتريك ممازحاً: "هل تظنين أنه كان يجدر بنا التوجه إلى منزل أمي أولاً، وأن نطلب منها الاهتمام بماجا لبعض الوقت؟ أقصد، إنني أعرف مدى استيائك من فكرة اصطحاب ماجا إلى مركز الشرطة". وحصل في المقابل على نظرة يائسة.

أجابت إيريكا غامزة إياه: "هيا، أنت تعرف أنني أريد الانتهاء من هذه المسألة بأسرع ما يمكن. ويبدو أنها لم تتعرض إلى أي أذى عندما جاءت إلى هنا آخر مرة".

قالت آنيكا بدهشة: "مرحباً! لم أتوقع رؤيتكم هنا جميعاً". وأشرق وجهها عندما وجّهت إليها ماجا ابتسامة كبيرة.

قال باتريك: "نريد التحدث إلى برتيل. هل هو هنا؟".

أجابت آنيكا مع نظرة استفسار: "نعم، إنه في مكتبه". وسمحت لهم بالدخول، فتوجه باتريك إلى مكتب ميلبرغ بسرعة وإيريكا خلفه حاملة ماجا بين ذراعيها.

قال ميلبرغ: "هيدستورم! ماذا تفعل هنا؟ وأرى أنك أحضرت العائلة كلها معك؟". وبدا نكداً فيما وقف لإلقاء التحية.

قال باتريك: "ثمة أمر نريد التحدث إليك بشأنه". وجلس على أحد كراسي الزوار من دون انتظار أية دعوة. لمح ماجا وإرنست بعضهما بعضاً، وفرحا كلاهما.

سألت إيريكا: "هل هو معتاد على التواجد مع الأولاد؟". فيما ترددت في وضع ابنتها على الأرض.

قال ميلبرغ: "وكيف لي أن أعرف؟". ثم هدأ. "إنه الكلب الأكثر لطافة في

العالـم. إنـه لا يؤذي ذبابة". وكشـف صوته عـن بعض الفخر، فرفع باتريك حاجبه متعجباً. يبدو أن مديره قد وقع فعلاً في غرام هذا الكلب.

بـدت إيريـكا غيـر مقتنعـة تمامـاً، غير أنهـا وضعت ابنتها علـى الأرض قرب إرنسـت الـذي بـدأ يلعـق وجه الفتاة الصغيرة بحماسـة، فشـعرت ماجـا بمزيج من الخوف والسرور في الوقت نفسه.

"ما الذي تريده؟". حدّق ميلبرغ إلى باتريك ببعض الفضول.

"أريد منك إذناً لفتح قبر

بدأ ميلبرغ يسعل كما لو أن شيئاً ما قد علق في حنجرته، وأصبح وجهه أحمر أكثر فأكثر فيما كافح للتنفس.

ونجح أخيراً في القول: "فتح قبر! هل فقدت صوابك أيها الرجل؟ لا بد أن إجازة الأبوّة قد أثرت في دماغك! هل تعرف كم هو نادر إعطاء الإذن بفتح قبر؟ وقد فعلت ذلك مرتين خلال الأعوام القليلة الماضية. وإذا طلبت إذناً آخر، فسوف يعتبرونني مجنوناً من دون شك، وسيضعونني في مصحّ! وجثة من تلك التي نريد نبشها الآن؟".

قالت إيريكا بهدوء: "مقاوم نروجي اختفى عام 1945". فيما جلست القرفصاء قرب باتريك، وحكّت أذنَي إرنست.

"ماذا قلت؟". حدّق إليها ميلبرغ بذهول، كما لو أنه اعتقد أنه سمع شيئاً خاطئاً.

بصبر وروية، أعادت إيريكا سرد كل ما عرفته عن الأصدقاء الأربعة والنروجي الذي جاء إلى فجالباكا قبل عام واحد من انتهاء الحرب. وشرحت أنه لا يوجد أي أثر له بعد يونيو 1945، وأن جهودهم بتعقب أثره لم تفضِ إلى أي مكان.

"ألا يحتمل أن يكون قد بقي في السويد أو عاد إلى النروج؟ هل تحققت مع السلطات في كلا البلدين؟". وبدا ميلبرغ مشكّكاً جداً.

نهضت إيريكا عن الأرض وجلست على الكرسي الآخر، وحدّقت إلى ميلبرغ كما لو أنها ترغب في جعله يأخذها على محمل الجد بمجرّد قوة الإرادة، ثم أخبرته بما قاله لها هيرمان؛ وهو أنه يفترض ببول هيكل وفريديريك هوك أن يخبراها عن مكان هانس أولافسن.

"وجدت الاسمين مألوفين نوعاً ما، لكن لم يخطر لي قط أين صادفتهما؛ حتى اليوم. فقد ذهبت إلى المدافن لزيارة قبرَي جديّ ووالديّ، وهناك رأيته".

سأل ميلبرغ، مذهولاً: "رأيت ماذا؟".

لوّحت بيدها. "سأخبرك بكل شيء إذا سمحت لي بذلك".

قال ميلبرغ: "طبعاً، هيا تابعي ووجد نفسه مهتماً بالموضوع رغماً عنه.

"ثمة قبر في مدافن فجالباكا مختلف قليلاً. إنه من الحرب العالمية الأولى، وقد تم دفن عشرة جنود ألمان هناك؛ تم التعرف إلى سبعة منهم وجرى ذكرهم بأسمائهم، فيما بقي ثلاثة منهم مجهولي الهوية".

قال باتريك: "نسيت إخباره عن الملاحظة المدوّنة". فيما جلس على مقعد خلفي ريثما تشرح زوجته الأمور. الرجل الجيد يعرف متى يحين وقت الانسحاب.

"أوه، حسناً. ثمة جزء آخر في الأحجية". وأخبرت إيريكا ميلبرغ عن الورقة في دفتر إيريك التي لفتت انتباهها عندما تأملت الصورة من مسرح الجريمة، وعن وجود عبارة Ignoto militi عليها.

سأل ميلبرغ بغضب فيما حدّق إلى باتريك: "وكيف حصل أن رأيت الصور من مسرح الجريمة!؟".

قال باتريك: "سنناقش ذلك لاحقاً. أرجوك، أصغِ الآن إلى ما تريد قوله فقط".

فتمتم ميلبرغ ببعض الكلمات، وإنما وافق على اقتراح باتريك، وأشار إلى إيريكا بتلويحة من يده كي تتابع كلامها.

"كتب إيريك فرانكل هذه العبارة على دفتره مراراً وتكراراً، وعرفت معناها. إنها عبارة مكتوبة على قوس النصر في باريس، وعلى قبر الجندي المجهول. إنها تعني الجندي المجهول".

لم يطلق ذلك أية شرارة لغاية الآن في رأس ميلبرغ، فتابعت إيريكا القول: "بقيت تلك الملاحظة المدوّنة على الورقة محفورة في عقلي. وها نحن الآن أمام مقاوم نروجي اختفى عام 1945 ولا يعرف أحد إلى أين ذهب، ولدينا إيريك الذي كتب شيئاً عن الجندي المجهول، وبريتا التي تحدثت عن عظام قديمة، بالإضافة إلى الاسمين اللذين أعطاني إياهما هيرمان. وعندما مررت أمام القبر في

مدافن فجالباكا، أدركت فجأة لماذا بدا الاسمان مألوفين جداً. فهما محفوران على حجر القبر وتوقفت إيريكا عن الكلام لالتقاط أنفاسها.

حدّق ميلبرغ إليها وقال: "إذاً، أنت تقولين إن بول هيكل وفريدريك هوك هما اسما ألمانيين من الحرب العالمية الأولى، وقد تم دفنهما في قبر في مدافن فجالباكا، أليس كذلك؟".

أجابت إيريكا: "هذا صحيح". وتساءلت عن أفضل طريقة لمتابعة قصتها.

لكن ميلبرغ قطع عليها الطريق قائلاً: "ما تقولينه إذاً..."

فأخذت نفساً عميقاً، ونظرت إلى باتريك قبل أن تتابع كلامها: "ما أقوله هو أن هناك احتمالاً كبيراً جداً بوجود جثة إضافية في ذلك القبر. أعتقد أن المقاوم النروجي، هانس أولافسن، مدفون هناك. لست واثقة من كيفية تلاؤم كل الأمور مع بعضها، لكنني مقتنعة بأن هذا السرّ هو الذي يقف وراء جريمتي قتل إيريك وبريتا".

وصمتت. لم يتحدث أحد. والشيء الوحيد الذي أمكن سماعه في مكتب ميلبرغ كان صوت ماجا وإرنست وهما يلعبان معاً.

بعد قليل، قال باتريك بهدوء: "أعرف أن هذا يبدو جنوناً، لكنني ناقشت الفكرة كلها مع إيريكا. وأظن أن هناك الكثير من الأمور الصحيحة في نظريتها. لا أستطيع تقديم أي دليل ملموس، لكن كل التلميحات على ما يبدو تشير في هذا الاتجاه. وثمة احتمال كبير أيضاً في أن تكون إيريكا محقة، وأن هذا هو السرّ الكامن خلف ارتكاب الجريمتين. لا أعرف كيف أو لماذا، لكن الخطوة الأولى تتمثل في تحديد ما إذا كانت هناك جثة إضافية في القبر. وإذا كانت هناك، فالخطوة التالية هي تحديد سبب الوفاة".

لم يجب ميلبرغ، بل شبك يديه وجلس بصمت وهو يفكر. أخيراً، أصدر تنهيدة عالية.

"حسناً، لا بد أنني فقدت عقلي، لكنني أعتقد أنكما محقان. ما من ضمانة في حصولي على الإذن. فمثلما قلت لكما، ثمة نوع من السجلات في مثل هذه الأمور، وسوف يتخطى المدعي العام الحدود المسموح بها. لكنني سأحاول. هذا كل ما أستطيع أن أعدكما به"

قالـت إيريـكا بحماسـة: "وهـذا كل ما نطلبه". وبدت كما لو أنها على وشـك وضع ذراعيها حول ميلبرغ.

"حسـناً، هوّني عليك. لا أظن أن الأمر قد ينجح، لكنني سـأبذل ما بوسـعي. وفي الوقت الحاضر، أحتاج إلى بعض الهدوء لأتمكن من العمل

قال باتريك فيما نهض: "سنغادر على الفور. أبلغني ما إن تعرف أي شيء".

لم يجب ميلبرغ، وإنما لوّح لهما حين خرجا من الباب، ورفع سماعة الهاتف، واستهلّ ما بدا أصعب اختبار لقدراته الإقناعية في كل مهنته.

فجالباكا 1945

إنه يعيش معهم منذ ستة أشهر، وعرفا أنهما مغرمان ببعضهما منذ ثلاثة أشهر حين حلّت المصيبة. كانت إلسي واقفة على المصطبة تسقي أزهار أمها عندما لمحتهم وهم يصعدون السلالم. وفهمت الأمر ما إن رأت تعابيرهم المتجهمة. خلفها في المطبخ، استطاعت سماع أمها وهي تغسل الصحون. عندها، شعرت بالرغبة في الإسراع إلى الداخل لإجبار أمها على المغادرة، ولطردها قبل أن تسمع الخبر الذي عرفت إلسي أنها لن تستطيع تحمله. لكنها في الوقت نفسه أدركت أن هذا غير مجدٍ. وبدلاً من ذلك، مشت نحو الباب الأمامي وفتحته، وسمحت بدخول ثلاثة رجال من أحد مراكب الصيد الأخرى في فجالباكا.

سأل أكبرهم سناً: "هل هيلما في المنزل؟". عرفت أنه قبطان المركب، وأومأت برأسها، وأرشدته إلى المطبخ.

وعندما لمحتهم هيلما، أوقعت الطبق الذي كانت تحمله فارتطم بالأرض وتحطم إلى ألف قطعة، وقالت: "لا، لا، يا إلهي، لا".

بالكاد نجحت إلسي في الإمساك بأمها قبل أن تقع أرضاً. أجلستها على كرسي، وأمكست بها بإحكام إلى أن أحسّت أن قلبها أيضاً سيقفز خارج جسمها. وقف الصيادون الثلاثة بغرابة قرب الطاولة وهم يعبثون بقبعاتهم التي أمسكوها بأيديهم. وأخيراً، قال القبطان:

"كان لغماً، هيلما. رأينا كل شيء من قاربنا، وذهبنا إلى هناك بأسرع ما يمكن. لكن... لم يكن بوسعنا فعل أي شيء"

كررت هيلما وهي منقطعة الأنفاس: "أوه، يا إلهي. ماذا عن الآخرين؟".

تفاجأت إلسي من أن أمها حتى في مثل هذه اللحظة استطاعت أن تفكّر في الآخرين، ثم تصورت طاقم والدها، الرجال الذين تعرفهم جيداً، وتلك العائلات

التي توشك على تلقي الخبر الحزين نفسه.

قال القبطان بصعوبة: "لم ينجُ أحد. بقينا هناك لوقت طويل ونحن نفتش، لكننا لم نعثر على أحد. فقط صبي أوسكارسون. لكنه كان ميتاً عندما سحبناه ووضعناه في القارب".

انهمرت الدموع على وجه هيلما، وقضمت أصابعها كي لا تصرخ عالياً. فيما كبتت إلسي بكاءها، وأجبرت نفسها على التحلي بالقوة. كيف ستتحمل أمها هذه الصدمة؟ كيف ستتحملها هي أيضاً؟ كيف ستتحمل غياب والدها الحبيب... الموجود دائماً مع كلمة لطيفة ويد مساعدة. كيف ستتدبران الأمور من دونه؟

طرق خفيف على الباب قاطعهم، فذهب أحد الصيادين لفتحه. دخل هانس المطبخ بوجه شاحب.

"رأيت... أنه جاءكم زوار.. ففكرت... ما الأمر...؟". ثم أخفض نظره. ولاحظت إلسي أنه خشي إزعاجهم، لكنها شعرت بالامتنان لمجيئه.

وقالت بصوت متقطع: "انفجر لغم في مركب أبي. لم ينجُ أحد".

ارتجفت ركبتا هانس وفقد توازنه هنيهة، ثم ذهب إلى الخزانة حيث يضع إيلوف زجاجات الشراب، وملأ ست كؤوس ووضعها على الطاولة قائلاً: "أعتقد أنه يمكننا جميعاً احتساء هذا الشراب القوي الآن".

حمل الجميع كؤوسهم باستثناء هيلما. ورفعت إلسي كأساً بحذر ووضعتها أمام أمها. "خذي ماما، احتسي القليل من هذا".

أطاعت هيلما ابنتها، ورفعت الكأس إلى شفتيها، وارتشفت القليل من الشراب مكشّرة. فنظرت إلسي إلى هانس بعينين مليئتين بالامتنان. ليس جيداً أن تكون بمفردها الآن.

طرق الباب مجدداً، فذهب هانس هذه المرة لفتحه. بدأت النساء في التوافد إلى البيت؛ كل اللواتي يعرفن معنى العيش تحت خطر فقدان الزوج في البحر. أحضرن الطعام وكلمات المواساة عن مشيئة الله. وقد نفع ذلك. ليس كثيراً، لكنهن عرفن جميعاً أنهن قد يحتجن يوماً ما إلى النوع نفسه من المواساة، ولذلك بذلن ما بوسعهن للتخفيف من ألم صديقتهن التي تعاني الآن.

كان قلبها ينبض حزناً، فتراجعت إلسي خطوة إلى الخلف، وشاهدت النساء وهن يتحلقن حول أمها، فيما أحنى الرجال الذين جلبوا الخبر رؤوسهم، وغادروا لنقل الخبر نفسه إلى أسر أخرى.

عندما هبط الليل، نامت هيلما مرهقة، فيما استلقت إلسي على السرير محدقة إلى السقف، وعاجزة عن استيعاب ما حصل. رأت وجه والدها في خيالها؛ فلطالما كان حضوره مريحاً بالنسبة إليها. أصغى إليها وتحدث معها. وعرفت أنه لاحظ حصول أمر بينها وبين الشاب النروجي الذي كان مولعاً به كثيراً. لكنه سمح لهما بالتقرب من بعضهما، وراقبهما جيداً، ومنحهما موافقته بصمت. ربما كان يأمل في أن يصبح هانس صهره. وظنت إلسي أنه يوافق على ذلك. أما هي وهانس فاحترما والدها ووالدتها.

اكتفيا ببعض القبلات المسروقة والعناقات الحذرة، ولم يفعلا أي شيء يجعلهما يخجلان من والديها.

أما الآن، فيما استلقت على السرير محدقة إلى السقف، راحت تفكر في أن الأمر لم يعد مهماً. فالألم في قلبها كبير جداً لدرجة أنها عاجزة عن تحمله بمفردها. فجلست على السرير ببطء، ووضعت قدميها على الأرض. ثمة شيء فيها لا يزال متردداً، لكن الحزن كان يمزقها، ويدفعها إلى العزاء الوحيد الذي تستطيع إيجاده.

نزلت السلالم بهدوء، واسترقت النظر إلى أمها حين مرّت أمام غرفة نوم والديها، وأحست بانقباض في قلبها عندما رأت كم تبدو هيلما صغيرة في ذلك السرير الكبير. لكنها كانت نائمة، ومنحها الإرهاق راحة مؤقتة من الحقيقة.

أصدر الباب الأمامي صوتاً خفيفاً فيما أدارت إلسي القفل وفتحته. كان هواء الليل بارداً جداً؛ حيث قطع أنفاسها عندما خرجت إلى المصطبة مرتدية قميص نومها، وأحست بالألم في كعبَي قدميها عندما نزلت على حجارة السلالم نتيجة البرد القارس. نزلت الدرج بسرعة، ووجدت نفسها تقف أمام بابه مترددة. لكن هذا التردد استمر دقيقة واحدة فقط؛ فالحزن ألحّ عليها للبحث عن عزاء.

فتح الباب بعد أول طرقة، ووقف جانباً للسماح لها بالدخول من دون التفوه بكلمة. دخلت ووقفت هناك في قميص نومها، مثبتة عينيها على عينيه، ومن دون

التكلم. طرحت عيناه سؤالاً صامتاً، وأجابت بالإمساك بيده.

لوقت قصير في تلك الليلة، استطاعت نسيان الألم الذي تشعر به في قلبها.

* * *

أحسّ كجيل باضطراب غريب بعد لقائه والده. فطوال تلك الأعوام، نجح في التشبث بكراهيته. لقد كانت رؤية الأمور السلبية فقط، والتركيز على كل الأخطاء التي ارتكبها فرانس خلال طفولته أمرين سهلين جداً. لكن الأشياء لم تكن فعلاً بالأسود والأبيض. هزّ نفسه في محاولة لطرد تلك الفكرة. فمن الأسهل بالنسبة إليه عدم رؤية أي مساحات رمادية، والادعاء أنه يوجد فقط الصح والخطأ. لكن فرانس بدا اليوم عجوزاً وضعيفاً. وللمرة الأولى، أدرك كجيل أن والده لن يعيش إلى الأبد. فهو سيموت يوماً ما، وحينها سيجبر كجيل على النظر إلى نفسه في المرآة. في أعماق قلبه، عرف أن كراهيته تحترق بقوة؛ لأنه ما زال بوسعه مدّ يده والقيام بالخطوة الأولى نحو المصالحة. لكنه لا يريد فعل ذلك، لا يملك الرغبة في ذلك. غير أن الاحتمال موجود في النهاية؛ مما منحه إحساساً بالقوة. عندما يموت والده، سيكون الوقت قد فات، وسيملك كجيل حينها حياة مليئة بالكراهية فقط. ولن يملك أي شيء آخر.

ارتجفت يده قليلاً فيما رفع سماعة الهاتف لإجراء بعض الاتصالات. قالت إيريكا إنها ستتصل بالسلطات للتحقق مما إذا كانت هناك أي سجلات خاصة بهانس، لكنه غير معتاد على الاتكال على الآخرين. يمكنه أيضاً فعل الشيء نفسه. لكن، بعد ساعة واحدة، لم تنجح اتصالاته بمختلف الوكالات السويدية والنروجية في الكشف عن أي شيء. فامتلاك اسم وعمر تقديري فقط يزيد الأمر صعوبة، لكن لا بد من وجود وسيلة. لم يستنفد بعد كل المحاولات، ونجح في اكتشاف ما يكفي من المعلومات لإقناعه بأن الفتى لم يبقَ في السويد. لذا، من الأرجح أن هانس قد عاد إلى بلاده عندما انتهت الحرب ولم يعد معرضاً للخطر.

أمسك كجيل بالمجلد المشتمل على المقالات، وأدرك فجأة أنه نسي إرسال صورة أولافسن بالفاكس إلى إسكيل هالفورسن. رفع الهاتف مجدداً للاتصال بالرجل وطلب منه رقم الفاكس.

قال هالفورسن ما إن سمع صوت المتصل: "أخشى أنني لم أعثر على أي شيء لغاية الآن". ثم أصغى باهتمام فيما شرح له كجيل سبب اتصاله، ثم قال: "نعم، قد تكون الصورة مفيدة. يمكنك إرسالها عبر الفاكس إلى مكتبي في الجامعة".

دوّن كجيل الرقم، وأرسل عبر الفاكس المقالة المشتملة على أوضح صورة لهانس أولافسن، ثم جلس أمام مكتبه مجدداً. أمل في أن تفضي أبحاث إيريكا إلى نتائج أفضل؛ لأنه أحسّ بأنه وصل إلى نهاية مسدودة.

في تلك اللحظة، رنّ الهاتف.

"جدي هنا!" صرخ بير في اتجاه غرفة الجلوس، فجاءت كارينا للانضمام إليهما في الردهة.

سأل فرانس: "هل أستطيع الدخول لفترة قصيرة؟".

لاحظت كارينا أنه لم يكن مرتاحاً؛ الأمر الذي أثار قلقها. فهي لم تكنّ يوماً مشاعر ودودة حيال والد كجيل، لكنها ممتنة كثيراً لما فعله من أجلها ومن أجل بير في الآونة الأخيرة. لذا قالت: "طبعاً، ادخل وأفسحت له الطريق للدخول إلى المطبخ. لاحظت أنه يتأملها عن كثب، فأجابت على سؤاله غير المنطوق: "ولا حتى نقطة واحدة منذ آخر مرة جئت فيها إلى هنا. يستطيع بير أن يشهد على كلامي

فأومأ بير برأسه، وجلس قبالة فرانس أمام طاولة المطبخ. النظرة التي وجهها إلى جده كانت نظرة احترام لا توصف.

قال فرانس بسرور: "يبدو أن شعرك بدأ ينمو مجدداً". فيما ربّت على رأس حفيده.

فقال بير محرجاً: "أعتقد ذلك". ثم مرر يده فوق رأسه وبدا مسروراً.

قال فرانس: "هذا جيد. هذا جيد".

وجهت إليه كارينا نظرة تحذيرية فيما سكبت القهوة في المصفاة، فأومأ برأسه بشكل خفيف للتأكيد لها على أنه لن يتحدث في السياسة.

وعندما أصبحت القهوة جاهزة وجلست كارينا إلى الطاولة معهما، التفتت نحوه ونظرة استفسار تعلو وجهها. حدّق إلى كوب القهوة الخاص به، ففكرت

مجـدداً فـي أنـه يبـدو متعبـاً جدّاً. ورغم أنها لا توافقه الـرأي في ما يتعلق بالقضايا التي يدافع عنها، إلّا أنه لطالما بدا مصدر قوة بالنسـبة إليها. غير أنه ليس مرتاحاً في الوقت الحاضر.

وأخيراً قال من دون أن ينظر إليهما: "فتحت حساباً مصرفياً باسم بير، ويمكنه النفاذ إليه عندما يصبح في الخامسة والعشرين من عمره. وضعت لغاية الآن مبلغاً كبيراً فيه".

بـدأت كارينـا بالقـول: "من أين جئت..." لكن فرانس رفع يده مقاطعاً كلامها وتابع قائلاً:

"لأسباب لا أستطيع الإفصاح عنها في الوقت الحاضر، ليس الحساب والمال موجودين في مصرف سويدي وإنما في مؤسسة مالية في لوكسمبورغ".

رفعت كارينا حاجبها، لكنها لم تتفاجأ كثيراً. فلطالما زعم كجيل أن والده قد خبأ المال في مكان ما، وقد حصل عليه من بعض النشاطات الجرمية التي وضعته في السجن مرات عدة في الماضي.

وسألته فيما نظرت إليه: "لكن، لماذا الآن؟".

فـي البدايـة، بـدا فرانـس غير راغب في الإجابة عن السـؤال، لكنه قال أخيراً: "إذا حصل لي أي مكروه، فأنا أريد أن يكون كل ذلك منظماً".

لم تقل كارينا أي شيء؛ إذ لم تكن تريد أن تعرف المزيد.

قال بير: "رائع! ما المبلغ الذي سأحصل عليه؟".

صرخت كارينا: "بير!". وحدّقت إلى ابنها بغضب، فاكتفى بهزّ كتفه.

أجاب فرانس باقتضاب: "الكثير. ولكن، رغم أن الحسـاب مسـجل باسـمك، إلّا أن هنـاك بعـض القيـود. إذ لا يمكنـك النفـاذ إلـى المال قبل أن تبلغ الخامسـة والعشرين من عمرك. كما وضعت أيضاً شرطاً مفاده أنه لا يمكنك النفاذ إلى المال إلا إذا قررت أمك أنك ناضج بما فيه الكفاية لاستلام المال ومنحتك إذنها. ويبقى هذا الشرط ساري المفعول حتى لو تجاوزت الخامسة والعشرين. فإذا لم تثق في قدرتك على فعل شيء منطقي بالأموال، فلن تحصل على فلس منه. هل تفهم؟".

تمتم بير بشيء ما، غير أنه قبِل ما قاله فرانس من دون احتجاج.

لم تعرف كارينا ماذا تفعل بكل ذلك. فثمة شيء ما في طريقة فرانس بالكلام، في صوته، جعلها غير مرتاحة. وفي الوقت نفسه، أحست بامتنان كبير تجاهه نيابة عن بير. لن تقلق بشأن مصدر المال، فلا بدّ أن بير قد حصل عليه قبل زمن طويل، وإذا كان المال سيساعد بير في المستقبل فلن تعارض.

سألت: "ماذا أفعل بشأن كجيل؟"

رفع فرانس رأسه ونظر إلى عينيها مباشرة وقال: "لن يعرف كجيل أي شيء عن هذا قبل أن يأتي اليوم الذي يحصل فيه بير على المال. عديني بأنك لن تقولي له أي شيء، وينطبق ذلك عليك أيضاً يا بير ووجّه إلى حفيده نظرة صارمة وتابع: "هذا طلبي الوحيد؛ فأنا أريد ألا يعرف والدك أي شيء عن هذا إلا بعد حصولك على المال".

قال بير: "حسناً، جدي. لا داعي لأن يعرف بابا أي شيء عن هذا". وفرح لأنه طلب منه إخفاء سرّ عن والده.

ثم قال فرانس بصوت أكثر هدوءاً: "أعرف أنك قد تعاقب بسبب اعتدائك على ذلك الصبي، وأريدك الآن أن تسمع ما سأقوله لك". وأجبر بير على النظر إلى عينيه. "عليك أن تتقبّل عقابك. قد يرسلونك ربما إلى معهد إصلاحي خاص بالأحداث. ابتعد عن المشاكل، ولا تتورط في أية مشكلة أثناء وجودك هناك. أنهِ مدة احتجازك من دون إحداث أي مشاكل، وبعد ذلك لا تفعل أي شي غبي. هل تسمعني؟".

تحدث ببطء، ولفظ كل كلمة بوضوح. وفي كل مرة كان بير على وشك النظر بعيداً، أجبره فرانس على النظر إليه مجدداً.

"أقول لك الآن إنه لا داعي أبداً لأن تعيش الحياة التي عشتها. كانت حياتي قذرة؛ من البداية إلى النهاية. الشيء الوحيد الذي همّني فيها هو أنت ووالدك؛ رغم أنه لم يصدق ذلك مطلقاً. لكن هذا صحيح. لذا، عدني بأن تبقى بعيداً عن المشاكل. عدني بذلك!".

قال بير: "حسناً، حسناً". لكن، بدا أنه يصغي إلى جده فعلاً ويستوعب كلماته.

أمل فرانس في أن يكون ما قاله كافياً. فقد عرف من تجربته الخاصة كم

يصعب تغيير المسار بعد البدء باتجاه معين. لكنه أمل ألا يكون الوقت قد فات على دفع حفيده في الاتجاه الصحيح. فهذا كل ما يستطيع فعله الآن.

"إذاً، لقد قلت ما جئت لقوله هنا" وأخرج فرانس مغلفاً من جيبه، ووضعه على الطاولة أمام كارينا قائلاً لها: "هنا توجد المستندات التي تحتاجين إليها للنفاذ إلى المال".

سألت وهي لا تشعر بالارتياح: "هل أنت واثق من أنك لا تريد المكوث قليلاً؟".

هزّ فرانس رأسه قائلاً: "ثمة أمور عليّ إنجازها". واستدار للمغادرة، ثم توقف عند الباب وقال: "انتبها إلى نفسيكما" ثم رفع يده ملوّحاً لهما قبل أن يستدير ويتجه صوب الباب الأمامي.

جلست كارينا وبير أمام طاولة المطبخ بصمت. وعرفا كلاهما حقيقة وداع فرانس.

قال توربجورن رود باقتضاب: "إنها أمور روتينية". فيما وقف قرب باتريك يراقبان أعمال النبش الجارية.

عرضت آنا الاهتمام بالطفلة، فكانت إيريكا حاضرة أيضاً لتراقب أعمال النبش باهتمام كبير.

قال باتريك: "لم يكن الحصول على إذن سهلاً على ميلبرغ". وكان نادراً ما يمدح مديره.

فقال توربجورن: "حسبما سمعت، مرّت عشر دقائق قبل أن يوقف الرجلُ في مكتب المدعي العام صراخه". ولم يبعد عينيه عن القبر، حيث تتم إزالة طبقة تراب وراء الأخرى.

سأل باتريك مرتعداً: "هل تظن أننا بحاجة إلى نبش كل شيء؟".

هزّ توربجورن رأسه نافياً وقال: "إذا كنتما محقين، فإن الجثة التي نبحث عنها يفترض أن تكون في الأعلى. فأنا أشك في أن القاتل كلّف نفسه عناء دفنه في القعر، تحت الآخرين. وهو ليس موضوعاً في نعش ربما، ولذلك يفترض بملابسه

أن تخبرنا إذا كانت نظريتكما صحيحة".

سألت إيريكا: "إلى كم من الوقت نحتاج للحصول على تقرير أولي حول سبب الوفاة؟ إذا وجدناه طبعاً". لكنها بدت مقتنعة بأن عملية النبش ستثبت أنها محقة.

قال باتريك: "تم وعدي بالحصول على تقرير بعد يوم غد. فقد تحدثت إلى بيدرسن، وهم مستعدون لوضع هذه القضية في أول لائحة مهامهم. يمكنه البدء بالعمل غداً، وسيطلعنا على النتائج يوم الجمعة. وقد شدد على أن التقرير سيكون أولياً، ولكن يحتمل أن يحدد سبب الوفاة على الأقل

علا صراخ من الرجال العاملين عند القبر فاقتربوا أكثر.

قال أحد العمال: "وجدنا شيئاً". فذهب توربجورن للتحدث إليه. تحدثا إلى بعضهما قليلاً بصوت هامس، ثم عاد توربجورن إلى باتريك وإيريكا اللذين لم يجرؤا على الاقتراب أكثر.

"يبدو أن شخصاً ما قد دفن بالقرب من السطح، ولم يوضع في نعش. سيتابعون الحفر ببطء الآن كي لا يتلفوا الأدلة. سيستغرق إخراج الجثة بعض الوقت. لكن، يبدو أنكما محقان".

شعرت إيريكا بالارتياح، وأومأت برأسها فيما أخذت نفساً عميقاً. من بعيد، رأت كجيل متجهاً صوبهما، لكن مارتن وغوستا أوقفاه؛ علماً أنهما حضرا لمنع أي كان من الاقتراب. فأسرعت إليهم.

"لا بأس. أنا التي أخبرته بما يجري هنا"

غير أن غوستا تمتم وقد وضع يده على مستوى صدر كجيل: "لا يسمح بدخول المراسلين أو الأشخاص غير المرخص لهم. وقد أعطانا ميلبرغ أوامر واضحة في هذا الخصوص

فقال باتريك وقد انضم إليهم: "لا بأس. أنا سأتحمل المسؤولية". ووجّه إلى إيريكا نظرة حادة مفادها أنها هي التي ستتحمل مسؤولية العواقب التي قد تحصل، فأومأت برأسها بتهذيب، ورافقت كجيل إلى المدفن.

سأل: "هل وجدوا أي شيء؟". فيما لمعت الحماسة في عينيه.

أخبرته: "هكذا يبدو. أعتقد أننا وجدنا هانس أولافسن". وراقبت العمال وهم يحاولون بحذر الكشف عن جثة موضوعة في الحفرة التي لا يتعدى عمقها قدماً ونصف القدم.

قال كجيل: "إذاً، لم يغادر فجالباكا على الإطلاق". وعجز عن إبعاد عينيه عن الأعمال الجارية في القبر.

"لا، لم يغادر. لكن السؤال هو: كيف وصل إلى هنا؟".

"أفترض أن إيريك وبريتا عرفا بوجوده هنا".

"نعم، وقد تم قتلهما". وهزّت إيريكا رأسها؛ كما لو أن هذا بإمكانه أن يجعل كل الأجزاء تتطابق معاً.

تساءل كجيل: "إنه موجود هنا منذ ستين عاماً على الأقل. فلماذا الآن!؟ لماذا أصبح الآن مهماً فجأة؟!"

سألت إيريكا: "ألم تحصل على أي معلومات من والدك؟". واستدارت للنظر إليه.

هزّ رأسه. "لا شيء. لا أعرف ما إذا كان السبب عدم معرفته بأي شيء، أو عدم رغبته في إخباري".

"هل تظن أنه قد...؟" ولم تجرؤ على إنهاء الجملة، لكن كجيل فهم قصدها.

"والدي قادر على كل شيء. أنا واثق من ذلك".

سأل باتريك: "عمّ تتحدثان؟" وكان قد اقترب للوقوف قرب إيريكا.

فقال كجيل بهدوء: "نناقش احتمال أن يكون والدي من ارتكب الجريمة".

ذهل باتريك لصراحته وقال: "وماذا قررت؟ ساورتنا الشكوك، لكن والدك امتلك عذراً مبرئاً عندما قتل إيريك".

قال كجيل: "لا أعرف ذلك. لكنني أتمنى أن تتحققوا مرتين وثلاث مرات من معلوماتكم؛ لأن خريج سجون قديماً مثل والدي لن يواجه أية صعوبة في ابتكار عذر مبرّئ زائف".

أدرك باتريك أنه محق، وقرر أن يسأل مارتن عن مدى تأكدهم من العذر المبرئ لفرانس.

انضم توربجورن إليهم، وألقى التحية على كجيل بإيماءة صغيرة. "إذاً، أرى أنه تم إعطاء الإذن لحضور السلطة الرابعة".

فقال كجيل: "لديّ اهتمام شخصي بالموضوع".

هزّ توربجورن كتفه؛ فإذا أرادت الشرطة السماح بوجود صحافي فلن يتدخل. إنها مشكلتهم. وقال: "يفترض أن ننتهي من هنا خلال ساعة تقريباً. وأعرف أن بيدرسن مستعد للبدء بفحص الجثة".

قال باتريك: "نعم، لقد تحدثت إليه". وأومأ برأسه.

"حسناً إذاً. سنخرجه من هنا، وسنحاول أن نكتشف نوع الأسرار التي يخبئها هذا الفتى". ثم استدار وعاد إلى القبر.

فقالت إيريكا بهدوء: "نعم، فلنرَ الأسرار التي يخبئها" وحدقت إلى القبر، فيما وضع باتريك ذراعه حول كتفيها.

فجالباكا 1945

الأشـهر التي تلت موت والدها كانت مربكة ومؤلمة. اسـتمرت والدة إلسـي فـي إنجـاز مهامهـا اليوميـة وفعـل ما هو مطلوب منها، لكن شـيئاً ما بقي ناقصاً. إذ بـدا وكأن إيلـوف قـد أخـذ جزءاً مـن هيلما معه، ولم تعد إلسـي تعرف أمها. وفي هذا السـياق،لم تفقد أباها فقط، وإنما أمها أيضاً. العزاء الوحيد الذي وجدته كان فـي الليالـي التـي تشـاركتها مـع هانس. فمـا إن تخلد أمها إلى السـرير حتى كانت تتسـلل إلـى غرفتـه فـي الأسـفل، وتذوب في عناقه. عرفت أن مـا تفعله خطأ، كما عرفت أنه قد تكون هناك عواقب لن تتمكن من تجاهلها. لكنها لم تستطع الابتعاد. فخـلال تلـك السـاعات، حين تسـتلقي قربـه تحت الأغطية، ويضـع ذراعه حولها، ويده تداعب شعرها برفق؛ خلال تلك الساعات يصبح العالم جميلاً مجدداً. وحين يقبلان بعضهما، وتطغى عليهما مشاعرهما التي باتت الآن مألوفة وإنما مفاجئة في الوقت نفسه، لا تفهم كيف يمكن أن يحصل أي خطب. في عالم تبعثر فجأة بفعل لغم، كيف يمكن للحب أن يكون خطأ؟

كان هانس أيضاً نعمة في الأمور العملية. فأوضاعهما المادية باتت الآن مقلقة جـداً بعـد مـوت والدها. لكنهما نجحتا في الصمود لأن هانس عمل على المركب ساعات إضافية، وأعطاهما كل كرون جناه.

تساءلت إلسي أحياناً عما إذا كانت أمها تعرف بأمر تسللها إلى الأسفل لرؤيته ليلاً، لكنها قررت التغاضي عن الأمر لأنها لا تستطيع فعل شيء آخر.

مررت إلسـي يدها فوق بطنها فيما اسـتلقت على السـرير قرب هانس وهي تصغـي إلـى تنفسـه. فقـد عرفت قبل أسـبوع أنها حامل. وبالرغـم من كل ما تعرفه عـن العـار الـذي سـيلحق بهـا وعواقبه، سـيطر عليها هدوء كبير. ففـي النهاية، إنها تحمل طفل هانس في أحشـائها، وما من شـخص في العالم تثق فيه أكثر منه. لم

تكن قد أخبرته بعد، لكنها علمت في قرارة نفسها أنه لن تكون هناك أية مشكلة. فسيفرح لدى سماعه الخبر بالتأكيد. وسوف يساعدان بعضهما، وسيجعلان الأمور تنجح نوعاً ما.

أغمضت عينيها، وتركت يدها على بطنها، ففي مكان ما في الداخل يوجد كائن صغير هو ثمرة حبهما؛ هي وهانس. كيف يمكن أن يكون هذا خطأ؟ كيف يمكن لطفلهما أن يكون خطأ؟

نامت إلسي فيما يدها على بطنها وابتسامة خفيفة على شفتيها.

* * *

ثمة حماسة متوترة خيّمت على مركز الشرطة بعدما حصل في المدافن. ولا شك في أن ميلبرغ عزا الاكتشاف إليه، لكن أحداً لم يكترث له. حتى إن غوستا كشف عن لمعان في عينيه عندما انضم إلى الاجتماع. ورغم أنهم لا يعرفون بعد كيف يمكن لاكتشاف البارحة أن يكون مرتبطاً بالجريمتين الأخيرتين، إلّا أن الجميع كانوا متأكدين من أن الأمر قد أحدث من دون شك تقدماً كبيراً في التحقيق.

قالت باولا: "السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا قُتِل شخصان بسبب جريمة حصلت قبل ستين عاماً؟ أقصد، علينا الافتراض مبدئياً أن بريتا وإيريك قد قتلا بسبب رابط لهما بالقتل المفترض لذلك الصبي- ورسمت علامات المزدوجين في الهواء- لكن، لماذا الآن؟ ما الذي جدد هذا الاهتمام؟"

أجاب مارتن الذي كان جالساً إلى مكتبه وهو يفكر في الشيء نفسه الذي قالته باولا: "لا أعرف. فلنأمل أن يعطينا تشريح الجثة شيئاً ملموساً للمضي قدماً".

فقالت باولا: "ولكن، ماذا لو لم يفعل؟". وعبّرت بذلك عن الفكرة التي كان يحاول تفاديها.

فقال بهدوء: "فلنأخذ كل خطوة على حدة"

قالت باولا: "يذكّرني هذا بأمر نسيناه؛ ألا يفترض بنا الحصول على نتائج الدي أن أيه اليوم؟ فلن ينفعنا أي شيء ما لم نحصل على شيء للمقارنة به".

قال مارتن: "أنت محقة. فلنهتم بالأمر الآن". وأرجع كرسيه إلى الخلف. "ممن سنأخذ عيّنة أولاً؟ أكسيل أو فرانس؟ إذ يجدر بنا التركيز على هذين

الاثنين، أليس كذلك؟".

قال مارتن: "فلنأخذ عينة من فرانس وارتدى سترته.

ومع انتهاء موسم الصيف السياحي، كانت غريبيستاد مهجورة مثل فجالباكا، وشاهدا فقط بعض السكان أثناء دخولهما البلدة. ركن مارتن سيارة الشرطة في مرأب السيارات الصغير الموجود قبالة مطعم "تلغراف"، واجتازا الطريق للوصول إلى شقة فرانس. غير أن أحداً لم يجب عندما ضغطا على الجرس.

قال مارتن: "اللعنة! ليس في المنزل. علينا العودة لاحقاً". واستدار.

لكن باولا استوقفته قائلة: "انتظر دقيقة. الباب مفتوح".

"لكن، لا يمكننا... إلا أن اعتراض مارتن جاء متأخراً جداً؛ فقد فتحت زميلته الباب.

"مرحباً". سمعها تنادي، فلحق بها إلى الردهة على مضض. بحثا في المطبخ وغرفة الجلوس، غير أنهما لم يجدا فرانس، ولم يسمعا أي صوت.

قالت باولا: "هيا، فلنتحقق من غرفة النوم". وحين تردد مارتن قالت له: "أوه، بالله عليك". فتنهد وأفسح لها الطريق.

كانت غرفة النوم فارغة أيضاً، والسرير مرتباً ولا دليل على وجود فرانس.

"مرحباً". نادت باولا مجدداً عندما عادا إلى الردهة. لا جواب. فتوجها إلى آخر غرفة في الشقة.

رأياه ما إن فتح الباب. كانت الغرفة صغيرة وتحتوي على مكتب صغير، وقد انهار فرانس فوق مكتبه، فيما المسدس لا يزال في فمه، وهناك فتحة كبيرة في الجهة الخلفية من رأسه. أحس مارتن بالدم يختفي من وجهه. وتمايل قليلاً على قدميه، وابتلع لعابه بصعوبة. ومن جهة أخرى، بدت باولا غير منزعجة، وأشارت إلى فرانس، وأجبرت مارتن على النظر؛ رغم أنه فضّل عدم فعل ذلك.

قالت بهدوء: "انظر إلى ذراعيه".

كافح مارتن نوبات الغثيان التي باغتته، وبذل ما بوسعه للتركيز على ذراعَي فرانس، وذهل فعلاً. فقد كانت مليئة بخدوش عميقة.

باتت الآن مسألة انتظار التوكيد ترتبط بالفريق العلمي. فالدي أن أيه وتحليل البصمات سيثبتان من دون شك أن فرانس قد قتل بريتا. والاختصاصيون الجنائيون الذين يمشطون الشقة في غريبيستاد قد يتوصلون إلى رابط بين فرانس ومقتل إيريك فرانكل أيضاً. وهناك أيضاً التقرير الأولي عن الجثة التي تم العثور عليها في مدفن الجنود في فجالباكا. والجميع تواقون لمعرفة المعلومات التي قد تظهر.

مارتن هو الذي تلقى الاتصال من قسم التشريح. أمسك بيده تقرير التشريح الذي تم إرساله عبر الفاكس، ثم راح يطرق على أبواب المكاتب ويدعو زملاءه إلى اجتماع.

وبعدما جلس الجميع، اتكأ على رف المجلى، وقرر البقاء واقفاً كي يتمكن الجميع من سماعه.

قال مارتن: "مثلما قلت، تلقيت التقرير الأولي من بيدرسن". وأدار الأذن الصمّاء لتمتمات ميلبرغ المزعجة والقائلة إنه كان يجدر به شخصياً تلقي ذلك الاتصال الهاتفي.

"وبما أننا لا نملك أي دي أن أيه أو جدول أسنان للمقارنة، فلا يمكننا الجزم بأن الميت هو هانس أولافسن. لكن العمر يتطابق، وتاريخ اختفائه يتطابق مع حالة الجثة أيضاً؛ رغم أنه يستحيل التأكد تماماً بعد كل هذا الوقت الطويل

سألت باولا: "كيف مات؟" وكانت تنقر قدمها على الأرض، تواقة للمضي قدماً.

استمتع مارتن بكونه محط الأنظار، فصمت هنيهة قبل أن يجيب: "يقول بيدرسن إن الجثة قد تعرضت لإصابات بالغة؛ طعنات عميقة ناجمة عن آلة حادة، بالإضافة إلى كدمات نتيجة ركلات أو لكمات، أو الأمرين معاً. يبدو الأمر كما لو أن هانس أولافسن كان ضحية هجوم مسعور. ولا بد أن قاتله قد شعر بنوبة غضب قوية. كل التفاصيل موجودة في التقرير الأولي الذي أعدّه بيدرسن" واتكأ مارتن إلى الأمام لوضع الأوراق على الطاولة.

"إذاً، ما هو سبب الوفاة بالتحديد؟". وكانت باولا لا تزال تنقر الأرض بقدمها.

"من الصعب تحديد الإصابة التي سبّبت موته. فحسب بيدرسن، هناك جروح

عدة قد تكون مميتة".

فتمتم غوستا: "أراهن أن رينغهولم هو الذي فعل ذلك. ولهذا السبب قتل إيريك وبريتا أيضاً". مردداً بذلك أفكار معظم زملائه. وأضاف: "لطالما كان حقيراً" وهزّ رأسه بكآبة.

قال مارتن فيما كان يومئ برأسه: "علينا العمل على هذه النظرية. لكن، دعونا لا نتسرّع في الاستنتاجات. وصحيح أنه ظهرت خدوش على ذراعي فرانس مثل تلك التي طلب منا بيدرسن البحث عنها، لكن قبل الحصول على نتائج المختبر، لا يمكننا الجزم بما إذا كان دي أن أيه فرانس يتطابق مع ذاك الذي عثرنا عليه تحت أظفار بريتا، أو ما إذا كان هناك تطابق مع البصمة على زر الوسادة. لذا، قبل الحصول على ذلك التأكيد، سنتابع العمل كالمعتاد"

وتفاجأ مارتن لدى ملاحظته كم بدا مهنياً وهادئاً. فهكذا يتصرف باتريك عندما يتولى قضية. ولم يستطع مارتن منع نفسه من استراق النظر إلى ميلبرغ؛ لرؤية ما إذا كان مديره منزعجاً من كون شرطي تحت أمرته قد استلم زمام الأمور وأدّى الدور الذي يفترض أن يكون له؛ بصفته رئيساً لمركز الشرطة. لكن، كالمعتاد، بدا ميلبرغ راضياً بتسليم كل التحقيقات إلى غيره. وبعد أن تحلّ القضية، سيستجمع طاقته ليعزو النصر لنفسه.

سألت باولا: "إذاً، ماذا سنفعل الآن؟". ووجّهت إلى مارتن غمزة سريعة لتعبّر له عن إعجابها بأدائه الرائع.

ورغم أنه لم يتم التعبير عن المديح بالكلمات، إلّا أن مارتن كان يشعر بالفخر. فلطالما كان المبتدئ في المركز، ولم يكن من السهل عليه التدخل وتحمل المسؤولية. لكن إجازة الأبوة التي أخذها باتريك أعطته أخيراً الفرصة لإظهار كفاءته الحقيقية.

"فلنبدأ بمراجعة تحقيقنا في مقتل إيريك فرانكل على ضوء هذه التطورات الجديدة. علينا أن نرى ما إذا كان من الممكن العثور على أي روابط بفرانس. هل يمكنك فعل ذلك باولا؟" فأومأت برأسها. ثم استدار مارتن نحو غوستا.

"غوستا، حاول اكتشاف ما يمكنك عن هانس أولافسن. تحقق من خلفيته،

وحاول معرفة ما إذا كان بوسع أي كان منحنا المزيد من التفاصيل عن حياته في فجالباكا، وما إلى ذلك. تحدث إلى إيريكا زوجة باتريك؛ إذ يبدو أنها أجرت الكثير من الأبحاث حول الموضوع، وابن فرانس على اطلاع حول الموضوع أيضاً. اطلب منهما مشاركتك معلوماتهما. لا أظن أن إيريكا قد تسبب أي مشاكل في هذا السياق. لكن، قد تبرز الحاجة إلى الضغط أكثر على كجيل

أومأ غوستا برأسه، لكنه كشف عن حماسة أقل مما فعلت باولا. لن يكون أمراً سهلاً أو ممتعاً نبش معلومات عن أمور حصلت قبل ستين عاماً. تنهد ثم قال: "حسناً، سأعمل على الأمر وبدا كما لو أنه تم توكيله بمهام هرقل للتو.

"آنيكا، هلا تبلغيننا من فضلك بأي معلومات من المختبر فور حصولك عليها".

قالت: "طبعاً". فيما وضعت جانباً كدسة الأوراق التي كانت تدوّن عليها الملاحظات أثناء كلام مارتن.

"حسناً. فلنبدأ العمل

راقبهم مارتن وهم يخرجون من الغرفة، وتورّد وجهه بالرضى الناجم عن إنجازه أول تحقيق بنجاح.

وضع باتريك الهاتف جانباً بعدما أنهى حديثه مع مارتن، وصعد إلى الأعلى لرؤية إيريكا.

وقال بعدما نقر على باب مكتبها: "آسف لإزعاجك، لكنني أظن أنك راغبة في سماع ما سأقوله". وجلس على الكرسي الهزاز في الزاوية، وذكر لها ما قاله له مارتن عن هانس أولافسن؛ أو بالأحرى عن الجثة التي يعتقدون أنها لهانس أولافسن، وعن الإصابات المريعة التي تعرض لها.

"افترضت أنه قتل... لكن، يبدو هذا..." وبدت إيريكا غاضبة فعلاً.

قال باتريك: "نعم. فقد أصرّ شخص ما على قتله فعلاً". ثم لاحظ أنه قاطع إيريكا فيما كانت تقرأ مذكرات أمها مجدداً.

سألها وهو يشير إلى الدفاتر: "هل وجدت أي شيء؟".

أجابت بإحباط: "لا، ليس تماماً. إذ تتوقف المذكرات عند الوقت الذي وصل

فيه هانس أولافسن إلى فجالباكا، وهذه هي الفترة التي بدأت فيها الأمور تصبح مثيرة"

سأل باتريك: "وهل لديك فكرة عن سبب توقّف أمك عن كتابة مذكراتها في تلك المرحلة؟".

"لا. وفي الواقع، لست واثقة من أنها توقفت. إذ يبدو لي أنها اعتادت على الكتابة قليلاً كل يوم، فلماذا ستتوقف فجأة؟ لا. أعتقد أنه يوجد المزيد من دفاتر المذكرات في مكان ما، لكن الله وحده يعلم أين". قالت ذلك شاردة، فيما برمت خصلة من شعرها حول إصبعها، وقد أصبح باتريك معتاداً على هذا الأمر الآن.

فقال وكأنه يفكر بصوت عالٍ: "حسناً، لقد فتشت في كل العلية، وهي ليست موجودة هناك. هل تعتقدين أنها قد تكون في الطابق السفلي؟".

فكّرت إيريكا هنيهة ثم هزّت رأسها مجيبة: "لا، فتشت في كل الطابق السفلي عندما نظفنا المنزل قبل انتقالنا للعيش هنا. ولا أعتقد أنها موجودة هنا في المنزل، لكنني لا أعرف أبداً أين يمكن أن تكون".

"حسناً، على الأقل أنت تحصلين على بعض المساعدة في أبحاثك المتعلقة بهانس أولافسن. فكجيل يعمل على الموضوع، ولديّ ثقة كبيرة في قدرته على نبش المعلومات. وقد قال مارتن إنهم سيعملون على الأمر أيضاً، وقد طلب من غوستا التواصل معك".

قالت إيريكا: "حسناً، ليست لديّ مشكلة في مشاركة معلوماتي مع الشرطة. وأتمنى أن يعتمد كجيل الموقف نفسه"

أجاب باتريك: "لا أعتمد على ذلك. إنه صحافي في النهاية، وأنا واثق من أنه يرى حكاية في كل ذلك".

قالت إيريكا فيما هي تؤرجح كرسيها ذهاباً وإياباً: "ما زلت أتساءل عن السبب الذي دفع إيريك إلى إعطاء كجيل تلك المقالات الصحافية. ما الذي كان يعرفه عن مقتل هانس أولافسن وأراد من كجيل اكتشافه؟ ولماذا لم يخبره إيريك بكل ما يعرفه؟ لماذا كان مبهماً ومضللاً هكذا؟"

هزّ باتريك كتفه مجيباً: "لن نعرف أبداً ربما. وحسب مارتن، يعتقد زملائي في

مركز الشرطة أن كل شيء يرتبط بفرانس. فهم يعتقدون أنه قتل هانس أولافسن، وأنه قتل إيريك وبريتا لتمويه الأمر

قالت إيريكا: "حسناً، أفترض أن هناك الكثير من الأدلة في هذا الاتجاه. لكن، ما زال هناك الكثير من الأمور التي..." وصمتت قليلاً ثم تابعت: "الكثير من الأمور التي ما زلت لا أفهمها. مثلاً، لماذا الآن بعد مرور ستين عاماً؟ فقد بقي هانس مرتاحاً في قبره لمدة ستين عاماً. فلماذا عادت كل الأمور إلى السطح الآن؟". وعضت على الجهة الداخلية من شفتها فيما فكّرت في السؤال.

قال باتريك: "لا أعرف. قد يكون هناك عدد من الأسباب. علينا أن نقبل ربما أن الأحداث الأساسية قد حصلت في الماضي، وأننا لن نحصل أبداً على الصورة الكاملة".

قالت إيريكا: "أنت محق ربما". وبدت خائبة الأمل بوضوح. ثم تمددت للإمساك بكيس الحلوى الموضوع على مكتبها وقالت: "هل تريد تناول الحلوى؟".

قال باتريك: "طبعاً". وأخذ واحدة من الكيس. مضغا الحلوى بصمت فيما فكّرا في لغز الموت الوحشي لهانس أولافسن.

قالت إيريكا أخيراً وهي تتأمل تعابير باتريك: "إذاً، أنت تظن أن فرانس هو القاتل، فهل أنت واثق؟ وهل هو أمر مؤكد أنه قتل إيريك وبريتا أيضاً؟".

"نعم، أظن ذلك. على أية حال، لا يوجد الكثير من الإشارات التي تدل أنه ليس الفاعل. ويتوقع مارتن الحصول على تقرير المختبر يوم الاثنين، ويبدو على الأقل أنه سيؤكد حقيقة قتله بريتا. وبعد أن ركّز التحقيق على فرانس الآن، أتصور أنهم سيبحثون عن دليل لربطه بمقتل إيريك. وبالنسبة إلى هانس... تم قتله قبل أعوام عدة، لذا أشك في أن نحصل على شرح كامل للقضية. الشيء الوحيد..."

سألته إيريكا: "ماذا؟ هل من شيء يبدو غريباً بالنسبة إليك؟".

"ليس غريباً تماماً. لكن فرانس امتلك عذراً مبرئاً في التاريخ الذي نظن أن إيريك قد قتل فيه. لكن رفاقه يكذبون ربما. وسوف يتأكد مارتن والآخرون من ذلك. هذا هو تحفظي الوحيد".

"ولا مجال للشك في موت فرانس أيضاً، أليس كذلك؟ أقصد، هل أنتم

واثقون من أنه انتحر؟".

"أجل، هكذا يبدو الأمر. فقد استعمل مسدسه الخاص، وكان لا يزال يمسك به في يده، فيما أسطوانة المسدس داخل فمه".

كشّرت إيريكا فيما تصورت المشهد في عقلها.

تابع باتريك القول: "وإذا تأكدنا من أن بصماته كانت على المسدس، وثمة رواسب بودرة على اليد التي كانت تمسك بالمسدس، فإننا أمام انتحار من دون أي شك".

"لكنكم لم تعثروا على أية رسالة، أليس كذلك؟".

"لا. قال مارتن إنهم لم يجدوا شيئاً كهذا. لكن الأشخاص الذين ينتحرون لا يتركون رسائل دوماً". ونهض ورمى ورقة الحلوى في السلة. "حسناً، عليّ أن أتركك الآن لتعملي بسلام يا حبيبتي. حاولي إنجاز بعض العمل في كتابك، وإلا فسيبدأ الناشر بالغضب منك" وذهب إليها وقبّلها على شفتيها.

تنهدت إيريكا: "نعم، أعلم. أنجزت بعض التقدم اليوم. ماذا ستفعل أنت وماجا؟".

قال باتريك: "اتصلت كارين. سنذهب ربما في نزهة ما إن تستيقظ ماجا".

قالت إيريكا: "أنت تتشارك الكثير من النزهات مع كارين". وتفاجأت من نفسها حين أدركت انزعاجها.

فنظر إليها باتريك بذهول وقال: "هل تغارين!؟ ومن كارين؟". ثم ضحك وقبّلها مجدداً، وتابع: "ما من سبب في العالم يدعوك للشعور بالغيرة". وضحك مجدداً، ثم أصبحت تعابيره جدية. "اسمعي، إذا كانت لديك مشكلة في أن أراها، فأخبريني بهذا من فضلك".

عندها، هزّت إيريكا رأسها قائلة: "لا، طبعاً لا. أنا سخيفة. لا يوجد الكثير من الأشخاص الذين تستطيع قضاء الوقت معهم فيما أنت في إجازة الأبوة. لذا، من المفيد لك أن تتمكن من مرافقة شخص راشد".

"هل أنت متأكدة؟". وتأملها باتريك عن كثب.

فأجابت إيريكا: "نعم، أنا واثقة" ولوّحت له للخروج من الغرفة. "اخرج الآن.

لا بد لشخص ما في هذه العائلة أن يعمل

فضحك وأغلق الباب خلفه. آخر ما رآه عندما نظر عبر شق الباب كان إيريكا وهي تمسك بأحد الدفاتر الزرقاء.

فجالباكا 1945

الأمر لا يصدق! فقد بدا لها وكأن الحرب لن تنتهي أبداً. كانت جالسة على سرير هانس وهي تمسك بالجريدة وتحاول إقناع دماغها بفهم معنى العنوان الكبير "السلام!".

ملأت الدموع عينيها، ومسحت إلسي أنفها بالمئزر الذي كانت لا تزال تلفه حول خصرها بعد مساعدتها أمها في غسل الأطباق.

قالت: "لا أصدق ذلك هانس وضع ذراعه حول كتفيها، وشدّها إليه أكثر فأكثر. كان يحدّق إلى الجريدة أيضاً، وبدا مثلها عاجزاً عن فهم ما يقرآنه. لهنيهة، نظرت إلسي إلى الباب، خائفة من أن يكتشف أحد أمرهما؛ بعد أن تخليا عن كل الحذر وجلسا هنا معاً في وضح النهار. لكن هيلما ذهبت لرؤية جيرانها، ولا تظن إلسي أن أحداً سيأتي إلى هنا لإزعاجهما الآن. وبالإضافة إلى ذلك، سيحين الوقت قريباً لإخبار الجميع عن علاقتهما. فقد أصبحت فساتينها أضيق وأضيق عند الخصر، وهذا الصباح نجحت بصعوبة كبيرة في إغلاق كل الأزرار. لكن كل شيء سيكون على ما يرام. فقد تصرف هانس تماماً مثلما توقعت عندما أخبرته أنها حامل قبل بضعة أسابيع. إذ تلألأت عيناه فرحاً، وقبّلها فيما وضع يده برفق على بطنها. ومنذ ذلك الحين، أكّد لها أنهما سيتدبران الأمر. ففي النهاية، إنه يملك وظيفة، ويستطيع إعالتها. وكانت أمها مولعة به. لا شك في أن إلسي صغيرة، لكنهما يستطيعان طلب إذن من السلطات ليتزوجا. سيجدان طريقة لتدبر الأمور.

خفّفت كلماته بعض القلق الذي كان لا يزال موجوداً في قلبها؛ رغم أنها عرفته جيداً ووثقت فيه كثيراً. كان هادئاً جداً، وأكّد لها أن طفلهما سيكون أكثر طفل محبوب في العالم، وأنهما سيجدان طريقة لتدبر كل المسائل العملية. قد يصادفان بعض العراقيل لفترة، لكنهما إذا تمسكا ببعضهما فستحلّ كل المشاكل،

وسيحصلان على موافقة أمها.

وضعت إلسي رأسها على كتفه. الحياة جيدة في الوقت الحاضر. وكان خبر السلام مثل الدفء الذي ذوّب معظم ما تحوّل إلى جليد بعد موت والدها. تمنّت فقط لو أنه على قيد الحياة ليعيش هذه اللحظة. غير أنها طردت تلك الفكرة من رأسها فوراً؛ فالله هو المسؤول عن الحياة والموت وليس الناس، وهناك خطة لكل شيء. هكذا هي الأمور؛ مهما بدت مريعة. إنها تثق في الله، وتثق في هانس، وهذه نعمة جعلتها قادرة على التطلع إلى المستقبل بثقة.

لكن الأمر اختلف بالنسبة إلى أمها. فقد قلقت إلسي أكثر فأكثر على هيلما خلال الأشهر القليلة الماضية. فبعد رحيل إيلوف، بدت وكأنها تنكمش، وتنطوي على ذاتها، ولم يعد هناك أي فرح في عينيها. وعندما سمعوا خبر السلام اليوم، لمحت إلسي ابتسامة على وجه أمها للمرة الأولى منذ وفاة والدها. والطفل الذي تنتظره قد يجعل أمها سعيدة؛ بعد أن تتخطى الصدمة الأولية بالطبع. خافت إلسي من دون شك من أن تخجل أمها بها، لكنها اتفقت وهانس على إخبارها بأسرع ما يمكن؛ كي يتمكنا من إجراء كل الترتيبات اللازمة قبل قدوم الطفل.

أغمضت إلسي عينيها وابتسمت، فيما جلست هناك متكئة على كتف هانس، ومستنشقة رائحته المألوفة.

قال هانس وهو يداعب شعرها: "أودّ الذهاب إلى وطني ورؤية عائلتي بعد أن انتهت الحرب الآن. لكنني سأغيب بضعة أيام فقط، ولا داعي للقلق. لن أهرب منك". وقبّلها في أعلى رأسها.

قالت إلسي مبتسمة ابتسامة كبيرة: "هذا جيد. لأنك إن هربت فسأطاردك حتى آخر أصقاع الأرض".

قال ضاحكاً: "أنا واثق من ذلك". ثم أصبح جدياً. "هناك بعض الأمور التي يجدر بي إنجازها لأنه بات بوسعي الآن العودة إلى النروج".

قالت: "يبدو هذا جدياً". فيما رفعت رأسها عن كتفه ونظرت إليه بتوتر. "هل تخشى من أن يكون شيء ما قد حصل لعائلتك؟".

قال بتردد: "لا أعرف؛ فقد مضى زمن طويل على آخر حديث لي معهم. لكنني

لن أغادر على الفور، بل بعد أسبوع ربما، ثم سأعود قبل أن تدركي حتى غيابي".

قالت إلسي: "يبدو هذا جيداً؛ لأنني لا أريد أن ننفصل أبداً". واتكأت على كتفه مجدداً.

فقال فيما قبّل شعرها مجدداً: "ولا أنا أيضاً. لن ننفصل وأغمض عينيه فيما شدّها إليه، وفصلت بينهما الجريدة المفتوحة التي تظهر كلمة "السلام" على صفحتها الأولى.

* * *

الأمر غريب فعلاً. قبل أسبوع واحد فقط، أدرك كجيل للمرة الأولى أن والده قد صار عجوزاً. ويوم الخميس، رنّت الشرطة جرس الباب لإبلاغه بخبر موته. تفاجأ حين أدرك كم كانت عواطفه قوية، وتفاجأ حين توقف قلبه للحظة عن الخفقان، وكيف أنه حين مدّ يده أمامه أحسّ بأنه يمسك بيد والده. أحسّ بيد صغيرة مطوّقة بيد كبيرة، وكيف انفصلت يداهما ببطء عن بعضهما. في تلك اللحظة، أدرك أن شيئاً أقوى من الكراهية كان موجوداً طوال الوقت: الأمل. هذا هو الشيء الوحيد الذي استطاع الصمود؛ الشيء الوحيد الذي استطاع العيش من دون أن تخنقه الكراهية التي أحسّ بها تجاه والده. أي حب كان بينهما مات قبل زمن طويل. لكن الأمل اختبأ في زاوية قلبه، وحمى نفسه منه.

وفيما وقف هناك في الردهة بعد إغلاقه الباب لدى مغادرة رجال الشرطة، أحسّ كجيل أن آخر بصيص أمل قد اختفى. وفي تلك اللحظة، شعر بألم كبير جعل كل شيء أسود أمام عينيه؛ لأنه في مكان ما داخله، كان الصبي الصغير يتوق إلى والده، ويأمل في أن يجد طريقاً بين الجدران التي شيداها.

لكن تلك الطريق أصبحت مسدودة الآن. وسوف تبقى الجدران، ثم ستنهار في النهاية من دون أي احتمال للمصالحة.

طوال عطلة نهاية الأسبوع، كان عقله يحاول استيعاب فكرة رحيل والده الذي قتل نفسه بيده. ورغم اعتقاده دوماً في باطن عقله أن هذه هي الطريقة التي سيموت فيها فرانس، إلّا أن قبول الأمر كان صعباً نظراً إلى الحياة المدمرة التي عاشها.

يوم الأحد، ذهب كجيل لرؤية كارينا وبير. وكان قد اتصل بهما يوم الخميس

لإخبارهما بما حصل، لكنه لم يملك القوة لرؤيتهما قبل أن تهدأ أفكاره وذكرياته قليلاً. أحسّ فوراً أن هناك شيئاً مختلفاً في الجو في منزلهما، لكنه لم يعرف ما هو في البداية. ثم قال بتعجب: "أنت غير ثملة!" ولم يقصد اللحظة الراهنة فقط، أو فترة وجيزة؛ لأن هذا حصل سابقاً، ولكن ليس كثيراً خلال الأعوام القليلة الماضية. وفهم فوراً أن هناك شيئاً أكثر من ذلك؛ إذ ثمة هدوء وعزيمة في عينَي كارينا حلّا مكان الطلة المجروحة التي سيطرت عليها منذ أن تركها. ولطالما ملأه ذلك بالكثير من الإحساس بالذنب. كما أن بير كان مختلفاً أيضاً. تحدثوا عما سيحصل بعد محاكمته بسبب اعتدائه على زميله، وتفاجأ كجيل برباطة جأش بير وأفكاره حيال كيفية تعاطيه مع الوضع. بعد ذلك، ذهب بير إلى غرفته، فاستجمع كجيل شجاعته، وسأل كارينا عما تغيّر، وذهل كثيراً عندما سمع بتدخل والده. فقد نجح فرانس نوعاً ما حيث أخفق كجيل رغم عشرة أعوام من المحاولة.

وهذا ما زاد الأمور سوءاً. إذ أكّد ذلك حقيقة أن أي أمل باقٍ داخل قلبه سيختفي الآن. ففي النهاية، لقد رحل فرانس. فما الجدوى من الأمل الآن؟

ذهب كجيل للوقوف أمام نافذة مكتبه، ونظر إلى الخارج. وفي لحظة وجيزة ومجردة من التفكير في الذات، سمح لنفسه بتأمل حياته وروحه بالعين الناقدة نفسها التي وجهها إلى والده. وما رآه أخافه فعلاً. لا شك في أن خيانته لعائلته لم تكن جذرية أو يتعذر مسامحتها برأي المجتمع. ولكن، هل يجعل ذلك الأمر مقبولاً أكثر؟ لا. لقد تخلى عن كارينا وبير، وخان بياتا أيضاً. في الواقع، لقد خانها قبل أن تبدأ علاقتهما أصلاً. فهو لم يحبها مطلقاً، بل أحبّ فقط ما كانت تمثله في لحظة ضعف كان فيها بحاجة إلى ذلك. وإذا كان صريحاً مع نفسه، لم يكن مولعاً بها. إذ لم يكن هناك أي شيء من الحب الذي أحس به تجاه كارينا حين رآها أول مرة مرتدية فستانها الأصفر، وقد وضعت ذلك الشريط الأصفر على شعرها. وخان ماغدا ولوك أيضاً. بسبب العار الذي أحس به نتيجة تخليه عن طفله الأول. لقد شيّد كل أنواع الحواجز داخله، حيث لم يشعر مطلقاً بذلك الحب العميق والحقيقي والشامل الذي أحسّ به تجاه بير لحظة رآه لأول مرة في ذراعَي كارينا. لقد حرم بيتا وولديهما من ذلك الحب، ولا يظن أنه يستطيع العثور عليه مجدداً. هذه هي

الخيانة التي يجدر به التعايش معها، وعليهم التعايش معها أيضاً.

ارتجفت يد كجيل فيما رفع الكوب الذي كان يحمله إلى فمه، وكشّر حين لاحظ أن القهوة أصبحت باردة فيما شرد في أفكاره، لكنه ارتشف جرعة كبيرة منها، وأجبر نفسه على ابتلاعها.

سمع صوتاً عند الباب.

"هناك بريد لك".

استدار كجيل وأومأ برأسه منهكاً. "شكراً". ثم مدّ يده لأخذ البريد اليومي، المفروز أصلاً وفق اهتماماته الشخصية، وتصفحه فيما هو شارد الذهن. بعض الإعلانات، وبعض الفواتير، ورسالة. العنوان مكتوب بخط تعرّف إليه؛ فارتجف كله بطريقة غير إرادية، وجلس على كرسيه واضعاً الرسالة على المكتب أمامه. لوقت طويل، جلس هناك وهو يحدّق إلى المغلف؛ إلى اسمه وعنوان الجريدة المكتوبين بخط منمق وقديم الطراز. تكتك عقرب الدقائق فيما حاول دماغه أمر يده برفع الرسالة وفتح المغلف. لكن، بدا وكأن الإشارات قد ارتبكت في الطريق، وأصابه بدلاً من ذلك شلل تام.

أخيراً، وصلت الإشارات الصحيحة، فبدأ يفتح الرسالة ببطء شديد. هناك ثلاث صفحات مكتوبة بخط اليد، واحتاج إلى قراءة بضع عبارات قبل أن ينجح في فهم الكلمات، لكنه نجح.

وعندما أنهى قراءة الرسالة، وضعها فوق المكتب. وللمرة الأخيرة، أحسّ بدفء يد والده الممسكة بيده. ثم أمسك بسترته ومفاتيح سيارته، ووضع الرسالة في جيبه بعناية.

ثمة أمر وحيد فقط يجدر به فعله الآن.

ألمانيا 1945

تم نقلهم من معسكر الاعتقال. وسرت شائعات بأن الباصات البيضاء اضطرت أولاً إلى نقل الكثير من السجناء الآخرين بمن فيهم بوليس من المعسكر، قبل أن يفسح المجال أمام السجناء الاسكاندينافيين. كما سرت شائعات أيضاً بأن هذا الأمر كلّف عدداً من الأشخاص حياتهم. فالسجناء المنتمون إلى جنسيات أخرى عانوا أوضاعاً أسوأ من الاسكاندينافيين الذين تلقوا رزم الطعام بوسائل مختلفة، وبالتالي نجحوا في الصمود في المعسكرات في ظروف أفضل نسبياً. قيل إن العديد من السجناء لم يصمدوا خلال الرحلة، فيما عانى آخرون معاناة رهيبة أثناء نقلهم من المعسكر. لكن، حتى لو كانت الشائعات صحيحة، فما من أحد يجرؤ على التفكير في ذلك الآن؛ ليس حين تصبح الحرية فجأة في متناول اليد. تفاوض بيرنادوت مع الألمان، وحصل على إذن بإعادة السجناء الاسكاندينافيين إلى بلادهم، وها قد أصبحوا أخيراً في طريقهم إلى هناك.

صعد أكسيل على متن الباص الأبيض بساقين منهكتين. إنها رحلته الثانية في غضون أشهر، ولا يزال الرعب الذي شعر به في الرحلة الأولى يبقيه مستيقظاً خلال الليل. فقد كان يستلقي على سريره، ويعيش رعب الاحتجاز في سيارة الشحن وهو يصغي إلى أصوات القنابل المتساقطة حولهم، والمنفجرة أحياناً في أمكنة قريبة جداً، حيث استطاعوا سماع شظاياها وهي تسقط على السقف فوقهم. لكن، لحسن الحظ، لم يسجل أي من القذائف إصابة مباشرة. لسبب ما، نجا أكسيل من ذلك أيضاً. والآن، فيما فقد تقريباً أية رغبة في العيش، وصل الأمر إلى أن تتم إعادتهم إلى منازلهم أخيراً.

كان أحد السجناء القليلين الذين لا يزالون قادرين على المشي من دون مساعدة. إذ كان بعضهم في حال سيئة جداً؛ حيث برزت الحاجة إلى حملهم.

جلس على الأرض بعناية، وواضعاً رأسه على ركبتيه. لا يمكنه أن يصدق! سوف يعود إلى المنزل؛ إلى أمه وأبيه، وإلى إيريك، وإلى فجالباكا. تصوّر في عقله كل شيء بوضوح كبير، كل الأشياء التي لم يسمح لنفسه بالتفكير فيها لوقت طويل. لكن أخيراً، بعد أن عرف الآن أن كل شيء أصبح في المتناول، سمح للأفكار والذكريات بالتدفق في عقله. وفي الوقت نفسه، عرف أن الحياة لن تكون أبداً هي نفسها؛ فهو لن يكون أبداً الشخص نفسه. فقد رأى أشياء، وعاش أشياء غيّرته إلى الأبد.

كره الطريقة التي تغيّر بها، وكره ما أجبر على فعله، وما أجبر على مشاهدته. ولم ينته الأمر بعد، لمجرد أنه صعد إلى هذا الباص. فرحلتهم طويلة، وشاهدوا على الطريق مدناً تحولت إلى ركام، وبلاداً تحولت إلى دمار. مات سجينان، أحدهما جار أكسيل الذي اتكأ على كتفه خلال الفترات الوجيزة التي استطاع النوم فيها. ذات صباح، غيّر أكسيل وضعيته عند استيقاظه، فانهار الرجل، وبدا جسمه بارداً ومتصلباً كما لو أنه قد مات منذ وقت. دفع أكسيل الجثة بعيداً عنه بكل بساطة، ونادى أحد المسؤولين عن النقل، ثم جلس في مكانه مجدداً. فما حصل هو مجرد موت شخص آخر. لقد رأى الكثير.

وجد نفسه يرفع يده باستمرار للمس أذنه. فهو يسمع أحياناً صوت هدير، لكن أذنه مليئة في أغلب الأحيان بصمت مدوٍّ. تصوّر ذلك المشهد في عقله مرات عدة. لا شك في أنه تحمل أموراً أسوأ بكثير بعدها. لكن، ثمة شيء آلمه لدى رؤيته بندقية الحارس وهي تتجه صوبه وكأنها رمز للخيانة العظمى. فبالرغم من وقوفهما على طرفين متناقضين في الحرب، إلّا أنهما أنشآ تواصلاً بشرياً منحه إحساساً بالاحترام والأمان. لكنه عندما رأى الشاب يرفع عقب بندقيته وأحسّ بالألم عند ارتطام البندقية بأذنه، تبددت كل أوهامه بشأن طيبة الكائنات البشرية.

وفيما جلس في الباص محاطاً بآخرين عانوا بقدره، وكان العديدون منهم مرضى جداً ومصدومين جداً لدرجة أنهم لن يصمدوا طويلاً، أقسم في سره: لن يرتاح أبداً قبل أن يضع المسؤولين عن ذلك أمام العدالة. ستكون مهمته التأكد من عدم إفلات المذنبين من العقاب.

وضع أكسيل يده على أذنه مجدداً، وحاول تصور المنزل الذي تركه. قريباً، قريباً جداً، سيكون هناك.

* * *

مضغت باولا قلمها فيما قرأت مستنداً وراء آخر. على المكتب أمامها، ثمة كدسة أوراق تمثّل كل ما يملكونه من معلومات عن مقتل إيريك فرانكل. وها هي تراجع المواد على أمل اكتشاف تفصيل صغير تم إهماله. عرفت حماقة محاولة قولبة الأدلة للتطابق مع نظرية معينة، لذا وضعت الشك في أن فرانس رينغهولم قد قتل إيريك جانباً، وركزت على إيجاد شيء آخر يثير الشكوك. لم تتوصل إلى أي شيء لغاية الآن. لكن هناك الكثير من المواد التي يجب عليها مراجعتها.

غير أنها كانت تواجه صعوبة كبيرة في التركيز. فموعد ولادة جوهانا يقترب، ويمكن أن تدخل المخاض في أية لحظة، وأخوها لم يتصل بهن بعد. وعندما فكرت في ما ينتظرها، أحست باولا بمزيج من الفرح والخوف. فهي ستكون مسؤولة عن هذا الطفل بما أنها عمته، ومن واجبها الاعتناء به ريثما يأتي والده. وإذا تحدثت إلى مارتن، فسيتفهم من دون ريب كل واحدة من الأفكار التي تدور في رأسها، لكنها أبقت قلقها لنفسها. فلا شك في أن العلاقة بين أخيها وزوجته ستتغير نحو الأفضل بعد ولادة الطفل.

تنهدت، وأمسكت بالمستند التالي الموجود في الكومة؛ التحليل التقني لسلاح الجريمة. التمثال الحجري موجود على عتبة النافذة منذ أعوام. لكن بعد حصول الجريمة، تم العثور عليه ملطخاً بالدم تحت المكتب. تحقق الطب الجنائي من البصمات والمواد الغريبة، لكن لم يتم التعرف سوى على دم إيريك وشعره وشيء من دماغه. وضعت التقرير جانباً، ونظرت إلى صور مسرح الجريمة. تأثرت حين عرفت أن زوجة باتريك لاحظت ما كتب على الدفتر: Ignoto Militi... الجندي المجهول. إذ لم تلمح باولا العبارة عندما نظرت إلى الصور. وحتى لو فعلت، فعليها الاعتراف بأنه لم يكن ليخطر في بالها التحقق من معنى الكلمات. لم تكتشف إيريكا العبارة فقط، وإنما نجحت أيضاً في ربطها بخيوط واحتمالات أخرى قادتهم إلى جثة هانس أولافسن.

وضعت باولا الصورة جانباً وفتحت دفترها. على الرغم من تقليص الفترة إلى أيام قليلة فقط، إلّا أنهم لم ينجحوا في تحديد التاريخ الفعلي لمقتل إيريك فرانكل. وتساءلت باولا عما إذا كان بوسعها اكتشاف المزيد استناداً إلى التواريخ التي لديهم. بدأت تحدد تسلسلاً زمنياً للأحداث؛ بدءاً من زيارة إيريكا إلى إيريك فرانكل، وانفصال إيريك عن فيولا، ورحلة أكسيل إلى باريس، ومحاولة عاملة التنظيف دخول المنزل. تصفحت المستندات للعثور على أية معلومة بشأن مكان وجود فرانس في تلك الفترة، لكنها وجدت فقط بيانات رفاقه في جمعية أصدقاء السويد الذين أقسموا جميعاً على أن فرانس كان في الدانمارك خلال تلك الأيام. اللعنة! كان يجدر بهم الإلحاح على فرانس للحصول على المزيد من التفاصيل حين أتيحت لهم الفرصة. لكن، نظراً إلى سجله الإجرامي، لا شك في أنه توخى الحذر، وحصّن نفسه بالمستندات الداعمة لعذره المبرئ. ورغم ذلك، ما الذي قاله مارتن خلال مراجعة التحقيقات؟ ما من عذر مبرئ لا يمكن نقضه...

ثم انتصبت باولا بذهول. فقد خطرت لها فكرة، وعرفت فوراً أنه عليها فعل شيء ما. ثمة أمر لم يتحققوا منه بعد.

"باتريك؟ مرحباً. هذه أنا... كارين. هل يمكنك المجيء ومساعدتي في أمر ما؟ فقد غادر ليف هذا الصباح، وها هي المياه تتدفق الآن من أنبوب في الطابق السفلي

قال باتريك بتردد: "حسناً، لست خبيراً، لكنني أعتقد أنه بوسعي إلقاء نظرة لرؤية ما إذا كان بوسعي إصلاح العطل من دون الحاجة إلى الاتصال بسمكري".

قالت: "هذا رائع. أحضر ماجا معك إذا شئت. يمكنها اللعب مع لود". وبدا صوتها مرتاحاً.

"سأفعل ذلك. فإيريكا تعمل، وأنا لا أريد إزعاجها إذا أمكن الحؤول دون ذلك".

بعد خمس عشرة دقيقة، فيما انعطف صوب الممر المؤدي إلى منزل كارين وليف في سومبان، توجب عليه الاعتراف بأنه أحس بالغرابة لدى رؤيته المنزل

الذي تعيش فيه زوجته السابقة الآن مع الرجل الذي يتصوره أحياناً في عقله. إذ إن نسيان اللحظة التي شاهد فيها زوجته مع حبيبها بالجرم المشهود ليس أمراً سهلاً.

فتحت كارين الباب حاملة لود بين ذراعيها قبل أن يضغط باتريك على الجرس، وقالت: "ادخل وأفسحت له المجال للدخول.

قال ممازحاً: "ها قد وصل فريق الإنقاذ". ثم وضع ماجا أرضاً، فأوقفت كارين لود إلى جانبها. وسرعان ما أمسك لود بيد ماجا وأخذها في الممر نحو ما بدا غرفته الخاصة.

"المشكلة هنا". وفتحت كارين باباً مؤدياً إلى سلالم الطابق السفلي.

سأل باتريك بعصبية: "هل سيكونان بخير؟". وألقى نظرة نحو غرفة لود.

فأجابته كارين: "سيبقيان نفسيهما مشغولين لبضع دقائق. لا مشكلة". وأشارت إلى باتريك للحاق بها إلى الأسفل.

وعند أسفل السلالم، أشارت إلى أنبوب في السقف مع تعبير قلق على وجهها. فتفحصه باتريك، ثم استطاع طمأنتها.

"هممم... أظن أنك بالغت قليلاً عندما قلت إن الماء يتدفق. إذ يبدو الأمر أشبه بتكثف". وأشار إلى بضع قطرات من الماء على الأنبوب.

قالت كارين: "أوه، هذا جيد. قلقت كثيراً عندما رأيت الأنبوب رطباً. لطف منك أن تأتي فعلاً. هل يمكنني إعداد القهوة لك لشكرك، أم أنت مضطر إلى العودة إلى المنزل فوراً؟".

"سأبقى قليلاً بالطبع. إذ ليست لدينا أي مواعيد. ولا بأس بالقهوة".

بعد فترة وجيزة، وفيما كانا جالسين في المطبخ، وهما يتناولان البسكويت الذي وضعته كارين على الطاولة.

سألت باتريك مبتسمة له: "لم تكن تتوقع بسكويتاً منزلي الصنع، أليس كذلك؟".

فتمدد لتناول قطعة بسكويت بالشوفان، وهزّ رأسه ضاحكاً: "لا. إذ لم يكن الخبز يوماً هوايتك المفضلة، أو الطهو إجمالاً؛ لكي أكون صريحاً".

فقالت كارين وقد بدت مستاءة: "هاي، كيف يمكنك قول ذلك؟ لم أكن سيئة

إلى هذا الحد. كنت تحب طبق رغيف اللحم على الأقل

ابتسم باتريك وهزّ يده في إشارة إلى أن الطبق كان مقبولاً نوعاً ما. "كنت أقول ذلك فقط لأنك شعرت بالكثير من الفخر. لكن، لطالما تساءلت عما إذا كان يجدر بي بيع الوصفة للجيش لاستخدامها بمثابة قذيفة مدفعية".

قالت كارين: "هاي، انتبه! لقد تجاوزت حدودك الآن!". ثم ضحكت. "لكنك محق. لم يكن الطهو يوماً هوايتي. وهذا أمر يحب ليف دوماً الإشارة إليه. فهو بالطبع يظن أنني لا أجيد الكثير من الأمور واختنق صوتها وتلألأت الدموع في عينيها، فوضع باتريك يده فوق يدها.

"هل الأمور بهذا السوء؟".

أومأت برأسها، ومسحت دموعها بمنديل. "اتفقنا على الانفصال. فقد عشنا أسوأ شجار خلال عطلة نهاية الأسبوع، وأدركنا أن الأمور لا تسير جيداً. لذا، وضب حقائبه وقال إنه لن يعود".

قال باتريك: "أنا آسف جداً" فيما أبقى يده على يدها.

قالت: "هل تعرف أكثر ما يؤلمني؟ أنني لا أشتاق إليه أبداً. كان كل ذلك خطأً كبيراً". واختنق صوتها مجدداً، فبدأ باتريك يشعر بالانزعاج بعد أن أحسّ إلى أين ستفضي هذه المحادثة.

"كانت الأمور جيدة جداً بيننا أنا وأنت. أليس كذلك؟ لو لم أكن غبية". وبكت فيما أمسكت بيد باتريك، فلم يعد بوسعه سحبها الآن؛ رغم إدراكه ضرورة قيامه بذلك.

"أعرف أنك تابعت حياتك، وأعرف أن لديك إيريكا. لكن، كان هناك شيء مميز بيننا، أليس كذلك؟ ألا يوجد احتمال بأن... أنا وأنت..." ولم تستطع إنهاء جملتها، وإنما ضغطت أكثر على يده؛ كما لو أنها تتوسل إليه.

ابتلع باتريك لعابه ثم قال بهدوء: "أنا أحب إيريكا؛ وهذا أول أمر يجدر بك معرفته. ثانياً، الصورة التي لديك عن زواجنا مجرد وهم؛ إنها وهم ابتكرته بنفسك بعدما وجدت أنك وليف غير متفقين. كانت علاقتنا جيدة، لكنْ ما من شيء مميز فيها. ولهذا السبب وصلت الأمور إلى ما آلت إليه؛ كانت مسألة وقت

فقط". ونظر باتريك إلى عينيها مباشرة وتابع: "وأنت تعرفين ذلك أيضاً في قرارة نفسك، وستعرفين أنني محق إذا فكّرت في الأمر. بقينا متزوجين فقط لأن الأمر ملائم، وليس بدافع الحب. لذا، أسديتما لنا خدمة حينها؛ رغم أنني لم أكن أتمنى أن تنتهي الأمور بهذه الطريقة. لكنك تخادعين نفسك الآن، اتفقنا؟".

بدأت كارين تبكي مجدداً، وقد شعرت بالذل. فهم باتريك ما تشعر به، فقرّب كرسيه من كرسيها، ووضع ذراعيه حولها، وجعل رأسها على كتفه فيما ربّت على شعرها وقال لها: "ششششش... اهدئي... سوف تسوّى الأمور

قالت كارين: "كيف يمكنك أن تكون... فيما... ارتكبت حماقة بحق نفسي؟".

استمر باتريك في التربيت على شعرها بهدوء وقال: "لا داعي للخجل من أي شيء. أنت منزعجة ولا تفكرين بوضوح في الوقت الحاضر. لكنك تعرفين أنني محق". ورفع منديله ومسح الدموع عن وجنتيها المتوردتين ثم قال: "هل تريدين أن أغادر أم يجدر بنا إنهاء القهوة؟".

ترددت قليلاً ثم أجابت: "إذا كان بوسعنا تجاهل حقيقة أنني رميت نفسي عليك للتو، فأنا أفضل أن تبقى لبعض الوقت الإضافي

قال باتريك فيما أعاد كرسيه إلى حيث كان أصلاً: "حسناً إذاً. أنا لا أملك ذاكرة جيدة أبداً، وكل ما سأذكره خلال عشر ثوانٍ من الآن هو هذا البسكويت اللذيذ الذي تم شراؤه من المتجر وغمزها، ثم تمدد للإمساك بقطعة بسكويت أخرى.

سألت كارين راغبة في تغيير الموضوع: "ما الذي تكتبه إيريكا الآن؟".

فقال باتريك: "يفترض بأنها تعمل على كتاب جديد، لكنها منهمكة في بعض الأبحاث حول ماضي أمها". وشعر بدوره بالامتنان للتحدث عن شيء آخر.

سألت كارين: "كيف حصل أن اهتمت بهذا الأمر؟". وقد أحست بفضول حقيقي.

أخبرها باتريك بما وجداه في الصندوق في العلية، وبكيفية اكتشاف إيريكا روابط بالجرائم التي تتحدث عنها كل البلدة.

قال باتريك: "أكثر ما يزعجها هو أن أمها احتفظت طوال أعوام عدة بدفاتر

مذكرات، لكن الدفاتر التي وجدتها تعود فقط إلى العام 1944. فإما أن تكون إلسي قد قررت فجأة التوقف عن الكتابة، أو هناك مجموعة من الدفاتر الزرقاء مخبأة في مكان ما، ولكن ليس في منزلنا".

ذهلت كارين. "كيف تبدو تلك الدفاتر؟".

قطّب باتريك جبينه، ووجّه إليها نظرة محتارة ثم قال: "إنها دفاتر زرقاء رقيقة، أشبه بالدفاتر الصغيرة المستخدمة في المدارس. لماذا؟".

أجابت كارين: "لأنني في هذه الحالة أظن أنني أعرف مكانها".

قالت آنيكا فيما أقحمت رأسها في مكتب مارتن: "لديك زائر

سأل: "حقاً؟! من هو؟". لكن سؤاله حصل على جواب فوراً عندما ظهر كجيل رينغهولم عند الباب.

وقال كجيل فوراً: "لست هنا بصفتي صحافياً". ورفع يديه حين لاحظ أن مارتن على وشك الاعتراض. "أنا هنا بصفتي ابن فرانس رينغهولم". وجلس بهدوء على الكرسي المخصص للزوار.

فقال مارتن: "أنا آسف جداً...". ولم يعرف ماذا يجدر به أن يقول فعلاً. فالجميع يعرفون نوع العلاقة الموجودة بين الأب والابن رينغهولم".

لوّح كجيل بيده، ومدّ يده إلى جيب سترته قائلاً: "استلمت هذه اليوم". وكانت نبرته خالية من أي تعبير، لكن يده ارتجفت فيما وضع الرسالة على مكتب مارتن. رفعها مارتن، وفتحها بعد أن حصل على إيماءة موافقة من كجيل. قرأ الصفحات الثلاث المكتوبة بخط اليد بصمت، لكنه رفع حاجبيه مرات عدة.

قال مارتن محدقاً إلى كجيل: "إذاً، لا يتحمل والدك مسؤولية قتل بريتا جوهانسون فقط، وإنما أيضاً موت هانس أولافسن وإيريك فرانكل".

أجاب كجيل فيما نظر إلى الأسفل: "نعم، هذا ما قاله. لكنني أتوقع أنك افترضت ذلك مسبقاً، ولذلك لن يفاجئك الأمر

قال مارتن: "أكذب عليك إذا قلت لك غير ذلك" وأومأ برأسه. "لكن جريمة بريتا هي الجريمة الوحيدة التي نملك فيها دليلاً ضده".

قال كجيل مشيراً إلى الرسالة: "يفترض بهذه أن تساعد".

"هل أنت واثق من...؟".

قال كجيل: "من أنه خط والدي؟ نعم. أنا واثق في أن الرسالة مكتوبة بيد والدي، ولست متفاجئاً جداً. لكنني ظننت..." وهزّ رأسه.

قرأ مارتن الرسالة مجدداً. "في الواقع، إنه يعترف فقط بقتله بريتا. أما ما تبقى فما زال غامضاً: ألوم نفسي على موت إيريك، وكذلك على موت الرجل الذي تم العثور عليه في قبر لا يفترض أن يكون قبره".

هزّ كجيل كتفه قائلاً: "لا أرى الفرق. فقد اعتمد فقط البلاغة اللغوية، وعبّر عن الفكرة بطريقة مختلفة. لا أشك أبداً في أن والدي هو من... لم ينهِ ما أراد قوله، وإنما تنهد بقوة؛ كما لو أنه يحاول السيطرة على كل مشاعره.

تابع مارتن قراءة الرسالة بصوت عالٍ: "ظننت أنني أستطيع تدبر الأمور مثلما أفعل عادة، وأن تصرفاً عنيفاً واحداً يمكنه أن يحلّ كل شيء، ويبقي كل شيء مخفياً. لكنني حين رفعت الوسادة عن وجهها عرفت أن هذا لن يحلّ أي شيء، وفهمت أنه بقي لدي خيار واحد فقط؛ فقد وصلت إلى نهاية الطريق. إن الماضي قد تغلّب عليّ أخيراً". ونظر مارتن إلى كجيل وسأله: "هل تعرف ما الذي قصده بقوله هذا؟ ما الذي أراد إخفاءه؟ وما الذي يعنيه بقوله إن الماضي قد تغلب عليه أخيراً؟"

هزّ كجيل رأسه مجيباً: "لا أعرف"

قال مارتن: "سأحتفظ بهذه الرسالة في الوقت الراهن". ولوّح بالأوراق في الهواء.

أجاب كجيل منهكاً: "طبعاً. احتفظ بها. كنت أنوي إحراقها".

"بالمناسبة، طلبت من زميلي غوستا أن يتحدث إليك عندما يكون الوقت ملائماً. لكن، هل ترغب ربما في أن نتحدث أنا وأنت؟". ووضع مارتن الرسالة بعناية في كيس لحفظ الأدلة، ثم وضعه جانباً.

سأل كجيل: "بشأن ماذا؟".

"هانس أولافسن. فقد فهمت أنك تجري بعض الأبحاث".

"وما علاقة ذلك بأي شيء الآن؟ فقد اعترف والدي بقتله"

"نعم، هذا تفسير واحد. لكن هناك بعض الأسئلة بشأن موت أولافسن نحتاج إلى توضيحها. فإذا كانت لديك أي معلومات تودّ الإسهام بها... أي شيء على الإطلاق..." ورفع مارتن يديه في الهواء، واتكأ إلى الخلف.

سأل كجيل: "هل تحدثت إلى إيريكا فالك؟".

هزّ مارتن رأسه وأجاب: "ليس بعد، لكننا سنفعل. وبما أنك موجود هنا...".

"حسناً، ليس لديّ الكثير لقوله لك" وأخبر كجيل مارتن بشأن اتصاله بإسكيل هالفورسن؛ الخبير في المقاومة النروجية. وقال له إنه لم يعرف أي شيء لغاية الآن عن هانس أولافسن، وثمة احتمال كبير بألا يملك أي معلومات لتقديمها.

فسأله مارتن: "هل ترغب في الاتصال به الآن للتحقق مما إذا كان قد وجد شيئاً؟". وأشار إلى الهاتف على مكتبه.

فهزّ كجيل كتفه، وأخرج دفتر العناوين الصغير من جيبه، وتصفّحه إلى أن عثر على الصفحة المشتملة على ورقة صفراء عليها اسم إسكيل هالفورسن ورقمه.

"أعتقد أنها مضيعة للوقت. لكن، بما أنك مصرّ..."

قرّب كجيل الهاتف منه، وطلب الرقم المدوّن على دفتره الصغير. ساد الصمت لفترة قبل أن يرفع النروجي السماعة. "مرحباً، أنا كجيل رينغهولم. آسف لإزعاجك مجدداً، لكنني كنت أتساءل عمّا إذا... حسناً، حصلت على الصورة. جيد. هل...".

وأومأ كجيل برأسه فيما أصغى، وأصبحت تعابيره يقظة أكثر فأكثر؛ مما جعل مارتن يجلس منتصباً على كرسيه، تواقاً لمعرفة ما يقوله الرجل في الطرف الآخر من الخط.

"من الصورة الفوتوغرافية! لكن الاسم خطأ؟! واسمه الحقيقي...".

حرّك كجيل أصابعه في إشارة إلى مارتن بأنه يحتاج إلى ورقة وقلم.

فتمدد مارتن نحو علبة أقلامه، غير أنه أوقع كل الأقلام أرضاً، لكن كجيل رفع واحداً منها، وأخذ تقريراً عن مكتب مارتن، وراح يدوّن على متنه بحماسة كبيرة.

"إذاً، لم يكن... نعم، أدرك أن هذا مثير جداً بالنسبة إلينا، صدقني

كان مارتن على وشك الانفجار نتيجة الفضول الذي يشعر به، وبذل جهداً جباراً كي لا يمسك بالهاتف.

"حسناً، شكراً جزيلاً لك. إن هذا يلقي ضوءاً جديداً على كل المسألة. نعم، صحيح. شكراً. شكراً".

وأخيراً، وضع كجيل السماعة مكانها، ووجّه إلى مارتن ابتسامة كبيرة.

"أعرف من يكون! أعرف من يكون!".

"إيريكا".

سمعت إيريكا الباب الرئيس يغلق بقوة، وتساءلت عن سبب صراخ باتريك هكذا.

"ما الأمر؟ هل من شيء طارئ؟". وذهبت إلى منبسط الدرج ونظرت إليه.

"تعالي إلى هنا. ثمة شيء أريد إخبارك به". وأشار إليها بحماسة لتنزل، فاستجابت لطلبه. وحين صارت قربه قال لها: "دعينا نجلس فيما توجّه إلى غرفة الجلوس.

قالت: "أنا الآن جدية. أخبرني وبعد أن جلسا كلاهما على الأريكة، نظرت إليه.

أخذ باتريك نفساً عميقاً وقال: "حسناً. أتذكرين أنك قلت لي إنك تعتقدين بوجود دفاتر يوميات أخرى في مكان ما؟".

قالت إيريكا: "نعم". وأحست فجأة بانقباض في معدتها.

"حسناً، كنت في منزل كارين قبل وقت قليل".

قالت إيريكا متفاجئة: "حقاً!؟".

غير أن باتريك لوّح بيديه وتابع: "لا تهتمي بذلك. اسمعي. صودف أنني ذكرت أمر دفاتر اليوميات أمام كارين، فقالت إنها تعرف أين يوجد المزيد منها!".

نظرت إليه إيريكا بذهول. "كيف يمكنها أن تعرف؟!".

وحين أخبرها باتريك بما قالته كارين، أشرق وجه إيريكا وقالت: "أوه، طبعاً. لكن، لماذا لم تقل أي شيء على الإطلاق؟".

أجاب باتريك: "لا أعرف. عليك الذهاب إلى هناك وسؤالها بنفسك". وما إن أنهى جملته حتى وقفت إيريكا على قدميها وتوجهت نحو الباب الأمامي.

قال باتريك: "سأذهب معك" ورفع ماجا عن الأرض.

فأجابت إيريكا: "حسناً، ولكن استعجل وفتحت الباب وهي تبدو مذهولة.

"مرحباً، يا لها من مفاجأة! ماذا تفعلون هنا؟".

قالت إيريكا: "فكرنا في المرور لبعض الوقت" وتبادلت النظرات مع باتريك.

"طبعاً. هل أحضّر لكما القهوة؟". سألت كريستينا وهي لا تزال متفاجئة.

انتظرت إيريكا بفارغ الصبر فيما انتهت كريستينا من تحضير القهوة وجلست معهما إلى الطاولة، ثم قالت فجأة:

"هل تذكرين عندما أخبرتك عن دفاتر يوميات ماما التي عثرت عليها في العلية؟ وأنني كنت أتصفحها على أمل معرفة المزيد عن حقيقة إلسي موستروم؟".

أجابت كريستينا: "نعم، طبعاً أذكر أنك أخبرتني عن ذلك". وتفادت النظر إلى عينيها.

"عندما جئت إلى هنا آخر مرة، أظن أنني قلت أيضاً إنني وجدت غرابة حقيقية في أن تتوقف أمي عن الكتابة عام 1944، وفي عدم عثوري على أي دفاتر يوميات إضافية".

قالت كريستينا: "نعم". وقد ثبتت عينيها على الطاولة.

"حسناً، تناول باتريك القهوة اليوم مع كارين في منزلها. وصودف أن ذكر مسألة دفاتر اليوميات أمامها، ووصف لها شكلها، فقالت إنها تذكر تماماً أنها رأت دفاتر مماثلة هنا". وصمتت إيريكا لتأمل ردة فعل حماتها، ثم تابعت: "وحسب كارين، طلبتِ منها إخراج شرشف طاولة من خزانة الشراشف، وتذكر أنها رأت في قعر الخزانة عدة دفاتر زرقاء مع كلمة "يوميات" على أغلفتها، فافترضت أنها دفاتر يومياتك القديمة، ولم تقل أي شيء. لكن، عندما تحدث باتريك أمامها اليوم عن دفاتر يوميات ماما، حسناً... ربطت بين الأمرين. وسؤالي هو: لماذا لم تخبريني؟"

استمرت كريستينا في التحديق إلى الطاولة. وحاول باتريك عدم النظر إلى أي

منهما، وركز انتباهه على تناول الكعك مع ماجا. أخيراً، نهضت كريستينا من دون التفوه بأية كلمة وغادرت الغرفة، فيما راقبتها إيريكا، وهي بالكاد تتجرأ على التنفس. سمعت باب خزانة يفتح ويغلق، وبعد هنيهة عادت كريستينا إلى المطبخ وهي تحمل في يدها ثلاثة دفاتر زرقاء؛ تماماً مثل تلك التي تملكها إيريكا في المنزل.

"وعدت إلسي بأن أهتم بهذه. فهي لم تشأ أن تطلعي عليها أنت أو آنا. لكنني أفترض..." وترددت كريستينا، ثم أعطتها الدفاتر. "أفترض أنه يأتي وقت يفترض فيه أن تنكشف الحقيقة. ويبدو أن الوقت قد حان الآن. وأظن أن إلسي كانت ستوافق".

أخذت إيريكا الدفاتر، ومررت يدها فوق غلاف الدفتر العلوي.

وقالت فيما كانت تنظر إلى كريستينا: "شكراً. هل تعرفين ما كتبته في هذه الدفاتر؟".

ترددت كريستينا؛ إذ لم تعرف ماذا يجدر بها أن تقول.

"لم أقرأها. لكنني أعرف الكثير من الأمور التي أعتقد أن إلسي قد كتبتها في هذه الدفاتر

قالت إيريكا: "سأذهب إلى غرفة الجلوس لأقرأها"

كانت ترتجف فيما جلست على الأريكة. فتحت ببطء الصفحة الأولى من الدفتر العلوي، وبدأت تقرأ. تسارعت عيناها فوق السطور، فوق الخط اليدوي المألوف، فيما قرأت عن قدر أمها، وبالتالي عن قدرها. بدهشة واضطراب كبيرين، قرأت عن علاقة أمها الغرامية مع هانس أولافسن، وكيف اكتشفت أنها حامل. وفي الدفتر الثالث، تحدثت عن رحيل هانس إلى النروج، ووعده. أصبحت يدا إيريكا ترتجفان أكثر الآن، كما لو أنها تعيش ذعر أمها المتصاعد مع مرور الأيام والأسابيع من دون سماع كلمة منه. وعندما وصلت إيريكا إلى الصفحات الأخيرة، بدأت تبكي ولم تستطع التوقف. قرأت عبر دموعها ما كتبته أمها بخطها الأنيق:

اليوم، استقللت القطار إلى بورلانج. وقفت أمي عند الباب ولوّحت لي، لكنها لم تأتِ معي. بات إخفاء حملي أمراً صعباً. ولا أريد أن تتحمل أمي العار. يصعب عليّ فعل ذلك. لكنني طلبت من الله أن يمنحني القوة لأجتاز هذه المحنة، القوة للتخلي عن الطفل الذي لم ألتقه قطّ، ولكنني أحبه كثيراً، كثيراً...

بورلانج 1945

لم يعد مطلقاً. قبّلها قبلة الوداع، وأخبرها أنه سيعود قريباً، ثم غادر. وانتظرت. في البداية، ساورها شعور بالثقة، ثم تحوّل شعورها إلى انزعاج خفيف، وتطوّر مع الوقت حتى صار ذعراً حقيقياً؛ لأنه لم يعد مطلقاً. لقد نكث بوعده لها، لقد خانها وخان طفلهما. وكانت تثق فيه. لم تشك مطلقاً في الوعد الذي قطعه لها، وافترضت أنه يحبها بقدر ما تحبه. كم كانتِ فتاة ساذجة وغبية! كم من فتاة عاشت التجربة نفسها؟

وعندما لم يعد بإمكانها إخفاء حملها، لجأت إلى أمها. أحنت رأسها عاجزة عن النظر إلى عينَي هيلما، وأخبرتها بكل شيء. قالت لها إنها سمحت لنفسها بأن تُخدع، وإنها صدقت وعوده، وإنها تحمل الآن طفله. في البداية، لم تتفوه أمها بكلمة. وخيّم صمت مدوٍّ وجليدي في المطبخ حيث كانتا تجلسان، وحينها سيطر الخوف على قلب إلسي. ففي قرارة نفسها، أملت في أن تأخذها أمها بين ذراعيها وتقول لها: "صغيرتي، سيكون كل شيء على ما يرام. سنتدبر الأمور الأم التي عرفتها إلسي قبل موت والدها كانت ستفعل ذلك؛ إذ كانت تملك القوة لتحب ابنتها بالرغم من العار. لكن جزءاً من هيلما مات مع زوجها، والجزء الباقي لم يكن قوياً بما فيه الكفاية.

ومن دون التفوه بكلمة، وضّبت حقيبة لإلسي، ووضعت فيها كل اللوازم الضرورية، ثم وضعت ابنتها البالغة من العمر ستة عشر عاماً على متن قطار ذاهب إلى بورلانج، وأرسلتها للمكوث عند خالتها التي تملك مزرعة هناك. حتى إن هيلما لم تستطع مرافقتها إلى محطة القطار. ودّعتا بعضهما بشكل وجيز في الردهة، قبل أن تدير أمها ظهرها لها وتذهب إلى المطبخ. الرواية التي سيسمعها جميع من في البلدة هي أن إلسي ذهبت لدراسة الاقتصاد في الجامعة.

مرّت خمسة أشهر. وبالرغم من انتفاخ بطنها أكثر فأكثر كل أسبوع، عملت بكدّ مثل أي شخص آخر في المزرعة. عملت من الصباح إلى المساء، وأنجزت كل المهام المطلوبة منها، فيما ازداد الألم في ظهرها سوءاً نتيجة الركل الذي تشعر به في رحمها. في بعض الأحيان، أرادت كره الطفل، لكنها لم تستطع. فهو جزء منها ومن هانس. وحتى في تلك اللحظات الأليمة لم تستطع الشعور بالكراهية الحقيقية تجاهه. كيف يمكنها أن تكره كائناً جمعهما؟ لكن، تم تدبير كل شيء. سيؤخذ الطفل بعيداً عنها مباشرة بعد الولادة، وسيتم وهبه للتبني. ما من طريقة أخرى؛ هذا ما قالته الخالة إيديت. اهتم زوجها أنطون بكل التفاصيل العملية، وتمتم طوال الوقت عن مدى خجله من أن تؤوي زوجته ابنة أختها التي نامت مع أول رجل اقترب منها. لم تستطع إلسي مواجهته، وقبلت اللوم من دون اعتراض، ومن دون القدرة على تقديم أي شرح. إذ يصعب عليها إنكار أن هانس قد تخلى عنها؛ بالرغم من وعده لها.

ذات صباح، بدأت آلام المخاض باكراً. في البداية، ظنت أنه ألم الظهر العادي الذي أيقظها. لكن الألم أصبح أسوأ، وظهر واختفى، وإنما ازداد قوة. وبعد استلقائها هناك وهي تتقلب على فراشها لمدة ساعتين، أدركت أخيراً ما يحصل لها، ونجحت في النهوض من السرير. ضغطت بيديها على الجهة السفلية لظهرها، وذهبت إلى غرفة نوم إيديت وأنطون وأيقظت خالتها بتردد. تلا ذلك نشاط مسعور. إذ طلب منها العودة إلى السرير، وتم إرسال الابنة الكبرى في المنزل لإحضار القابلة القانونية. تم وضع الماء ليغلي على النار، وجرى إخراج المناشف من الخزانة. استلقت إلسي على السرير، وأحست بالذعر يكبر داخلها.

بعد عشر ساعات، كان الألم لا يحتمل. وصلت القابلة القانونية قبل ساعات عدة، وفحصتها بطريقة فظة نوعاً ما. كانت صارمة وغير ودودة، وأوضحت تماماً رأيها في الفتيات غير المتزوجات اللواتي يحملن. لم يوجّه أحد كلمة لطيفة أو ابتسامة لإلسي فيما استلقت على السرير وهي تظن أنها ستموت. وكلما سيطرت عليها نوبة من الألم، كانت تتشبث بإطار السرير وتطبق أسنانها لتمنع نفسها من الصراخ. أحست كما لو أن شخصاً ما يقطعها في الوسط. في البداية، استطاعت

الاستراحة بين الانقباضات؛ لالتقاط أنفاسها ومحاولة استجماع قوتها. لكن، مع مرور الساعات، أصبحت الانقباضات متقاربة جداً من بعضها؛ حيث لم تسنح لها مطلقاً فرصة الاستراحة. راودتها الفكرة نفسها مراراً وتكراراً: سوف أموت الآن.

لا بدّ أنها قالت الكلمات بصوت عالٍ؛ لأنها رأت وسط سحابة الألم القابلة القانونية وهي تحدق إليها بغضب وتقول: "توقفي عن إحداث جلبة. أنت التي سبّبت لنفسك هذه المشكلة، ولذلك عليك الخروج منها من دون تذمر. فكّري في ذلك يا صغيرتي

لم تبقَ لدى إلسي أية قوة للاحتجاج. أمسكت بإطار السرير بقوة كبيرة؛ إلى درجة أن براجمها صارت بيضاء اللون، ثم شعرت بمستوى جديد من الألم في بطنها وساقيها. لم تعرف مطلقاً أن مثل هذا الألم ممكن أصلاً. فهو في كل مكان، إنه يتغلغل في كل نسيج فيها، وفي كل خلية من جسمها. وبدأت تتعب. واجهت الألم لوقت طويل جداً؛ لدرجة أن ذلك الجزء منها أراد الاستسلام والغرق والسماح للألم بالسيطرة عليها وفعل ما يشاء بها. ولكن هذا الطفل الذي يريد الخروج طفلُها وطفل هانس، وستلده حتى لو كان هذا آخر شيء تقوم به.

بدأ نوع جديد من الألم يظهر مع الانقباضات التي باتت مألوفة جداً الآن. أحست بضغط كبير، وأومأت القابلة القانونية برأسها إلى عمة إلسي التي وقفت قربها دليل رضى.

وقالت فيما كانت تضغط على بطن إلسي: "سينتهي الأمر قريباً. عليك أن تدفعي إلى الأسفل بكل قوتك حين أطلب منك ذلك، وسيكون الطفل هنا قريباً جداً".

لم تجب إلسي، وإنما سمعت ما قالته القابلة القانونية، وانتظرت ما سيحصل لاحقاً. الإحساس بحاجتها إلى الدفع ازداد شيئاً فشيئاً، وأخذت نفساً عميقاً.

أمرتها القابلة القانونية: "حسناً، ادفعي الآن بكل قوتك". فضغطت إلسي بذقنها على صدرها، ودفعت بأكبر قوة ممكنة. بدا لها وكأن شيئاً لم يحصل، لكن القابلة القانونية أومأت لها برأسها في إشارة إلى أنها تبلي حسناً، ثم قالت بفظاظة: "انتظري الانقباض التالي"

أحسـت إلسـي بالضغط يتراكم مجدداً، وعندما وصل إلى ذروته، طُلب منها الدفع إلى الأسفل مجدداً. هذه المرة، أحست بشيء يرتخي. يصعب الوصف، لكنها شعرت كما لو أن شيئاً قد أفسح الطريق.

"أصبح الرأس في الخارج الآن. انقباض واحد إضافي و...".

أغمضت إلسي عينيها هنيهة، لكنها لم ترَ سوى هانس. غير أنها لا تملك القوة للحزن عليه الآن، ولذلك فتحت عينيها مجدداً.

قالت القابلة القانونية فيما وقفت بين ساقَي إلسـي: "الآن!". وبآخر ما أوتيت من قوة، ضغطت إلسي بذقنها على صدرها وشدّت إلى الأسفل، فيما رفعت ركبتيها إلى الأعلى.

ثمـة شـيء رطـب وزلـق خرج منها، وتراجعت إلى الخلـف مرهقة، وتمددت على الشرشف المبلل بالعرق. الارتياح كان أول إحساس ساورها؛ الارتياح لانتهاء كل تلك السـاعات من العذاب. كانت منهكة بطريقة لم تشـعر بها مطلقاً من قبل. كان كل جزء من جسـمها منهكاً، ولم يكن بوسـعها التحرك إنشـاً واحداً؛ إلى أن سمعت الصراخ. فقد سمعت صراخاً حاداً وغاضباً جعلها تكافح لترفع نفسها على مرفقيها لرؤية مصدر الصوت.

بكت عندما لمحته. كان... مثالياً؛ دبقاً وملطخاً بالدم، وغاضباً لوجوده عارياً في هذا البرد، وإنما رائع. عادت إلسي للاستلقاء على الوسادات عندما أدركت أنها أول وآخر مرة ستراه فيها. قطعت القابلة القانونية الحبل السرّي، ونظفت الطفل بعنايـة بفوطـة ناعمـة، ثـم جعلته يرتـدي قميصاً صغيراً مطـرزاً أحضرته إيديت. لم ينتبه أحد إلى إلسـي، لكنها لم تستطع إبعاد عينيها عن الصبي. أحسّـت أن قلبها سـينفجر مـن شـدة الحـب، وأرادت عيناها التهام كل تفصيـل فيه. إلا أنها تحدثت عندما تحركت إيديت لإخراجه من الغرفة.

"أريد حمله!"

قالـت القابلـة القانونيـة بغضـب: "لا أنصحـك بذلك في مثل هـذه الظروف" وأشارت إلى الخالة لتخرجه من الغرفة. لكن إيديت ترددت.

"أرجـوك، دعينـي أحملـه. لدقيقـة واحـدة فقـط، ثـم يمكنـك أخـذه بعيـداً".

كانت نبرة إلسي مقنعة جداً؛ حيث جاءت إليها خالتها ووضعت الطفل بين ذراعيها. أمسكته بعناية فيما نظرت إلى عينيه، ثم همست: "مرحباً حبيبي". وهزّته برفق.

قالت القابلة القانونية: "أنت تنزفين على قميصه". وبدت منزعجة.

قالت إيديت: "لديّ المزيد من القمصان". فيما وجّهت إلى المرأة نظرة أسكتتها.

لم تشبع إلسي من النظر إليه، وأحسّت بالدفء والثقل بين ذراعيها، وحدّقت بذهول إلى أصابعه الصغيرة، وأظفاره المثالية بالغة الصغر.

قالت إيديت: "إنه صبي سليم". فيما وقفت قرب السرير.

فقالت إلسي: "يشبه والده" وابتسمت فيما أمسك الطفل بإصبعها.

قالت القابلة القانونية: "عليك تسليمه الآن. لا بد من إطعامه". وأخذت الطفل من بين ذراعَي إلسي. حثّتها غريزة الأمومة على المقاومة، والإمساك به، وعدم التخلي عنه أبداً. لكن تلك اللحظة مرّت، وبدأت القابلة القانونية تخلع عنه القميص الملطخ بالدم بسرعة وتلبسه قميصاً آخر نظيفاً. ثم سلمته إلى إيديت التي حملته إلى خارج الغرفة، بعد أن وجهت إلى إلسي نظرة أخيرة.

في تلك اللحظة، نظرت إلسي إلى ابنها للمرة الأخيرة، وأحست بشيء ينكسر في أعماق قلبها. لم تكن تعرف كيف يمكنها تحمل مثل هذا الألم. وفيما استلقت هناك على سريرها الملطخ بالعرق والدم مع رحم فارغ وذراعين متعبتين، قررت ألا تعرّض نفسها لهذا النوع من المشاعر مجدداً. أبداً، أبداً. وانهمرت الدموع على وجهها. عاهدت نفسها بذلك فيما ساعدتها القابلة القانونية على تنظيف نفسها بعد الولادة.

* * *

"مارتن!".

"باولا!"

صرخا كلاهما في اللحظة نفسها؛ وكل منهما في طريقه إلى مكتب الآخر حاملاً الأخبار العاجلة. وقفا الآن في الردهة، يحدقان إلى بعضهما، وخدودهما

متورّدة. كان مارتن أول من تمالك نفسه وقال: "تعالي معي. كان كجيل رينغهولم هنا، وثمة شيء أريد إخبارك به".

قالت باولا، فيما لحقت به إلى مكتبه: "حسناً، لكنني أريد إخبارك بشيء ما أيضاً"

أغلق الباب خلفها وجلس، فجلست قبالته. لكنها كانت تواقة جداً لإخباره بما اكتشفته للتو، حيث عجزت عن الجلوس بهدوء.

"أولاً، اعترف فرانس رينغهولم بقتله بريتا جوهانسون، وألمح أيضاً إلى أنه من قتل إيريك فرانكل و..." تردد مارتن. "والرجل الذي وجدناه في القبر

"ماذا؟! هل اعترف لابنه قبل أن يموت؟". وتعجبت باولا بذهول.

دفع مارتن فوق المكتب الملف المشتمل على الرسالة المؤلفة من ثلاث صفحات. "في الواقع، بعد وفاته. فقد تلقى كجيل هذه الرسالة اليوم عبر البريد. اقرئيها، ومن ثم أخبريني عن انطباعك الفوري"

حملت باولا الرسالة وبدأت تقرأها بعناية. وبعدما انتهت، أعادت الأوراق إلى الملف، وقالت وقد ظهر عبوس على وجهها: "حسناً، يتضح جلياً اعترافه بمقتل بريتا. لكن، بالنسبة إلى إيريك وهانس أولافسن... إنه يقول فقط إنه الشخص الذي يجب لومه. وهذه طريقة غريبة للتعبير عن الأمر في هذا السياق؛ وخصوصاً أنه كان صريحاً جداً بشأن بريتا. لذا، لا أعرف. لست أكيدة من أنه يقول إنه قتل الآخَرين أيضاً. وبالإضافة إلى ذلك... انحنت إلى الأمام، وكانت على وشك إخبار مارتن بما اكتشفته عندما قاطعها.

"انتظري، هناك المزيد". ورفع يده، فأغلقت فمها، وقد شعرت بالقليل من الإهانة. "كان كجيل يجري بعض الأبحاث حول هانس أولافسن. وقد حاول أن يعرف إلى أين ذهب ويكتشف المزيد من المعلومات الإجمالية عنه"

قالت باولا بتململ: "و؟".

"تواصل مع أستاذ نروجي كان خبيراً في موضوع الاحتلال الألماني للنروج. وبما أن الأستاذ يملك الكثير من المواد عن حركة المقاومة النروجية، فقد ظن كجيل أنه يستطيع المساعدة على تحديد موقع هانس أولافسن".

كررت باولا: "و؟" وبدأت تشعر بالانزعاج لأن مارتن لا يتطرق إلى المسألة مباشرة.

"في البداية، لم يجد أي شيء".

تنهدت باولا بصوت عالٍ.

لكن كجيل أرسل له عبر الفاكس نسخة عن مقالة فيها صورة فوتوغرافية للمقاوم النروجي هانس أولافسن". ورسم مارتن علامات المزدوجين في الهواء.

"وماذا حصل؟" ازداد الآن اهتمام باولا بما يخبرها إياه. ولهنيهة، نسيت أمر الخبر الذي لديها.

"القصة هي أن الفتى لم يكن مقاوماً نروجياً قطّ. حتى إن اسمه لم يكن أولافسن، بل كان هذا اسم عائلة أمه قبل الزواج، واعتمده بمثابة شهرة له بعدما هرب إلى السويد. يبدو أن أمه النروجية قد تزوجت من ألماني اسمه رينهاردت وولف. وعندما احتلّ الألمان النروج، حصل وولف على منصب مهم في الجيش الألماني الموجود هناك لأن زوجته علّمته اللغة. وفي نهاية الحرب، تم إلقاء القبض على الوالد وإرساله إلى السجن في ألمانيا. لم يعرف أحد ماذا حصل للأم، لكن الابن- هانس- اختفى من النروج عام 1944، ولم يره أحد مجدداً. ونعرف السبب؛ فقد هرب إلى السويد زاعماً أنه في المقاومة، ثم انتهى به الأمر بطريقة ما في قبر في مدافن فجالباكا".

قالت باولا: "هذا أمر لا يصدق! لكن، ما علاقة ذلك بتحقيقنا؟".

قال مارتن وهو شارد: "لا أعرف بعد. لكنني أشعر أن الرابط مهم. حسناً، والآن أصبحت تعرفين ما هي أخباري المهمة. ما الذي أردت قوله لي؟".

أخذت باولا نفساً عميقاً، وشرحت بسرعة ما اكتشفته، فوجّه مارتن نظرة تقدير إلى زميلته.

وقال فيما نهض: "حسناً، لا شك في أن هذا يلقي ضوءاً جديداً على الأمور. علينا إجراء بحث على الفور. اذهبي وأحضري السيارة فيما أتصل بالمدعي العام وأطلب مذكرة تحرٍّ".

هذا كل ما أرادت باولا سماعه. فقفزت والدم يتدفق في أذنيها. أحست أنهم

أصبحوا قريبين جداً الآن؛ قريبين جداً.

لم تتفوه إيريكا بكلمة واحدة منذ عودتهما إلى السيارة، بل اكتفت بالتحديق فقط إلى خارج النافذة، ودفاتر اليوميات في حضنها، فيما كلمات أمها وألمها يملآن رأسها. تركها باتريك وشأنها، مدركاً أنها ستخبره بنفسها عندما تصبح مستعدة. إنه لا يعرف الكثير من التفاصيل بقدر إيريكا؛ لأنه لم يقرأ دفاتر اليوميات. لكن، فيما قرأت إيريكا دفاتر اليوميات، أخبرته كريستينا عن الابن الذي أجبرت إلسي على التخلي عنه.

في البداية، غضب من أمه. فكيف تمكنت من إخفاء مثل هذا الأمر عن إيريكا؟! وآنا أيضاً. لكنه تدريجياً بدأ يرى الأمور من وجهة نظرها. فقد قطعت وعداً لصديقتها وحافظت عليه. ثمة أوقات فكرت خلالها في أن تخبر إيريكا وآنا بأن لديهما أخاً، لكنها قررت في النهاية ترك الأمور على حالها. لم يستطع باتريك مسامحتها على قرارها، لكنه صدقها عندما قالت إنها حاولت أن تفعل ما وجدته الأفضل.

وبعد أن بات السر معلوماً الآن، أحسّ أن كريستينا شعرت بالارتياح. والآن، يعود إلى إيريكا نفسها أن تقرر ما يجب فعله بالمعلومات. وهو واثق تماماً من كيفية تصرفها. فهو يعرف زوجته جيداً ليدرك أنها ستفعل كل شيء ممكن لإيجاد أخيها. وفيما أدار رأسه للنظر إليها فيما كانت جالسة على المقعد قربه وهي تحدّق إلى خارج النافذة، أدرك فجأة كم يحبها. يسهل نسيان ذلك أحياناً. إذ يسهل الانجراف وراء الحياة، ووظيفته، والأعمال المنزلية... وكل الأيام التي مرت ببساطة، الواحد تلو الآخر. لكن، في لحظات معينة- كما هي الحال الآن- يلفته بقوة هائلة كم ينتميان إلى بعضهما، وكم يحب الاستيقاظ قربها كل صباح.

عندما وصلا إلى المنزل، ذهبت إيريكا مباشرة إلى مكتبها؛ من دون التفوه بأية كلمة، والتعبير الشارد نفسه ظاهر على وجهها. رتّب باتريك البيت قليلاً، ثم وضع ماجا في مهدها لتأخذ قيلولة بعد الظهر قبل أن يجرؤ على إزعاج إيريكا.

سأل بعدما طرق على الباب: "هل أستطيع الدخول؟". فأدارت إيريكا رأسها

نحوه وأومأت، فيما بدت شاحبة قليلاً، وإنما هناك نظرة يقظة في عينيها.

سألها: "كيف تشعرين؟". وجلس على الكرسي الهزاز في الزاوية.

قالت له: "بصراحة، لا أعرف. أشعر بالدوار، مثلما أظن". وأخذت نفساً عميقاً. "هل أنت غاضبة من والدتي؟ أقصد لأنها لم تخبرك؟".

فكّرت إيريكا هنيهة، ثم هزّت رأسها قائلة: "لا، ليس تماماً. فماما طلبت من كريستينا أن تقطع لها وعداً، وأفهم جيداً لماذا خافت من التسبب بالمزيد من الأذى عند إخبارنا".

سألها باتريك: "هل ستخبرين آنا؟".

"طبعاً. لديها الحق في أن تعرف أيضاً. لكنني أحتاج أولاً إلى استيعاب المعلومات بنفسي

سألها باتريك مبتسماً: "وأفترض أنك بدأت البحث. هل أنا محق؟". فيما أشار إلى الكمبيوتر، وبرنامج تصفح الإنترنت الظاهر على الشاشة.

رسمت إيريكا ابتسامة خفيفة وأجابت: "تحققت من بعض الأمور لمعرفة المراجع المتوافرة لتعقب عمليات التبني. لا يفترض أن تكون هناك مشكلة في العثور عليه".

سأل باتريك: "هل يبدو الأمر مخيفاً؟ فأنت لا تعرفين كيف هو، أو نوع الحياة التي عاشها".

وافقته إيريكا الرأي: "إنه مخيف جداً. لكن المخيف أكثر هو ألا أعرف. أقصد، لديّ أخ في مكان ما، ولطالما أردت أخاً كبيراً... وابتسمت.

"لا بدّ أن أمك قد فكرت فيه كثيراً على مرّ الأعوام. هل يبدّل ذلك صورتها أمامك؟".

أجابت: "نعم. لا أستطيع القول إنني أظن أنها فعلت الشيء الصحيح بإبعادنا عنها؛ أنا وآنا. لكن..." وبحثت عن الكلمات الصحيحة. "لكنني أفهم أنها لم تجرؤ على حب أحد بعد ذلك. لا بد أن الأمر كان مريعاً بالنسبة إليها؛ إذ تخلى عنها والد الطفل أولاً- لأن هذا ما اعتقدته حينها- ومن ثم أجبرت على التخلي عن الطفل. كان عمرها ستة عشر عاماً فقط! لا أتخيل كم كان الأمر مؤلماً بالنسبة

إليهـا. وكل ذلـك حصـل بعـد فترة وجيزة من خسـارتها والدها أيضاً. وبتعبير آخر، بعد خسـارتها أمها أيضاً؛ حسـب ما اسـتوعبته. لا، لا أسـتطيع لومها. مهما أردت، لا أستطيع فعل ذلك".

"ليتها عرفت فقط أن هانس لم يتخلّ عنها". وهزّ باتريك رأسه.

"نعم. هذا أسـوأ ما في الأمر. فهو لـم يترك فجالباكا مطلقاً، ولـم يتركها قطّ. وبـدلاً مـن ذلـك، قتله شـخص ما". واختنق صوت إيريكا. "لكـن، لماذا؟ لماذا تم قتله؟".

سـألها باتريـك: "هـل تريدين أن أتصـل بمارتن لمعرفة ما إذا كانوا قد وجدوا أي شـيء إضافي؟". لم يشـأ الاتصال بمركز الشـرطة من أجل إيريكا فقط، بل لأن هذه القضية سحرته؛ وخصوصاً بعدما اكتشفا الآن أن النروجي هو والد الأخ غير الشقيق لإيريكا.

قالت إيريكا بحماسة: "هل يمكنك فعل ذلك؟"

"طبعاً. سأتصل بالمركز على الفور". ونهض باتريك.

بعـد خمـس عشـرة دقيقـة، عاد إلـى مكتب إيريكا، ولاحظت فـوراً أنه يحمل أخباراً.

أخبرها: "وجدوا حافزاً محتملاً لمقتل هانس أولافسن".

بالكاد استطاعت إيريكا البقاء جالسة في مقعدها، وقالت: "ما هو؟".

تـردد باتريـك هنيهـة قبل إخبارها. "هانس أولافسـن ليـس مقاوماً نروجياً، بل كان ابن ضابط كبير في الجيش، ووجد نفسه يعمل لصالح الألمان خلال احتلال النروج".

خيّـم الصمـت علـى الغرفـة فيما حدّقت إليه إيريـكا عاجزة عن الكلام، فتابع باتريك كلامه:

"جاء كجيل رينغهولـم إلى مركز الشرطة قبل وقت، حاملاً معه رسالة من والده وصلتـه هـذا الصبـاح عبـر البريد. اعترف فرانس بقتله بريتا. وكتب أيضاً أنه يتحمل مسؤولية موت إيريك وهانس. لم يعرفوا ما إذا كان يمكن اعتبار ذلك اعترافاً بأنه من قتلهما".

سألته إيريكا: "إذاً، لماذا قال إنه يتحمل المسؤولية؟ ما الذي قصده بذلك؟ وإذا لم يكن هانس في المقاومة... أتساءل إن كانت أمي قد عرفت بذلك؟ كيف...؟" وهزّت رأسها.

سألها باتريك فيما جلس مجدداً: "ما رأيك بعد قراءتك يومياتها؟ هل عرفت؟".

فكّرت إيريكا بضع لحظات، ثم هزّت رأسها قائلة: "لا. لا أظن أن ماما قد عرفت؛ على الإطلاق"

قال باتريك: "السؤال هو ما إذا كان فرانس قد اكتشف الأمر

"هل قال مارتن أي شيء عن كيفية عملهم الآن؟".

"لا. قال فقط إن باولا وجدت خيطاً محتملاً، وإنهما في طريقهما للتحقق منه، وسيبلغني ما إن يعرفا المزيد. وبدا مسروراً جداً". أضاف باتريك وهو يشعر بشيء من الانزعاج لأنه بقي خارج المهمة.

قالت إيريكا مسرورة: "أعرف ما تفكر فيه الآن".

قال لها باتريك: "حسناً، سأكذب عليك إذا قلت لك إنني لا أريد التواجد في مركز الشرطة للعمل على القضية. لكنني لا أريد أن تسلك الأمور مساراً مختلفاً، وأظن أنك تعرفين ذلك".

أجابت إيريكا: "أعرف. وأفهم شعورك. ما من خطب أبداً في رغبتك في أن تكون جزءاً من التحقيق".

وكما لو كان ذلك لتأكيد ما كانا يتحدثان عنه للتو، سمعا بكاء عالياً صادراً من غرفة ماجا، فنهض باتريك قائلاً:

"آه. هذا صوت صفارة مصنعي

ضحكت إيريكا: "عليك العودة للعمل في مناجم الملح. لكن، أحضر أولاً تلك الصغيرة إلى هنا كي أقبّلها".

قال باتريك: "سأعود فوراً". وفيما كان يهمّ في الخروج عبر الباب، سمع إيريكا تشهق فوراً.

قالت: "أعرف من هو أخي!" وضحكت فيما انهمرت الدموع على وجهها وكررت: "باتريك، أعرف من هو أخي!".

فيما كانا في السيارة، تلقى مارتن اتصالاً يؤكد إصدار مذكرة البحث. كانا واثقين من أن المدعي العام سيمنحهما الإذن، ولذلك انطلقا من دون انتظار الجواب. لم يتفوه أي منهما بكلمة. تاها كلاهما في أفكارهما، محاولين جمع الأمور المبعثرة، وتحديد شكل النمط الذي بدأ يظهر.

لم يحصلا على أي جواب عندما طرقا الباب.

قالت باولا: "يبدو المكان خالياً".

سأل مارتن: "وكيف سندخل؟". فيما تأمل الباب الصلب الذي بدا أن خلعه صعب جداً.

ضحكت باولا وقالت: "بواسطة المفتاح". ورفعت ما وجدته عالياً.

قال مارتن: "ماذا كنت سأفعل من دونك؟". وكان يقصد فعلاً كل كلمة قالها.

قالت: "كنت ستكسر كتفك ربما لدى محاولتك دخول المنزل". ثم فتحت الباب.

دخلا. كان المكان هادئاً جداً، والجو حاراً، فعلّقا سترتيهما في الردهة.

سألت باولا: "هل ننفصل؟".

"طبعاً. أنا سأهتم بالطابق الأرضي، وأنت اصعدي إلى الأعلى

"عمَّ نبحث بالضبط؟". وفجأة، بدت باولا غير واثقة. كانت أكيدة من أنهما على المسار الصحيح، لكن بعد أن اقتربا من الحل الآن، لم تعد مقتنعة بأنهما سيعثران على أي شيء يثبت نظريتهما.

"لا أعرف بالضبط". بدا مارتن مشككاً أيضاً. "دعينا نلقي نظرة حولنا، ونرى ما يمكننا العثور عليه".

"حسناً". وأومأت باولا برأسها وتوجّهت إلى الأعلى.

بعد ساعة، نزلت إلى الأسفل. "لا شيء لغاية الآن. هل يجدر بي الاستمرار في البحث في الأعلى، أم يجدر بنا تبديل الأدوار؟ هل وجدت أي شيء مهم؟".

هزّ مارتن رأسه مجيباً: "لا، ليس بعد. من الأفضل ربما أن نبدل الدورين. لكن..." وبدا شارداً، ثم أشار إلى باب في الردهة. "يمكننا التحقق من القبو أولاً. إذ لم ينزل أي منا إلى الأسفل بعد"

قالت باولا: "فكرة جيدة" وفتحت باب القبو. خيّم الظلام الحالك على السلالم، لكنها وجدت مفتاح الضوء في الردهة؛ مباشرة بعد الباب، فأنارت المصباح. نزلت أولاً، فيما لحق بها مارتن، وبعد ثوانٍ قليلة وقفت عند أسفل الدرج ريثما تتكيف عيناها مع الضوء الخفيف.

قال مارتن عندما انضم إليها: "يا له من مكان مريع!". وترك عينيه تتأملان الجدران، ثم شهق مما رآه.

قالت باولا فيما وضعت إصبعها على شفتيها: "ششششش. هل سمعت أي شيء؟".

قال مارتن مصغياً: "لا. لم أسمع أي شيء".

"ظننت أنني سمعت باب سيارة يغلق. هل أنت واثق من أنك لم تسمع أي شيء؟".

"نعم، أنا واثق. إنها مخيلتك ربما" ثم صمت فيما سمعا فجأة صوت خطوات فوق رأسيهما.

قالت باولا: "مخيلة! هه؟ أظن أنه من الأفضل أن نعود إلى الأعلى". ووضعت قدمها على أول درجة. في تلك اللحظة، أغلق باب القبو بقوة كبيرة، وسمعا مفتاحاً يدور في القفل.

"ما هذا؟". وكانت باولا في طريقها إلى الأعلى عندما انطفأ الضوء، وأصبحا في عتمة حالكة.

صرخت باولا: "فلنخرج من هنا!". واستطاع مارتن سماعها وهي تضرب الباب وتقول: "هل تسمعني؟ نحن من الشرطة! افتح هذا الباب لنخرج!".

لكنها عندما توقفت لالتقاط أنفاسها، سمعا بوضوح صوت باب سيارة يغلق ومحرك يهدر.

قالت باولا: "اللعنة!". فيما نزلت السلالم مجدداً.

قال مارتن: "نحتاج إلى هاتف لطلب المساعدة". وبحث عن هاتفه، ثم تذكر أنه تركه في جيب سترته. "علينا استعمال هاتفك لأنني تركت هاتفي في سترتي المعلقة في الردهة".

الجواب الوحيد الصادر عن باولا كان الصمت؛ مما جعله يشعر بالتوتر.

"لا تقولي لي..."

أجابت باولا بتعاسة: "بلى. تركت هاتفي في جيب سترتي أيضاً".

"اللعنة!". صعد مارتن السلالم، وحاول فتح الباب بالقوة، لكن النتيجة الوحيدة تمثلت بشعوره بالألم في كتفه. شعر بالإحباط، وعاد للانضمام إلى باولا.

"لن يتزحزح".

سألت باولا بكآبة: "ماذا سنفعل الآن؟". ثم شهقت قائلة: "جوهانا!".

فسألها مارتن بدهشة: "ومن هي جوهانا؟".

لم تجب باولا هنيهة، ثم قالت: "صديقتي، وزوجة أخي. سوف ترزق بطفل خلال هذين الأسبوعين. لكن لا تعلم أبداً متى يحين موعد الولادة... ووعدتها بإبقاء هاتفي الخلوي معي دوماً".

قال مارتن محاولاً استيعاب المعلومات: "لا تقلقي. يتأخر الطفل في الولادة حين يكون أول طفل

قالت باولا: "أتمنى ذلك. من الجيد أنها تستطيع دوماً الوصول إلى أمي؛ في أسوأ الحالات...".

قال مارتن: "لا تفكري في هذا. لن نبقى عالقين هنا لمدة طويلة. ومثلما قلت، إذا كان لا يزال أمامها أسبوعان، فستجري الأمور على ما يرام".

قالت باولا: "لكن، لا أحد يعرف أين نحن. وفيما نحن عالقان هنا، هرب المجرم بعيداً". وجلست على الدرجة السفلية.

قال مارتن: "انظري إلى الجانب الإيجابي. فعلى الأقل، نحن نعرف الآن أننا كنا محقّين". لكن باولا لم تجبه.

وفي الردهة في الأعلى، بدأ هاتف باولا يرنّ بجنون.

تردد ميلبرغ فيما وقف عند عتبة الباب. كان كل شيء جيداً في صف الرقص يوم الجمعة، لكنه لم ير ريتا منذ ذلك الحين، بالرغم من نزهاته المتكررة على طريقها الاعتيادية، وقد اشتاق إليها. تفاجأ حين أدرك أن مشاعره قوية هكذا. لكن،

لم يعد بوسعه تجاهل حقيقة أنه يشتاق إليها فعلاً. بدا إرنست وكأنه يفكر في الشيء نفسه، لأنه سلك بنفسه الطريق المؤدية إلى المبنى حيث تعيش ريتا. لم يقاوم ميلبرغ الأمر، لكنه بدا متردداً. أولاً، لأنه لا يعرف ما إذا كانت موجودة في المنزل أم لا. وثانياً، لأنه يشعر بالخجل، ويخشى أن يبدو متطفلاً. لكنه تجاهل هذا الشعور وضغط على الجرس الداخلي للمبنى. لم يجب أحد، وكان على وشك المغادرة عندما سمع صوت طقطقة وصوتاً متوتراً يشهق عبر مكبّر الصوت.

قال فيما عاد صوب الباب: "مرحباً! أنا برتيل ميلبرغ".

في البداية، لم يأتِ أي جواب، ثم بالكاد سمع كلمة "اصعد"، تلاها تأوّه. فقطّب جبينه. يا للغرابة! صعد ميلبرغ الطابقين المؤديين إلى شقة ريتا، ولحق به إرنست. كان الباب مفتوحاً جزئياً، فدخل وهو يشعر بالدهشة.

قال: "مرحباً؟" لا جواب مجدداً، إلى أن سمع فجأة تأوّهاً قريباً منه. وعندما نظر باتجاه مصدر الصوت، لمح شخصاً مستلقياً على الأرض.

شهقت جوهانا وهي تقول: "أعاني من... انقباضات الولادة". وكانت متقوقعة على شكل كرة في محاولة للسيطرة على الألم.

قال ميلبرغ: "يا إلهي!". وأحسّ بالعرق يتقطر من جبينه. "أين ريتا؟ سأتصل بها وبباولا. علينا الاتصال بباولا وبسيارة إسعاف". ونظر حوله بحثاً عن أقرب هاتف.

قالت جوهانا: "حاولت... لم أستطع... الوصول لكنها لم تستطع إكمال الجملة بسبب الألم. ثم رفعت نفسها على قدميها ببطء من خلال التشبث بمقبض الخزانة المجاورة، وأمسكت ببطنها، وحدّقت إلى برتيل بعينين مذعورتين.

"هل تظن أنني لم أحاول الاتصال بهما؟ لا أحد يجيب! كيف يمكن... أوه، اللعنة..." وتوقفت عن الشتم بسبب انقباض آخر، ووقعت على ركبتيها، وتنفست بصعوبة، وقالت لميلبرغ: "خذني إلى... المستشفى وأشارت إلى مفاتيح السيارة الموضوعة على المكتب. حدّق إليها كما لو أنها قد تتحول إلى أفعى مفترسة في أية لحظة، ثم رأى يده تمتد بحركة بطيئة نحو المفاتيح. ومن دون أن يعرف ماذا يفعل، وجد نفسه يحمل جوهانا إلى السيارة نوعاً ما، ويضعها على المقعد الخلفي. وتوجب على إرنست البقاء في الشقة. ضغط ميلبرغ على دواسة الوقود

بقوة، وتوجّه نحو مستشفى منطقة نوران آلفسبورغ المعروف باسم "نال". أحسّ بالذعر يسيطر عليه، فيما بدأت جوهانا تلهث أكثر، وبدا أن الرحلة من فانرسبورغ إلى ترولهاتان لن تنتهي أبداً. لكنه وصل أخيراً إلى مدخل قسم الولادة، حيث توقف وأخرج جوهانا من السيارة. كانت عيناها مليئتين بالذعر فيما لحقت به إلى الداخل.

قال ميلبرغ للممرضة الجالسة خلف النافذة الزجاجية: "سوف تلد طفلاً". ونظرت إلى جوهانا، وأظهرت تعابيرها أن كلماته لم تكن ضرورية البتة.

قالت لهما: "تعالا معي وأشارت إلى غرفة مجاورة.

قال ميلبرغ بتوتر حين بدأت جوهانا تخلع سروالها: "أظن أنه... عليّ المغادرة الآن". لكنها أمسكت بذراعه فيما كان على وشك الهروب، وهمست بصوت منخفض فيما أحست بانقباض آخر:

"لن تذهب... إلى أي مكان. لا أنوي... فعل ذلك... بمفردي".

"لكن..." بدأ ميلبرغ بالاعتراض، ثم أدرك أنه لا يجرؤ على تركها هنا بمفردها، فتنهّد، وجلس على كرسي، وحاول النظر في اتجاه مختلف فيما تم فحص جوهانا.

قالت القابلة القانونية: "الرحم مفتوح سبعة سنتيمرات". ونظرت إلى ميلبرغ؛ إذ افترضت أنه يريد سماع هذه المعلومات. فأومأ برأسه، لكنه تساءل فجأة عن معنى ذلك. هل هذا جيد أم سيئ؟ ما هو عدد السنتيمترات الضرورية؟! وبذهول كبير، أدرك أنه سيعرف الأمر، بالإضافة إلى الكثير من الحقائق الأخرى، قبل أن تنتهي كل هذه المسألة.

أخرج الهاتف الخلوي من جيبه، وطلب مجدداً رقم باولا. لكنه حصل فقط على رد من المجيب الصوتي. الشيء نفسه تكرر لدى اتصاله بريتا. ما مشكلتهما؟ لماذا لا يحملان الهاتف معهما؟ وخصوصاً وأنهما يعلمان أن جوهانا يمكن أن تلد في أية لحظة؟ أعاد ميلبرغ هاتفه الخلوي إلى جيبه، وبدأ يفكر في ما إذا كان بوسعه الهرب من دون أن ينتبه إليه أحد.

بعد ساعتين، كان لا يزال موجوداً في المستشفى. تم نقلهما إلى غرفة الولادة، وجرى تثبيته جيداً في مكانه من قبل جوهانا التي أمسكت به بقبضة من حديد. شعر بالأسف عليها، فقد عرف أن تلك السنتيمترات السبعة يجب أن تكون عشرة،

لكن يبدو أن آخر ثلاث سنتيمترات تأخذ وقتها. استفادت جوهانا تماماً من قناع الأوكسيجين، وتمنى ميلبرغ لو أنه يستطيع تجربته بنفسه.

قالت جوهانا: "لم يعد بوسعي التحمل أكثر وجحظت عيناها تحت قناع الهواء. التصق شعرها المتعرق بجبينها، فأمسك ميلبرغ بمنشفة ومسح حاجبيها.

قالت: "شكراً". ونظرت إليه بتعبير جعله يندم على تفكيره في المغادرة.

ذهل ميلبرغ من المشهد الذي يحصل أمام عينيه. لطالما عرف أن الولاد عملية مؤلمة، لكنه لم يشهد مطلقاً الجهود الجبارة الضرورية للقيام بذلك. وللمرة الأولى في حياته، أحسّ باحترام عميق لجنس النساء. فهو لا يستطيع فعل ذلك أبداً؛ إنه أمر واثق منه تماماً.

قالت جوهانا: "حاول... الاتصال بهما مجدداً". فيما تنفست الأوكسيجين، وأشارت الآلة الموضوعة على بطنها إلى أن انقباضاً كبيراً على وشك أن يحصل.

أرخى ميلبرغ يده، وطلب مجدداً الرقمين اللذين طلبهما باستمرار خلال الساعات القليلة الماضية. لم يجب أحد، فهزّ رأسه بحزن فيما نظر إلى جوهانا.

قالت: "اللعنة أين..."، لكن الانقباض التالي سيطر عليها مجدداً، وتحولت كلماتها إلى أنين.

قال ميلبرغ بتوتر: "هل أنت واثقة من أنك لا تريدين... تلك الإبرة المخدرة التي سألتك عنها؟" ومسح المزيد من العرق عن جبين جوهانا.

"لا. أصبحت قريبة جداً الآن... قد يخفّ الانقباض... وبالمناسبة، اسمها إبرة التخدير النصفي وبدأت تتأوه مجدداً، وآلمها ظهرها.

دخلت القابلة القانونية الغرفة لترى كم توسع رحم جوهانا، ثم قالت: "أصبح الرحم مفتوحاً بالكامل الآن" وبدت مسرورة. "هل تسمعين ذلك جوهانا؟ عمل جيد. عشرة سنتيمترات. ستتمكنين من الولادة قريباً. أنت تبلين حسناً. سيكون طفلك هنا قريباً جداً".

أمسك ميلبرغ بيد جوهانا وضغط عليها، وأحسّ بشعور غريب في صدره. "الفخر هي أقرب كلمة يمكن إيجادها لوصف ذلك الشعور. كان فخوراً لأن القابلة القانونية مدحت جوهانا، ولأنهما تعملان معاً، ولأن الطفل سيكون هنا قريباً.

سأل القابلة القانونية: "كم سيستغرق الأمر؟". وأجابت عن سؤاله بصبر. لم يسأله أحد عن علاقته بجوهانا، ولذلك افترض أنهم اعتبروه الوالد، وإن كان كبيراً في السن. ولم يزعج نفسه في تصحيح الخطأ.

قالت القابلة القانونية: "الأمر يختلف من امرأة إلى أخرى، لكنني أعتقد أن الطفل سيكون هنا خلال نصف ساعة". وابتسمت لتشجيع جوهانا التي كانت ترتاح لبضع ثوانٍ بين الانقباضات، قبل أن تشد جسمها مجدداً، وتتوتر ملامح جسدها.

قالت عبر أسنانها المطبقة: "الإحساس مختلف الآن". وتمددت مجدداً للإمساك بأنبوب الأوكسيجين.

"إنها آلام تدل على اقتراب نزول الطفل. عندما أطلب منك الدفع إلى الأسفل، ارفعي ركبتيك إلى الأعلى واضغطي بذقنك على صدرك، ثم ادفعي إلى الأسفل بكل قوتك".

أومأت جوهانا برأسها، وضغطت على يد ميلبرغ مجدداً، فضغط بدوره على يدها، ثم نظرا كلاهما إلى القابلة القانونية بانتظار المزيد من الأوامر.

بعد بضع ثوان، بدأت جوهانا تلهث، ووجهت نظرة استفسار إلى القابلة القانونية.

"انتظري، انتظري، انتظري... ليس بعد... انتظري حتى يكون الانقباض قوياً... حسناً، الآن!!".

فعلت جوهانا مثلما طلب منها، وضغطت بذقنها على صدرها، ورفعت ركبتيها إلى الأعلى، ثم دفعت بكل قوتها إلى الأسفل إلى أن أصبح وجهها باللون الأحمر وخفّ الألم.

"رائع! عمل رائع! أبليت حسناً! فلننتظر الآن الانقباض التالي، وقبل أن تدركي ذلك سينتهي الأمر".

كانت القابلة القانونية محقة. فبعد انقباضين، انزلق الطفل إلى الخارج، وتم وضعه على بطن جوهانا فوراً. حدّق ميلبرغ إليه بذهول. فمن الناحية النظرية، إنه يعرف كيف يولد الأطفال، لكن رؤية ذلك مباشرة... والتفكير في أن الطفل قد خرج فعلاً ملوّحاً بذراعيه وساقيه وباكياً احتجاجاً، قبل أن يبدأ بالبحث عن صدر

جوهانا أمر آخر.

قالت القابلة القانونية بلطف: "فلنساعد الصبي الصغير، فهو يحاول أن يرضع". وساعدت جوهانا إلى أن عثر الطفل على ثديها وبدأ يمص.

قالت القابلة القانونية لهما: "مبروك". وأحس ميلبرغ أنه يتوهج مثل الشمس. فهو لم يختبر مثل هذه التجربة من قبل قطّ. حتماً لا.

بعد وقت قصير، انتهى الطفل من الرضاعة، فنظفته القابلة القانونية، ولفّته ببطانية. جلست جوهانا على السرير مع وسادة خلف ظهرها، ونظرت إلى ابنها بعينين عاشقتين، ثم نظرت إلى ميلبرغ وقالت بصوت منخفض:

"شكراً لك. لم يكن بوسعي مطلقاً فعل ذلك بمفردي".

مجدداً، لم يستطع ميلبرغ سوى الإيماءة برأسه. ثم مدّ ذراعيه بتوتر، فأعطته جوهانا ابنها بحذر، وحرصت على أن يدعم رأس الطفل كما يجب. كان إحساسه وهو يحمل ذلك الجسم الصغير والدافئ بين ذراعيه غريباً فعلاً. نظر إلى الوجه الصغير جداً، وأحس بانقباض كبير في حنجرته. وعندما نظر إلى عينَي الصبي، عرف أمراً أكيداً. منذ الآن فصاعداً، أصبح مغرماً به من دون شك.

فجالباكا 1945

ابتسم هانس لنفسه. لا يجدر به فعل ذلك ربما، لكنه لم يستطع منع نفسه. لا شك في أن الأمر سيكون صعباً عليهما في البداية. إذ سيكون هناك أشخاص يعبّرون عن آرائهم حيال ذلك، وسيجري الحديث من دون شك عن الخطيئة التي ارتكباها، وسيسمعان عتابات أخرى في هذا الصدد. لكن، بعد مرور الأسوأ، سيتمكنان من تأسيس حياتهم معاً؛ هو وإلسي وطفلهما. كيف يمكنه أن يشعر بشيء غير الفرح حيال هذه الفكرة؟

إلا أن الابتسامة على شفتيه اختفت عندما فكّر في ما ينتظره. لن تكون المهمة سهلة. ثمة جزء منه أراد نسيان كل ما حصل في الماضي، والبقاء هنا، والادعاء بأنه لم يعش حياة أخرى على الإطلاق. ذلك الجزء منه أراد تصديق أنه ولد مجدداً، وأنه مثل صفحة بيضاء، وذلك منذ أن هرب بعيداً على متن القارب الذي يخص والد إلسي.

لكن الحرب انتهت الآن، وتبدّل كل شيء. وهو لا يستطيع المضي قدماً ما لم يعد إلى هناك أولاً؛ إكراماً لأمه على الأقل. شعر أنه ملزم بمعرفة ما إذا كانت على ما يرام، وأرادها أن تعرف أنه على قيد الحياة، وأنه وجد منزلاً جديداً.

أحضر هانس حقيبة، وبدأ يوضّب فيها ملابس تكفيه لأيام قليلة؛ لأسبوع على الأكثر. فهو لا ينوي الغياب أكثر من ذلك، ولا يريد فعلاً الابتعاد عن إلسي. فقد أصبحت جزءاً أساسياً منه؛ حيث لا يستطيع تحمل فكرة انفصاله عنها. لكنه بحاجة إلى القيام بهذه الرحلة، ثم سيكونان مع بعضهما إلى الأبد. سيخلدان معاً إلى السرير كل ليلة، وسيستيقظان كل صباح بين ذراعَي بعضهما؛ من دون أي خجل، ومن دون الحاجة إلى إبقاء حبهما سراً. لقد كان صادق النية فعلاً بشأن ما قاله عن التقدم إلى السلطات للحصول على إذن بالزواج؛ فهكذا يستطيعان الزواج قبل

ولادة الطفل. وتساءل عمّا إذا كان الجنين صبياً أم فتاة. وابتسم مجدداً فيما وقف هناك، وهو يرتب أغراضه. وتخيّل فتاة صغيرة تتمتع بابتسامة إلسي الرقيقة، أو صبياً صغيراً ذا شعر أشقر مجعد. لا يهم أبداً. سيكون سعيداً تماماً بما يمنحهما الله إياه.

وقع شيء سميك ملفوف بقطعة قماشية عندما أخرج قميصاً من درج مكتبه. ورنّ صوت المعدن حين ارتطم بالأرض، فانحنى هانس بسرعة لرفعه. جلس على السرير فيما تأمل الغرض في يده. إنه الصليب الحديدي الذي ناله والده تقديراً لخدماته خلال السنة الأولى من الحرب. حدّق إليه هانس. لقد سرق الميدالية من والده، وأحضرها معه بمثابة تذكار عندما هرب إلى النروج. وكانت أيضاً نوعاً من الضمانة في حال ألقى الألمان القبض عليه قبل أن ينجح في الفرار إلى السويد. كان يجدر به التخلص من الميدالية قبل زمن طويل. عرف ذلك. فإذا فتش أي كان في أغراضه وعثر عليها فقد يفضح سرّه. لكنه احتاج إليها، احتاج إليها بمثابة تذكار.

لم يشعر بأي ندم على تركه والده. ولو أتيحت لهانس الفرصة، لما تعاطى مع ذلك الرجل مطلقاً. فقد أخطأ ريندهارت وولف بحق البشرية، وأحس هانس بالخجل لأنه في مرحلة ما من حياته كان ضعيفاً جداً لمواجهة والده. تدفقت الذكريات في عقله؛ صور وحشية وعديمة الرحمة لجثث ينقلها شخص لم يعد يربطه به أي شيء؛ شخص ضعيف، شخص أذعن لإرادة والده لكنه نجح في النهاية في الابتعاد والهروب. ضغط هانس على الميدالية بقوة كبيرة لدرجة أن حوافها جرحت يده. لن يعود لرؤية والده. يفترض أن يكون القدر قد نال منه أخيراً، وأن يكون قد نال العقاب الذي يستحقه. لكن هانس احتاج إلى رؤية أمه؛ فهي لا تستحق أن تعاني من القلق الذي يساورها على الأرجح. فهي لا تعرف أبداً ما إذا كان ابنها حياً أم ميتاً. وأراد فرصة للتحدث إليها، والإظهار لها أنه بخير، وإخبارها عن إلسي والطفل. ومع الوقت، قد يتمكن من إقناعها بالمجيء إلى السويد والعيش معهم. فهو لا يظن أن إلسي قد تعارض؛ فأحد الأمور التي يحبها في إلسي هو امتلاكها قلباً كبيراً. ورأى أن إلسي وأمه ستتفقان جيداً.

نهض هانس من السرير. وبعد التردد هنيهة، أعاد الميدالية إلى الدرج. يمكنها أن تبقى هنا إلى أن يعود، بمثابة تذكير بالشخص الذي لا يريد أن يكونه مجدداً،

تذكير بأنه لن يكون أبداً صبياً ضعيفاً وجباناً. فالآن، حان الوقت ليكون رجلاً إكراماً لإلسي والطفل.

أغلق الحقيبة، ونظر حوله في أرجاء الغرفة التي عاش فيها الكثير من السعادة خلال العام الماضي. سينطلق قطاره بعد ساعات قليلة. وثمة شيء أخير يجدر به فعله قبل أن يغادر؛ إذ ينبغي له التحدث إلى شخص واحد. غادر الغرفة وأغلق الباب خلفه. أحسّ بالتشاؤم فيما سمع الباب يغلق، وبأن شيئاً ما لن يكون على ما يرام. ثم طرد ذلك الشعور وغادر. سيعود خلال أسبوع.

* * *

أصرّت إيريكا على القيادة إلى غوتبورغ بمفردها؛ رغم أن باتريك عرض عليها الذهاب معها. ولكن هذا أمر تحتاج إلى فعله بمفردها.

وقفت أمام الباب لفترة، محاولة إجبار نفسها على رفع يدها للضغط على الجرس. وأخيراً، لم يعد بوسعها الانتظار.

نظرت مارتا إلى إيريكا بدهشة عندما فتحت الباب، ثم وقفت جانباً للسماح لها بالدخول.

قالت إيريكا: "أنا آسفة على إزعاجكما. كان يجدر بي الاتصال مسبقاً، لكن...". وأحست فجأة أن الجفاف قد سيطر على حنجرتها.

ابتسمت مارتا بلطف وقالت: "أوه، لا تقلقي. في عمري الآن، أشعر بالامتنان لدى حصولي على بعض الصحبة، ولذلك أجد زيارتك أمراً لطيفاً جداً. تعالي، تعالي

لحقت بها إيريكا إلى الردهة المؤدية إلى غرفة الجلوس، حيث جلستا. أحست بالذعر، وتساءلت عن الطريقة الفضلى لتبدأ كلامها، لكن مارتا تحدثت أولاً وسألتها: "هل أحرزتم أي تقدم في التحقيق في الجريمة؟ أنا آسفة لأننا لم نستطع المساعدة أكثر عندما جئت إلى هنا سابقاً. لكن، مثلما قلت لك، لم أكن أعرف أي شيء عن أموره المالية".

قالت إيريكا: "أعرف سبب حصوله على المال، أو إلى من كان يرسل". وكان قلبها يخفق بقوة في صدرها.

وجّهت إليها مارتا نظرة محتارة، لكنها لم تفهم على ما يبدو ما قصدته بقولها ذاك.

ثبّتت إيريكا عينيها على المرأة العجوز وقالت بلطف: "في نوفمبر 1945، ولدت أمي صبياً تم إرساله للتبني فوراً. لقد ولدت في منزل خالتها في بورلانج. وأعتقد أن الرجل الذي قتل، إيريك فرانكل، كان يرسل المدفوعات إلى زوجك من أجل ذلك الطفل

فجأة، خيّم الصمت في غرفة الجلوس، ثم نظرت مارتا بعيداً، ولاحظت إيريكا أن يديها ترتجفان.

"فكرت في الأمر كثيراً. لكن ويلهيلم لم يخبرني مطلقاً بأي شيء عن... حسناً، ثمة جزء مني لم يكن يرغب في أن يعرف. لطالما كان ابننا أنا وويلهيلم. ولم نحبه يوماً أقل لأنني لم ألده بنفسي. أردنا طفلاً لوقت طويل جداً، وجربنا لوقت طويل... وحسناً، وصل غوران مثل هدية من السماء".

"هل يعرف؟".

"أتعنين أنه ولد بالتبني؟ نعم، لم نخفِ عنه الحقيقة قطّ. لكن، لأكون صريحة، لا أعتقد أنه فكر في الأمر كثيراً. فنحن كنا والديه وعائلته. تحدثنا أنا وويلهيلم عن الأمر أحياناً، وعن كيفية شعورنا إذا أراد غوران معرفة المزيد عن... والديه البيولوجيين. لكننا قلنا لنفسينا دوماً إننا سنجتاز تلك المرحلة حين نصل إليها. ولم يكن غوران راغباً يوماً في معرفة أي شيء عنهما، ولذلك أهملنا الأمر

قالت إيريكا بطريقة عفوية: "أنا أستلطفه". محاولةً الاعتياد على فكرة أن الرجل الذي التقته هنا آخر مرة هو في الواقع أخوها؛ هي وآنا.

قالت مارتا وقد أشرق وجهها: "لقد استلطفك هو أيضاً. وثمة جزء مني تفاعل معك بطريقة غير واعية عندما لاحظت أنكما تشبهان بعضكما قليلاً. ثمة شيء في عيونكما... لست واثقة تماماً، لكنكما تملكان قسمات متشابهة".

"كيف ستكون ردة فعله برأيك إذا..." ولم تجرؤ إيريكا على إكمال سؤالها.

"إذا أخذنا بعين الاعتبار كم تحدث عن رغبته في امتلاك إخوة عندما كان صغيراً، فأنا أعتقد أنه سيرحب بوجود أخت صغيرة". وابتسمت مارتا، وبدت أنها

تخطت الصدمة الأولية.

قالت إيريكا: "أختان؛ إذ لديّ أخت أصغر مني اسمها آنا".

كررت مارتا فيما هزّت رأسها: "أختان! لا تكف الحياة عن إدهاشي؛ حتى في عمري هذا". ثم أصبحت جدية. "هل بإمكانك أن تخبريني شيئاً عن أمك... أمه؟". ووجهت إلى إيريكا نظرة استفسار.

فأجابتها إيريكا: "أفرح بإخبارك عنها" ثم سردت لها حكاية إلسي، وكيف أجبرت على إرسال ابنها للتبني. تحدثت لوقت طويل، لأكثر من ساعة، محاولة أن تكون عادلة مع أمها فيما تحدثت إلى هذه المرأة التي أحبت الابن الذي أجبرت إلسي على التخلي عنه وربّته.

إلا أنهما جفلتا كلتاهما عندما فتح الباب الأمامي ونادى صوت مرح من الردهة.

"مرحباً ماما. هل لدينا زوّار؟". واقتربت الخطوات من غرفة الجلوس.

نظرت إيريكا إلى مارتا التي أومأت برأسها دليل موافقة. لقد انتهى وقت الأسرار.

مرّت أربع ساعات، وبدأ مارتن وباولا يشعران باليأس. أحسا أنهما مثل خلدين عالقين في العتمة، رغم أن عيونهما تكيفت الآن بشكل جيد مع العتمة، وباتا قادرين على تمييز حدود الغرفة.

قالت باولا متنهدة: "لم أتخيل مطلقاً أن تصبح الأمور هكذا. ألا تظن أنهم سيرسلون فريق بحث قريباً؟". ثم تنهدت مجدداً.

كان مارتن مشغولاً في فرك كتفه التي تؤلمه كثيراً بعد محاولاته العديدة لكسر الباب. سيعاني من بعض الرضوض الوخيمة حتماً.

قالت باولا: "لا بدّ أنه غادر الآن". وأحست بالإحباط يتراكم داخلها.

وافقها الرأي مارتن الرأي: "ثمة احتمال كبير في أنك محقة". وهذا ما جعلها تشعر بالمزيد من الإحباط.

"لا شك في أنه يملك الكثير من التذكارات المخيفة هنا". وجفلت باولا،

محاولة فهم أشكال بعض الأشياء الموجودة على الرفوف في الطابق السفلي.

قال مارتن: "إنها تخص إيريك على الأرجح. فحسبما عرفت، كان يهوى جمع الأشياء".

"لكن هذه التذكارات النازية... لا بد أنها تساوي ثروة".

"لا شك في ذلك. الشخص الذي يكرّس كل حياته لجمع الأشياء يفترض أن يصبح لديه في النهاية الكثير من الأغراض

"لماذا فعل ذلك برأيك؟". وحدقت باولا في العتمة، محاولة استيعاب ما بات حقيقة الآن. في الواقع، أصبحت مقتنعة بذلك لحظة بدأت بالتأكد من عذره المبرئ. وعندئذ، خطرت لها فكرة التأكد من ورود اسم أكسيل فرانكل على لائحة الركاب في أية رحلة أخرى. فهم عندما تحققوا من عذره المبرئ، تأكدوا فقط من أنه غادر في اليوم الذي حدده. لكن، لم يخطر لهم التأكد مما إذا كان قد قام برحلات أخرى. وفي هذا الصباح، أدركت أن راكباً يدعى أكسيل فرانكل سافر من باريس إلى غوتبورغ يوم السادس عشر من يونيو، ثم عاد في اليوم نفسه.

أجاب مارتن عن سؤالها: "لا أعرف. يصعب فهم ذلك. فقد بدا لي أن الأخوين على علاقة جيدة. فلماذا قتل أكسيل إيريك؟ وما الذي سبّب هذا التصرف العنيف؟".

"لا بدّ أن للأمر علاقة بتجدد التواصل بينهم هم الأربعة: إيريك، وأكسيل، وبريتا، وفرانس. إذ لا يمكن أن تكون هذه صدفة. وكل ذلك مرتبط نوعاً ما بمقتل النروجي

"صحيح. لكن، كيف؟ ولماذا؟ لماذا الآن بعد ستين عاماً؟ هذا غير منطقي

قالت باولا بإحباط: "علينا أن نسأله؛ إذا خرجنا من هنا يوماً. وإذا نجحنا في إلقاء القبض عليه. فقد يكون الآن في طريقه إلى الجهة الأخرى من العالم".

مازحها مارتن بالقول: "قد يجدون ربما هيكلينا العظميين هنا في وقت ما من السنة التالية". لكن هذا المزاح لم يكن محط ترحيب لديها.

فقالت باولا باقتضاب: "إذا كنا محظوظين، فقد يقتحم ولد المنزل".

قال مارتن بحماسة: "هاي، أنت محقة هنا!". ولكمها بقوة على جانبها.

أجابت باولا: "أياً يكن الأمر، أتمنى فعلاً أن يستحق الأذى الذي ألحقته للتو بضلوعي فيما ربتت على الموضع الذي لكزها الآن بمرفقه عليه.

"ألا تذكرين ما قاله بير عندما قابلناه؟".

"لم أكن موجودة. أجريت المقابلة أنت وغوستا". لكن اهتمامها بدأ يزداد.

"حسناً، قال إنه دخل المنزل عبر نافذة في الطابق السفلي".

قالت باولا بنبرة مشكّكة: "لا أعتقد أنه توجد أي نوافذ هنا. فلو كانت هناك واحدة، لكان المكان أكثر إشراقاً". ونظرت حولها إلى الجدران في الطابق السفلي.

نهض مارتن، وتحسس طريقه إلى الجدار الخارجي.

"لكن هذا ما قاله. إذاً، لا بد من وجود نافذة في مكان ما، وثمة شيء معلق أمامها ربما. أنت قلت بنفسك إن الأغراض الموجودة هنا تساوي ثروة. وبالتأكيد، لن يرغب إيريك في أن يرى أي كان مجموعته من الخارج".

نهضت باولا الآن أيضاً وذهبت نحو مارتن، وسمعته يقول: "أووو" فيما ارتطم بالجدار المقابل، وإنما تلت ذلك كلمة "آها". وأحست عندئذ بارتفاع آمالها، وتحوّل الأمل إلى انتصار عندما أزاح مارتن ستارة سميكة، فدخل ضوء النهار إلى الطابق السفلي.

تذمرت باولا قائلة: "ألم يكن بوسعك التفكير في هذا قبل بضع ساعات؟".

فقال مارتن بفرح: "هاي، ماذا عن إظهار القليل من الامتنان؟". فيما أزاح رتاج النافذة وفتحها، ثم تمدد للا[illegible] بكرسي يبعد عنه مسافة متر، ووضعه مباشرة تحت النافذة.

"السيدات أولاً".

تمتمت باولا: "شكراً" فيما صعدت على الكرسي وشقت طريقها عبر الفتحة.

صعد مارتن خلفها مباشرة. وقفا لفترة جامدين في مكانهما للسماح لعيونهما بالتكيف مع ضوء النهار القوي. ثم بدآ يركضان. توجها نحو الأمامي، لكنهما وجداه مقفلاً، وهذه المرة لم يكن هناك مفتاح فوق الباب. مما يعني أن سترتيهما قد علقتا في الداخل، مع الهاتفين الخلويين ومفاتيح السيارة. كان مارتن على وشك التوجه إلى أقرب منزل للجيران عندما سمع صوت تحطم قوياً. نظر إلى الاتجاه

الـذي صـدر منـه الصوت، ولاحـظ أن باولا قد رمت صخرة على نافذة في الطابق الأرضي.

"بمـا أننـا خرجنـا مـن النافذة، أظن أنه يمكننا الدخول بالطريقة نفسـها أيضاً".

ورفعت عصا، وأزاحت كل شظايا الزجاج عن إطار النافذة، ثم نظرت إلى مارتن.

"حسناً، هل تنوي مفاجأة أكسيل أكثر؟ أم ترغب في مساعدتي على الدخول؟".

تـردد مارتـن لثانيـة واحـدة قبل أن يرفع زميلته، ثم يدخـل المنزل عبر النافذة أيضـاً. المهـم الآن هـو إلقـاء القبض علـى قاتل إيريك فرانكل. فقد حظي أكسـيل بالكثير من الوقت، وهناك الكثير من الأسئلة التي لا تزال من دون أجوبة.

وصـل أكسـيل فقـط إلـى مطـار لاندفتر. عندما سـجن الشـرطيين فـي الطابق السفلي وانطلق في سيارته، كان الأدرينالين يتدفق بقوة في عروقه، وإنما تلا ذلك إحساس كبير بالفراغ.

جلس من دون حراك، محدقاً عبر النوافذ، فيما أقلعت الطائرات. كان بوسعه الركوب على متن أية واحدة من هذه الرحلات. فهو يملك المال والمراجع القادرة علـى تأميـن تذكـرة لـه إلى أي مكان يختاره. فأعوام المطـاردة علّمته كل ما يمكن معرفتـه عـن فـن الاختفـاء مـن دون تـرك أي أثر. لكنه لا يريد فعـل ذلك؛ هذا هو الاستنتاج الذي توصل إليه أخيراً. فهو يستطيع الهرب، لكنه لا يريد ذلك.

وهكـذا، جلـس فـي مكانه مراقباً الطائرات وهي تقلع وتهبط. انتظر القدر كي يتم الإمساك به. وما أثار دهشته أنه لم يعد يخشى مجيء هذه اللحظة مطلقاً. هكذا شعر ربما الرجال الذين طاردهم يوم طرق أحدهم على أبوابهم وناداهم بأسمائهم. إنه مزيج من الخوف والارتياح.

لكن الثمن غالٍ جداً في حالته. فقد كلّفه حياة إيريك.

لو أن ابنة إلسـي لم تحضر الميدالية لتغير كل شـيء فتلك القطعة المعدنية الصغيرة جسّدت كل ما حاولا نسيانه طوال تلك الأعوام. وعندما وصلت الميدالية إلى باب إيريك، اعتبرها بمثابة دليل على أن الوقت قد حان لكشف الحقيقة.

لا شـك في أنهما تحدثا في الماضي عن تصحيح الأمور إذا أمكن، أو على

الأقل عن تحمل المسؤولية. ليس أمام القانون؛ لأن القانون لا يبالي بالجرائم القديمة. وإنما على الصعيد البشري، أو المعنوي. فهما يستحقان المعاناة من جراء الشعور بالعار ومن إدانة رفاقهما البشر. وحسب إيريك، لقد حان الوقت للاعتراف بما فعلاه، والتوقف عن الهرب من الحكم الذي يستحقانه. لطالما نجح أكسيل في ثنيه عن الأمر، والقول له إن هذا لن يجدي نفعاً مطلقاً. فما من شيء يقولانه أو يفعلانه الآن يمكنه أن يغير الماضي، وستكون التضحية بكل الأمور الجيدة التي أنجزها في عمله لمجرد التكفير عن ذنب لن يغير أي شيء غير مجدية. وبدلاً من ذلك، يمكنه التكفير عن ذنبه بالاستمرار في تكريس نفسه لذلك العمل.

كل مرة، كان إيريك يصغي إليه ويذعن. لكن مشاعر الذنب استمرت في التراكم داخله؛ إلى أن بقي أخيراً العار فقط. بالنسبة إلى إيريك، لطالما كان العالم بالأسود والأبيض. فقد تعاطى مع الحقائق، ولم يشعر بالارتياح إلا حين كان بين كتبه. فهناك، توجد تواريخ وأسماء، وأوقات وأماكن محددة بحروف سوداء على صفحات بيضاء. لكن، طوال ستين عاماً، أقنعه أكسيل بالقبول بعالم رمادي من الغموض والخداع. وكان بوسعهما الاستمرار على هذا النحو لولا ابنة إلسي، وبريتا التي بدأت جدرانها الدفاعية تنهار نتيجة المرض الذي أتلف دماغها ببطء.

حاول أكسيل التكلم مع إيريك بمنطق، ولكن عبثاً. إذ سيبطل كل ما هو عليه وكل ما يمثله إذا تحمل مسؤولية ارتكابه هذه الجريمة. ولن ينظر إليه أحد بالطريقة نفسها، وسيحطم عمل حياة كاملة. لكن كلامه أخفق هذه المرة في إقناع أخيه. كان في باريس عندما تلقى الاتصال من إيريك الذي قال له: "حان الوقت". بدا ثملاً حين اتصل به، وهذا أمر خطير جداً لأن إيريك لم يحتسِ الشراب يوماً بإفراط. وبكى على الهاتف، قائلاً إنه لم يعد بوسعه تحمل المزيد، وذهب لرؤية فيولا لتوديعها كي لا تتحمل العار معه عندما تظهر الحقيقة. ثم تمتم بشيء ما عن كيفية تحضيره للبدء بكشف الأمور، لكنه لا يستطيع الانتظار لوقت أطول كي يأتي أحدهم وينشر أخبارهم السيئة علناً. سيضع حداً لجبنه، سيضع حداً للانتظار، وتلعثم بكلماته فيما أمسك أكسيل بالهاتف، وملأ العرق يده.

ركب أكسيل أول طائرة إلى السويد، مصمماً على جعل أخيه يفكر بمنطق.

أغمض عينيه، وتألم قلبه فيما عاش تلك اللحظة مجدداً؛ عندما دخل المكتبة مسرعاً ووجد إيريك جالساً إلى مكتبه، وهو يخربش على دفتر. قال بصوت جاف وخالٍ من أية نبرة كل الكلمات التي خشي أكسيل سماعها طوال ستة عقود. لقد حسم إيريك أمره. فهو لا يستطيع العيش مع الذنب أكثر.

كان يأمل في أن يكون ما قاله إيريك له عبر الهاتف مجرد حديث تافه، وأن يعود أخوه إلى رشده عندما يختفي تأثير الشراب. لكنه أدرك الآن أنه مخطئ. إذ كان إيريك متشبثاً بقراره بعزيمة مخيفة. وكان قد بدأ باتخاذ الخطوات اللازمة لضمان ظهور الحقيقة. تحدث عن الطفل أيضاً. وللمرة الأولى، كشف له عن نجاحه في معرفة مكان الطفل، وتحدث عن الدفعات الشهرية التي كان يرسلها للأهل الذين تبنوا الطفل بمثابة نوع من التعويض عما فعلاه. وقد افترضا من دون شك أن إيريك والد الطفل، ولذلك قبلا الدفعات من دون اعتراض. لكن هذا ليس كافياً بالنسبة إلى إيريك. فهذا التكفير عن الذنب لم يخفف الألم الذي مزّقه. لا، بل جعل عواقب ذاك التصرف حقيقية أكثر فأكثر. قال إيريك إن الوقت قد حان الآن للتكفير فعلاً عن الذنب، ونظر إلى عينَي أخيه مباشرة.

في تلك اللحظة، فهم أكسيل أن الحياة التي شيّدها- الحياة المليئة بالإعجاب والاحترام- ستتهدم. وتدفقت صور المعسكر إلى عقله. السجين قربه الذي تم طمره في الحفرة التي كانوا يحفرونها، والجوع، والروائح الكريهة، وتحلل الجثث، وعقب البندقية الذي ارتطم بأذنه فكسر شيئاً ما داخلها، والرجل الميت الذي اتكأ عليه في الباص أثناء عودتهما إلى السويد. فجأة، عاد إلى هناك. استرجع الأصوات، والروائح، والغضب الذي تغلغل في قلبه؛ حتى عندما لم تبقَ لديه أي قوة واستطاع التركيز فقط على الصمود. رأى كل الأشخاص الذين احتقروه، وألحقوا به الأذى، وسخروا منه، واستمتعوا بفكرة أن يكون هذه المرة هو من يصل إلى حبل المشنقة. لكنه رفض منحهم هذه المتعة. كل أولئك الأشخاص، الأحياء والأموات، اصطفوا لتوبيخه والسخرية منه. لن يتمكن من تحمل ذلك. عليه الصمود. هذا هو الشيء الوحيد المهم.

سمع طنيناً في أذنه أسوأ من المعتاد، وتوقف عن سماع ما كان إيريك يقوله.

رأى فقط شفتيه وهما تتحركان. وبعدها، لم يعد إيريك أمامه، بل رأى الشاب الأشقر من غريني الذي سخر منه وجعله يعتقد أنه البشري الوحيد في ذلك المكان غير البشري. الفتى نفسه الذي رفع بندقيته، ثم ضرب بعقبها رأس أكسيل، فيما ثبّت عينيه في عينَي أكسيل.

عندها، امتلأت روحه بالغضب والألم، فرفع أقرب شيء إلى يده؛ رفع تمثالاً حجرياً ثقيلاً وحمله عالياً فوق رأسه، فيما استمر إيريك في الكلام والخربشة على الدفتر على مكتبه.

ثم ترك التمثال الحجري يسقط. لم يبذل أية قوة، وإنما ترك الجاذبية تسقط التمثال الحجري على رأس أخيه. لا، ليس رأس أخيه، بل رأس حارس السجن. أم إنه إيريك؟ بدا كل شيء مشوشاً حينها. إنه في المنزل في غرفة المكتبة، لكن الروائح والأصوات قوية جداً؛ الرائحة الكريهة المنبعثة من الجثث، وأصوات الجزمات التي تتحرك في الوقت نفسه، والأوامر الألمانية التي يمكن أن تعني يوماً إضافياً من الحياة، أو الموت.

ما زال بوسع أكسيل سماع صوت الحجر الثقيل وهو يرتطم بالجلد والعظم، ثم انتهى كل شيء. تمتم إيريك بتأوه واحد قبل أن ينهار ميتاً على كرسيه، وعيناه مفتوحتان.

بعد الصدمة الأولية واستيعابه ما فعله، خيّم عليه هدوء كبير. فما حصل قد حصل. لذا، وضع التمثال الحجري تحت المكتب، ونزع القفازين الملطخين بالدم اللذين كان يرتديهما، ووضعها في جيب سترته، ثم أنزل كل الستائر، وأقفل الباب، وركب في سيارته. توجّه إلى المطار، وسافر على متن أول رحلة متجهة إلى باريس. وفي الأسابيع اللاحقة، حاول نسيان كل المسألة وإلهاء نفسه بعمله؛ إلى أن اتصلت به الشرطة.

كانت العودة صعبة. في البداية، لم يعرف كيف سيكون بوسعه الدخول إلى ذلك المنزل مجدداً. لكن، بعدما استقبله الشرطيان الودودان في المطار وأوصلاه إلى المنزل تمالك نفسه، وفعل ببساطة ما يجب فعله. ومع مرور الأيام، عقد الصلح مع نفسه. عرف أن أخاه قد سامحه على ما فعله به. لكن إيريك لن

يسامحه أبداً على ما فعله ببريتا. لم تلمس يدا أكسيل بريتا مطلقاً، لكنه عرف ما ستكون عليه العواقب بعد ذلك الاتصال الهاتفي الذي أجراه مع فرانس. فقد عرف ما سيفعله فرانس حين أخبره أن بريتا ستفضح كل شيء. اختار كلماته بعناية، وقال ما هو ضروري لاستفزاز فرانس؛ مثل رصاصة قاتلة مصوّبة بدقة. عرف أن طموحات فرانس السياسية، وتوقه إلى السلطة والمنصب ستجعله يتصرف. وخلال المحادثة الهاتفية، استطاع أكسيل الشعور بغضب فرانس الشديد الذي كان دوماً القوة المحركة له. لذا، إنه يتحمل مسؤولية موتها بقدر فرانس تماماً.

تخيل وجهها حين رآها آخر مرة. كانت لا تزال جميلة. وتذكر نظرات الحب التي وجّهها إليها هيرمان، ذلك الحب الذي لم يشعر به أكسيل يوماً. لقد سلبهما ذلك الحب؛ ذلك الإحساس بالتواصل.

راقب أكسيل طائرة أخرى وهي تقلع متجهة إلى مكان ما. لقد وصل إلى نهاية الطريق. ولا يوجد مكان آخر ليذهب إليه الآن.

بعد ساعات من الانتظار، شعر بالارتياح لدى إحساسه بيد على كتفه، وسماعه صوتاً يلفظ اسمه.

* * *

قبّلت باولا جوهانا على وجنتها، ثم قبّلت ابن أخيها على رأسه. لا تزال غير مصدقة أنها فوتت على نفسها كل المسألة، وأن ميلبرغ كان حاضراً عوضاً عنها.

كررت للمرة المليون: "أنا آسفة جداً".

ابتسمت جوهانا بتعب وقالت: "عليّ الاعتراف بأنني شتمتك بما يكفي عندما لم أتمكن من الاتصال بك، لكنني أعرف أنها ليست غلطتك. وأنا مسرورة لأنك بخير الآن".

قالت باولا: "وأنا أيضاً. أقصد أنك بخير. وهو... مذهل ونظرت إلى ابن أخيها الذي تحمله أمه بين ذراعيها غير مصدقة أنه أصبح هنا. لقد أصبح هنا فعلاً.

قالت جوهانا: "خذيه". فيما أعطته إلى باولا التي جلست على حافة السرير وحملته بين ذراعيها. "الغريب في الأمر أن هاتف ريتا الخلوي تعطل في ذلك اليوم أيضاً".

قالت باولا: "أعرف. ماما حزينة جداً. وتظن أنك لن تتحدثي إليها أبداً مجدداً". وداعبت الطفل الصغير.

"هاي، إنها ليست المسؤولةعن ذلك. وفي النهاية، وجدت شخصاً ليساعدني وضحكت.

قالت باولا: "ما زلت غير مستوعبة للأمر. ليتك تسمعين برتيل في غرفة الانتظار مع ماما. فهو يجلس هناك متبجحاً بمدى روعة الطفل الصغير، وكم كنت شجاعة. وإذا لم تكن ماما مغرمة به سابقاً، فلا شك في أنها أصبحت كذلك الآن. يا إلهي هزّت باولا رأسها.

"مرّت لحظة ظننتُ فيها أنه سيهرب. لكن، عليّ الاعتراف بأنه ساعدني أكثر مما تصورت".

كما لو أنه سمعهما وهما تتحدثان عنه، طرق برتيل على الباب وظهر مع ريتا.

قالت جوهانا وهي تشير إليهما للدخول: "هيّا ادخلا".

قالت ريتا: "أردنا فقط الاطمئنان عليك وعلى حفيدي". وذهبت إلى حيث تجلس باولا وحفيدها.

قالت جوهانا: "طبعاً. فقد مضت نصف ساعة على مجيئك إلى هنا آخر مرة". ممازحة حماتها.

قال ميلبرغ مبتسماً: "أردنا فقط أن نرى إذا كان قد كبر قليلاً، وصارت لديه لحية". فيما اقترب بتردد، ونظر إلى الطفل بحنان. نظرت ريتا إلى برتيل بتعبير لا يمكن ترجمته إلا بالحب.

سأل ميلبرغ: "هل أستطيع حمله مجدداً؟"

أومأت باولا برأسها: "طبعاً. أظن أنك جدير بذلك". وأعطته الطفل.

ثم تراجعت إلى الخلف، وراقبت فيما تأمل ميلبرغ الطفل، وتأملتهما ريتا معاً. وأدركت حينها أنه خطرت في بالها أهمية وجود أخيها في حياة ابنه، لكنها لم تتصور قطّ أن يأخذ برتيل ميلبرغ دور الأب، بل دور الجد ربما. ولم تجد الفكرة سيئة جداً في النهاية.

فجالباكا 1945

جازف هانس بإمكانية تواجد إيريك في المنزل. فقد رأى أنه من المهم أن يتكلما قبل أن يغادر إلى النروج. فهو يثق في إيريك؛ إذ ثمة شيء صادق، شيء صريح خلف مظهره المتحفظ نوعاً ما. وعرف هانس أنه وفيّ. وهو يعتمد على هذه الصفة أكثر من أي شيء آخر؛ لأنه لا يستطيع تجاهل إمكانية حصول شيء ما له. فهو سيعود إلى النروج، غير أنه رغم انتهاء الحرب إلّا أنه لا يستطيع توقع كيفية حصول الأمور معه هناك. لقد فعل أشياء، أشياء لا يمكن مسامحته عليها، وكان والده أحد رموز الشرّ الذي جسده الألمان في بلاده. وبما أنه سيصبح الآن أباً، يتوجب عليه إذاً التفكير في كل الاحتمالات. إذ لا يمكنه ترك إلسي من دون شخص يحميها. وإيريك هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أداء هذا الدور برأيه. طرق على الباب.

لم يكن إيريك في المنزل بمفرده. فتنهد هانس عندما رأى بريتا وفرانس في المكتبة أيضاً. وكانوا يستمعون إلى تسجيلات والد إيريك على الغراموفون.

شرح إيريك: "لن يأتي بابا وماما إلى المنزل قبل الغد". فيما جلس في مكانه الاعتيادي خلف المكتب. وقف هانس عند الباب متردداً.

ثم قال فيما كان ينظر إلى إيريك: "في الواقع، أردت التحدث إليك على انفراد".

فمازحهما فرانس بالقول: "أي نوع من الأسرار بينكما؟". فيما مدّ ساقه على ذراع الكرسي الذي جلس عليه.

كررت بريتا: "نعم، ما هي أسراركما؟". وابتسمت لهانس.

هزّ إيريك كتفه ونهض قائلاً لهانس: "فلنقف في الخارج". وتوجّه صوب المصطبة، فلحق به هانس، وأغلق الباب بعناية خلفه. جلسا على الدرجة السفلية.

قــال هانــس: "علــيّ الابتعــاد عن هنا لأيــام قليلة". فيمــا ركل الحصى بمقدمة حذائه.

سأله إيريك: "إلى أين ستذهب؟". فيما دفع نظارته التي استمرت في النزول على أنفه إلى الأعلى.

"إلى النروج. عليّ العودة إلى المنزل... وتسوية بعض الأمور".

قال إيريك: "حسناً". من دون اهتمام كبير.

"وأريد أن أطلب منك خدمة".

"حسناً". هزّ إيريك كتفيه. ومن داخل المنزل، استطاع سماع الموسيقى تصدح من الغراموفون. لا بدّ أن فرانس قد جعل الصوت عالياً.

تردد هانس ثم قال: "إلسي حامل

لم يجب إيريك، بل رفع نظارته مجدداً.

"إنهــا حامــل، وأريد التقدم بطلب إلى الســلطات لمنحــي الإذن بالزواج منها. لكن، عليّ أولاً العودة إلى وطني لتسوية بعض الأمور. فإذا.... إذا حصل لي أي شيء... فهل تعدني بأن تهتم بها؟".

لم يتكلم إيريك، وانتظر هانس جوابه بعصبية. فهو لا يريد المغادرة من دون التأكد من وجود شخص يثق فيه لمساعدة إلسي.

أخيراً، قال إيريك: "طبعاً، سأهتم بإلسي. رغم أنه من المؤسف جعلها في هذا الوضع. لكن، لماذا تخشــى أن يحصل لك شــيء ما؟ إذ يفترض أن يتم اســتقبالك فــي وطنــك مثــل البطــل. لماذا ســينتقدك أي كان على هربــك عندما أصبح الوضع خطيراً جداً؟". واستدار للنظر إلى صديقه.

لكن هانس تجاهل السؤال، ووقف ونفض الغبار عن سرواله.

"لن يحصل أي شيء طبعاً. لكن في حال حصل أي شيء، أردت فقط إخبارك بالأمر. والآن، لقد قطعتَ لي وعداً".

فقال إيريك فيما نهض أيضاً: "حسناً، حسناً. هل تريد الدخول لتوديعهما قبل أن تغادر؟ أخي في المنزل أيضاً. لقد عاد البارحة".

قال هانس فيما ربّت على كتف إيريك: "أنا مسرور لسماعي ذلك. كيف حاله؟

سمعتُ أنه في طريق عودته إلى المنزل، لكنه عانى من ظروف صعبة".

مرّت سحابة مظلمة فوق وجه إيريك ثم قال: "نعم، صحيح. عاش أوقاتاً صعبة. وهو ضعيف جداً. لكنه على الأقل أصبح الآن في منزله!". وأشرق وجهه مجدداً. "لماذا لا تدخل وتلقي عليه التحية؟ فأنتما لم تلتقيا بعد".

ابتسم هانس وأومأ برأسه فيما لحق بإيريك إلى المنزل.

* * *

خلال الدقائق القليلة الأولى، كان الجو متوتراً حول طاولة المطبخ. ثم بدأ التوتر يختفي، واستطاعتا إجراء محادثة مرحة ومسترخية مع أخيهما. لا تزال آنا مصدومة قليلاً من الخبر، لكنها حدقت إلى غوران الذي كان جالساً قبالتها بذهول.

سألته إيريكا: "ألم تتساءل يوماً عن والديك الحقيقيين؟". فيما أخذت حبة من الحلوى الموضوعة في الطبق.

فقال غوران: "بالطبع تساءلت بين الحين والآخر. لكنني في الوقت نفسه وجدت أن ماما وبابا- أقصد ويلهيلم ومارتا- كانا كافيين. فكرت أحياناً في الأمر، وتساءلت عن سبب تخلي أمي عني. لكنني أعرف الآن أنها كانت في ظرف صعب جداً".

أجابت إيريكا فيما نظرت إلى آنا: "نعم، صحيح". وكانت قد واجهت صعوبة في اختيار الطريقة المناسبة لإخبار أختها الصغرى التي حاولت دوماً حمايتها بما توصلت إليه. لكنها في النهاية أدركت أن آنا تغلبت على ظروف أسوأ بكثير، ولذلك أخبرتها إيريكا بكل المعلومات التي جمعتها، بما في ذلك ما عرفته من دفاتر اليوميات. استوعبت آنا كل شيء بسرعة، وها هم الآن يجلسون معاً في منزل إيريكا وباتريك؛ ثلاثة إخوة، أختان وأخ. إنه شعور غريب، لكنه بدا طبيعياً بطريقة غريبة. وقد يكون صحيحاً المثل القائل إن الدم لا يصبح ماء.

ضحك غوران وقال: "إذاً، أفترض أن الوقت قد فات لإبلاغي بأسماء آخر صديق لكل منكما، وما شابه ذلك". مشيراً إلى باتريك ودان. "يبدو لي أنني فوّتت هذه المرحلة لسوء الحظ".

قالت إيريكا: "نعم، أعتقد ذلك". وابتسمت وأخذت حبة أخرى من الحلوى.

قال غوران بتعبير جدي: "بالمناسبة، سمعت أنكم ألقيتم القبض على المجرم؛ شقيق الضحية".

فأومأ باتريك برأسه. "نعم، كان ينتظر طائرة في المطار. هذا غريب! لأنه كان بوسعه المغادرة في أي وقت من دون أن نتمكن أبداً من إلقاء القبض عليه. إلا أنه كان متعاوناً جداً حسبما أخبرني زملائي

سأل دان: "لكن، لماذا قتل أخاه؟". فيما وضع ذراعه حول كتفَي آنا.

فأجاب باتريك: "ما زالوا يحققون معه، ولا أعرف بالضبط" وأعطى قطعة شوكولا إلى ماجا التي كانت جالسة على الأرض قربه وتلعب بالدمية التي أعطتها إياها والدة غوران.

قال غوران: "حسناً، لا أكف عن التساؤل عن سبب قيام الأخ الذي مات بدفع المال لوالدي طوال كل تلك الأعوام. فحسبما فهمت، لم يكن والدي، أم إنني مخطئ؟". ونظر إلى إيريكا.

"لا، أنت محق. فحسب يوميات أمي، والدك اسمه هانس أولافسن، أو بالأحرى، هانس وولف. يبدو أنه لم تكن هناك علاقة عاطفية بين إيريك وماما. لذا، لا أعرف...". وقضمت إيريكا شفتها فيما فكرت. "سنعرف ما نجهله ربما بعد اكتشاف ما سيقوله أكسيل فرانكل

قال باتريك: "ربما". وأومأ برأسه دليل موافقة.

في تلك اللحظة، تنحنح دان، فاستدار الجميع نحوه. تبادل النظرات مع آنا، ثم قالت آنا: "حسناً... لدينا بعض الأخبار

سألت إيريكا: "ما هي؟". فيما وضعت قطعة حلوى أخرى في فمها.

"حسناً..." صمتت آنا قليلاً، ثم خرجت الكلمات من فمها بطريقة متلعثمة. "سننجب طفلاً، في الربيع".

صرخت إيريكا: "حقاً! هذا رائع!". ونهضت عن كرسيها وعانقت أختها ودان قبل أن تعود للجلوس مجدداً، بعينين لامعتين. "كيف تشعرين؟ هل كل شيء على ما يرام؟ هل أنت بخير؟". طرحت عليها إيريكا الأسئلة الواحد تلو الآخر، فضحكت آنا.

"أنا بخير، لكنني أشعر بالقليل من الكسل. حصل الشيء نفسه عندما كنت حاملاً بأدريان. كما أنني أعاني من هذا التوق الدائم لتناول السكاكر القاسية".

ضحكت إيريكا: "هاهاها. سكاكر قاسية! لكن، لا يجدر بي التكلم. فأنا أذكر أنني حشوت نفسي بالحلوى عندما كنت حاملاً بـ..." وتوقفت إيريكا في منتصف الجملة، وحدقت إلى كومة أوراق الحلوى على الطاولة، ثم نظرت إلى باتريك، ولاحظت بالنظر إلى فمه المفتوح أنه يفكر في الشيء نفسه. وبدأت تحسب بسرعة. متى كان موعد دورتها الشهرية؟ كانت منهمكة في كل شيء مرتبط بأمها، حيث إنها لم تفكر في ذلك حتى قبل أسبوعين! كان موعد دورتها الشهرية قبل أسبوعين! حدقت إلى أوراق الحلوى مجدداً، ثم سمعت آنا تنفجر في الضحك.

فجالباكا 1945

سمع أكسيل أصواتاً في الأسفل، فنهض من السرير بجهد كبير. إنه يحتاج إلى وقت للتعافي تماماً. هذا ما قاله الطبيب عندما فحصه فور وصوله إلى السويد. وبدا والده قلقاً، وقال الشيء نفسه عندما وصل أكسيل أخيراً إلى المنزل البارحة. كان محظوظاً جداً لأنه عاد إلى المنزل. أحس لهنيهة أن كل الرعب وكل الأشياء المريعة التي عاشها لم تحصل قطّ. لكن أمه بكت عند رؤيته، وبكت أكثر عندما وضعت ذراعيها حول جسمه الضعيف والهزيل. كان هذا مؤلماً؛ لأنها ليست فقط دموع الفرح، بل كانت تبكي أيضاً لأنه لم يعد هو نفسه. ولن يكون كذلك أبداً مجدداً. فأكسيل المرح والجريء لم يعد موجوداً مطلقاً. لقد سلبته الأعوام الماضية كل ذلك. ورأى في عينَي أمه أنها بكت على الابن الذي لن يعود أبداً، لكنها في الوقت نفسه فرحت بالجزء الصغير الذي عاد منه.

لم تشأ الذهاب مع زوجها والابتعاد عن المنزل طوال الليل؛ رغم أن البرنامج كان قد أعدّ قبل وقت طويل. لكن والده فهم أن أكسيل يحتاج إلى إمضاء بعض الوقت بمفرده، ولذلك أصرّ على أن ترافقه.

قال الوالد: "عاد الصبي إلى المنزل الآن، وسيكون لدينا الكثير من الوقت لقضائه معه. وهو يحتاج الآن إلى بعض السلام والهدوء كي يرتاح، وسيكون إيريك هنا برفقته".

أذعنت أخيراً وغادرا. شعر أكسيل بالارتياح لأنه أتيحت له فرصة البقاء بمفرده. فقد واجه صعوبة كبيرة في التكيف مع فكرة التواجد في المنزل مجدداً؛ الاعتياد على أكسيل.

أدار أذنه اليمنى صوب الباب وأصغى. أخبره الطبيب أنه عليه القبول بفكرة خسارته السمع في أذنه اليسرى إلى الأبد. ولم يكن قد توقع شيئاً آخر. فعندما

رفع الحارس البندقية وضربه على أذنه، عرف أكسيل أن شيئاً ما قد تدمّر. وستبقى أذنه المصابة تذكيراً دائماً له بما عاناه.

خرج إلى الردهة بخطوات سريعة. وبما أن ساقيه لا تزالان ضعيفتين، أعطاه والده عصا لاستعمالها في الوقت الراهن. كانت تخص جده لأبيه في ما مضى. وهي عصا صلبة وقوية وذات رأس معدني.

توجّب على أكسيل الإمساك بالدرابزين فيما كان يشقّ طريقه على السلالم ببطء. لكنه ارتاح في السرير لوقت طويل، وانتابه الفضول لمعرفة أصحاب الأصوات التي سمعها. صحيح أنه تاق إلى العزلة، ولكنه أراد الآن بعض الصحبة.

كان فرانس وبريتا جالسين على كرسيين هزازين في المكتبة، وشعر أكسيل بالغرابة حين رآهما هناك مجدداً؛ كما لو أن شيئاً لم يحصل. بالنسبة إليهما، تابعت الحياة مسارها الاعتيادي. فهما لم يشاهدا جثثاً مكومة فوق بعضها، ولم يشاهدا الرجل الواقف قربهما يتراجع إلى الخلف وينهار بعد تلقيه رصاصة في جبينه. لهنيهة، أحس أكسيل بالغضب لعدم وجود عدالة في كل ذلك، ثم ذكّر نفسه بأنه اتخذ شخصياً خيار تعريضه حياته للخطر، وبالتالي عليه تحمل العواقب. إلا أن شيئاً من الغضب بقي يغلي داخله.

قال إيريك: "أكسيل، من الجيد أنك استيقظت!". فيما كان جالساً منتصباً على الكرسي خلف المكتب. أشرق وجهه عندما رأى أخاه، وهذا أكثر ما أفرح قلب أكسيل عندما عاد إلى المنزل؛ رؤية وجه أخيه مجدداً.

"صحيح. نجح الرجل العجوز في التنقل باستعمال عصاه". وضحك أكسيل، رافعاً العصا ليريها لفرانس وبريتا.

قال إيريك بحماسة: "ثمة شخص هنا أريدك أن تتعرف إليه. يدعى هانس، وهو نروجي. كان في المقاومة، لكنه هرب على متن مركب إيلوف عندما تعقبه الألمان. هانس، هذا أخي أكسيل كان صوت إيريك مليئاً بالفخر.

في البداية، لاحظ أكسيل شخصاً واقفاً في الطرف البعيد من الغرفة، وقد أدار ظهره إلى الباب، فرأى أكسيل فقط جسماً نحيلاً وشعراً أشقر مجعداً. تقدم أكسيل خطوة إلى الأمام لإلقاء التحية، فاستدار ذلك الشخص.

في تلك اللحظة، تجمد العالم، ورأى أكسيل عقب البندقية مجدداً، وعاش الإحساس بالخيانة، وما يعنيه أن يثق في إنسان ظنه جيداً ليخيب أمله لاحقاً. شاهد الفتى أمامه، وتعرف إليه على الفور. أحسّ بطنين كبير في أذنه، وتدفق الدم إلى صدره بسرعة. وقبل أن يدرك أكسيل ما يفعله، رفع العصا عالياً فوق رأسه ووجهها مباشرة إلى وجه الفتى.

صرخ إيريك: "ماذا تفعل؟". وأسرع نحو هانس الذي وقع أرضاً واضعاً يديه فوق وجهه، فيما تدفق الدم من بين أصابعه. وقفز فرانس وبريتا من مكانيهما أيضاً، وحدقا إلى أكسيل وهما غير مصدقين.

وجّه أكسيل عصاه نحو الصبي، وبصوت مليء بالكراهية قال: "لقد كذب عليكم. فهو ليس مقاوماً نروجياً، بل كان حارساً في السجن الذي كنت فيه. وهو من سلب مني القدرة على السمع حين ضرب أذني ببندقيته".

خيّم الصمت على الغرفة.

"هل صحيح ما قاله أخي؟". سأل إيريك أخيراً بصوت منخفض، فيما جلس قرب هانس الذي كان ينتحب وقد استلقى على الأرض. "هل كذبت علينا؟ هل كنت تعمل مع الألمان؟".

قال أكسيل وهو لا يزال يرتجف: "كان حارساً في السجن، وقد قيل إنه ابن ضابط كبير

قال إيريك: "وشخص مثلك جعل إلسي حاملاً!!". فيما نظر إلى هانس بكراهية.

فسأل فرانس وقد أصبح وجهه أبيض اللون: "ماذا قلت؟! جعل إلسي حاملاً؟!".

"هذا ما أراد قوله لي. حتى إنه تجرأ على الطلب مني أن أعتني بها في حال حصل له شيء ما. لأنه أراد العودة إلى النروج" كان إيريك غاضباً جداً ويرتجف. واستمر في فتح قبضتَي يديه وإغلاقهما فيما حدّق إلى هانس الذي كافح للوقوف على قدميه.

قال أكسيل: "صحيح. فهو على الأرجح يريد العودة إلى والده". ثم رفع عصاه مجدداً، وبكل ما أوتي من قوة ضرب هانس الذي انهار أرضاً متأوهاً.

"لا، أردت الذهاب... إلى أمي...". تفوّه هانس بكلماته متوسلاً إلى الآخرين.

فقال فرانس من بين أسنانه المطبقة: "أيها الحقير اللعين". وركل هانس بقوة على قفصه الصدري.

"كيف تمكنت؟! كيف تمكنت من الكذب علينا هكذا؟ عندما عرفت أن أخي..." وتلألأت الدموع في عينَي إيريك واختنق صوته، فوقف وتراجع بضع خطوات إلى الخلف، وطوّق جسمه بذراعيه وبدأ يرتجف أكثر.

صرخ فرانس: "إذاً،كنت تنوي الهرب، أليس كذلك؟ جعلت إلسي حاملاً ثم أردت المغادرة؟ يا إلهي! كم أنت حقير! لو كانت فتاة أخرى... ولكن، ليس إلسي! وسوف تنجب الآن طفلاً ألمانياً!" وارتفع صوته كثيراً.

فحدّقت إليه بريتا بتعاسة، وأدركت الآن على ما يبدو عمق المشاعر التي يكنّها فرانس لإلسي. وجعلها الألم الذي شعرت به في قلبها تنهار على الأرض، وتبكي من دون أن تتمكن من السيطرة على نفسها.

استدار فرانس للنظر إليها لبضع ثوانٍ. وفجأة، قبل أن تتاح لأي كان فرصة التصرف، توجه إلى المكتب، ورفع فتاحة الرسائل الموضوعة هناك، وطعن هانس في صدره.

حدّق إليه الآخرون بذعر لبضع ثوانٍ. وأصيب إيريك وبريتا بالشلل نتيجة الصدمة، لكن رؤية الدم وهو يتدفق حول فتاحة الرسائل أثارت شيئاً حيوانياً في أكسيل. فوجّه كل غضبه إلى الجسم المستلقي على الأرض بلا حراك، وتمتم بأصوات بدائية، وراح هو وفرانس يركلان هانس ويضربانه ويلكمانه. وعندما توقفا مرهقين ومنقطعَي الأنفاس، لم يكن من الممكن التعرف إلى الفتى الممدد على الأرض. نظرا إلى بعضهما خائفين وفرحين في الوقت نفسه. وأحسّا بالراحة الناجمة عن إطلاق كل تلك الكراهية؛ كان ما فعلاه محرِّراً قوياً لهما، واستطاعا رؤية ذلك في عيون بعضهما.

وقفا هناك هنيهة، يتشاركان ذلك الإحساس ويفرحان به، وهما ملطخان بدم هانس؛ على أيديهما وملابسهما ووجهيهما. تناثر الدم على شكل دائرة كبيرة حولهما، وبدأت بركة من الدم داكن اللون تنتشر ببطء تحت الجثة، وتناثر بعض الدم أيضاً على إيريك الذي وقف هناك مطوقاً جسمه بذراعيه ومرتجفاً بقوة. لم

يتمكن من إبعاد عينيه عن الجثة الملطخة بالدم، وكان فمه نصف مفتوح فيما استدار الآن للنظر إلى أخيه. أما بريتا فكانت جالسة على الأرض، وهي تحدق إلى يديها اللتين تلطختا بالدم أيضاً. وكانت في حالة صدمة تماماً مثل إيريك. لم يتفوه أي منهم بكلمة. كان الأمر أشبه بالصمت المدوي بعد العاصفة. فقد كان كل شيء هادئاً، لكن الصمت ما زال يحمل ذكريات الرياح الهادرة.

كان فرانس من تكلم أخيراً؛ إذ قال ببرودة فيما ركل جثة هانس بقدمه: "علينا التخلص من هذا. بريتا، ستبقين هنا وتنظفين. أما أنا وإيريك وأكسيل فسنخرجه من هنا".

سأل أكسيل: "لكن، إلى أين سنأخذه؟". فيما حاول مسح الدم عن وجهه بكمّ قميصه.

فكّر فرانس في السؤال هنيهة ثم قال: "أعرف ما يجدر بنا فعله. سوف ننتظر حتى حلول الظلام لإخراجه من المنزل. سنضعه فوق شيء ما كي لا ينزف في كل مكان. وفي غضون ذلك، يمكننا مساعدة بريتا في تنظيف المكان هنا، وتنظيف أنفسنا".

بدأ إيريك يقول: "لكن..." وكان صوته ضعيفاً فيما انهار على الأرض، محدقاً إلى بقعة في مكان ما خلف فرانس.

قال فرانس: "أعرف المكان المثالي لدفنه. سندفنه مع أبناء جنسه". وظهر شيء من السرور في نبرة صوته.

فكرّر أكسيل كلمتيه مستغرباً: "أبناء جنسه!" وبدا صوته أجوف. وكان يحدق إلى طرف عصاه الذي بات مغطى بالدم والشعر.

قال فرانس مبتسماً ابتسامة أكبر: "سنضعه في قبر الجنود الألمان؛ في المقبرة. ثمة عدالة شاعرية في ذلك".

فتمتم إيريك: "الجندي المجهول". فيما جلس على الأرض محدقاً أمامه. وجّه إليه فرانس نظرة محتارة، فشرح إيريك بهدوء: "الجندي المجهول. هذا ما كتب على القبر

ضحك فرانس: "هل رأيت؟ إنه المكان المثالي

لم يضحك أي من الآخرين، لكنهم لم يعترضوا على خطة فرانس. تحركوا بعدم مبالاة، وبدأوا يفعلون ما يجب فعله. ذهب إيريك لإحضار كيس ورقي كبير من الطابق السفلي، ووضعوا جثة هانس عليه. وأحضر أكسيل لوازم التنظيف من الخزانة في الردهة، وبدأ فرانس وبريتا مهمة تنظيف المكتبة بعناية. تبيّن أن العملية أصعب بكثير مما تخيلوا؛ فالدم دبق جداً، وبدا في البداية أنه ينتشر أكثر مع كل محاولة لإزالته. بكت بريتا بطريقة هستيرية فيما كانت تفرك الأرض، وتوقفت أحياناً للبكاء أكثر فأكثر فيما ركعت على الأرض وفرشاة التنظيف في يدها، فصرخ عليها فرانس للاستمرار في عملها. عمل فرانس إلى أن تصبب منه العرق. لكن، على عكس الآخرين، لم يكن هناك أثر للصدمة في عينيه. نظّف إيريك الدم بطريقة ميكانيكية، وتوقف عن القول إنه يجدر بهم إبلاغ الشرطة بما فعلوه، بعد أن أدرك أخيراً أن فرانس محق. إذ لا يمكنه المجازفة بأن تلقي الشرطة القبض على أكسيل الذي عاد إلى المنزل للتو بعد أن نجا من جحيم معسكرات الاعتقال.

بعد مرور أكثر من ساعة من العمل الشاق، مسح كل منهم العرق عن جبينه، وتأكد فرانس من عدم وجود أي أثر لما حصل في المكتبة.

قال إيريك بصوت خفيف: "علينا استعارة بعض الملابس من خزانة والدي لنعطيك إياها". ثم غادر لإحضارها. وعندما عاد، توقف للنظر إلى أخيه الذي كان جالساً على الأرض في زاوية المكتبة، مثبتاً عينيه على الدم والشعر العالقين على طرف عصاه. لم يتكلم أكسيل كثيراً بعدما عبّر عن غضبه، لكنه نظر الآن إلى الأعلى، وحدّق مباشرة أمامه. "كيف سننقله إلى المدفن؟ أليس من الأفضل إن قمنا بدفنه في الغابة؟".

قال فرانس الذي رفض التخلي عن فكرته: "تملك عائلتك دراجة مع أرضية. سوف نستخدمها. فإذا دفناه في الغابة، فقد يأتي حيوان ما وينبش جثته. لكن، لن يعرف أحد أبداً أن هناك جثة أخرى في قبر الألمان. أقصد، هناك الكثير من الجثث المدفونة هناك. وإذا أخذناه على متن الدراجة، وغطيناه بشيء ما، فلن يلاحظ أحد أي شيء".

قال أكسيل: "لقد حفرت العديد من القبور ثم أعاد نظره إلى عصاه.

فقال إيريك بسرعة: "سأهتم أنا وفرانس بالأمر. يمكنك البقاء هنا أكسيل. وأنت يا بريتا، يجدر بك العودة إلى المنزل. سيقلقون عليك إذا لم تعودي إلى المنزل قبل موعد العشاء". تحدث بسرعة، وأصدر الكلمات مثل مسدس، من دون أن يبعد عينيه عن أخيه.

قال فرانس: "أما أنا فلن يهتم أحد إذا جئت أو ذهبت. لذا، أستطيع البقاء. سوف ننتظر حتى الساعة العاشرة، إذ لا يوجد عادة الكثير من الأشخاص في هذا الوقت من الليل، وسيكون الظلام قد حلّ حينها"

سأل إيريك: "ماذا سنفعل بخصوص إلسي؟" ونظر إلى حذائه. "فهي تتوقع عودته. والآن، سوف تنجب طفلاً".

قال فرانس: "أوه حسناً. إنه طفل ألماني لعين. عليها تحمل العواقب بكل بساطة. لن نخبر إلسي أي شيء! هل تسمعني؟ ستظن أنه ذهب إلى النروج وتخلى عنها، وعلى الأرجح هذا ما كان سيفعله على أية حال. لكنني لا أنوي أبداً التعاطف معها. عليها تدبر أمرها بمفردها. هل يعارض أي منكم ذلك؟". ونظر فرانس إلى كل واحد على حدة، فلم يتحدث أحد.

"حسناً إذاً. حسم الأمر. سيبقى كل ما حصل سراً بيننا. عودي إلى المنزل الآن يا بريتا كي لا يبدأوا بالبحث عنك".

نهضت بريتا وسوّت فستانها الملطخ بالدم بيد مرتجفة. ومن دون التفوه بكلمة، أخذت الفستان الذي أعطاها إيريك إياه، وغادرت لتغسل نفسها وتبدل ملابسها. آخر ما رأته قبل أن تترك الفتيان الثلاثة في المكتبة كان تعبير إيريك. فقد اختفى كل الغضب الذي ظهر في عينيه عندما انكشف سرّ هانس، وبقي العار فقط.

وبعد عدة ساعات، بات هانس في القبر حيث بقي طوال ستين عاماً.

فجالباكا 1975

حملت إلسي الرسم الذي أعدّته إيريكا ووضعته بعناية داخل الخزانة. لقد أخذ تور الفتاتين في نزهة في المركب، وأصبحت في المنزل بمفردها لبضع ساعات. في مثل هذه المناسبات، تصعد إلى العلية غالباً للجلوس بمفردها والتفكير في الأمور.

لقد أصبحت حياتها مختلفة تماماً عما تصورتها. أخرجت دفاتر اليوميات الزرقاء، وربتت برفق على غلاف أحدها. كم كانت صغيرة! كم كانت ساذجة! كم كانت ستوفّر على نفسها الألم لو عرفت حينها ما تعرفه الآن. وهو أن الشخص لا يمكنه أن يحب كثيراً؛ فثمن ذلك باهظ دوماً. ولهذا السبب، لا تزال تدفع ثمن الحب الذي شعرت به قبل زمن بعيد، عندما أحبت كثيراً. لكنها وعدت نفسها بألا تحب أبداً مجدداً هكذا.

لا شك في أنها تميل أحياناً إلى الاستسلام، والسماح لشيء ما بدخول قلبها. خصوصاً عندما تنظر إلى ابنتيها، وهما تديران وجهيهما نحوها مع توق كبير في عيونهما. رأت في تلك العيون توقاً إلى شيء متوقع منها، لكنها عاجزة عن تقديمه لهما؛ خصوصاً إيريكا. فقد احتاجت إلى ذلك أكثر من آنا. تلاحظ إلسي أحياناً أن إيريكا تجلس وتنظر إليها بتعبير يكشف عن كل ذلك التوق الذي يمكن العثور عليه فقط على وجه فتاة صغيرة. وثمة جزء من إلسي أراد أن ينكث بالوعد؛ لتذهب إلى ابنتها، وتضع ذراعيها حولها، وتشعر بقلبها يخفق في الوقت نفسه مع قلب إيريكا. لكن شيئاً ما منعها على الدوام. ففي اللحظة الأخيرة، قبل أن تنهض، وقبل أن تعانق ابنتها، كانت تشعر دوماً بذلك الجسم الصغير والدافئ بين ذراعيها. عيناه الصغيرتان تنظران إليها مثل هانس، مثلها. إنه ثمرة حبهما، وقد ظنت أنهما سيربيانه معاً. لكنها عوضاً عن ذلك ولدته وهي بمفردها في غرفة مليئة بالغرباء. أحست به

وهو يخرج من جسمها، ثم يبتعد عن ذراعيها عندما تم نقله بعيداً إلى أم أخرى؛ إلى امرأة لا تعرف أي شيء عنها.

وضعت إلسي يدها داخل الخزانة وأخرجت قميص الطفل. لقد خبا لون بقع الدم مع مرور الأعوام، وباتت الآن تشبه الصدأ. رفعت القميص إلى أنفها وشمّته لترى ما إذا كان هناك أي أثر لتلك الرائحة الحلوة التي شمّتها عندما حملته بين ذراعيها. لكن، لا يوجد أي شيء، بل شمّت فقط رائحة قديمة وعفنة. كل تلك الأعوام في الخزانة أزالت أي رائحة للصبي، ولم يعد بوسعها شمّها.

فكّرت أحياناً في محاولة تعقب أثره؛ للتأكد فقط من أنه على ما يرام. لكن الفكرة لم تتعدَّ ذلك قط. إنها مماثلة لفكرة وضعها ذراعيها حول ابنتيها، وبهذه الطريقة تحرر نفسها من الوعد الذي قطعته على نفسها.

رفعت الميدالية الموجودة في قعر الخزانة وحملتها في يدها. لقد وجدتها عندما فتشت في غرفة هانس، قبل أن تغادر لولادة طفلها. في ذلك الحين، كان لا يزال لديها أمل بأن تعثر بين أغراضه على شرح لسبب تركه إياها هي والطفل. لكن الشيء الوحيد الذي وجدته، باستثناء بعض الملابس، كان الميدالية. لم تعرف معناها، ولم تعرف أين وجدها أو الدور الذي أدته في حياته. لكنها أحست بأنها مهمة، ولذلك احتفظت بها. لفّت الميدالية بعناية في قميص الطفل، وأعادت الرزمة الصغيرة إلى الخزانة، ثم وضعت دفاتر اليوميات والرسم الذي حضرته لها إيريكا هذا الصباح في الخزانة أيضاً. لأن هذا هو الشيء الوحيد الذي تستطيع إلسي منح الفتاتين إياه؛ لحظة حب حين تكون بمفردها مع ذكرياتها. فهذا هو الوقت الوحيد الذي تسمح لنفسها فيه بالتفكير فيهما؛ ليس بعقلها فقط وإنما بقلبها أيضاً. فما إن تنظرا إليها بعيونهما الجائعة حتى كان قلبها ينكمش خوفاً.

لأن الأشخاص الذين يرفضون الحب لا يخسرون أي شيء.

يتسلل مراهقان إلى منزل إيريك فرانكل للإطلاع على التحف الثمينة والنادرة التي يقتنيها منذ فترة الحكم النازي، ولكنهما يعثران على شيء آخر مروع في منزله، فيبلغان الشرطة بما عثرا عليه، وبعدها تتوالى الأحداث بوتيرة سريعة تجعل رجال الشرطة في حيرة من أمرهم.

يجري البحث عن إكسيل شقيق إيريك، ويتم ربط أمر ميدالية عثرت عليها الكاتبة إيريكا والتهديدات التي وجهتها جمعية أصدقاء السويد بمصير فرانكل. ومنذ ذلك الحين تتزاحم أسئلة عديدة في عقول رجال الشرطة من دون أن يجدوا لها إجابات شافية، وفي خضم ذلك تقع جريمة قتل تذهب ضحيتها صديقة إيريك منذ الطفولة فتزداد حيرة رجال الشرطة ويزداد عجزهم.

التشويق يرافق القارئ منذ الصفحات الأولى لهذه الرواية، ولكنه يكتشف في النهاية أن كل توقعاته حول النهاية كانت خاطئة.



كاميلا لاكبرغ

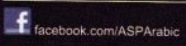
ولدت كاميلا لاكبرغ عام 1974، وعملت في الاقتصاد قبل أن تدرس مادة التأليف الإبداعي للجرائم؛ مما أحدث تغييراً جذرياً في مهنتها. إنها كاتبة مشهورة في السويد، وتعتبر رواياتها البوليسية السبع، من بطولة إيريكا فارك وباتريك هيدستورم، من الكتب الأكثر مبيعاً في أوروبا. تعيش كاميلا في استوكهولم مع زوجها وأولادها الثلاثة.

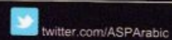


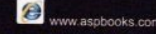


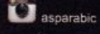










جميع كتبنا متوفرة في موقع نيل وفرات.كوم www.neelwafurat.com - www.nwf.com